



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمّد أبو الفضل البراء عميم

(١٧)

دار النهضة العربية
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|-----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ٩ | شرح نهج البلاغه المجلد ٦ |
| ٩ | اشاره |
| ١١ | اشاره |
| ١٣ | تتمه الخطب و الأوامر |
| ١٣ | اشاره |
| ١٣ | ٦٦ و من كلام له ع فى معنى الأنصار |
| ١٣ | اشاره |
| ١٥ | يوم السقيفه |
| ٢٤ | قصيده أبى القاسم المغربى و تعصبه للأنصار على قريش |
| ٢٧ | أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعه أبى بكر |
| ٥٧ | ذكر أمر فاطمه مع أبى بكر |
| ٦٤ | ٦٧ و من كلام له ع لما قلد محمّد بن أبى بكر مصر فملكه عليه و قتل |
| ٦٤ | اشاره |
| ٦٤ | ذكر محمّد بن أبى بكر و ذكر ولده |
| ٦٦ | هاشم بن عتبه بن أبى وقاص و نسبه |
| ٦٨ | ولايه قيس بن سعد على مصر ثم عزله |
| ٧٦ | ولايه محمّد بن أبى بكر على مصر و أخبار مقتله |
| ١٠٥ | خطبه للإمام على بعد مقتل محمّد بن أبى بكر |
| ١١١ | خبر مقتل محمّد بن أبى حذيفه |
| ١١٣ | ٦٨ و من كلام له ع فى ذم أصحابه |
| ١١٣ | اشاره |
| ١١٥ | طائفه من الأشعار الوارده فى ذم الجين |
| ١١٨ | أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم |

- ١٢٣ ٦٩ و قال ع في سحره اليوم الذي ضرب فيه
- ١٢٣ اشاره
- ١٢٤ خبر مقتل الإمام على كرم الله وجهه
- ١٣٨ ٧٠ و من كلام له ع في ذم أهل العراق
- ١٣٨ اشاره
- ١٤٠ ذكر مطاعن النظام على الإمام على و الرد عليه
- ١٤٥ خطبه الإمام على بعد يوم النهروان
- ١٤٧ من خطب الإمام على أيضا
- ١٤٩ ٧١ و من خطبه له ع علم فيها الناس الصلاة على النبي ص
- ١٤٩ اشاره
- ١٥٥ معنى الصلاة على النبي و الخلاف في جواز الصلاة على غيره
- ١٥٨ ٧٢ و من كلام له ع قاله لمروان بن الحكم بالبصرة
- ١٥٨ اشاره
- ١٦٠ مروان بن الحكم و نسبه و أخباره
- ١٧٩ ٧٣ و من كلام له ع لما عزموا على بيعه عثمان
- ١٧٩ اشاره
- ١٨٠ كلام لعلى قبل المبايعه لعثمان
- ١٨٢ ٧٤ و من كلام له ع لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان
- ١٨٥ ٧٥ و من خطبه له ع
- ١٨٧ ٧٦ و من كلام له ع
- ١٨٩ ٧٧ و من كلمات كان ع يدعو بها
- ١٨٩ اشاره
- ١٩١ من أدعيه رسول الله المأثوره
- ١٩١ من أدعيه الصحيفه
- ٢٠٠ من الأدعيه المأثوره عن عيسى ع
- ٢٠٠ من الأدعيه المأثوره عن بعض الصالحين

- آداب الدعاء ٢١٤
- ٧٨ و من كلام له ع قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ٢١٨
- اشاره ٢١٨
- القول في أحكام النجوم ٢١٩
- ٧٩ و من كلام له ع بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء ٢٣٣
- اشاره ٢٣٣
- أخبار عائشه في خروجها من مكّه إلى البصره بعد مقتل عثمان ٢٣٤
- ٨٠ و من كلام له ع ٢٤٩
- اشاره ٢٤٩
- الآثار و الأخبار الواردة في الزهد ٢٥٠
- ٨١ و من كلام له ع في صفه الدنيا ٢٤١
- ٨٢ و من خطبه له ع و تسمى بالغراء ٢٤٤
- اشاره ٢٤٤
- فصل في ذكر القبر و سؤال منكر و نكير ٢٩٤
- ٨٣ و من كلام له ع في ذكر عمرو بن العاص ٣٠٣
- اشاره ٣٠٣
- نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره ٣٠٤
- مفاخره بين الحسن بن عليّ و رجالات من قريش ٣٠٨
- عمرو بن العاص و معاويه ٣١٧
- عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاويه ٣١٨
- عبد الله بن العباس و رجالات قريش في مجلس معاويه ٣٢١
- عمار بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشه ٣٢٧
- أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشه ٣٣٠
- أمر عمرو بن العاص في صفين ٣٣٥
- خير إسلام عمرو بن العاص ٣٤١
- بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل ٣٤٢

| | |
|-----|---|
| ٣٤٣ | وليات عمرو في عهد الرسول و الخلفاء |
| ٣٤٤ | نبذ من كلام عمرو بن العاص |
| ٣٥٠ | فصل في شرح ما نسب إلى علي من الدعايه |
| ٣٥٤ | أقوال و حكايات في المزاح |
| ٣٦٤ | نبذ و أقوال في حسن الخلق و مدحه |
| ٣٧٠ | فصل في ذكر أسباب الغلظه و الفظاظه |
| ٣٧٥ | ٨٤ و من خطبه له ع |
| ٣٨٠ | ٨٥ و من خطبه له ع |
| ٣٨٠ | اشاره |
| ٣٨٧ | فصل في ذم الكذب و حقايره الكذابين |
| ٣٩٦ | ٨٦ و من خطبه له ع |
| ٣٩٦ | اشاره |
| ٣٩٨ | فصل في العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم |
| ٤١٧ | ٨٧ و من خطبه له ع |
| ٤٢٠ | ٨٨ و من خطبه له ع |
| ٤٢٥ | ٨٩ و من خطبه له ع |
| ٤٣١ | ٩٠ و من خطبه له ع تعرف بخطبه الأشباح و هي من جلائل خطبه ع |
| ٤٣١ | اشاره |
| ٤٦٤ | أبحاث تتعلق بالملائكه |
| ٤٧٨ | فصول متنوعه تتعلق بالخطبه |
| ٤٨٤ | الفصل الخامس في بيان أنه ع إمام أرباب صناعه البديع |
| ٤٨٦ | فهرس الخطب |
| ٤٨٩ | فهرس الموضوعات |
| ٤٩٣ | تعريف مركز |

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدیدآور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] ابن ابی الحدید

وضعیت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفیق التتميم.

باب المختار من كتب امير المؤمنين علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فی ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیق... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالديه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴ - صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

٤٤ و من كلام له ع في معنى الأنصار

إشاره

قَالُوا: لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ بَعِيدَ وَفَاهِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ ع مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ ع فَهَلَّا اِحتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَيَّ مُحْسِنِينَهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ع لَوْ كَانَ الْإِمَامَةُ [الْإِمَارَةُ]

فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ ع فَمَا ذَا (١) قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا اِحتَجَجْتُ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ص فَقَالَ ع

ص: ٣

اِخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ .

قد ذكرنا فيما تقدم طرفا من أخبار السقيفة فأما هذا الخبر الوارد في الوصيه بالأنصار فهو خبر صحيح

١٠٤٢

١٤- أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ فِي مُسْنَدَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُمْ يَتَكُونُونَ فَقَالَا مَا يُبْكِيكُمْ قَالُوا ذَكَرْنَا مَحَاسِنَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَ أَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ فَخَرَجَ ص وَ قَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بِرُودِهِ (١) فَصَيَّ عَدَّ الْمُنْبَرِ وَ لَمْ يَصَيَّ عَدَّهُ بَعِيدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشَتِي وَ عَيْتِي وَ قَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْنِهِمْ وَ بَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَ تَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ

(٢)

فأما كيفية الاحتجاج على الأنصار فقد ذكرها على ع و هي أنه لو كان ص ممن يجعل الإمامه فيهم لأوصى إليهم و لم يوص بهم.

و إلى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص و هو المسمى بالأشديق فإن أباه لما مات خلفه غلاما فدخل إلى معاوية فقال إلى من أوصى بك أبوك فقال إن أبي أوصى إلى و لم يوص بي فاستحسن معاوية منه ذلك فقال إن هذا الغلام لأشديق فسمى الأشديق (٣). فأما قول أمير المؤمنين احتجاجوا بالشجرة و أضاعوا الثمره فكلام قد تكرر منه

ص: ٤

١- (١) البخارى: «برد».

٢- (٢) صحيح البخارى ٣:٣١٢، صحيح مسلم ١٩٤٩.

٣- (٣) الأشديق: البليغ.

١- نَحْوُ قَوْلِهِ إِذَا احْتَجَّ عَلَيْهِمُ الْمُهَاجِرُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص كَانَتْ الْحُجَّةُ لَنَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ بِمَذَلِكِ قَائِمَةً فَإِنْ فَلَجَتْ حُجَّتُهُمْ كَانَتْ لَنَا دُونَهُمْ وَإِلَّا فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَتِهِمْ .

و نحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر و أما قولك نحن شجرة رسول الله ص فإنكم جيرانها و نحن أغصانها

يوم السقيفة

و نحن نذكر خبر السقيفة (١)

١٤,١,١٥- رَوَى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ السَّقِيفَةِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ كَثِيرٍ بْنُ عُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ص لَمَّا قُبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ قُبِضَ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبَّادَةَ لَأَبْنِهِ قَيْسٍ أَوْ لِبَعْضِ بَنِيهِ إِنِّي لَا أَسِيْطِيعُ أَنْ أَسْمِعَ النَّاسَ كَلَامِي لِمَرْضِي وَ لَكِنْ تَلَقَّ مِنِّْي قَوْلِي فَأَسْمِعْهُمْ فَكَانَ سَعِيدٌ يَتَكَلَّمُ وَ يَسْتَمِعُ ابْنُهُ وَ يَرْفَعُ بِهِ صَوْتَهُ لِيَسْمِعَ قَوْمَهُ فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَنْ قَالَ إِنَّ لَكُمْ سَابِقَةً إِلَى الدِّينِ وَ فَضِيلَةً فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلِهِ مِنَ الْعَرَبِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَبِثَ فِي قَوْمِهِ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَ خَلَعَ الْأَوْثَانَ فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ وَ اللَّهُ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ

ص: ٥

وَلَا يُعْزُوا دِينَهُ وَلَا يَدْفَعُوا عَنْهُ عِدَاهُ حَتَّىٰ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرَ الْفَضِيلَةِ وَ سَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ وَ خَصَّكُمْ بِدِينِهِ وَ رَزَقَكُمْ الْإِيمَانَ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْإِعْرَازَ لِدِينِهِ وَ الْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَىٰ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْكُمْ وَ أَثْقَلَهُ عَلَىٰ عِدْوِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ حَتَّىٰ اسْتَقَامُوا لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ أُعْطِيَ الْبَعِيدُ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا (١) حَتَّىٰ أَنْجَزَ اللَّهُ لِنَبِيِّكُمْ الْوَعْدَ وَ دَانَتْ لِأَسْيَافِكُمُ الْعَرَبُ ثُمَّ تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَ هُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ وَ بِكُمْ قَرِيرٌ عَيْنٍ فَشُدُّوا يَدَيْكُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّكُمْ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ.

فَاجِبُوا جَمِيعًا أَنْ وَفَّقْتَ فِي الرَّأْيِ وَ أَصِيبَتْ فِي الْقَوْلِ وَ لَنْ نَعِيدُو مِا أَمَرْتَ تُؤَلِّيكَ هَذَا الْأَمْرَ فَأَنْتَ لَنَا مَقْنَعٌ وَ لِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رِضًا.

ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادُّوا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا إِنْ أَبَتْ مَهْاجِرُهُ فُرَيْشٍ فَقَالُوا نَحْنُ الْمُهِاجِرُونَ وَ أَضِحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صِ الْأَوْثُونَ وَ نَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَ أَوْلِيَاؤُهُ فَعَلَامٌ تَنَازَعُونَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِذَا نَقُولُ مِمَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ لَنْ نَرْضَىٰ بِدُونِ هَذَا مِنْهُمْ أَيْدَانًا لَنَا فِي الْبِأْيَاءِ وَ النَّصِيرَةِ مِمَّا لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ وَ لَنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِمَّا لَهُمْ فَلْيُسُوا يَعِيدُونَ شَيْئًا إِلَّا وَ نَعِيدُ مِثْلَهُ وَ لَيْسَ مِنْ رَأْيِنَا الْإِسْتِثْنَاءُ عَلَيْهِمْ فَمِمَّا أَمِيرٌ وَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ هَذَا أَوَّلُ الْوَهْنِ.

وَ أَتَى الْحَبْرُ عُمَرَ فَآتَى مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ صِ فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ فِي الدَّارِ وَ عَلِيًّا فِي جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صِ وَ كَانَ الَّذِي أَتَاهُ بِالْخَبْرِ مَعَنَ بَنَ عَيْدِيٍّ فَأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ وَ قَالَ قُمْ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي عَنْكَ مَسْغُولٌ فَقَالَ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ فَقَامَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ مَعَهُمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَدُورُونَ حَوْلَهُ وَ يَقُولُونَ أَنْتَ الْمَرْجِيُّ وَ نَجْلُكَ الْمَرْجِيُّ وَ ثُمَّ أَنَا مِنْ

ص: ٦

أَشْرَافِهِمْ وَ قَدْ خَشِيَتْ الْفِتْنَةَ فَأَنْظُرُ يَا عُمَرُ مَاذَا تَرَى وَ اذْكُرْ لِإِخْوَتِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَابِ فِتْنَتِهِ قَدْ فُتِحَ السَّاعَةَ إِلَّا أَنْ يُغْلِقَهُ اللَّهُ فَفَرَعَ عُمَرُ أَشَدَّ الْفَرَعِ حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ قُمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ فَقَالَ عُمَرُ لَا بُدَّ مِنْ قِيَامٍ وَ سَنْزُجٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ عُمَرَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ فَفَرَعَ أَبُو بَكْرٍ أَشَدَّ الْفَرَعِ وَ خَرَجَا مُسِيرَعَيْنِ إِلَى سَيْقِيْفِهِ بَنَى سَاعِدَةَ وَ فِيهَا رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ وَ مَعَهُمْ سَيِّدُ بَنِي عَدِيَّادَةَ وَ هُوَ مَرِيضٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَ يُمَهِّدَ لِأَبِي بَكْرٍ وَ قَالَ خَشِيْتُ أَنْ يُقْصِرَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ بَعْضِ الْكَلَامِ فَلَمَّا تَبَسَّ (١) عُمَرُ كَفَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَ قَالَ عَلَى رِسْلِكَ فَتَلَّقَ الْكَلَامَ ثُمَّ تَكَلَّمَ بَعْدَ كَلَامِي بِمَا بَدَأَ لَكَ فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ فَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ نَوَاصِيِنَا إِلَى مَا دَعَانَا إِلَيْهِ وَ كُنَّا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَ النَّاسُ لَنَا فِي ذَلِكَ تَبَعٌ وَ نَحْنُ عَشِيْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَوْسَطُ الْعَرَبِ أَنْسَابًا لَيْسَ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا- وَ لَقْرِيْشٍ فِيْهَا وَ لَادَةٌ وَ أَنْتُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ نَصِيْرَتُمْ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ أَنْتُمْ وَرَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِخْوَانُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ شُرَكَائُنَا فِي الدِّينِ وَ فِيْمَا كُنَّا فِيْهِ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا وَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا وَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّسْلِيمِ لِمَا سَاقَى اللَّهُ إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ أَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا تَحْسِبُوهُمْ فَأَنْتُمْ الْمُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ حِينَ الْخِصَاصَةِ وَ أَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا يَكُونَ انْتِقَاضُ هَذَا الدِّينِ وَ اخْتِلَاطُهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ وَ أَنَا أَدْعُوْكُمْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَ عُمَرَ فَكِلَاهُمَا قَدْ رَضِيْتُ لَهُذَا الْأَمْرِ وَ كِلَاهُمَا أَرَاهُ لَهُ أَهْلًا.

ص: ٧

فَقَالَ عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ فَوْقَكَ أَنْتَ صَاحِبُ الْغَارِ ثَانِي اثْنَيْنِ وَ أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِالصَّلَاةِ فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ.

فَقَالَ الْأَنْصَارُ وَ اللَّهُ مَا نَحْسُدُكُمْ عَلَى خَيْرِ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَ لَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا وَ لَا أَرْضَى عِنْدَنَا مِنْكُمْ وَ لَكِنَّا نُسْفِقُ فِيمَا بَعَدَ هَذَا الْيَوْمَ وَ نَحْذَرُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مَنْ لَيْسَ مِنَّا وَ لَا مِنْكُمْ فَلَوْ جَعَلْتُمْ الْيَوْمَ رَجُلًا مِنْكُمْ بَايَعَنَا وَ رَضِيَ بِنَا عَلَى أَنَّهُ إِذَا هَلَكَ اخْتَرْنَا وَاحِدًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هَلَكَ كَانَ آخِرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَيْدًا مَا بَقِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ أَنْ نَعْدَلَ (١) فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ص فَيُسْفِقُ الْأَنْصَارِيُّ أَنْ يَزِيغَ فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ الْقُرَشِيُّ وَ يُسْفِقَ الْقُرَشِيُّ أَنْ يَزِيغَ فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَمَّا بُعِثَ عَظُمَ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرُكُوا دِينَ آبَائِهِمْ فَخَالَفُوهُ وَ شَاقُّوهُ وَ حَصَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ قَوْمِهِ بِتَضَدِيقِهِ وَ الْإِيْمَانِ بِهِ وَ الْمَوَاسَاهِ لَهُ وَ الصَّبْرِ مَعَهُ عَلَى شِدَّةِ أَدَى قَوْمِهِ وَ لَمْ يَشْتَوْحُوا لِكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ وَ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَ عَتْرَتُهُ وَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ لَا يُنَازِعُهُمْ فِيهِ إِلَّا ظَالِمٌ وَ لَيْسَ أَحَدٌ بَعِيدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَضْلًا وَ قَدَمًا فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُكُمْ فَخُنُّ الْمَأْمَرَاءِ وَ أَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ لَا نَمْتَازُ دُونَكُمْ بِمَشُورِهِ وَ لَا نَقْضِي دُونَكُمْ الْأُمُورَ.

فَقَامَ الْحَيَّابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَيْدِيَكُمْ إِنَّمِنَا النَّاسُ فِي فَيْئِكُمْ وَ ظَلُّكُمْ وَ لَنْ يَجْتَرِيءَ مُجْتَرِيءٌ عَلَى خِلَافِكُمْ وَ لَا يَصِيدُ النَّاسُ إِلَّا عَنَ أَمْرِكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْإِيْوَاءِ وَ النَّصِيرَةِ وَ إِلَيْكُمْ كَانَتِ الْهَجْرَةُ وَ أَنْتُمْ أَصِحَابُ الدَّارِ وَ الْإِيْمَانِ وَ اللَّهُ مَا عُبِدَ اللَّهُ عَالَنِيَّةً إِلَّا عِنْدَكُمْ وَ فِي بِلَادِكُمْ

ص: ٨:

وَلَا جُمِعَتِ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي مَسَاجِدِكُمْ وَلَا عُرِفَ الْإِيمَانُ إِلَّا مِنْ أَسْيَافِكُمْ فَأَمْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ فَإِنَّ أَبِي هُوَ لَأَمِيرٌ وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ عُمَرُ هَيْهَاتَ لَا يَجْتَمِعُ سَيْفَانِ فِي غَمْدٍ إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَرْضَى أَنْ تُؤْمَرَكُمْ وَنَبِيَّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ وَلَيْسَ تَمْتَنِعُ الْعَرَبُ أَنْ تُؤَلَّى أَمْرَهَا مِنْ كَانَتْ التُّبُوهُ فِيهِمْ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَنَا بِذَلِكَ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا وَالسُّلْطَانُ الْمُبِينُ عَلَى مَنْ نَارَعَنَا مَنْ ذَا يُخَاصِمُنَا فِي سُلْطَانِ مُحَمَّدٍ وَمِيرَاثِهِ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ إِلَّا مُدْلٍ بِبَاطِلٍ أَوْ مُتَجَانِفٌ لِإِثْمٍ أَوْ مُتَوَرِّطٌ فِي هَلَاكِهِ.

فَقَامَ الْخِيَابُ وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَا تَسْمَعُوا مَقَالَهُ هَذَا وَأَصْحَابِهِ فَيَذْهَبُوا بِنَصِّ بَيْكُم مِّنَ الْأَمْرِ فَإِنَّ أَبَوَا عَلَيْكُمْ مَا أُعْطِيْتُمُوهُمْ فَأَجْلُوهُمْ عَنِ بِلَادِكُمْ وَتَوَلَّوْا هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ فَأَنْتُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ إِنَّهُ دَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ بِأَسْيَافِكُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدِينُ لَهُ أَنَا جُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُدَيْقُهَا الْمَرْجَبُ (١) إِنْ شِئْتُمْ لِنُعِيدَنَّهَا جُدَعَهُ (٢) وَاللَّهِ لَا يُرَدُّ أَحَدٌ عَلَيَّ مَا أَقُولُ إِلَّا حَطَمْتُ أَنْفَهُ بِالسَّيْفِ.

قَالَ فَلَمَّا رَأَى بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ الْخَزْرَجِيُّ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَكَانَ حَاسِدًا لَهُ وَكَانَ مِنْ سَادَةِ الْخَزْرَجِ قَامَ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَنْصَارُ إِنَّا وَإِنْ كُنَّا ذَوِي سَابِقِهِ فَإِنَّا لَمْ نُرِدْ بِجِهَادِنَا وَإِسْلَامِنَا إِلَّا رِضَا رَبِّنَا وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا وَلَا يَتَّبِعُنِي لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَلَا نَتَّبِعِي بِهِ عَوْضًا

ص: ٩

١ - ١) قال الزمخشري في الفائق ١:١٨١: «الجدل: عود ينصب للابل الجربي تحتك به فتستشفى. و المحكك: الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا. و العدق؛ بالفتح: النخلة. و المرجب: المدعوم بالرجبه؛ و هي خشبه ذات شعبتين؛ و ذلك إما طال و كثر حملة. و المعنى: إني ذو رأى يشفى بالاستضاءه به كثيرا فى مثل هذه الحادته، و أنا فى كثره التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها، و فى أمثالها و مصادرها، كالنخله الكثيره الحمل. ثم رمى بالرأى الصائب عنده، فقال: منا أمير و منكم أمير».

٢ - ٢) قال فى اللسان: «إن شئتم أعدناها جدعه، أى أول ما يبتدأ فيها».

مِنَ الدُّنْيَا إِنَّ مُحَمَّدًا صَ رَجُلٌ مِّن قُرَيْشٍ وَ قَوْمُهُ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ أَمْرِهِ وَ أَيْمُ اللهِ لَا- يَرَانِي اللهُ أَنَازِعُهُمْ هَذَا الأَمْرَ فَاتَّقُوا اللهَ وَ لَا تَنَازِعُوهُمْ وَ لَا تُخَالِفُوهُمْ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَ قَالَ هَذَا عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ فَقَالَا وَ اللهُ لَا نَتَوَلَّى هَذَا الأَمْرَ عَلَيْكَ وَ أَنْتَ أَفْضَلُ المُهَاجِرِينَ وَ ثَانِيِ اثْنَيْنِ وَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ صَ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ الدِّينِ ابْسُطْ يَدَكَ تُبَايِعُكَ.

فَلَمَّا بَسَطَ يَدَهُ وَ ذَهَبَا يُبَايِعَانِهِ سَبَقَهُمَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ فَبَايَعَهُ فَنَادَاهُ الأَحْبَابُ بْنُ المُنْدَرِ يَا بَشِيرُ عَقَقْ عَقَاقِ (١) وَ اللهُ مَا اضْطَرَّكَ إِلَى هَذَا الأَمْرِ إِلَّا الأَحْسَدُ لِابْنِ عَمِّكَ.

وَ لَمَّا رَأَتِ الأَوْسُ أَنْ رَيْسًا مِّن رُّؤَسَاءِ الخَزْرَجِ قَدْ بَايَعَ قَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَ هُوَ رَيْسُ الأَوْسِ فَبَايَعَ حَسَدًا لِسَعْدٍ أَيْضًا وَ مُنَافَسَةً لَهُ أَنْ يَلِيَ الأَمْرَ فَبَايَعَتِ الأَوْسُ كُلُّهَا لَمَّا بَايَعَ أُسَيْدٌ وَ حُمِلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَ هُوَ مَرِيضٌ فَأُدْخِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَاُئْتِيَ مِنَ البَيْعَةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَ فِيمَا بَعْدَهُ وَ أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُكْرِهَهُ عَلَيْهَا فَأَشِيرَ عَلَيْهِ أَلَّا يَفْعَلَ وَ أَنَّهُ لَا يُبَايِعُ حَتَّى يُقْتَلَ وَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ حَتَّى يُقْتَلَ أَهْلُهُ وَ لَا يُقْتَلُ أَهْلُهُ حَتَّى يُقْتَلَ الخَزْرَجُ وَ إِنْ حُورِبَتِ الخَزْرَجُ كَانَتِ الأَوْسُ مَعَهَا.

وَ فَسَدَ الأَمْرُ فَتَرَكَهُ فَكَانَ لَا- يُصِئِلِي بِصِيَّلاتِهِمْ وَ لَا- يَجْمَعُ بِجَمَاعَتِهِمْ وَ لَا يَقْضِي بِقَضَائِهِمْ وَ لَوْ وَجِدَ أَعْوَانًا لَصَارَبَهُمْ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ لَقِيَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ وَ هُوَ عَلَى فَرَسٍ وَ عُمَرُ عَلَى بَعِيرٍ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ هَيْهَاتَ يَا سَعْدُ فَقَالَ سَعْدُ هَيْهَاتَ يَا عُمَرُ فَقَالَ أَنْتَ صِيَّاحِبٌ مِّنْ أَنْتَ صِيَّاحِبُهُ قَالَ نَعَمْ أَنَا ذَاكَ ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ وَ اللهُ مَا جَاوَرَنِي أَحَدٌ هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ جَوَارًا مِنْكَ قَالَ عُمَرُ فَإِنَّهُ مَن كَرِهَ جَوَارَ رَجُلٍ انْتَقَلَ عَنْهُ فَقَالَ سَعْدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُخَلِّقَهَا لَكَ عَاجِلًا إِلَى جَوَارٍ مِّنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ

ص: ١٠

جَوَاراً مِنْكَ وَ مِنْ أَصْحَابِكَ فَلَمْ يَلْبَثْ سِغْدًا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ بِحُورَانَ وَ لَمْ يُبَايِعْ لِأَحَدٍ لِأَبِي بَكْرٍ
وَ لَا لِعُمَرَ وَ لَا لِغَيْرِهِمَا.

قَالَ وَ كَثُرَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ مُعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ اجْتَمَعَتْ بَنُو هَاشِمٍ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ مَعَهُمُ
الزُّبَيْرُ وَ كَانَ يُعَدُّ نَفْسَهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ مَا زَالَ الزُّبَيْرُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ بَنُوهُ فَصَرَفُوهُ عَنَّا .

وَ اجْتَمَعَتْ بَنُو أُمِّيَّةَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَ اجْتَمَعَتْ بَنُو زُهْرَةَ إِلَى سِغْدٍ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَقْبَلَ عُمَرُ إِلَيْهِمْ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ مَا لِي
أَرَاكُمْ مُلْتَمِثِينَ قَوْمُوا فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ بَايَعَ لَهُ النَّاسُ وَ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ فَقَامَ عُثْمَانُ وَ مَنْ مَعَهُ وَ قَامَ سِغْدٌ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ مَنْ مَعَهُمَا
فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ . وَ ذَهَبَ عُمَرُ وَ مَعَهُ عِصَابَةٌ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ مِنْهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حَضْرِيٍّ وَ سَيْلَمَةُ بْنُ أُسَيْلَمٍ فَقَالَ لَهُمْ انْطَلِقُوا فَبَايَعُوا فَأَبَوْا
عَلَيْهِ وَ خَرَجَ إِلَيْهِمُ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ فَقَالَ عُمَرُ عَلَيْكُمْ الْكَلْبُ فَوَثَبَ عَلَيْهِ سَيْلَمَةُ بْنُ أُسَيْلَمٍ فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ فَضَرَبَ بِهِ الْجِدَارَ ثُمَّ
انْطَلَقُوا بِهِ وَ بَعْلِيٌّ وَ مَعَهَا بَنُو هَاشِمٍ وَ عَلِيٌّ يَقُولُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقِيلَ لَهُ بَايِعْ فَقَالَ أَنَا
أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ لَا أَبَايَعُكُمْ وَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِالْبَيْعَةِ لِي أَخَذْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ اخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقَرَابَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
فَأَعْطَوْكُمْ الْمَقَادَةَ وَ سَلَّمُوا إِلَيْكُمْ الْإِمَارَةَ وَ أَنَا أَسْتَجِجُ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا اخْتَجَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ فَأَنْصِتْ قَوْمَانَا إِنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَ اللَّهَ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ وَ اعْرِفُوا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِثْلَ مَا عَرَفْتَ الْأَنْصَارُ لَكُمْ وَ إِلَّا فَبُوءُوا بِالظُّلْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

فَقَالَ عُمَرُ إِنَّكَ لَسْتَ مَثْرُوكًا حَتَّى تُبَايِعَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ اإِحْلِبْ يَا عُمَرُ حَلْبًا لَكَ شَطْرُهُ اشْدُدْ (١) لَهُ الْيَوْمَ أَمْرُهُ لِيُرِدَّ عَلَيْكَ غَدًا أَلَا وَ
اللَّهُ لَا أَقْبَلُ قَوْلَكَ وَ لَا أَبَايَعُهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ

ص: ١١

فَإِنْ لَمْ تُبَايِعْنِي لَمْ أَكْرَهِيكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ وَهُؤُلَاءِ مَشِيخُهُ قُرَيْشٌ قَوْمُكَ لَيْسَ لَكَ مِثْلُ تَجْرِبَتِهِمْ وَ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْأُمُورِ وَلَا أَرَى أَبَا بَكْرٍ إِلَّا أَقْوَى عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْكَ وَأَشَدَّ اِخْتِمَالًا لَهُ وَ اضْطِرَاعًا بِهِ فَسَلِّمْ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ وَ ارْضَ بِهِ فَإِنَّكَ إِنْ تَعِشَ وَ يَطُلُ عُمُرُكَ فَأَنْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ خَلِيقٌ وَ بِهِ حَقِيقٌ فِي فَضْلِكَ وَ قَرَابَتِكَ وَ سَابِقَتِكَ وَ جِهَادِكَ.

فَقَالَ عَلِيُّ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ اللَّهُ اللَّهُ لَا تُخْرَجُوا سِلْطَانَ مُحَمَّدٍ عَنْ دَارِهِ وَ بَيْتِهِ إِلَى يَمِينِكُمْ وَ دُورِكُمْ وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقَامِهِ فِي النَّاسِ وَ حَقَّهُ فَوَ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ أَمَا كَانَ مِنَّا الْقَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ الْفَقِيهَ فِي دِينِ اللَّهِ الْعَالِمِ بِالسُّنَنِ الْمَضْطَلْعِ بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ وَ اللَّهُ إِنَّهُ لَفِينَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَنَزِدَادُوا مِنَ الْحَقِّ بُعْدًا .

فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ لَوْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ سَمِعْتَهُ مِنْكَ الْأَنْصَارُ يَا عَلِيُّ قَبْلَ بَيْعَتِهِمْ لِأَبِي بَكْرٍ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ اثْنَانِ وَ لَكِنَّهُمْ قَدْ بَايَعُوا وَ انْصَرَفَ عَلِيُّ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ وَ لَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ فَبَايَعَ .

قلت هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ولم يجر للنص ذكر وإنما كان الاحتجاج منه و من أبي بكر و من الأنصار بالسوابق و الفضائل و القرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبي بكر لاحتج به أبو بكر أيضا على الأنصار و لاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضه يدل على أنه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه و بينهم ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه و ظلمه و تمنع من طاعتهم

و أسمعهم من الكلام أشده و أغلظه فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته و حزه لأنه لا- عطر بعد عروس.

و هذا أيضا يدل على أن الخبر المروى في أبي بكر في صحيح البخارى و مسلم غير صحيح

١٠٤٥

وَ هُوَ مَا رُوِيَ مِنْ قَوْلِهِ عَ لِعَائِشَةَ فِي مَرَضِهِ اذْعى لى اَبَاكِ حَتَّى اَكْتُبَ لِابِى بَكْرٍ كِتَابًا فَاِنِّى اَخَافُ اَنْ يَقُولَ قَائِلٌ اَوْ يَتَمَنَّى مُتَمَنَّ و يَأْبَى اللّٰهَ و الْمُؤْمِنُونَ اِلَّا اَبَا بَكْرٍ .

و هذا هو نص مذهب المعتزله .

١٠٤٦

١٥،١- وَ قَالَ اَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ اَيْضًا حَدَّثَنَا اَحْمَدُ وَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوْفٍ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ اَبِى جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِىٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا اَنَّ عَلِيًّا حَمَلَ فَاطِمَةَ عَلَى حِمَارٍ وَ سَارَ بِهَا لَيْلًا اِلَى مَيِّتِ الْاَنْصَارِ يَسْأَلُهُمُ النَّصِيْرَةَ وَ تَسْأَلُهُمُ الْاِنْصَارَ لَهُ فَكَانُوا يَقُولُونَ يَا بِنْتَ رَسُوْلِ اللّٰهِ قَدْ مَضَتْ بَيْعَتُنَا لِهَذَا الرَّجُلِ لَوْ كَانَ ابْنُ عَمِّكَ سَبَقَ اِلَيْنَا اَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ اَ كُنْتُ اَتْرُكُ رَسُوْلَ اللّٰهِ مَيْتًا فِي بَيْتِهِ لَا اُجْهَرُهُ وَ اَخْرُجُ اِلَى النَّاسِ اُنَازِعُهُمْ فِي سُلْطَانِهِ وَ قَالَتْ فَاطِمَةُ مَا صَنَعَ اَبُو حَسَنِ اِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغى لَهُ وَ صَنَعُوا هُمْ مَا اللّٰهُ حَسِبُهُمْ عَلَيْهِ

١٠٤٧

١٤- وَ قَالَ اَبُو بَكْرٍ اَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ حَدَّثَنَا اَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنِى سَعِيدُ بْنُ كَثِيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِى ابْنُ لَهِيْعَةَ اَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ص لَمَّا مَاتَ وَ اَبُو ذَرٍّ غَائِبٌ وَ قَدِمَ وَ قَدْ وُلِّى اَبُو بَكْرٍ فَقَالَ اَصِيْبْتُمْ قِنَاعَهُ وَ تَرَكَتُمْ قِرَابَهُ لَوْ جَعَلْتُمْ هَذَا الْاَمْرَ فِي اَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لَمَّا اِخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ اِثْنَانِ

ص: ١٣

١٤,١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَسْبِصَةَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ لَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ صَ وَجَرَى فِي السَّقَيْفَةِ مَا جَرَى تَمَثَّلَ عَلِيٌّ وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا اسْتَهْوَأَ وَيَطْعُونَ لَمَّا غَالَ زَيْدًا غَوَائِلُهُ .

قصيده أبي القاسم المغربي و تعصبه للأنصار على قريش

وَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ نَقِيبُ الْبُضَيْرَةِ قَالَ لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَغْرِبِيُّ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ اسْتَكْتَبَهُ شَرْفُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ بُؤَيْبٍ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ سُلْطَانُ الْحَضْرَةِ وَ أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ بِهَا وَ الْقَادِرُ خَلِيفَةُ فَفَسَدَتِ الْحَالُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْقَادِرِ وَ اتَّفَقَ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ أَعْدَاءٌ سُوءٌ أَوْحَشُوا الْقَادِرَ مِنْهُ وَ أَوْهَمُوهُ أَنَّهُ مَعَ شَرْفِ الدَّوْلَةِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَ خَلْعِهِ مِنْ الْخِلَافَةِ فَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي ذِكْرِهِ بِالْقَبِيحِ وَ أَوْصَلَ الْقَوْلَ فِيهِ وَ الشُّكُوى مِنْهُ وَ نَسَبَهُ إِلَى الرَّفْضِ وَ سَبَّ السَّلْفِ وَ إِلَى كُفْرَانِ النُّعْمَةِ وَ أَنَّهُ هَرَبَ مِنْ يَدِ الْحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ بَعْدَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ .

قَالَ النَّقِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَمَّا الرَّفْضُ فَنَعْمٌ وَ أَمَّا إِحْسَانُ الْحَاكِمِ إِلَيْهِ فَلَا كَانَ الْحَاكِمُ قَتَلَ أَبَاهُ وَ عَمَّهُ وَ أَخَاهُ مِنْ إِخْوَتِهِ وَ أَقَلَّتْ مِنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ بِخَدِيعَةِ الدِّينِ وَ لَوْ ظَفَرَ بِهِ لَأَلْحَقَهُ بِهِمْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ يُنْسَبُ فِي الْأَزْدِ وَ يَتَعَصَّبُ لِقَحْطَانَ عَلِيِّ عِدْنَانَ وَ لِلْأَنْصَارِ عَلَى قُرَيْشٍ وَ كَانَ غَالِيًا فِي ذَلِكَ مَعَ تَشَابُهِهِ وَ كَانَ أَدِيبًا فَاضِحًا شَاعِرًا مُتَرَسِّلًا وَ كَثِيرَ الْفُنُونِ عَالِمًا وَ أَنْجَدَرَ مَعَ شَرْفِ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطٍ فَاتَّفَقَ أَنْ حَصَلَ بِيَدِ الْقَادِرِ كِتَابٌ بِحَطِّهِ شَبَّهَ مَجْمُوعٍ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَطِّهِ وَ شِعْرِهِ وَ كَلَامِهِ مُسَوِّدٌ أَنْحَفَهُ بِهِ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَشْتُنُّ أَبَا الْقَاسِمِ وَ يُرِيدُ كَيْدَهُ فَوَجَدَ الْقَادِرُ فِي ذَلِكَ الْمَجْمُوعِ قِصَّةَ يَدِهِ مِنْ شِعْرِهِ فِيهَا تَعَصَّبٌ شَدِيدٌ لِلْأَنْصَارِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى حَرَجَ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْإِلْحَادِ وَ الرَّزْنَدَقِيهِ لِإِفْرَاطِ غُلُوِّهِ

وَفِيهَا تَصْرِيحٌ بِالرَّفْضِ مَعَ ذَلِكَ فَوَجَدَهَا الْقَادِرُ تَمْرَةَ (١) الْغَرَابِ وَ أُبْرَزَهَا إِلَى دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ فَقَرِئَ الْمَجْمُوعُ وَالْقَصِيدَةُ بِمَحْضَرٍ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْقُضَاةِ وَالْمُعَدِّلِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَيَشْهَدُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ خَطُّهُ وَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ وَجْهَهُ وَ أَمَرَ بِمُكَاتَبَةِ شَرْفِ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ فَإِلَى أَنْ وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى شَرْفِ الدَّوْلَةِ بِمَا جَرَى اتَّصَلَ الْخَبِيرُ بِأَبِي الْقَاسِمِ قَبْلَ وُصُولِ الْكِتَابِ إِلَى شَرْفِ الدَّوْلَةِ فَهَرَبَ لَيْلًا. وَ مَعَهُ بَعْضُ غَلْمَانِهِ وَ حَارِيَّةٌ كَانَتْ يَهْوَاهَا وَ يَتَحَظَّاهَا وَ مَضَى إِلَى الْبَطِيحِ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الْمَوْصِلِ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ وَ مَيَاتٍ فِي طَرِيقِهِ فَأَوْصَى أَنْ تُحْمَلَ جُثَّتُهُ إِلَى مَشْهَدِ عَلِيٍّ فَحَمَلَتْ فِي تَابُوتٍ وَ مَعَهَا خُفْرَاءُ الْعَرَبِ حَتَّى دُفِنَ (٢) بِالْمَشْهَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ع (٣).

و كنت برهه أسأل النقيب أبا جعفر عن القصيدة و هو يدافعني بها حتى أملاها على بعد حين و قد أوردت ها هنا بعضها لأنني لم أستجز و لم أستحل إيرادها على وجهها فمن جملتها و هو يذكر في أولها رسول الله ص و يقول إنه لو لا الأنصار لم تستقم لدعوته دعامة و لا أرسى له قاعده في أبيات فاحشه كرهنا ذكرها نحن الذين بنا استجار فلم يضع

ص: ١٥

١ - ١) يقال إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير و الخصب: وجد تمره الغراب، و ذلك أن الغراب إنما يبتغي من التمر أجوده. ثمار القلوب ٣٦٦.

٢ - ٢ - ٢) ج «بالغري».

٣ - ٢ - ٢) ج «بالغري».

ما عندنا إلا السيوف و أقبلا

ص: ١٦

فهذه الأبيات هي نظيف القصيده التقطناها و حذفنا الفاحش و في الملتقط المذكور أيضا ما لا يجوز و هو قوله نحن الذين بنا استجار.. و قوله ألقى بها بيد.. و قوله فنجا بمهجته البيت.. و قوله عن أبي بكر عبد تيم و قوله لو لا على لقلت في الأربعة أنهم إستار لؤم و ذكره الثلاثة رضى الله عنهم بما ذكرهم و نسبهم إليه و قوله إن عليا كالنبي في الفضيله- و قوله إن النبوه حظ أعطيه و حرمه على ع . فأما قوله في بنى أميه ما بين مأفون البيت فمأخوذ من قول عبد الملك بن مروان و قد خطب فذكر الخلفاء من بنى أميه قبله فقال إننى و الله لست بالخليفه المستضعف و لا بالخليفه المداهن و لا بالخليفه المأفون عنى بالمستضعف عثمان و بالمداهن معاويه و بالمأفون يزيد بن معاويه فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين و هما المترندق و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك و الحمار و هو مروان بن محمد بن مروان

أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعه أبي بكر

١٠٥٠

١٤،١- و روى الزبير بن بكار في الموفقيات قال لما باع بشير بن سعد أبا بكر و ازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه مرأبو سفیان بن حرب بالبيت الذى فيه على بن أبى طالب ع فوقف و أنشد بنى هاشم لا تطمعو الناس فيكم

ص: ١٧

أَبَا حَسَنٍ فَاشْدُدْ بِهَا كَفَّ حَازِمٍ

فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي سُفْيَانَ إِنَّكَ تُرِيدُ أَمْرًا لَسْنَا مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَهْدًا فَأَنَا عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَ عَدَلَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبِيدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ يَا أَبَا الْفَضْلِ (١) أَنْتَ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ ابْنِ أَخِيكَ مِنْ دَيْدُكَ لِأَبَائِكَ فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ النَّاسُ بَعْدَ بَيْعِي إِيَّاكَ فَضَحِكَ الْعَبَّاسُ وَقَالَ يَا أَبَا سُفْيَانَ يَدْفَعُهَا عَلِيُّ وَيَطْلُبُهَا الْعَبَّاسُ فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ خَائِبًا.

قَالَ الزُّبَيْرِيُّ وَ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَوْسَ تَزَعَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَ تَزَعَمُ الْخَزْرَجُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أُسَيْدُ بْنُ حَضْرَةَ

. قلت بشير بن سعد خزرجي و أسيد بن حضير أوسى و إنما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا عن سعد بن عباده و كراهيه كل حى منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهه صاحبه فالخزرج هم أهله و قرابته لا يقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر و أبطل أمر سعد بن عباده و يحيلون بذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس أعداء الخزرج و أما الأوس فتكره أيضا أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عباده كى لا يرموه بالحسد للخزرج لأن سعد بن عباده خزرجى فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته و هم الخزرج و يقولون إن أول من بايع أبا بكر و نقض دعوه سعد بن عباده بشير بن سعد و كان بشير أعور.

و الذى ثبت عندى أن أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيده بن الجراح ثم سالم مولى أبى حذيفه

ص: ١٨

(١-١) كذا فى ب،ج،و فى ا: «أنت لها».

قَالَ الزُّبَيْرُ وَقَدْ كَانَ مَالِمًا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى نَقْضِ أَمْرِ سَعْدٍ وَإِفْسَادِ حَالِهِ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ شَهِدَ يَدْرَأَ وَهُمَا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ . قلت كان هذان الرجلان ذوى حبّ لأبى بكر فى حياه رسول الله ص و اتفق مع ذلك بغض و شحناء كانت (١) بينهما و بين سعد بن عباده و لها سبب مذکور فى كتاب القبائل لأبى عبيده معمر بن المثنى فليطلب من هناك.

١٤- وَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ هُوَ الْقَائِلُ لَمَّا نَصَبَ الْأَنْصَارُ سَعْدًا يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِيكُمْ دُونَ قُرَيْشٍ فَعَرَّفُونَا ذَلِكَ وَ بَرَّهْنُوا حَتَّى نُبَيِّعَ بِكُمْ عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ لَهُمْ دُونُكُمْ فَسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ فَوَ اللَّهُ مَا هَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَشَتَمَهُ الْأَنْصَارُ وَ أَخْرَجُوهُ فَانْطَلَقَ مُسْرِعًا حَتَّى التَّحَقَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَشَحَذَ عَزْمَهُ عَلَى طَلَبِ الْخِلَافَةِ .

ذَكَرَ هَذَا بَعِيْنُهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْمَوْقِفَاتِ

وَ ذَكَرَ الْمَدَائِنِيُّ وَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ اتَّفَقَ هُوَ وَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ عَلَى تَحْرِيسِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ عَلَى طَلَبِ الْأَمْرِ وَ صَيْرِفِهِ عَنِ الْأَنْصَارِ قَالَا وَ كَانَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ يُشْخِصُهُمَا إِشْخَاصًا وَ يَسُوْقُهُمَا سَوْفًا عَنِفًا إِلَى السَّقِيفَةِ مُبَادِرَةً إِلَى الْأَمْرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ .

١٤,١- قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فَلَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ أَقْبَلَتِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي يَبَايَعَتُهُ تَرْفُهُ زَفَاءً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ افْتَرَقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ فَاجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ قَوْمٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَعَابَتُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ أَوْلَى فَضْلٍ وَ نَصِيرٍ وَ سَابِقِهِ وَ لَكِنْ لَيْسَ فِيكُمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَ لَا عُمَرَ وَ لَا عَلِيٍّ وَ لَا أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِنَّا لَا نُنْكَرُ فَضْلَ مَنْ ذَكَرْتَ

يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَ إِنِّ مِّنَّا لَسَيِّدُ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يُقْرِئَهُ السَّلَامَ وَ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ الْقُرْآنَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ وَ مَنْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَ مَنْ أَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِمَّنْ سَمَّيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ لَوْ طَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَنْبَازِعْهُ فِيهِ أَحَدٌ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ الزُّبَيْرُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَمِدِ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَطَبَ النَّاسَ وَ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وُلِّيتُ أَمْرَكُمْ وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ فَإِذَا أَحْسَيْتُمْ فَأَعِينُونِي وَ إِنِّي أَسِيأتُ فِقْوَمُونِي إِنِّي لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي فَإِيَّاكُمْ وَ إِيَايَ إِذَا غَضِبْتُ لَا أُؤْتِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَ أَبْشَارِكُمْ الصِّدْقُ أَمَانَةٌ وَ الْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَ الضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ حَتَّى أَرُدَّ إِلَيْهِ حَقَّهُ وَ الْقَوِيُّ ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنَّهُ لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ وَ لَا تَشْتَبِعُ فِي قَوْمِ الْفَاحِشَةِ إِلَّا عَمَّهُمُ الْبَلَاءُ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فَإِذَا عَصَيْتُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ أَبِي عَبْرَةَ الْقُرَشِيُّ شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالتَّنَاءِ حَقِيقٌ

١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالاً رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا بُويعَ افْتَحَرَتْ تَيْمٌ بِنُ مَرَّةً قَالَتْ وَ كَانَ عَامَهُ الْمُهَاجِرِينَ وَ جُلُّ الْأَنْصَارِ لَا يَشْكُونَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَ خُصُوصًا يَا بَنِي تَيْمٍ إِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمْ الْخِلَافَةَ بِالنُّبُوَّةِ وَ نَحْنُ أَهْلُهَا دُونَكُمْ وَ لَوْ طَلَبْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ أَهْلُهُ لَكَانَتْ كِرَاهَةُ النَّاسِ لَنَا أَعْظَمَ مِنْ كِرَاهَتِهِمْ لَعَيْرِنَا حَسَدًا مِنْهُمْ لَنَا وَ حِقْدًا عَلَيْنَا وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ صَاحِبِنَا عَهْدًا هُوَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.

وَ قَالَ بَعْضُ وُلْدِ أَبِي لَهَبٍ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ شِعْرًا مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ

قَالَ الزُّبَيْرُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَهَاهُ وَ أَمْرُهُ أَلَّا يَعُودَ وَ قَالَ سَلَامُهُ الدِّينِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِهِ .

قَالَ الزُّبَيْرُ وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ شَيْعَةً لِأَبِي بَكْرٍ وَ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ عَلِيٍّ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا رُمِينَا فِي بَدءِ هَذَا الدِّينِ بِأَمْرٍ ثَقَلْ عَلَيْنَا وَاللَّهِ مَحْمَلُهُ وَصِيبَ عَلَيْنَا مُرْتَقَاهُ وَكُنَّا كَأَنَّا فِيهِ عَلَى أَوْتَارٍ ثُمَّ وَاللَّهِ مَا لَبِثْنَا أَنْ خَفَّ عَلَيْنَا ثِقْلُهُ وَذَلَّ لَنَا صِيبُهُ وَ عَجِبْنَا مِمَّنْ شَكَّ فِيهِ بَعْدَ عَجِبِنَا مِمَّنْ آمَنَ بِهِ حَتَّى أَمَرْنَا بِمَا كُنَّا نَنْهَى عَنْهُ وَنُهِنَا عَمَّا كُنَّا نَأْمُرُ بِهِ وَ لَا وَاللَّهِ مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ بِالْعُقُولِ وَ لَكِنَّهُ التَّوْفِيقُ أَلَا- وَ إِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَنْقَطِعْ حَتَّى أَحْكَمَ وَ لَمْ يَذْهَبِ النَّبِيُّ صَ فَسَيَتَبَدَّلُ بَعْدَهُ نَبِيًّا وَ لَا بَعْدَ الْوَحْيِ وَحْيًا وَ نَحْنُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مِمَّنْ آمَسَ وَ نَحْنُ آمَسُ خَيْرٌ مِمَّنْ الْيَوْمَ مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى حَسَبِ عَمَلِهِ وَ مَنْ تَرَكَهُ رَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ وَ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا صَاحِبُ الْأَمْرِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ وَ لَا الْمُخْتَلَفِ فِيهِ وَ لَا الْخَفِيِّ الشَّخْصِ وَ لَا الْمَغْمُوزِ الْقَنَاهِ.

فَعَجَبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ وَ مَدَحَهُ حَزْنُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيُّ وَ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ سَهْلًا وَ هُوَ جَدُّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الْفَقِيهِ وَ قَالَ وَ قَامَتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَثِيرَةٌ

١٠١٤- قَالَ الزُّبَيْرُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِإِبْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ قَالَ لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ وَ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ نَدِمَ قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ وَ لَامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ ذَكَرُوا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ هَتَفُوا بِاسْمِهِ وَ إِنَّهُ فِي دَارِهِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَ جَزَعَ لِدَلِكِ الْمُهَاجِرُونَ وَ كَثُرَ فِي ذَلِكَ الْكَلَامُ.

وَ كَانَ أَشَدَّ قُرَيْشٍ عَلَى الْأَنْصَارِ نَفَرٌ فِيهِمْ وَ هُمُ سَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ الْمَخْزُومِيَّانِ وَ هُوَ لَأَمٍ أَشْرَافُ قُرَيْشِ الَّذِينَ حَارَبُوا النَّبِيَّ ص ثُمَّ دَخَلُوا فِي الْأَسْلَامِ وَ كُلُّهُمْ مَوْتُورٌ قَدْ وَتَرَهُ الْأَنْصَارُ أَمَّا سَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَأَسْرَهُ مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ أَمَّا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَضَرَبَهُ عَزُورُهُ بْنُ عَمْرٍو فَجَرَحَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ هُوَ فَارٌّ عَنْ أَخِيهِ وَ أَمَّا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَتَلَ أَبَاهُ ابْنَ عَفْرَاءَ وَ سَلَبَهُ دِرْعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا اعْتَرَلَتِ الْأَنْصَارُ تَجَمُّعَ هُوَ لَأَمٍ فَقَامَ سَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ إِنَّ هُوَ لَأَمٍ الْقَوْمَ قَدْ سَيَّمَاهُمُ اللَّهُ الْأَنْصَارَ وَ أَتْنِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَلَهُمْ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ وَ شَأْنُ غَالِبٍ وَ قَدْ دَعَوْا إِلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَ إِلَيَّ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ عَلَيَّ

فِي بَيْتِهِ لَوْ شَاءَ لَرَدَّهْمَ فَادْعُوهُمْ إِلَى صَاحِبِكُمْ وَ إِلَى تَجْدِيدِ بَيْعَتِهِ فَإِنْ أَجَابُوكُمْ وَ إِلَّا قَاتَلُوهُمْ فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ كَمَا نَصَرْتُمْ بِهِمْ.

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ إِنْ تَكُنِ الْأَنْصَارُ تَبَوَّاتِ الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلُ وَ نَقَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ص إِلَى دُورِهِمْ مِنْ دُورِنَا فَ آوُوا وَ نَصَرُوا ثُمَّ مَا رَضُوا حَتَّى قَاسَمُونَا الْأَمْوَالَ (١) وَ كَفَوْنَا الْعَمَلَ فَإِنَّهُمْ قَدْ لَهَجُوا بِأَمْرِ إِنْ تَبَتُّوا عَلَيْهِ فَإِنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِمَّا وَسَمُوا بِهِ وَ لَيْسَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ مُعَابَبَةٌ إِلَّا السَّيْفُ وَ إِنْ نَزَعُوا عَنْهُ فَقَدْ فَعَلُوا الْأَوْلَى بِهِمْ وَ الْمَطْنُونَ مَعَهُمْ.

ثُمَّ قَامَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ وَ اللَّهُ لَوْ لَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا أَنْكَرْنَا إِمْرَةَ الْأَنْصَارِ وَ لَكُنَّا لَهَا أَهْلًا وَ لَكِنَّهُ قَوْلُ لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا خِيَارَ وَ قَدْ عَجَلْتَ الْأَنْصَارُ عَلَيْنَا وَ اللَّهُ مَا قَبَضْنَا عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ وَ لَا أَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ الشُّورَى وَ إِنْ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ فَلَتَاتِ الْأُمُورِ وَ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ الْمَنَى وَ لَا يَحْمِلُهُ الْأَمَلُ أَعِزُّوا إِلَى الْقَوْمِ فَإِنْ أَبَوْا فَقَاتَلُوهُمْ فَوَ اللَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَصَيَّرَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فِيهِ.

قَالَ وَ حَضَرَ أَبُو سَيْفِيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْصَارِ أَنْ يَتَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُقَرُّوا بِفَضْلِنَا عَلَيْهِمْ فَإِنْ تَفَضَّلُوا فَحَسَبْنَا حَيْثُ انْتَهَى بِهَا وَ إِلَّا فَحَسَبْنَاهُمْ حَيْثُ انْتَهَى بِهِمْ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لِيُنْ بَطَرُوا الْمَعِيشَةَ وَ كَفَرُوا النِّعْمَةَ لَنْصُرِبَنَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ كَمَا ضَرَبُوا عَلَيْهِ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَهْلٌ وَ اللَّهُ أَنْ يُسَوِّدَ عَلَى قُرَيْشٍ وَ تُطِيعَهُ الْأَنْصَارُ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ قَوْلَ هُوَلَاءِ الرَّهْطِ قَامَ حَطِيبُهُمْ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّمَا يَكْبُرُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْقَوْلُ لَوْ قَالَه أَهْلُ الدِّينِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا سِيَّامًا مِنْ أَقْوَامٍ كُلُّهُمْ مَوْتُورٌ فَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا الرَّأْيُ

ص: ٢٤

وَ الْقَوْلُ مَعَ الْأَخْيَارِ الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ تَكَلَّمْتَ رِجَالَ قُرَيْشٍ وَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْآخِرَةِ مِثْلَ كَلَامِ هَؤُلَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قُولُوا مَا أَحْبَبْتُمْ وَ
إِلَّا فَامْسِكُوا.

وَ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَذُكُرُ ذَلِكَ تَنَادَى سُهَيْلٌ وَ ابْنُ حَرْبٍ وَ حَارِثٌ فَبَلَغَ شِعْرُ حَسَّانَ قُرَيْشًا فَعَضِبُوا وَ أَمَرُوا ابْنَ أَبِي عَزَّةَ شَاعِرَهُمْ
أَنْ يُجِيبَهُ فَقَالَ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَافُوا رَبَّكُمْ

ص: ٢٥

قَالَ الرَّبِيزِيُّ لَمَّا اجْتَمَعَ جُمهُورُ النَّاسِ لِأَبِي بَكْرٍ أَكْرَمَتْ قُرَيْشٌ مَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ وَ عُوَيْمَ بْنَ سَاعِدَةَ وَ كَانَ لَهُمَا فَضْلٌ قَدِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ فَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ لَهُمَا فِي مَجْلِسٍ وَ دَعَوْهُمَا فَلَمَّا أُخِضَ رَأْيُ الْأَنْصَارِ عَلَيْهِمَا فَعَيَّرُوهُمَا بِانْطِلَاقِهِمَا إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَ أَكْبَرُوا فَعَلَّهُمَا فِي ذَلِكَ فَتَكَلَّمَ مَعْنٌ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ وَ قَدْ كَانَ مِنْكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ الْبَلَاءِ وَ صِغَرَتُهُ الْعَاقِبَةُ فَلَوْ كَانَ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ مَا لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ ثُمَّ أَرَدْتُمُوهُمْ لِمَا أَرَادُوكُمْ بِهِ لَمْ آمَنْ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا آمَنْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ فَإِنْ تَعْرِفُوا الْخَطَأَ فَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْهُ وَ إِلَّا فَأَنْتُمْ فِيهِ

قلت قوله و قد كان منكم أمر عظيم البلاء و صغرته العاقبه يعنى عاقبه الكف و الإمساك يقول قد كان منكم أمر عظيم و هو دعوى الخلافه لأنفسكم و إنما جعل البلاء معظما له لأنه لو لم يتعقبه الإمساك لأحدث فتنه عظيمه و إنما صغره سكونهم و رجوعهم إلى بيعه المهاجرين .

و قوله و كان لكم على قريش إلى آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم و ادعت قريش الخلافه لها ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم و جرت بينكم و بينهم من المنازعه مثل هذه المنازعه التى جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم و تقدموا على سفك دمائهم و لم يحصل لى من سكون النفس إلى

حلمكم عنهم و صبركم عليهم مثل ما أنا آمن عليكم منهم فإنهم صبروا و حلموا و لم يقدموا على استباحه حربكم و الدخول فى دمائكم.

١٠٥٧

١- قَالَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ تَكَلَّمَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ بِكُمْ مَا أَرَدْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ وَ طُولِ الْعَافِيَةِ وَ صِرَافِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ عَنْكُمْ وَ قَدْ نَظَرْتُ فِي أَوَّلِ فِتْنَتِكُمْ وَ آخِرِهَا فَوَجَدْتُهَا جَاءَتْ مِنَ الْأَمَانِيِّ وَ الْحَسَدِ وَ اخْذَرُوا النَّقْمَ فَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ صَيَّرَ إِلَيْكُمْ هَذَا الْأَمْرَ بِحَقِّهِ فَكُنَّا نَعِيشُ فِيهِ.

فَوَثَبَتْ عَلَيْهِمَا الْأَنْصَارُ فَأَغْلَطُوا لَهُمَا وَ فَحَشُوا عَلَيْهِمَا وَ انْتَبَرَى لَهُمَا فَرَوْهُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ أَسَيْتُمَا قَوْلَكُمْ لِقُرَيْشٍ إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا وَرَاءَنَا قَوْمًا قَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ بِفِتْنَتِهِمْ هَذَا وَ اللَّهُ مَا لَا يُغْفَرُ وَ لَا يُنْسَى قَدْ تَصَرَّفَ الْحَيَّةُ عَنْ وَجْهِهَا وَ سَيْمُهَا فِي (١) نَابِهَا فَقَالَ مَعْنُ فِي ذَلِكَ وَ قَالَتْ لِي الْأَنْصَارُ إِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ

ص: ٢٧:

(١-١) ج: «فيها».

أَرَأَيْتُمْ أَخَذْتُمْ حَقَّكُمْ بِأَكْفُفِكُمْ

وَ قَالَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فِي ذَلِكَ وَ قَالَتْ لِي الْأَنْصَارُ أضعَافَ قَوْلِهِمْ

قَالَ فَرْوَةُ بْنُ عُمَرَ وَ كَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ وَ كَانَ مِمَّنْ جَاهَدَ مَعَ

ص: ٢٨

وَقَادَ فَرَسَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْ نَخْلِهِ بِأَلْفٍ وَسَقَى فِي كُلِّ عَامٍ وَكَانَ سَيِّدًا وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَ مِمَّنْ شَهِدَ مَعَهُ
يَوْمَ الْجَمَلِ قَالَ فَذَكَرَ مَعَنَا وَعُويَمَا وَعَاتِبَهُمَا عَلَى قَوْلِهِمَا خَلْفْنَا وَرَاءَنَا قَوْمًا قَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ بِفِتْنَتِهِمْ أَلَا قُلْ لِمَعْنٍ إِذَا جِئْتَهُ

قَالَ الزُّبَيْرِيُّ ثُمَّ إِنَّ الْأَنْصَارَ أَضْمَلُوا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِمَا ثُمَّ اجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمًا وَفِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَ أَخْلَاطُ (١) مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ ذَلِكَ بَعْدَ انْصِرَافِ الْأَنْصَارِ عَنْ رَأْيِهَا وَ سَيِّكُونَ الْفِتْنَةَ فَاتَّفَقَ ذَلِكَ عِنْدَ قُدُومِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ
سَفَرٍ كَانَ فِيهِ فِجَاءٌ إِلَيْهِمْ فَأَفْضَأُوا فِي ذِكْرِ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَ سَيِّعِدِ وَ دَعَاؤِ الْمَأْمُرِ فَقَالَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ وَ اللَّهُ لَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ عَنَّا مِنَ
الْأَنْصَارِ عَظِيمَةً وَ لَمَّا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْظَمُ كَادُوا وَ اللَّهُ أَنْ يَحُلُّوا حَبْلَ الْإِسْلَامِ كَمَا قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَ يُخْرِجُوا مِنْهُ مَنْ أَدْخَلُوا فِيهِ وَ اللَّهُ
لَيَسُنَّ كَانُوا سَيِّعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَأْمُومَةِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ ادَّعَوْهَا لَقَدْ هَلَكُوا وَ أَهْلَكُوا وَ إِنْ كَانُوا لَعَمَّ يَسْمَعُوهَا فَمَا هُمْ
كَالْمُهَاجِرِينَ وَ لَا كَأَبِي بَكْرٍ وَ لَا الْمَدِينَةَ

كَمَكَّةَ وَ لَقَدْ قَاتَلْنَا أُمْسَ فَعَلَبُونَا عَلَى الْبُدْءِ وَ لَوْ قَاتَلْنَا هُمْ الْيَوْمَ لَعَلَبْنَا هُمْ عَلَى الْعَاقِبَةِ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ وَ انصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ قَدْ ظَفِرَ
فَقَالَ أَلَا قُلْ لِأَوْسٍ إِذَا جِئْتَهَا

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ مَتَاعَلَتْهُ وَ شِعْرُهُ بَعَثُوا إِلَيْهِ لِسِيَانَهُمْ وَ شَاعَرَهُمُ النَّعْمَانُ بْنُ الْعَجْلَانِ وَ كَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ قَصِيرًا تَزْدَرِيهِ الْعِيُونَ وَ كَانَ
سَيِّدًا فَخْمًا فَهَاتَى عَمْرًا وَ هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ وَ اللَّهُ يَا عَمْرُو مَا كَرِهْتُمْ مِنْ حَرْبِنَا إِلَّا مَا كَرِهْنَا مِنْ حَرْبِكُمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ
لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الْأَسْلَامِ بِمَنْ أَدْخَلَكُمْ فِيهِ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ص قَالَ الْأَنْثَمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدْ قَالَ لَوْ سَيَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَ سَيَلَكَ الْأَنْصَارُ
شِعْبًا لَسَيَلْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَ اللَّهُ مَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْرِ إِذْ قُلْنَا مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَ أَمَّا مَنْ ذَكَرْتَ فَأَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ
سَعِيدٍ لَكِنَّ سَعِيدًا فِي الْأَنْصَارِ أَطْوَعٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي قُرَيْشٍ فَهَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ أَيْدًا وَ لَكِنَّكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ
وَ تَرْتِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بِمَسِيرِكَ إِلَى الْحَبَشَةِ لِقَتْلِ جَعْفَرٍ وَ أَصْحَابِهِ وَ تَرْتِ بَنِي مَخْزُومٍ يَا هَلَاكَ عُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ ثُمَّ انصَرَفَ فَقَالَ

فَقُلْ لِقُرَيْشٍ نَحْنُ أَصْحَابُ مَكَّةَ

فَلَمَّا انْتَهَى شِعْرُ النَّعْمَانِ وَكَلَامُهُ إِلَى قُرَيْشٍ غَضِبَ كَثِيرٌ مِنْهَا وَ أَلْفَى ذَاتِكَ قُدُومُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مِنَ الْيَمَنِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا وَ كَانَ لَهُ وَ لِأَخِيهِ أُثْرٌ قَدِيمٌ

ص: ٣١

عَظِيمٍ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمَا مِنْ أَوَّلِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ وَ لَهُمَا عِبَادَةٌ وَ فَضْلٌ فَغَضِبَ لِلْأَنْصَارِ وَ شَتَمَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ حِينَ لَمْ يَجِدْ يَدًا مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ فَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكِيدَهُ بِيَدِهِ كَادَهُ بِلِسَانِهِ وَ إِنْ مِنْ كَيْدِهِ الْإِسْلَامَ تَفْرِيقَهُ وَ قَطَعَهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ اللَّهُ مَا حَارَبْنَاهُمْ لِلدِّينِ وَ لَا لِلدُّنْيَا لَقَدْ يَدُلُّوا دِمَاءَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى فِينَا وَ مَا بَدَلْنَا دِمَاءَنَا لِلَّهِ فِيهِمْ وَ قَاسَى مُونَا دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ مَا فَعَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ بِهِمْ وَ آثَرُونَا عَلَى الْفَقْرِ وَ حَرَمْنَاهُمْ عَلَى الْغِنَى وَ لَقَدْ وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ بِهَيْمٍ وَ عَزَاهُمْ عَنْ جَفْوَةِ السُّلْطَانِ فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ وَ إِيَّاكُمْ الْخَلْفَ الْمَضِيَّ وَ السُّلْطَانَ الْجَائِي

قلت هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع من بيعه أبي بكر و قال لا أبايع إلا عليا و قد ذكرنا خبره فيما تقدم.

و أما قوله في الأنصار و عزاهم عن جفوه السلطان فإشاره إلى

١٠٥٨

قَوْلِ النَّبِيِّ ص سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَهُ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَقْدُمُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ .

و هذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاويه بالاستهزاء به و ذلك

١٠٥٩

١٤- أَنَّ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ جَاءَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَشَكَوْا إِلَيْهِ فَقَرَهُمْ وَ قَالُوا لَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي قَوْلِهِ لَنَا سَيَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَهُ فَقَدْ لَقِينَاهَا قَالَ مُعَاوِيَةُ فَمَا ذَا قَالَ لَكُمْ قَالُوا قَالَ لَنَا فَاصْبِرُوا حَتَّى تَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ قَالَ فَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ عَسَاكُمْ تَلَاقُونَهُ غَدًا عِنْدَ الْحَوْضِ كَمَا أَخْبَرَكُمْ وَ حَرَمَهُمْ وَ لَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئًا .

١٠٦٠

١- قَالَ الزُّبَيْرُ وَ قَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فِي ذَلِكَ تَفَوَّهَ عَمْرُو بِالذِّى لَا نُرِيدُهُ

ص: ٣٢

فَلَا تَقْطَعَنَّ يَا عَمْرُو مَا كَانَ بَيْنَنَا

قَالَ الرَّبِيزِيُّ ثُمَّ إِنَّ رِجَالًا مِنْ سَيْفَهَاءِ قُرَيْشٍ وَ مُثِيرِي الْفِتَنِ مِنْهُمْ اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعِاصِ فَقَالُوا لَهُ إِنَّكَ لِسَانُ قُرَيْشٍ وَ رَجُلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ فَلَا تَدَعِ الْأَنْصَارَ وَ مَا قَالَتْ وَ أَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَرَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَ فِيهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَ غَيْرِهِمْ فَتَكَلَّمَ وَ قَالَ إِنَّ الْأَنْصَارَ تَرَى لِنَفْسِهَا مَا لَيْسَ لَهَا وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَى عَنَّا وَ عَنْهُمْ وَ قَضَى فِيهِمْ وَ فِيْنَا بِمَا أَحَبَّ وَ لَنَحْنُ الَّذِينَ أَفْسَدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا أَحْرَزْنَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ وَ قَدَّمْنَاهُمْ إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ حَتَّى أَمِنُوا الْمَخُوفَ فَلَمَّا جَازَ لَهُمْ ذَلِكَ صَغَرُوا حَقًّا وَ لَمْ يَرَاعُوا مَا أَعْظَمْنَا مِنْ حُقُوقِهِمْ.

ثُمَّ التَفَتَ فَرَأَى الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ نَدِمَ عَلَى قَوْلِهِ لِلْحُخُولَةِ الَّتِي بَيْنَ وُلْدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَ لِأَنَّ الْأَنْصَارَ كَمَا أَنْتَ تُعْظِمُ عَلَيَّ وَ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ حِينَئِذٍ فَقَالَ الْفَضْلُ يَا عَمْرُو إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَكْتُمَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ وَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نُجِيبَكَ وَ أَبُو الْحَسَنِ شَاهِدٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنَا فَنَفْعَلُ.

ثُمَّ رَجَعَ الْفَضْلُ إِلَى عَلِيٍّ فَحَدَّثَهُ فَعْضِبَ وَ شَتَمَ عَمْرًا وَ قَالَ آذَى اللَّهُ وَ رَسُولَهُ ثُمَّ قَامَ فَآتَى الْمَسْجِدَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَ تَكَلَّمَ مُغْضَبًا فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ إِيْمَانٌ وَ بُغْضُهُمْ نِفَاقٌ وَ قَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ

وَبَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ رَغِبَ لِنَبِيِّكُمْ عَنْ مَكَّةَ فَنَقَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَرِهَ لَهُ قُرَيْشًا فَنَقَلَهُ إِلَى الْأَنْصَارِ ثُمَّ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ دَارَهُمْ فَقَاسَمُونَا الْأَمْوَالَ وَكَفَوْنَا الْعَمَلَ فَصَدَرْنَا مِنْهُمْ بَيْنَ بَيْدِلِ الْغَنِيِّ وَإِثَارِ الْفَقِيرِ ثُمَّ حَارَبْنَا النَّاسَ فَوْقُونَا بِأَنْفُسِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ جَمَعَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَ خَمْسِ نِعَمٍ فَقَالَ وَالَّذِينَ تَبَيَّوْا السَّادَةَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

أَلَا وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَدْ قَامَ مَقَامًا آذَى فِيهِ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ سَاءَ بِهِ الْوَابِئُ وَسِيرٌ بِهِ الْمَوْتُورُ فَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمُسْتَمْعِ الْجَوَابَ وَمِنَ الْغَائِبِ الْمَقْتِ وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ فَلْيَكْفُفْ عَمْرُو عَنَّا نَفْسَهُ.

قَالَ الزُّبَيْرُ فَمَشَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ فَقَالُوا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَمَا إِذَا غَضِبَ عَلَيَّ فَاكْفُفْ. وَقَالَ حُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ يُخَاطَبُ قُرَيْشًا أَيَا لَ قُرَيْشٍ أَضْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا قَالَ الزُّبَيْرُ وَقَالَ عَلِيُّ لِلْفَضْلِ يَا فَضْلُ انْصُرِ الْأَنْصَارَ بِلِسَانِكَ وَيَدِكَ فَإِنَّهُمْ مِنْكَ وَإِنَّكَ مِنْهُمْ فَقَالَ الْفَضْلُ قُلْتُ يَا عَمْرُو مَقَالًا فَاحِشًا إِنَّ تَعَدُّ يَا عَمْرُو وَاللَّهِ فَلَيْتَكَ

ص: ٣٤

وَدَخَلَ الْفَضْلُ عَلَى عَلِيٍّ فَأَسْمَعَهُ شِعْرَهُ فَفَرِحَ بِهِ وَقَالَ وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي يَا فَضْلُ أَنْتَ شَاعِرٌ قُرَيْشٍ وَفَتَاهَا فَأَظْهَرَ شِعْرَكَ وَابْعَثْ
بِهِ إِلَى الْأَنْصَارِ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْأَنْصَارَ قَالَتْ لَا أَحَدٌ يُجِيبُ إِلَّا حَسَّانُ الْمُحْسَامِ فَبَعَثُوا إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ شِعْرَ الْفَضْلِ
فَقَالَ كَيْفَ أَصْبَحَ بِجَوَابِهِ إِنْ لَمْ أَتَحَرَّرْ قَوَافِيهِ فَضَحَنِي فَرُوَيْدًا حَتَّى أَقْفُو أَثْرَهُ فِي الْقَوَافِي فَقَالَ لَهُ حُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ اذْكُرْ عَلِيًّا وَآلَهُ
يَكْفِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ جَزَى اللَّهُ عَنَّا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ قَالَ الزُّبَيْرُ وَبَعَثَ الْأَنْصَارُ بِهَذَا الشُّعْرِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ

وَقَالَ لِمَنْ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْأَنْصَارَ أَنْصَارًا فَأَتَيْتِي عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَهُمْ إِنَّهُ لَا يَزَالُ سَيْفِيهِ مِنْ سُفْهَاءِ قُرَيْشٍ وَتَرَهُ الْإِسْلَامَ وَدَفَعَهُ عَنِ الْحَقِّ وَأَطْفَأَ شَرْفَهُ وَفَضَلَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ يَقُومُ مَقَامًا فَاحِشًا فَيَذُكُرُ الْأَنْصَارَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْعَوْا حَقَّهُمْ فَوَاللَّهِ لَوْ زَالُوا لَزُلْتُ مَعَهُمْ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ أَزُولُ مَعَكُمْ حَيْثُمَا زُلْتُمْ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قُلْتَ قَوْلًا صَادِقًا.

قَالَ الزُّبَيْرُ وَتَرَكَ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ الْمَدِينَةَ وَخَرَجَ عَنْهَا حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ عَلِيٌّ وَالْمُهَاجِرُونَ قَالَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَكَانَ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ لِأَنَّهُمْ أَسَدُوا أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ يَسْتَسْتِمُّ الْأَنْصَارَ وَذَكَرَهُمْ بِالْمُهْجَرِ فَقَالَ إِنَّ الْأَنْصَارَ لَتَرَى لَهَا مِنَ الْحَقِّ عَلَيْنَا مَا لَا نَرَاهُ وَاللَّهِ لَئِنْ كَانُوا آوُوا لَتَعْدُ عَزُّوا بِنَا وَ لَئِنْ كَانُوا آسَوْا لَتَعْدُ مَنُونا عَلَيْنَا وَاللَّهِ مَا نَسِيَطِيعُ مَوَدَّتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ قَائِلٌ مِنْهُمْ يَذُكُرُ ذُلَّنَا بِمَكَّةَ وَعَزَّنَا بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَنْفَكُونَ يُعَيِّرُونَ مَوْتَانَا وَيَغِيظُونَ أَحْيَاءَنَا فَإِنْ أَجَبْنَاهُمْ قَالُوا غَضِبْتُ قُرَيْشٌ عَلَى غَارِبِهَا وَ لَكِنْ قَدْ هَوَّنَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ حِرْصُهُمْ عَلَى الدِّينِ أَمْسِ وَاعْتَدَارُهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الْيَوْمَ ثُمَّ قَالَ تَبَادَحَتِ الْأَنْصَارُ فِي النَّاسِ بِاسْمِهَا (١)

ص: ٣٦

(١ - ١) ج: «تفاخرت الأنصار».

فَهَذَا لَنَا مِنْ كُلِّ صَاحِبِ خُطْبِهِ

قَالَ فَفَشَا شِعْرُهُ فِي النَّاسِ فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ وَغَضِبَ لَهَا مِنْ قُرَيْشٍ قَوْمٌ مِنْهُمْ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَزَيْدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَبَعَثُوا إِلَى الْوَلِيدِ فَجَاءَ.

فَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً لَأَحْبَبْتُ الْأَنْصَارَ وَكَرِهْتُكَ مِنَ الْجُفَاءِ فِي الْأَسْئَلِ الْبِطَاءِ عَنْهُ الَّذِينَ دَخَلُوا فِيهِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَا أَتَيْنَاهُمْ وَنَحْنُ فُقَرَاءُ فَأَعْنُونَا ثُمَّ أَصَيْبْنَا الْغِنَى فَكَفُّوا عَنَّا وَ لَمْ يَزِرُونَا شَيْئاً فَأَمَّا ذِكْرُهُمْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ وَ عِزَّهَا بِالْمَدِينَةِ فَكَذَلِكَ كُنَّا وَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ (١) فَنَصَرْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ وَ آوَانَا إِلَى مَدِينَتِهِمْ.

وَ أَمَّا غَضَبُكَ لِقُرَيْشٍ فَإِنَّا لَا نَنْصُرُ كَافِراً وَ لَا نُوَادُّ مُلْحِداً وَ لَا فَاسِقاً وَ لَقَدْ قُلْتُ وَ قَالُوا فَتَقَطَّعَكَ الْخَطِيبُ وَ أَلْجَمَكَ الشَّاعِرُ.

وَ أَمَّا ذِكْرُكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ فَدَعِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارَ فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنَ السِّتِّهِمْ فِي الرِّضَا وَ لَا نَحْنُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي الْغَضَبِ.

وَ تَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ يَا ابْنَ عَقْبَةَ الْأَنْصَارُ أَحَقُّ بِالْغَضَبِ لِقَتْلِي أَحَدٍ فَكُفِّ لِسَانَكَ فَإِنَّ مَنْ قَتَلَهُ الْحَقُّ لَا يَغْضَبُ لَهُ.

وَ تَكَلَّمَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ

ص: ٣٧

الْمَائِمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ لَقَلْنَا الْمَائِمَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ لَكِنْ حَيَاءٌ وَأَمْرٌ غَلَبَ الرَّأْيَ فَاقْتَمَعَتْ شِرَّتُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَلَا تَكُنْ أَمْرًا سَوْءًا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَ أَقْبَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مُغْضَبًا مِنْ كَلَامِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَ شِعْرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَ فِيهِ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ أَعْظَمَ ذَنْبَنَا إِلَيْكُمْ قَتَلْنَا كُفَّارَكُمْ وَ حَمَّائِنَا رَسُولَ اللَّهِ صَ وَ إِنْ كُنْتُمْ تَنْتَقِمُونَ مِنَّا مِنْهُ كَانَتْ بِالْأَمْسِ فَقَدْ كَفَى اللَّهُ شَرَّهَا فَمَا لَنَا وَ مَا لَكُمْ وَ اللَّهُ مَا يَمْنَعُنَا مِنْ قِتَالِكُمُ الْجُبْنَ وَ لَا مِنْ جَوَابِكُمُ الْعِيَّ إِنَّا لَحَيٌّ فَعَالٍ وَ مَقَالٍ وَ لَكِنَّا قُلْنَا إِنَّهَا حَرْبٌ أَوْلَاهَا عَارٌ وَ آخِرُهَا ذُلٌّ فَأَغْضَيْنَا عَلَيْهَا عُمُوتَنَا وَ سَحَبْنَا ذُيُولَنَا حَتَّى نَرَى وَ تَرَوْا فَإِنْ قُلْتُمْ قُلْنَا وَ إِنْ سَكْتُمْ سَكْتْنَا.

فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ سَكَتَ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنْ صَاحِبِهِ وَ رَضِيَ الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ وَ قَطَعُوا الْخِلَافَ وَ الْعَصِيَّةَ.

انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ الرَّبِيزِيُّ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ

. وَ نَعُودُ الْآنَ إِلَى ذِكْرِ مَا

١٠٦١

١٤- أوردته أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة .

فَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنِي أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ بَحْرِ بْنِ آدَمَ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ قَالَتْ الْأَنْصَارُ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ أَخَذَ عُمَرُ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ وَ قَالَ سَيِّفَانِ فِي عُمَرُ وَ أَحَدٍ إِذَا لَا يَصِيلِحَانِ ثُمَّ قَالَ مَنْ لَهُ هَذِهِ الثَّلَاثُ تَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ مَنْ هُمَا إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ مَنْ صَاحِبُهُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (١) مَعَ مَنْ ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَهُ النَّاسُ أَحْسَنَ بَيْعِهِ وَ أَجْمَلَهَا

ص: ٣٨

قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمُطَارِدِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ عَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْأُمَّمِ بَعْدَ قَلْبِهِ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَ مَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَيَّاشٍ وَ قَدْ رَأَى الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُؤَلُّوا أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ص فَكَانَتْ وَلَا يَتُّهُ حَسَنَةً.

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ قَالَ الْأَنْصَارُ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ عُمَرُ أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَتَقَدَّمَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الصَّلَاةِ رَضِيكَ اللَّهُ لِدِينِنَا أَمْ فَلَا نَرْضَاكَ لِدِينَانَا-

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ يَحْيَى الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا صِخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِ عُمَرَ وَ يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَرْفُؤُهُ أَبَا عُبَيْدَةَ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى الْأَنْصَارِ وَ قَدْ اجْتَمَعُوا عِنْدَ سَعِيدٍ فِي سَيْقِيْفِهِ بَنَى سَاعِدَةَ فَفَالَ عُمَرُ قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ دَعْنِي أَتَكَلَّمُ وَ حَشِيَّتِي جِدَّ أَبِي بَكْرٍ وَ كَانَ ذَا جِدِّ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَا بَلْ أَنَا أَتَكَلَّمُ فَمَا هُوَ وَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ انْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ فَمَا كَانَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ إِلَّا أَتَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا يُنْكِرُ حَقُّكُمْ مُسْلِمِينَ إِنَّا وَ اللَّهُ مَا أَصَبْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا شَرِكْتُمُونَا

فِيهِ لَقَدْ آوَيْتُمْ وَ نَصَرْتُمْ وَ آزَرْتُمْ وَ وَاسَيْتُمْ وَ لَكِنْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تُقَرُّ وَ لَا تُطِيعُ إِلَّا لِأَمْرِئٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ رَهْطُ النَّبِيِّ ص
أَوْسَيْطُ الْعَرَبِ وَ شَيْبَةَ رَحِمٍ وَ أَوْسَيْطُ النَّاسِ دَارًا وَ أَعْرَبُ النَّاسِ أَلْسِينًا وَ أَضْيَحُ النَّاسِ أَوْجُهًا وَ قَدْ عَرَفْتُمْ بِلَاءَ إِبْنِ الْخَطَّابِ فِي
الْإِسْلَامِ وَ قَدِمَهُ هَلُمَّ فَلْتَبَايَعُهُ.

قَالَ عُمَرُ بَلْ إِيَّاكَ تُبَايِعُ قَالَ عُمَرُ فَكُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ مِيَدَّ يَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ يَدَيْ وَ يَدِ
أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ قَبِيلِي وَ وَطِئَ النَّاسُ فِرَاشَ سِدْعِدِ قَبِيلِ قَتْلْتُمْ سِدْعِدًا فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَ اللَّهُ سِدْعِدًا فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا جَذَيْلُهَا
الْمُحَكِّكُ وَ عَذَيْتُهَا الْمُرَجَّبُ فَأَخَذَ وَ وَطِئَ فِي بَطْنِهِ وَ دَسُّوا فِيهِ (١) التُّرَابَ.

١٠٦٥

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُخْتَارِ الْيَمَانِ عَنْ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ قَالَ لَمَّا بُوِيعَ
أَبُو بَكْرٍ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ أَ غَلَبَكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَذَلُّ بَيْتٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَ أَقْلَهَا أَمَا وَ اللَّهُ لَكُنْ شِئْتُمْ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَى أَبِي
فَصَيْلٍ خَيْلًا وَ رَجُلًا وَ لَأَسُدَّنَّهَا عَلَيْهِ مِنْ أَفْطَارِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ يَا أَبَا سُفْيَانَ طَالَمَا كِدْتَ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ فَمَا ضَرَّهُمْ شَيْئًا أَمْسِكَ عَلَيْكَ
فَإِنَّا رَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا.

١٠٦٦

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ لَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ تَخَلَّفَ عَلِيٌّ فَلَمْ يُبَايِعْ قَبِيلَ أَبِي بَكْرٍ إِنَّهُ كَرِهَ إِمَارَتَكَ (٢) فَبَعَثَ
إِلَيْهِ أَكَرِهْتَ إِمَارَتِي قَالَ لَا وَ لَكِنَّ الْقُرْآنَ حَشِيْتُ أَنْ يُزَادَ فِيهِ فَحَلَفْتُ أَلَّا أُرْتَدِيَ رِدَاءَ حَتَّى أَجْمَعَهُ اللَّهُمَّ إِلَّا إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ .

ص : ٤٠

(١- ١) ج: «فمه».

(٢- ٢) ج إمرتك: (٠).

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَقَدْ أَحْسَنْتَ قَالَ فَكَتَبَهُ عَ كَمَا أَنْزَلَ بِنَاسِخِهِ وَ مَشُوخِهِ

١٠٦٧

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَمَّلَ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى عَمَلٍ فَتَدَمَّ بَعِيدَ مَا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ قَدْ بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَدَعَاَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ فَأَبَى فَقَالَ عُمَرُ دَعْنِي وَ إِيَّاهُ فَمَنَعَهُ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى مَضَتْ عَلَيْهِ سِنَةٌ ثُمَّ مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَ هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِهِ فَنَادَاهُ خَالِدُ يَا أَبَا بَكْرٍ هَلْ لَكَ فِي الْبَيْعَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَادْنُ فَدَنَا مِنْهُ فَبَايَعَهُ خَالِدٌ وَ هُوَ قَاعِدٌ عَلَى بَابِهِ

١٠٦٨

١٤,٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ قَالَ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تَأْمُرْ عَلَى اثْنَيْنِ ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ شَخَّصَ إِلَى الرَّبِيدِ فَلَبَّغَهُ بَعِيدَ ذَلِكَ وَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص فَسَأَلَ عَنْ أَمْرِ النَّاسِ مَنْ وَلِيَهُ فَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ فَتَدَمَّ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ أَلَسَيْتَ أَمَرْتَنِي إِلَّا أَتَاكَ عَلَى اثْنَيْنِ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا بِالْكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَمْ أَجِدْ لَهَا أَحَدًا غَيْرِي أَحَقَّ مِنِّي قَالَ ثُمَّ رَفَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ يَدَيْهِ وَ خَفَضَهُمَا فَقَالَ صَدَقَ صَدَقَ

١٠٦٩

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ قَدْ رُوِيَ هَذَا الْخَبْرُ بِرِوَايَةِ أَتَمَّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ عَنْ رَافِعِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ الطَّائِيِّ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ أَمَرَهُمْ

ص: ٤١

أَنْ يَسْتَنْفِرُوا مِنْ مَرُورِهِمْ فَاسْتَنْفَرُونَا فَفَنَرْنَا مَعَهُمْ فِي غَزَاهِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَ هِيَ الَّتِي تَفَخَّرُ بِهَا أَهْلُ الشَّامِ فَيَقُولُونَ
 اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ قَالَ فَقُلْتُ وَ اللَّهُ لَأَخْتَارَنَّ فِي هَذِهِ الْغَزَاهِ لِنَفْسِي رَجُلًا مِنْ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ اسْتَهْدِيهِ فَإِنِّي لَسْتُ أَسْتَطِيعُ إِثْبَانَ الْمَدِينَةِ فَاخْتَرْتُ أَبَا بَكْرٍ وَ لَمْ آلُ وَ كَانَ لَهُ كِسَاءٌ فَدَكَّتِي يُخَلِّهِ (١) عَلَيْهِ
 إِذَا رَكِبَ وَ يَلْبَسُهُ إِذَا نَزَلَ وَ هُوَ الَّذِي عَيَّرْتَهُ بِهِ هَوَازِنُ بَعِيدِ النَّبِيِّ صَ وَ قَالُوا لَا- بُيَاعُ ذَا الْخِلَالِ قَالَ فَلَمَّا قَضَيْنَا غَزَانَا قُلْتُ لَهُ يَا أَبَا
 بَكْرٍ إِنِّي قَدْ صَدَّحْتُكَ وَ إِنِّي لِي عَلَيْكَ حَقًّا فَعَلِمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعَ بِهِ فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ لَوْ لَمْ تَقُلْ لِي تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ
 شَيْئًا وَ تُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَ تُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَ تَحُجُّ الْعَبَيْتَ وَ تَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ وَ لَا- تَتَيَامُرُ عَلَى رَجُلَيْنِ فَقُلْتُ أَمَا
 الْعِبَادَاتُ فَقَدْ عَرَفْتُهَا أَرَأَيْتَ نَهَيْكَ لِي عَنِ الْإِمَارَةِ وَ هَلْ يُصَيِّبُ النَّاسَ الْخَيْرُ وَ الشَّرُّ إِلَّا بِالْإِمَارَةِ فَقَالَ إِنَّكَ اسْتَجْهَدْتَنِي فَجْهَدْتُ
 لَعَنَكَ إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَ كَرْهًا فَأَجَارَهُمُ اللَّهُ مِنَ الظُّلْمِ فَهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ وَ عُوَادُ اللَّهِ وَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ
 إِنَّمَا يُحَقِّقْ رَبُّهُ وَ اللَّهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَأْخُذُ شَوْيْهَةً حَرَاهُ أَوْ بَعِيرَهُ فَيَظْلُمُ عَمَلُهُ بِأَسَاءِ بَجَارِهِ وَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ قَالَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا
 حَتَّى أَتَيْتَنِي وَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ فَسَأَلْتُ مَنْ اسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ قِيلَ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ أ صَاحِبِي الَّذِي كَانَ يَنْهَانِي عَنِ الْإِمَارَةِ فَشَدَّدْتُ عَلَى
 رَاحِلَتِي فَاتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ خَلْوَتَهُ حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهَا فَقُلْتُ أَنَا تَعْرِفُنِي أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أ تَعْرِفُ وَصِيَّتِي أَوْصِيَّتِي بِهَا قَالَ
 نَعَمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَبِضَ وَ النَّاسُ حَرِيثُو عَهْدٍ بِالْحَرَاهِلِيِّهِ فَخَشَيْتُ أَنْ يُفْتَسَنُوا وَ إِنِّي أَصِيْحَابِي حَمَلُونِيهَا فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ حَتَّى
 عَدَرْتُهُ وَ صَارَ مِنْ أَمْرِي بَعْدَ أَنْ صِرْتُ عَرِيفًا

١٠٧٠

٢,١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ عَنْ رِجَالِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَ هُوَ يَخْطُبُ عَلَى
 الْمِنْبَرِ فَقَالَ لَهُ أَنْزِلْ عَنْ مِثْرِ أَبِي فَقَالَ

ص: ٤٢

١-١) يخله عليه، أى يجمع بين طرفي الكساء بخلال من عود أو حديد.

أَبُو بَكْرٍ صَدَقَتْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمِثْبَرُ أَبِيكَ لَا مِثْبَرُ أَبِي فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ إِنَّهُ غَلَامٌ حَدَّثَ وَإِنَّا لَمْ نَأْمُرْهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَتْ إِنَّا لَمْ نَتَّهَمُكَ

١٠٧١

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَرَوَى أَبُو زَيْدٍ عَنْ حِيَابِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَرِيرٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ أَنَّ سَلْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَبَعْضَ الْأَنْصَارِ كَمَا كَانَ هَوَاهُمْ أَنْ يَبَايَعُوا عَلِيًّا بَعِيدَ النَّبِيِّ ص فَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ سَلْمَانُ لِلصَّحَابَةِ أَصَيْبْتُمْ الْخَيْرَ وَلكِنْ أَخْطَأْتُمْ الْمَعِيدَ قَالَ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَصَيْبْتُمْ ذَا السَّنِّ مِنْكُمْ وَلكِنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَمَا لَوْ جَعَلْتُمُوهَا فِيهِمْ مَا اخْتَلَفَ مِنْكُمْ اثْنَانِ وَ لَأَكَلْتُمُوهَا رَغَدًا

قلت هذا الخبر هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامه

١٠٧٢

عَنْ سَلْمَانَ أَنَّهُ قَالَ كَرْدِيدٌ وَ نَكَرْدِيدٌ. تَفْسِرُهُ الشَّيْعَةُ فَتَقُولُ أَرَادَ أَسْلَمْتُمْ وَ مَا أَسْلَمْتُمْ وَ يَفْسِرُهُ أَصْحَابُنَا فَيَقُولُونَ مَعْنَاهُ أَخْطَأْتُمْ وَ أَصَيْبْتُمْ.

١٠٧٣

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ لَمَّا أَكْثَرَ فِي تَحْلِفِ عَلِيٍّ عَنِ الْبَيْعَةِ وَ اشْتَدَّ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ فِي ذَلِكَ خَرَجْتُ أُمُّ مَسِيحٍ بِنِ اثْنَانِ فَوَقَفْتُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ص وَ نَادَيْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَ هَيْئَةٌ

١٠٧٤

١٤,١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ سَمِعْتُ أَبَا زَيْدٍ عُمَرَ بْنَ شَبَّهٍ يُحَدِّثُ رَجُلًا بِحَدِيثٍ لَمْ أَحْفَظْ إِسْنَادَهُ قَالَ مَرَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بِأَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ هُمَا جَالِسَانِ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ حِينَ قُبِضَ فَقَالَ مَا يُفْعِدُكُمْ كَمَا قَالَ نَنْتَظِرُ هَذَا الرَّجُلَ يَخْرُجُ فَبَايَعُهُ يَعْجَانِ عَلِيًّا فَقَالَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَنْظُرُوا حَبْلَ الْحَبَلَةِ (١) مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ وَ سَعَوْهَا فِي قُرَيْشٍ تَتَسَعَّ.

ص: ٤٣

قَالَ فَقَامَا إِلَى سَقِيْفِهِ بِنِي سَاعِدَهُ أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ

١٠٧٥

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنْ سَيْفِيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَتَاهُ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ بَعْدَ مَرَّتَيْنِ يَا بِلَالُ قَدْ أْبْلَغْتَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَدْعُ.

قَالَ وَرُفِعَتِ السُّتُورُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَنَظَرْنَا إِلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ وَرَقَهُ بِيَضَاءٍ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ (١) لَهُ فَرَجَعِ إِلَيْهِ بِلَالٌ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَ فَمَا رَأَيْتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ ع

١٠٧٦

١٤، ١- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أُبَيًّا يَقُولُ ذَكَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَوْمًا عَلَيْنًا بَعِيدَ يَوْمِ السَّقِيْفَةِ فَذَكَرَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِهِ نَسِيَهُ أَبُو الْحَسَنِ يُوجِبُ وَلَا يَنْتَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ فَيَسُّ بْنُ سَعْدٍ أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ تَطَلَّبُ الْخِلَافَةَ وَيَقُولُ أَصْحَابُكَ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ لَا كَلَّمْتِكَ وَاللَّهِ مِنْ رَأْسِي بَعْدَ هَذَا كَلِمَةً أَبَدًا.

١٠٧٧

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ عَلِيُّ

كُنْتُ مَعَ الْأَنْصَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ فَلَمَّا عَزَّ الْأَسْبَابُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ قَالَ يَا عَلِيُّ زِدْ فِيهَا عَلِيٌّ أَنْ تَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَ ذَرَارِيكُمْ قَالَ فَحَمَلَهَا عَلِيٌّ ظُهُورِ الْقَوْمِ فَوَفَى بِهَا مَنْ وَفَى وَ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ .

قلت هذا يطابق

١٠٧٨

١٤، ٦- مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ أَنَّ

ص: ٤٤

١-١) الخميصة: كساء أسود مربع؛ له علمان.

وَقَفَ مُسْتَبْرَأً فِي حُفَيْهِ يُشَاهِدُ الْمَحَامِلَ الَّتِي حُمِلَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ وَ أَهْلُهُ فِي الْقَيْودِ وَ الْحَدِيدِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ فَلَمَّا مَرُّوا بِهِ بَكَى وَ قَالَ مَا وَفَتِ الْأَنْصَارُ وَ لَا أَبْنَاءُ الْأَنْصَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ص بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا مُحَمَّدًا وَ أَبْنَاءَهُ وَ أَهْلَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَ أَبْنَاءَهُمْ وَ أَهْلَهُمْ وَ ذُرَارِيَهُمْ فَلَمْ يَفُوا اللَّهَ شِدَّةً وَ طَأْتِكَ عَلَى الْأَنْصَارِ

١٠٧٩

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ تَخَلَّفَ عَلِيُّ عَنْ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ فَأُخْرِجَ مُلْتَبِئًا (١) يُمَضَى بِهِ رِكَضًا وَ هُوَ يَقُولُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَامٌ تُضْرَبُ عَنْقُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَخَلَّفْ لِخِلَافٍ وَ إِنَّمَا تَخَلَّفَ لِحَاجِهِ فَمَا مَرَّ بِمَجْلِسٍ مِنَ الْمَجَالِسِ إِلَّا يُقَالُ لَهُ انْطَلِقْ فَبَايِعْ .

١٠٨٠

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ جَرِيرٍ الطَّائِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضْلِ بْنِ الْأَجْلَحِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ
أَمَا وَ رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ ثَلَاثًا إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ لَتُعْدِرَنَّ بِكَ الْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِي .

١٠٨١

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنِّي لَأَمَاشِي عُمَرَ فِي سِكَهِ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ يَدُهُ فِي يَدِي فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ مَا أَظُنُّ صَاحِبِكَ إِلَّا مَظْلُومًا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَ اللَّهُ لَا يَسْبِقُنِي بِهَا فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَارْجُدْ إِلَيْهِ ظِلَامَتُهُ فَانْتَرَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ سَاعَةً ثُمَّ وَقَفَ فَلِحَقَّتُهُ فَقَالَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسِ مَا أَظُنُّ الْقَوْمَ مَنَعَهُمْ مِنْ صَاحِبِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَضَعَرُوهُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى فَقُلْتُ وَ اللَّهُ مَا اسْتَضَعَرَهُ اللَّهُ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ سُورَةَ بَرَاءَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ

ص: ٤٥

(١- ١) يقال: لِب فلان فلانا: أخذ بتليبيه، أى جمع ثيابه عند صدره و نحره ثم جره.

١٥،١٤،١- فَأَمَّا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ (١) مِنْ كَيْفِيَّةِ الْمُبَايَعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ بِهَذَا اللَّفْظِ الَّذِي أوردَهُ عَلَيْكَ وَ الْإِسْنَادِ إِلَى عَائِشَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ وَ الْعَبَّاسَ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنَ النَّبِيِّ ص وَ هُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَهُ مِنْ فَدَكَ وَ سَيِّهَمَهُ مِنْ خَيْبَرَ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنَّا مَعْشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَهُ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَ إِنِّي وَ اللَّهُ لَا أَدْعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَصْنَعُهُ إِلَّا صَنَعْتَهُ فَهَجَرْتُهُ فَاطِمَةَ وَ لَمْ تُكَلِّمُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ فَدَفَنَهَا عَلِيٌّ لَيْلًا وَ لَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَ كَانَ لِعَلِيٍّ وَجْهٌ (٢) مِنَ النَّاسِ فِي حَيَاةِ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةَ انْصَرَفَتْ وَجُوهُ النَّاسِ عَنْ عَلِيٍّ (٣) فَمَكَثَتْ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ تُوُفِّيَتْ فَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ وَ هُوَ الرَّاوِي لِهَذَا الْخَبْرِ عَنْ عَائِشَةَ فَلَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَالَ وَ لَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ضَرَعَ إِلَى مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ ائْتِنَا وَ لَا يَأْتِ (٤) مَعَكَ أَحَدٌ وَ كَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ عُمَرُ لِمَا عَرَفَ مِنْ شِدَّتِهِ فَقَالَ عُمَرُ لَا تَأْتِيَهُمْ وَ حَدِّكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ اللَّهُ لَا تَبِيَّتُهُمْ وَ حَدِّي وَ مَا عَسَى أَنْ يَصْنَعُوا بِي فَأَنْطَلِقُ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ هَاشِمٍ عِنْدَهُ فَقَامَ عَلِيٌّ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنَا أَنْ تُبَايِعَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنْكَارٌ لِفَضْلِكَ وَ لَا مُنَافَسَةٌ لِخَيْرِ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْكَ وَ لَكِنَّا كُنَّا نَرَى أَنْ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا فَاسْتَبَدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا وَ ذَكَرَ قَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ حَقَّهُ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ يَذْكُرُ ذَلِكَ حَتَّى بَكَى أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا صَمَتَ عَلِيٌّ تَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ

ص: ٤٦

١-١) صحيح البخاري ١٨٦:٢، و مسلم ١٣٨٠:٣ مع اختلاف في لفظ الحديث.

٢-٢) مسلم: «وجهه».

٣-٣) مسلم: «استنكر على وجوه الناس».

٤-٤) مسلم: «و لا يأتنا».

فَوَاللَّهِ لَقَرَابَتُهُ رَسُولِ اللَّهِ ص أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصْلَمَهَا مِنْ قَرَابَتِي وَإِنِّي وَاللَّهِ مَيَّا أَلُوَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا الْخَيْرَ وَ لَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صِدْقَهُ وَإِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ أَمْرًا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَّا صَنَعْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ عَلِيُّ مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ أَقْبَلَ عَلَيَّ النَّاسُ ثُمَّ عَدَرَ عَلِيًّا (١) بِيَغْضُ مَيَّا اعْتَدَرَ بِهِ ثُمَّ قَامَ عَلِيُّ فَعَظَمَ مِنْ حَقِّ أَبِي بَكْرٍ وَ ذَكَرَ فَضْلَهُ وَ سَابَقْتُهُ ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا أَصَبْتَ وَ أَحْسَنْتَ وَ كَانَ عَلِيُّ قَرِيبًا إِلَى النَّاسِ حِينَ قَارَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

١٠٨٣

١٥,١٤,١- وَ رَوَى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ غَضِبَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ بِغَيْرِ مَشُورِهِ وَ غَضِبَ عَلِيُّ وَ الزُّبَيْرُ فَدَخَلَا بَيْتَ فَاطِمَةَ مَعَهُمَا السَّلَاحُ فَجَاءَ عُمَرُ فِي عِصَابِهِ فِيهِمْ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَ سَيْلَمَةُ بْنُ سَيْلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ قُرَيْشٍ وَ هُمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَاقْتَحَمَا الدَّارَ فَصَاحَتْ فَاطِمَةُ وَ نَاشَدَتْهُمَا اللَّهُ فَأَخَذُوا سَيْفَيْهِمَا فَضَرَبُوا بِهِمَا الْحَجَرَ حَتَّى كَسَرُوهُمَا فَأَخْرَجَهُمَا عُمَرُ يَسُوقُهُمَا حَتَّى بَايَعَا.

ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ إِنْ بِيَعْتِي كَانَتْ فَلْتُهُ وَ قَى اللَّهُ شَرَّهَا وَ حَسِيتُ الْفِتْنَةَ وَ أَيُّمُ اللَّهُ مَا حَرَصْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا قَطُّ وَ لَا سَأَلْتُهَا اللَّهُ فِي سِرٍّ وَ لَا عَلَانِيَةٍ قَطُّ وَ لَقَدْ قُلِدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ طَاقَةٌ وَ لَا يَدَانِ وَ لَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أَقْوَى النَّاسَ عَلَيْهِ مَكَانِي.

ص: ٤٧

(١-١) مسلم: «و ذكر شأن علي و تخلفه عن البيعة، و عذره الذي اعتذر إليه».

فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ وَقَالَ عَلِيُّ وَالزُّبَيْرُ مَا غَضَبَنَا إِلَّا فِي الْمَشُورَةِ وَإِنَّا لَنَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ وَثَانِي اثْنَيْنِ وَإِنَّا لَنَعْرِفُ لَهُ سِنَهُ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالصَّلَاةِ وَهُوَ حَيٌّ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَذَكَرَ ابْنُ شَهَابٍ بِنِ ثَابِتٍ أَنَّ قَيْسَ بْنَ شِمَّاسٍ أَحْمَا بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ كَانَ مَعَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا بَيْتَ فَاطِمَةَ .

قَالَ وَرَوَى سَيِّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ مَعَ عُمَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَانَ مَعَهُمْ وَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَسَرَ سَيْفَ الزُّبَيْرِ

١٠٨٤

١,١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ جَاءَ عُمَرُ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ فِي رِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَنَفَرٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ أَوْ لَأُحْرِقَنَّ الْبَيْتَ عَلَيْكُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُضْمِلًا بِالسَّيْفِ فَاعْتَنَقَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ وَرَجُلٌ آخَرُ فَنَدَرَ (١) السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَضْرَبَ بِهِ عُمَرُ الْحَجَرَ فَكَسَرَهُ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ بِتَلَابِيهِمْ يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنيفًا حَتَّى بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَرَوَى التَّنُضُرِيُّ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ حُمِلَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ لَمَّا نَدَرَ مِنْ يَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ فَقَالَ اضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حِمَّاسٍ وَ لَقَدْ رَأَيْتُ الْحَجَرَ وَفِيهِ تِلْكَ الضَّرْبَةُ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ هَذَا أَثَرُ ضَرْبِهِ سَيْفِ الزُّبَيْرِ

١٠٨٥

١,١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا عُمَرُ أَيْنَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ هُوَ هَذَا فَقَالَ انْطَلَقَا إِلَيْهِمَا يَعْنِي عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ فَأَتِيَانِي بِهِمَا فَانْطَلَقَا فَدَخَلَ عُمَرُ وَ وَقَفَ خَالِدٌ عَلَى الْبَابِ مِنْ خَارِجٍ فَقَالَ عُمَرُ لِلزُّبَيْرِ مَا هَذَا السَّيْفُ قَالَ أَعِيدَتْهُ لِأُبَايَعِ عَلِيًّا قَالَ وَ كَانَ فِي الْبَيْتِ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَ جُمْهُورُ الْهَاشِمِيِّينَ فَاخْتَرَطَ عُمَرُ السَّيْفَ فَضْرَبَ بِهِ صَخْرَةً فِي الْبَيْتِ

ص: ٤٨

فَكَسَّرَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ الزُّبَيْرِ فَأَقَامَهُ ثُمَّ دَفَعَهُ فَأَخْرَجَهُ وَقَالَ يَا خَالِدُ دُونَكَ هَذَا فَأَمْسِكْهُ خَالِدٌ وَكَانَ خَارِجٌ (١) الْبَيْتِ مَعَ خَالِدٍ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَرْسَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رِذَاءً لِحَمَلِهِمَا ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَقَالَ لِعَلِيٍّ قُمْ فَبَايِعْ فَتَلَكَّأَ وَاحْتَبَسَ (٢) فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ قُمْ فَأَبَى أَنْ يَقُومَ فَحَمَلَهُ وَدَفَعَهُ كَمَا دَفَعَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ أَمْسَكَهُمَا خَالِدٌ وَسَاقَهُمَا عُمَرُ وَمَنْ مَعَهُ سَوْقًا عَنِيفًا وَاجْتَمَعَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ وَامْتَلَأَتْ شَوَارِعُ الْمَدِينَةِ بِالرِّجَالِ وَرَأَتْ فَاطِمَةُ مَا صَنَعَ عُمَرُ فَصَبَّرَتْ وَوَلَّتْ وَاجْتَمَعَ مَعَهَا نِسَاءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَهْلِ مِيَّاتٍ وَغَيْرِهِنَّ فَخَرَجَتْ إِلَى بَابِ حُجْرَتِهَا وَنَادَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَسْرَعَ مَا أَغْرَضْتُمْ عَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَ عُمَرَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ.

قَالَ فَلَمَّا بَايَعَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَهَدَّاتُ تِلْكَ الْفُورَةَ مَشَى إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَشَفَعَ لِعُمَرَ وَطَلَبَ إِلَيْهَا فَوَضِعَتْ عَنْهُ

١٠٨٦

١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَنِي الْمُؤَمَّلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَتَيْتَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع وَنَحْنُ رَاجِعُونَ مِنَ الْحِجِّ فِي جَمَاعَةٍ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَسَائِلَ وَكُنْتُ أَحَدَ مَنْ سَأَلَهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ أُجِيبُكَ بِمَا أَجَابَ بِهِ حَدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ فَإِنَّهُ سِئِلٌ عَنْهُمَا فَقَالَ كَانَتْ أُمَّنَا صِدِّيقَهُ ابْنَهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَمَاتَتْ وَهِيَ غَضَبِي عَلَى قَوْمٍ فَنَحْنُ غَضَابٌ لِعُضْبِهَا

قلت قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبين من أهل الحجاز أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال أنشدني هذا الشاعر لنفسه و ذهب عنى اسمه قال يا أبا حفص الهوينى و ما كنت مليا بذاك لو لا الحمام

ص: ٤٩

١- ١) ب: «فى خارج البيت».

٢- ٢) احتبس: توقف.

يخاطب عمر و يقول له مهلا و رويدا (١) يا عمر أى ارفق و اتند و لا- تعنف بنا و ما كنت مليا أى و ما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا و تستعطف و لا- كنت قادرا على ولوج دار (٢) فاطمه على ذلك الوجه الذى ولجتها عليه لو لا أن أبها الذى كان بيتها يحترم و يسان لأجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع ثم قال أتموت أمنا و هى غضبي و نرضى نحن إذا لسنا بكرام فإن الولد الكريم يرضى لرضا أبيه و أمه و يغضب لغضبهما.

و الصحيح عندى أنها ماتت و هى واجده على أبى بكر و عمر و أنها أوصت ألا يصليا عليها و ذلك عند أصحابنا من الأمور المغفوره لهما و كان الأولى بهما إكرامها و احترام منزلها لكنهما خافا الفرقه و أشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما و كانا من الدين و قوه اليقين بمكان مكين لا- شك فى ذلك و الأمور الماضيه يتعذر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها و لابسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمر فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى و الله ولى المغفوره و العفو فإن هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيره بل كان من باب الصغائر التى لا تقتضى التبرؤ و لا توجب زوال التولى.

١٠٨٧

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَحْبَبْنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ عَنْ رِجَالِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ عُمَرُ بِعَلِيٍّ وَ أَنَا مَعَهُ بِفِنَاءِ دَارِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ الْبَيْعَ قَالَ أَفَلَا (٣) تَصِلُ صَاحِبِكَ وَ يَقُومُ مَعَكَ (٤) قَالَ بَلَى فَقَالَ لِي عَلِيٌّ قُمْ مَعَهُ فَقُمْتُ فَمَشَيْتُ إِلَى حَيَاتِهِ فَشَبَّكَ أَصْبِعَهُ فِي أَصْبِعِي وَ مَشَيْنَا قَلِيلًا حَتَّى إِذَا خَلَّفْنَا الْبَيْعَ قَالَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَكَ هَذَا لَأَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَّا أَنَا خِفْنَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَ بِكَلَامٍ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ

ص: ٥٠

١- (١) ب: «رويدا».

٢- (٢) ج: «بيت».

٣- (٣) ب: «نصل جناحك و نقوم معك».

٤- (٣) ب: «نصل جناحك و نقوم معك».

مَسْأَلَتِهِ عَنْهُ فَقُلْتُ مَا هُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ خِفْنَاهُ عَلَى حَدِيثِهِ سَنَّهُ وَحُبِّهِ بَيْنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ

١٠٨٨

١٥١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي سَعِيدُ بْنُ عَبَّادٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ لَيْتَنِي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَ لَوْ أُعْلِنَ عَلَيَّ الْحَرْبُ

١٠٨٩

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صِ الْوُفَاةُ وَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صِ اتُّونِي بِدَوَاهٍ وَ صِي حَيْفِهِ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بَعْدِي فَقَالَ عُمَرُ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَنَّ الْوَجَعَ قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صِ ثُمَّ قَالَ عِنْدَنَا الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ مَنْ فِي الْبَيْتِ وَ اخْتَصِمُوا فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صِ وَ مِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَ اللَّغُوَ وَ الْإِخْتِلَافَ غَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ قَوْمُوا إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يُخْتَلَفَ عِنْدَهُ هَكَذَا فَقَامُوا فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صِ يَغْنِي الْإِخْتِلَافَ وَ اللَّغَطَ

قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري و مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما (١) و اتفق المحدثون كافة (٢) على روايته.

١٠٩٠

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ص: ٥١

(١-١) صحيح مسلم: ١٢٥٩.

(٢-٢) ب: «جميعاً».

إِنْ تُولُوها أبا بَكْرٍ تَجِدُوهُ ضَعِيفاً فِي بَدَنِهِ قَوِيّاً فِي أَمْرِ اللَّهِ وَإِنْ تُولُوها عُمَرَ تَجِدُوهُ قَوِيّاً فِي بَدَنِهِ قَوِيّاً فِي أَمْرِ اللَّهِ وَإِنْ تُولُوها عَلِيّاً وَ مَا أَرَاكُمْ فَاعْلَيْنِ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِياً يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

١٠٩١

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَيَّارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَمَرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ جُلَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَعَبِيدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ أَمْرُهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَى مُوتِهِ حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ وَ أَنْ يَغْزَوْا وَادِي فَلَاسِطِينَ فَتَنَاقَلَ أُسَامَةُ وَ تَنَاقَلَ الْجَيْشُ بِتَنَاقُلِهِ وَ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي مَرَضِهِ يَثْقُلُ وَ يَخْفُ وَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ فِي تَنْفِيذِ ذَلِكَ الْبُعْثِ حَتَّى قَالَ لَهُ أُسَامَةُ يَا أَبَى أَنْتَ وَ أُمِّي أَ تَأْذُنُ لِي أَنْ أَمْكُثَ أَيَّاماً حَتَّى يَشْفِيكَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ اخْرُجْ وَ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَنَا خَرَجْتُ وَ أَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ خَرَجْتُ وَ فِي قَلْبِي قَرْحَةٌ مِنْكَ فَقَالَ سِرْ عَلَى النَّصْرِ وَ الْعَافِيَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْكَ الرُّكْبَانَ فَقَالَ انْفُذْ (١) لِمَا أَمَرْتِكَ بِهِ ثُمَّ أَعْمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَامَ أُسَامَةُ فَتَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ فَلَمَّا أَفَاقَ رَسُولُ اللَّهِ ص سَأَلَ عَنْ أُسَامَةَ وَ الْبُعْثِ فَأُخْبِرَ أَنَّهُمْ يَتَجَهَّزُونَ فَجَعَلَ يَقُولُ انْفُذُوا بَعَثَ أُسَامَةَ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَ كَرَّرَ (٢) ذَلِكَ فَخَرَجَ أُسَامَةُ وَ اللُّوَاءُ عَلَى رَأْسِهِ وَ الصَّخَابَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْجُرْفِ نَزَلَ وَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ أَكْثَرُ الْمُهَاجِرِينَ وَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَ بَشَيْرُ بْنُ سَعِيدٍ وَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْوُجُوهِ فَجَاءَهُ رَسُولُ أُمِّ أَيْمَنَ يَقُولُ لَهُ ادْخُلْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَمُوتُ فَصَامَ مِنْ فُورِهِ فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَ اللُّوَاءُ مَعَهُ فَجَاءَهُ بِهِ حَتَّى رَكَرَهُ بِنَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ.

قَالَ فَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ يُخَاطَبَانِ أُسَامَةَ إِلَى أَنْ مَاتَا إِلَّا بِالْأَمِيرِ

ص: ٥٢

(١-١) انفذ: أي امض لوجهك.

(٢-٢) ج: «و تكرر».

اشاره

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَهُ مَضِيرَ هَيْاشِمَ بْنِ عَتْبَةَ وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ وَ لَا أَنْهَرَهُمُ الْفُرْصَةَ بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَلَقَدْ
كَانَ إِلَيَّ حَبِيْبًا وَ كَانَ لِي رَيْبًا.

ذكر محمد بن أبي بكر و ذكر ولده

أم محمد بن أبي بكر أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافه بن خثعم كانت تحت جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشه فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنها يوم مؤته فخلف عليها أبو بكر الصديق فأولدها محمدًا ثم مات عنها فخلف عليها علي بن أبي طالب و كان محمد ربيبه و خريجه و جاريا عنده مجرى أولاده رضع الولاء و التشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير علي و لا يعتقد لأحد فضيله غيره حتى

١٠٩٢

قَالَ عَلِيُّ ع

مُحَمَّدُ ابْنِي مِنْ صُلْبِ أَبِي بَكْرٍ .

و كان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبه (١) و قال غيره بل كان يكنى أبا عبد الرحمن .

ص: ٥٣

(١-١) في المعارف ص ١٧٥.

و كان محمد من نساك قريش و كان ممن أعان على عثمان فى يوم الدار و اختلف هل باشر قتل عثمان أم لا و من ولد محمد القاسم بن محمد بن أبى بكر فقيه الحجاز و فاضلها و من ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد كان من فضلاء قريش و يكنى أباً محمد

١٠٩٣

٥,٦- وَ مِنْ وُلْدِ الْقَاسِمِ أَيْضاً أُمُّ فَرْوَةَ تَزَوَّجَهَا الْبَاقِرُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَوْلَدَهَا الصَّادِقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ع . و إلى أم فروه أشار الرضى أبو الحسن بقوله يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم

قوله و لولا- على ما علوا سرواتها البيت ينظر فيه إلى قول المأمون فى أبيات يمدح فيها علياً أولها الأم على حبنى الوصى أباً الحسن و ذلك عندى من أعاجيب ذا الزمن.

و البيت المنظور إليه منها قوله

ص: ٥٤

و لولاه ما عدت لهاشم إمره

و كان مدى الأيام يعصى و يمتهن

هاشم بن عتبه بن أبى وقاص و نسبه

و أما هاشم بن عتبه بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب فعمه سعد بن أبى وقاص أحد العشره و أبوه عتبه بن أبى وقاص الذى كسر رباعيه (١) رسول الله ص يوم أحد و كلم شفتيه و شج وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه

١٠٩٤

١٤- وَيَقُولُ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْدَمِ وَ هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (٢).

و قال حسان بن ثابت فى ذلك اليوم إذا الله حيا معشرا بفعالهم

ص: ٥٥

(١-١) الرباعيه: السن التى بين الثنيه و الناب.

(٢-٢) سوره آل عمران ١٢٨.

و فى النار يوم البعث أم البوائق (١).

و إنما قال عبد عذره لأن عتبه بن أبى وقاص و إخوته و أقاربه فى نسبهم كلام ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذره و أنهم أدعياء فى قریش و لهم خبر معروف و قصه مذكوره فى كتب النسب.

١٠٩٥

وَ تَنَازَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ فِي أَمْرٍ فَاحْتَصَمَا فَقَالَ سَعْدٌ لِعَبْدِ اللَّهِ اشْكُتْ يَا عَبْدَ هُدَيْلٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ اشْكُتْ يَا عَبْدَ عُدْرَةَ . وَ هَاشِمُ بْنُ عَتْبَةَ هُوَ الْمَرْقَالُ سَمِيَ الْمَرْقَالَ لِأَنَّهُ كَانَ يِرْقُلُ فِي الْحَرْبِ إِرْقَالًا وَ هُوَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَ سَنَفَصِلُ (٢) مَقْتَلُهُ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى فَصَلٍ مِنْ كَلَامِهِ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ صَفِينٍ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَمَّا خَلَى لَهُمُ الْعَرْصَةَ فَيَعْنِي عَرْصَةَ مِصْرَ وَ قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا ضَاقَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ تَرَكَ لَهُمْ مِصْرَ وَ ظَنَّ أَنَّهُ بِالْفِرَارِ يَنْجُو بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَنْجُ وَ أَخَذَ وَ قَتَلَ .

و قوله و لا أنهزم الفرصه أى و لا جعلهم للفرصه منتهزين و الهمزه للتعديه يقال أنهزت الفرصه إذا أنهزتها غيرى.

و نحن نذكر فى هذا الموضع ابتداء أمر الذين ولاهم على مصر إلى أن ننتهى إلى كيفية ملك معاويه لها و قتل محمد بن أبى بكر و نقل ذلك من كتاب إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفى و هو كتاب الغارات

ص: ٥٦

١- ١) روايه الديوان: لقد كان حربا فى الحياه لقومه و فى البعث بعد الموت إحدى العوائق.

٢- ٢) ١: «و سنذكر».

١،٢،٣- قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَيْفٍ عَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ هُوَ الَّذِي حَرَّضَ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ وَكَانَ حِينَئِذٍ بِمِصْرَ فَلَمَّا سَارُوا إِلَى عُثْمَانَ وَحَصِيرُوهُ وَثَبَ هُوَ بِمِصْرَ عَلَى عَامِلِ عُثْمَانَ عَلَيْهَا وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى فَطَرَدَهُ عَنْهَا وَصَلَّى بِالنَّاسِ فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ مِنْ مِصْرَ وَنَزَلَ عَلَى تُخُومِ أَرْضِهَا مِمَّا يَلِي فَلَسِيطِينَ وَانْتَظَرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ فَطَلَعَ عَلَيْهِ رَاكِبٌ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا وَرَاءَكَ مَا خَبَرُ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ قَالَ قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ عُثْمَانَ فَقَالَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ثُمَّ صَيَّعُوا مَا ذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ قَالَ بَايَعُوا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ ثَانِيَةً إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَقَالَ الرَّجُلُ أَرَى أَنَّ وَايَةَ عَلِيٍّ عَدَلَتْ عِنْدَكَ قَتَلَ عُثْمَانَ قَالَ أَجَلُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ مُتَأَمِّلاً لَهُ فَعَرَفَهُ فَقَالَ أَطْنُكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَمِيرَ مِصْرَ قَالَ أَجَلُ قَالَ إِنَّ كَانَتْ لَكَ فِي الْحَيَاةِ حَاجَةٌ فَالْتَجَاءِ النَّجَاءِ فَإِنَّ رَأَى عَلِيٍّ فِيكَ وَفِي أَصْدِحَابِكَ إِنَّ ظَفَرَ بِكُمْ قَتَلَكُمْ أَوْ نَفَاكُمْ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا أَمِيرٌ تَقَدَّمَ بَعْدِي عَلَيْكُمْ قَالَ وَمَنِ الْأَمِيرُ قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ فَقَالَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ (١) أَبْعَدَ اللَّهُ (٢) ابْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ فَإِنَّهُ بَعَى عَلِيَّ ابْنَ عَمِّهِ وَسَيَّعَى عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ كَفَلَهُ وَرَبَّاهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَمِنَ جِوَارَهُ فَجَهَّزَ الرَّجَالَ إِلَيْهِ حَتَّى قُتِلَ وَوَثَبَ عَلَى عَامِلِهِ.

وَخَرَجَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِدِمَشْقَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَمُنَاصِرِهِ حَيْثُ (٣) فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهُ سِرُّ إِلَى مِصْرَ فَقَدْ وَلَيْتُكَهَا وَاخْرُجْ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَاجْمَعْ ثِقَاتِكَ وَمَنْ

ص: ٥٧

١-١-١) ساقط من ب.

٢-١-١) ساقط من ب.

أَحْبَبْتَ أَنْ يَضِيحَ بِكَ حَتَّى تَأْتِيَ مِضِرَّ وَ مَعَكَ جُنْدٌ فَإِنَّ ذَلِكَ أَرْعَبُ لِعَدُوِّكَ وَ أَعَزُّ لَوْلِيِّكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَحْسِنِ إِلَى الْمُحْسِنِ وَ اشْتَدَّ (١) عَلَى الْمُرِيبِ وَ ارْزُقْ بِالْعَامَّةِ وَ الْخَاصَّةِ فَالْزُّفُّ يُمْنٌ.

فَقَالَ قَيْسٌ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فَأَمَّا الْجُنْدُ فَإِنِّي أَدْعُهُ لَكَ إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَرِيبًا مِنْكَ وَ إِنْ أَرَدْتَ بَعْثَهُمْ إِلَى وَجْهِ مِنْ وَجْهِكَ كَانَ لَكَ عُدَّةٌ وَ لِكِنِّي أَسِيرٌ إِلَى مِضِرَّ بِنَفْسِي وَ أَهْلِ بَيْتِي وَ أَمَّا مَا أَوْصَيْتَنِي بِهِ مِنَ الرَّفْقِ وَ الْإِحْسَانِ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ فَخَرَجَ قَيْسٌ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى دَخَلَ مِضِرَّ فَصَدَّ عِدَّ الْمِثْبَرِ وَ أَمَرَ بِكِتَابٍ مَعَهُ يُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ فِيهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بِحُسْنِ صُنْعِهِ وَ قَدَرِهِ وَ تَدْبِيرِهِ اخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَكَانَ مِمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَ خَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَنْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص إِلَى إِلَيْهِمْ فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ السُّنَّةَ وَ الْفَرَائِضَ وَ أَدَّبَهُمْ لِكَيْمَا يَهْتَدُوا وَ جَمَعَهُمْ لِكَيْلَا يَتَفَرَّقُوا وَ زَكَاهُمْ لِكَيْمَا يَتَطَهَّرُوا فَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ قَبْضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَعَلِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ وَ رَحْمَتُهُ وَ رِضْوَانُهُ ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أَمِيرِينَ مِنْهُمْ صَالِحِينَ فَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ أَحْيَا السِّيْرَةَ وَ لَمْ يَعِدُوا السُّنَّةَ ثُمَّ تُوَفِّيَا رَحْمَتَهُمَا اللَّهُ فَوَلَّى بَعِيدَهُمَا وَالِ أَحَدًا أَحَدًا فَوَجِدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَعَيَّرُوا ثُمَّ جَاءُونِي فَبَايَعُونِي وَ أَنَا أَسِيَّتُهُدَى اللَّهُ الْهُدَى وَ أَسِيَّتَعِينَهُ عَلَى التَّقْوَى أَلَا وَ إِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَ الْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَ النَّصْحَ لَكُمْ بِالْغَيْبِ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ

ص: ٥٨

وَقَدْ بَعَثْتُ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَمِيرًا فَوَازِرُوهُ وَاعِينُوهُ عَلَى الْحَقِّ وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مُحْسِنِكُمْ وَالشُّدَّةَ عَلَى مُرِيكُمْ وَالرَّفْقَ بِعَوَامِّكُمْ وَخَوَاصِّكُمْ وَهُوَ مَمَّنْ أَرْضَى هَيْدِيَهُ وَأَرْجُو صِيْلَاحَهُ وَنُصِيْحَهُ نَسِيْلُ اللَّهِ لَنَا وَلكُمْ عَمَلًا زَاكِيًّا وَثَوَابًا جَزِيْلًا وَرَحْمَةً وَاسِعَةً وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ فِي صَفْرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ قَامَ قَيْسٌ حَطِيْبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَآمَنَ الْبَاطِلَ وَكَتَبَ الظَّالِمِينَ أَهْيَهَا النَّاسُ إِنَّا بَايَعْنَا خَيْرَ مَنْ نَعْلَمُ مِنْ بَعِيدٍ نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ ص فَقَوْمُوا فَبَايَعُوا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَعْمَلْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فَلَا يَبِيعَهُ لَنَا عَلَيْكُمْ.

فَقَامَ النَّاسُ فَبَايَعُوا وَاسْتَقَامَتْ مِصْرُ وَاعْمَالُهَا لِقَيْسٍ وَبَعَثَ عَلَيْهَا عَمَالَهُ إِلَّا أَنَّ قَزِيَّةً مِنْهَا قَدْ أَعْظَمَ أَهْلُهَا قَتْلَ عُثْمَانَ وَبِهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ فَبَعَثَ إِلَى قَيْسٍ أَنَا لَا نَأْتِيكَ فَابْعَثْ عُمَّالَكَ فَالْأَرْضُ أَرْضُكَ وَلكِنْ أَقْرْنَا عَلَى حَالِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُ النَّاسِ.

وَوثبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدِ بْنِ صَامِتِ الْأَنْصَارِيِّ فَنَعَى عُثْمَانَ وَدَعَا إِلَى الطَّلَبِ بِعَدَمِهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَيْسٌ وَيَحْكُكَ أَعْلَى تَثْبُ وَاللَّهِ مَا أَحْبُّ أَنْ لِي مُلْكُ الشَّامِ وَمِصْرَ وَأَنْى قَتَلْتُكَ فَاحْتُنْ دَمَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَسْلَمَةُ أَنْى كَافٍ عَنْكَ مَا دُمْتَ أَنْتَ وَالى مِصْرَ . وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذَا رَأْيٍ وَحَزْمٍ فَبَعَثَ إِلَى الَّذِينَ اعْتَرَلُوا أَنْى لَا أُكْرِهُكُمْ عَلَى الْبَيْعَةِ وَلكِنِّى أَدْعُكُمْ وَ أَكْفُ عَنْكُمْ فَهَادَنَهُمْ وَهَادَنَ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ وَجَبَى الْحَرَاجَ وَ لَيْسَ أَحَدٌ يُنَازِعُهُ.

قَالَ إِزْرَاهِيمُ وَخَرَجَ عَلِيُّ عَ إِلَى الْجَمَلِ وَ قَيْسٌ عَلَى مِصْرَ وَ رَجَعَ مِنَ الْبَصِيرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ وَ هُوَ بِمَكَانِهِ فَكَانَ أَثْقَلَ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ لِقُرْبِ مِصْرَ وَ أَعْمَالِهَا مِنَ الشَّامِ وَ مَخَافَهُ أَنْ يُقْبَلَ عَلِيُّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ يُقْبَلَ إِلَيْهِ قَيْسٌ بِأَهْلِ مِصْرَ فَيَقَعَ بَيْنَهُمَا.

فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسٍ وَ عَلِيُّ يَوْمَئِذٍ بِالْكُوفَةِ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى صِفِّينَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَقَمْتُمْ عَلَى عُثْمَانَ فِي أَثَرِهِ رَأَيْتُمُوهَا أَوْ ضَرْبَهُ سَوْطِ ضَرْبِهَا أَوْ فِي شَتْمِهِ رَجُلًا أَوْ تَغْيِيرِهِ وَاحِدًا أَوْ فِي اسْتِعْمَالِهِ الْفِتْيَانَ مِنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دَمَهُ لَمْ يَحِلَّ لَكُمْ بِهَذَا فَكَيْفَ رَكِبْتُمْ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ وَ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا قُتِبَ يَا قَيْسُ إِلَى رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُجْلِبِينَ عَلَى عُثْمَانَ إِنْ كَانَتْ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ تُغْنِي شَيْئًا وَ أَمَّا صَاحِبُكَ فَقَدْ اسْتَيْفَنَّا أَنَّهُ أَغْرَى النَّاسَ بِقَتْلِهِ وَ حَمَلَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ وَ أَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ دَمِهِ عَظْمُ قَوْمِكَ فَإِنِ اسْتِطَعْتَ يَا قَيْسُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ فَافْعَلْ وَ تَابِعْنَا عَلَى عَلِيٍّ فِي أَمْرِنَا هَذَا وَ لَكَ سُلْطَانُ الْعِرَاقَيْنِ إِنْ أَنَا ظَفَرْتُ مَا بَقِيَتْ وَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ سُلْطَانُ الْحِجَازِ مَا دَامَ لِي سُلْطَانٌ وَ سَلِمَ عَنِّي هَذَا مِمَّا تُحِبُّ فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي شَيْئًا إِلَّا أَتَيْتَهُ وَ أَكْتُبُ إِلَيْكَ رَأْيَكَ فِيمَا كَتَبْتَ إِلَيْكَ.

فَلَمَّا حَيَّاءَ إِلَيْهِ كِتَابُ مُعَاوِيَةَ أَحَبَّ أَنْ يُدَافِعَهُ وَ لَا يُبَدِيَ لَهُ أَمْرَهُ وَ لَا يُعَجِّلَ لَهُ حَرْبَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ وَ فَهِمْتُ الَّذِي ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ وَ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَقَارِبُهُ وَ ذَكَرْتَ أَنَّ صَاحِبِي هُوَ الَّذِي أَغْرَى النَّاسَ بِعُثْمَانَ وَ دَسَّهْمَ إِلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ وَ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ وَ ذَكَرْتَ لِي أَنَّ عَظْمَ عَشِيرَتِي لَمْ تَسْلَمْ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ فَلَعَمْرِي إِنْ أَوْلَى

النَّاسِ كَانَ فِي أَمْرِهِ عَشِيْرَتِي وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَنِي مِنْ مُبَايَعَتِكَ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِيهِ وَ مَا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ فَقَدْ فَهِمْتُهُ وَ هَذَا أَمْرٌ لِي نَظَرٌ فِيهِ وَ فَكَّرْتُ وَ لَيْسَ هَذَا مِمَّا يُعَجَّلُ إِلَيَّ مِثْلُهُ وَ أَنَا كَأَنَّكَ عَنكَ وَ لَيْسَ يَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِي شَيْءٌ تَكْرَهُهُ حَتَّى تَرَى وَ نَرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا قَرَأَ مُعَاوِيَةَ كِتَابَهُ لَمْ يَرَهُ إِلَّا مُقَارِبًا مُبَاعِدًا وَ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُخَادِعًا مُكَايِدًا فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ فَلَمْ أَرَكَ تَدْنُو فَأَعَدَّكَ سِلْمًا وَ لَمْ أَرَكَ تَتْبَاعِدُ فَأَعَدَّكَ حَرْبًا أَرَكَ كَحَبْلِ الْجُرُورِ وَ لَيْسَ مِثْلِي يُصَانِعُ بِالْخِدَاعِ وَ لَا يُخْدَعُ بِالْمُكَايِدِ وَ مَعَهُ عِدَدُ الرِّجَالِ وَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ فَإِنْ قَبِلْتَ الَّذِي عَرَضْتُ عَلَيْكَ فَلَا مَا أَعْطَيْتَكَ وَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ مِصْرَ عَلَيْكَ خَيْلًا وَ رَجُلًا وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ قَيْسُ كِتَابَهُ وَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ الْمُدَافَعَةَ وَ الْمُطَاوَلَةَ أَظْهَرَ لَهُ مَا فِي نَفْسِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَيْفِيَانَ أَمَّا بَعْدُ فَالْعَجَبُ مِنْ اسْتِشْقِ قَاطِكَ رَأْيِي وَ الطَّمَعُ فِي أَنْ تَسُومَنِي لَا أَبَا لِعَيْرِكَ الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ وَ أَقُولُهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَهْدَاهُمْ سَبِيلًا وَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ سَبِيلَهُ وَ تَأْمُرُنِي بِالْدُخُولِ فِي طَاعَتِكَ وَ طَاعَةِ أَبْعَدِ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَ أَقُولُهُمْ بِالزُّورِ وَ أَضَلُّهُمْ سَبِيلًا وَ أَذْنَاهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ سَبِيلَهُ وَ لَمَدَيْكَ قَوْمٌ ضَالُّونَ مُضْتَلُّونَ طَوَاعِيَتْ مِنْ طَوَاعِيَتْ إِيْلَيْسَ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ تَمَلُّا عَلَيَّ مِصْرَ خَيْلًا وَ رَجُلًا فَلَيْسَ لَمْ أَشْغَلْكَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ مِنْكَ إِنَّكَ لَدُوْ جِدَّ وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا أَتَى مُعَاوِيَةَ كِتَابُ قَيْسِ أَيْسَ وَ ثَقُلَ مَكَانُهُ عَلَيْهِ وَ كَانَ (١) أَنْ يَكُونَ مَكَانَهُ غَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ قُوَّتِهِ وَ تَأْيِيهِ (٢) وَ نَجْدَتِهِ وَ اسْتِدَادِ أَمْرِهِ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّ

ص: ٦١

١-١ ج: «و رأى».

٢-٢ ج: «و بأسه».

قَيْسًا قَدْ بَايَعَكُمْ فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ وَ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَهُ الَّذِي لَانَ فِيهِ وَ قَارَبَهُ وَ اخْتَلَقَ كِتَابًا نَسَبَهُ إِلَى قَيْسٍ فَقَرَأَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ .

لِلْأَمِيرِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ .

أَمَّا بَعِيدُ إِنَّ قَتَلَ عُثْمَانَ كَانَ حَدَثًا فِي الْأَشْيَاءِ عَظِيمًا وَ قَدْ نَظَرْتُ لِنَفْسِي وَ دِينِي فَلَمْ أَرِ يَسْجُنِي مُظَاهَرَهُ قَوْمَ قَتَلُوا إِمَامَهُمْ مُسْلِمًا مُحْرَمًا بَرًّا تَقِيًّا فَنَسِيتُ تَعْفُرَ اللَّهِ شَيْبَانَهُ لِدُنُوبِنَا وَ نَسَأَلَهُ الْعِضْمَةَ لِدِينِنَا أَلَا وَ إِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكُمْ بِالسَّلَامِ وَ أَجْبَتُكَ إِلَى قِتَالِ قَتَلِهِ إِمَامِ الْهُدَى الْمَظْلُومِ فَاطْلُبْ مِنِّي مَا أَحْبَبْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الرَّجَالِ أَعْجَلُهُ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ عَلَى الْأَمِيرِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ .

قَالَ فَشَاعَ فِي الشَّامِ كُلِّهَا أَنَّ قَيْسًا صَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَ أَتَتْ عِيُونَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فَأَعْظَمَهُ وَ أَكْبَرَهُ وَ تَعَجَّبَ لَهُ وَ دَعَا ابْنَيْهِ حَسَيْنًا وَ حُسَيْنًا وَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ وَ قَالَ مَا رَأَيْتُكُمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَعِ مَيَا يُرِيئُكَ إِلَى مَيَا لَا- يُرِيئُكَ اعْزَلْ قَيْسًا عَنْ مِصْرَ قَالَ عَلِيٌّ وَ اللَّهُ إِنِّي غَيْرُ مُصِيدٍ بِهِذَا عَلَى قَيْسٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ اعْزَلْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ كَانَ مَيَا قَدْ قِيلَ حَقًّا فَلَا يَعْتَرِلُ لَكَ أَنْ عَزَلْتَهُ قَالَ وَ إِنَّهُمْ لَكَ ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَخْبِرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ وَ أَعَزَّكَ أَنْ قَبِلِي رِجَالًا- مُعْتَرِلِينَ سِيَالُونِي أَنْ أَكْفَ عَنْهُمْ وَ أَدْعُهُمْ عَلَى خَالِهِمْ حَتَّى يَسِيَتَقِيمَ أَمْرَ النَّاسِ فَتَرَى وَ يَرُونَ وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَكْفَ عَنْهُمْ وَ لَا- أُعْجَلُ بِحَرْبِهِمْ وَ أَنْ أَتَأَلَّفَهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ وَ يُفَرِّقَهُمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَهُ فِي تَرْكِهِمْ وَ اعْتَرَالِهِمْ اسْتَشْرَى الْأَمْرَ وَ تَفَاقَمَتِ الْفِتْنَةُ وَ قَعِيدَ عَنْ بَيْعَتِكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُرِيدُهُ عَلَى الدُّخُولِ فِيهَا وَ لَكِنْ مَرَّةً بِقِتَالِهِمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِ

أَمَّا بَعْدُ فَسِرُّ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ فَإِنْ دَخَلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَإِلَّا فَنَاجِزُهُمْ وَالسَّلَامُ قَالَ فَلَمَّا أَتَى هَذَا الْكِتَابَ قَيْسًا فَقَرَأَهُ لَمْ يَتَمَالِكْ أَنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَأْمُرُنِي بِقِتَالِ قَوْمٍ كَأَفِينِ عَنكَ وَلَمْ يَمُدُّوا يَدًا لِلْفِتْنَةِ وَلَا أَرْضَدُوا لَهَا فَأَطِيعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنَّ الرَّأْيَ تَرَكُهُمْ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا أَتَاهُ هَذَا الْكِتَابُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْعَثْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى مِصْرَ يَكْفِكَ أَمْرَهَا وَاعْزِلْ قَيْسًا فَوَ اللَّهُ لَبَلَّغْنِي أَنْ قَيْسًا يَقُولُ إِنَّ سُلْطَانًا لَا يَتِيمٌ إِلَّا بَقِيَ مَسْلَمَةً مِنْ مُخَلَّدٍ لِسُلْطَانٍ سُوءٍ وَاللَّهِ مَا أَحْبُّ أَنْ لِي سُلْطَانٌ الشَّامَ مَعَ سُلْطَانِ مِصْرَ وَأَنْتِي قَتَلْتِ ابْنَ مُخَلَّدٍ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ أَخَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَأُمِّهِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِمْرَةٌ وَسُلْطَانٌ فَاسْتَعْمَلَ عَلِيًّا عَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصْرَ لِمَحَبَّتِهِ لَهُ وَوَلَّاهُ عَمْرَةَ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مِصْرَ فَسَارَ حَتَّى قَدِمَهَا فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ مَا بَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا غَيَّرَهُ أَ دَخَلَ أَحَدٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَالَ لَا وَهَذَا السُّلْطَانُ سُلْطَانُكَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ كَانَ تَحْتَ قَيْسٍ قَرِيبُهُ بِنْتُ أَبِي قُحَافَةَ أُخْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ فَكَانَ قَيْسٌ زَوْجَ عَمَّتِهِ فَقَالَ قَيْسٌ لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيمُ مَعَكَ سَاعَةً وَاحِدَةً وَغَضِبَ حِينَ عَزَلَهُ عَلِيٌّ عَنْهَا وَخَرَجَ مِنْهَا مُقْبِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَمُضِ إِلَيَّ عَلِيٌّ بِالْكَوْفَةِ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانَ قَيْسٌ مَعَ شَجَاعَتِهِ وَنَجِدَتِهِ جَوَادًا مِفْضَالًا فَخِدَّتْنِي عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيِّفٍ عَنْ هَاشِمٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا خَرَجَ قَيْسٌ مِنْ مِصْرَ فَمَرَّ بِأَهْلِ بَيْتِ مَنْ بَلَقِينَ فَتَزَلَّ بِمَائِهِمْ فَتَحَرَ لَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ جُزُورًا وَأَتَاهُ بِهَا فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ نَحَرَ لَهُ أُخْرَى ثُمَّ حَبَسَتْهُمْ السَّمَاءُ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ فَتَحَرَ لَهُمْ ثَالِثَةً ثُمَّ إِنَّ السَّمَاءَ أَقْلَعَتْ

فَلَمَّا أَرَادَ قَيْسٌ أَنْ يَزْتَجِلَ وَضَعَ عَشْرِينَ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ مِصْرَ وَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ عِنْدَ امْرَأَةِ الرَّجُلِ وَقَالَ لَهَا إِذَا جَاءَ صَاحِبُكَ فَادْفَعِي هَيْدِهِ إِلَيْهِ ثُمَّ رَحَلْ فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى لَحِقَهُ الرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ عَلَى فَرَسٍ وَمَعَهُ رُمْحٌ وَ الثِّيَابُ وَ الدَّرَاهِمُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا هَؤُلَاءِ خُذُوا ثِيَابَكُمْ وَ دَرَاهِمَكُمْ فَقَالَ قَيْسٌ انصَبِرْ أَيْهَا الرَّجُلُ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ لِنَأْخُذَهَا قَالَ وَ اللَّهُ لَتَأْخُذَنَّهَا فَقَالَ قَيْسٌ لِلَّهِ أَبُوكَ أَلَمْ تُكْرِمْنَا وَ تَحْسِنَ ضِيَّافَتَنَا فَكَأَنَّا نَاكٌ فَلَيْسَ بِهَذَا بَأْسٌ فَقَالَ الرَّجُلُ إِنَّا لَا نَأْخُذُ لِقَرَى الْأَضْيَافِ ثَمَنًا وَ اللَّهُ لَا آخُذَهَا أَبَدًا فَقَالَ قَيْسٌ أَمَّا إِذِ أَبِي أَلَّا يَأْخُذَهَا فَخُذُوهَا (١) فَوَ اللَّهُ مَا فَضَّلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُهُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ أَبُو الْمُؤَذِرِ مَرَّ قَيْسٌ فِي طَرِيقِهِ بِرَجُلٍ مِنْ بِلَى يُقَالُ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ فُلَانٍ فَأَكْرَمَهُ فَلَمَّا أَرَادَ قَيْسٌ أَنْ يَزْتَجِلَ وَضَعَ عِنْدَ امْرَأَتِهِ ثِيَابًا وَ دَرَاهِمًا فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ دَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَلَحِقَهُ فَقَالَ مَا أَنَا بِأَنْعِ ضِيَافَتِي وَ اللَّهُ لَتَأْخُذَنَّ هَذَا أَوْ لَأَنْفِذَنَّ الرُّمْحَ بَيْنَ جَنْبَيْكَ فَقَالَ قَيْسٌ وَيَحْكُمُ خُذُوه.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ أَقْبَلَ قَيْسٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَاءَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ شَامِتًا بِهِ وَ كَانَ عُثْمَانِيًّا فَقَالَ لَهُ نَزَعَكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ قَدْ قَتَلْتَ عُثْمَانَ فَبَقِيَ عَلَيْكَ الْإِثْمُ وَ لَمْ يُحْسِنْ لَكَ الشُّكْرَ فَزَجَرَهُ قَيْسٌ وَقَالَ يَا أَعْمَى الْقَلْبِ يَا أَعْمَى الْبَصِيرِ وَ اللَّهُ لَوْ لَا أَلْقَى بَيْنَ رَهْطِي وَ رَهْطِكَ حَرْبًا لَصَرَبْتُ عُقُوكَ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ عِنْدِهِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ إِنَّ قَيْسًا وَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ خَرَجَا حَتَّى قَدِمَا عَلَى عَلِيِّ الْكُوفَةَ فَخَبَّرَهُ قَيْسُ الْخَبَرَ وَ مَا كَانَ بِمِصْرَ فَصَدَّقَهُ وَ شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ صَفَيْنَ هُوَ وَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ كَانَ قَيْسٌ طَوَالًا أَطْوَلَ النَّاسِ وَ أَمَدَّهُمْ قَامَهُ وَ كَانَ (٢) سَنَاطًا أَضْلَعَ شَيْخًا شَجَاعًا مُجَرَّبًا مَنَاصِحًا لِعَلِيِّ وَ لَوْلَدِهِ وَ لَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

١ - ١) ساقطه من ب.

٢ - ٢) السناط: الذي لا لحيه له.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي سَيِّفٍ قَالَ كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي سَفَرٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَكَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى غَيْرِهِمَا وَيُفْضِلُ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ هَذَا لَا يَقُومُ بِهِ مَالٌ أَيْبِكَ فَأَمْسِكْ يَدَكَ فَلَمَّا قَدِمُوا مِنْ سَفَرِهِمْ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لِأَبِي بَكْرٍ أَرَدْتَ أَنْ تُبْخَلَ ابْنِي إِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَسْتَطِيعُ الْبُخْلَ.

قَالَ وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَمْدًا وَمَجْدًا وَشُكْرًا فَإِنَّهُ لَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ وَلَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ اللَّهُمَّ وَسَّعْ عَلَيَّ فَإِنَّ الْقَلِيلَ لَا يَسْغِينِي وَلَا أَسْغُهُ.

ولايه محمد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانَ عَهْدُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي قُرِيَ بِمِصْرَ هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ وُلِّاهُ مِصْرَ أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَخَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ وَأَمْرَهُ بِاللِّينِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَالْعُلَظِّ عَلَى الْفَاجِرِ وَبِالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِ الذَّمِّهِ وَبِالْإِنصَافِ لِلْمَظْلُومِ وَبِالشَّدَّةِ عَلَى الظَّالِمِ وَبِالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ وَبِالْإِحْسَانِ مَا اسْتَطَاعَ وَاللَّهُ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَأَمْرَهُ أَنْ يَدْعُوَ مَنْ قَبْلَهُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَعِظَمِ الْمُثُوبَةِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ وَلَا يُعْرَفُ كُنْهَهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَجِبِيَ خَرَاجَ الْأَرْضِ عَلَى مَا كَانَتْ تُجْبَى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَلَا يَنْتَقِصَ وَلَا يَنْتَدِعَ ثُمَّ يَقْسِمَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ كَمَا كَانُوا يَقْسِمُونَهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَإِنْ تَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ يُؤَاسِ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَوَجْهَهُ لِيَكُونَ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ وَأَمْرَهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَأَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَتَّبِعَ الْهَوَى وَلَا يَخَافَ فِي اللَّهِ (١) لَوْمَةً لِأَنَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ اتَّقَاهُ وَآتَرَ طَاعَتَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ

ص: ٦٥

وَ كَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ لِعُزْرَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ قَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا وَ إِيَّاكُمْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَ بَصَّرَنَا وَ إِيَّاكُمْ كَثِيرًا مِمَّا عَمِيَ عَنْهُ الْجَاهِلُونَ أَلَا وَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَانِي أُمُورِكُمْ وَ عَهْدِي إِلَيْكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ وَ أَوْصَانِي بِكَثِيرٍ مِنْهُ مُشَافَهَةً وَ لَنْ أَلُوكُمْ خَيْرًا مِمَّا اسْتِطَعْتُ وَ لِمَا تَوْفَّقَنِي إِلَيْهِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ فَإِنْ يَكُنْ مَا تَرَوْنَ مِنْ آثَارِي وَ أَعْمَى إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ تَقْوَى فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ هُوَ الْهَادِي إِلَيْهِ فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ عَمَلًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَارْفَعُوهُ إِلَيْكُمْ وَ عَاتِبُونِي عَلَيْهِ فَإِنِّي بِذَلِكَ أَسْعُدُ وَ أَنْتُمْ بِذَلِكَ جَدِيرُونَ وَ فَقِنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ لِصَالِحِ الْعَمَلِ .

١٠٩٩

١١٤- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ خَالِدِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ كَتَبَ عَلِيُّ ع إِلَى أَهْلِ مِصْرَ لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كِتَابًا يُخَاطِبُهُمْ بِهِ (١) وَ يُخَاطِبُ مُحَمَّدًا أَيْضًا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكُمْ وَ عَلَانِيَتِهِ وَ عَلَى أَى حَالٍ كُنْتُمْ عَلَيْهَا وَ لِيَعْلَمَ الْمَرْءُ مِنْكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَ فَنَاءٍ وَ الْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ وَ بَقَاءٍ فَمَنْ اسْتِطَاعَ أَنْ يُؤْتِرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْآخِرَةَ تَبْقَى وَ الدُّنْيَا تَفْنَى رَزَقْنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ بِصِرًّا لَمَّا بَصَّرْنَا وَ فَهَمَّا لَمَّا فَهَمْنَا حَتَّى لَا نَقْصِرَ عَمَّا أَمَرْنَا وَ لَا نَتَعَدَّى إِلَى مَا نَهَانَا وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ وَ إِنْ كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَى نَصِيحِكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّكَ إِلَى نَصِيحِكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَحْوَجُ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا لِلْآخِرَةِ وَ الْآخَرُ لِلدُّنْيَا فَابْتَدَأْ بِالْآخِرَةِ وَ لَتُعْظِمَ رِعْبَتُكَ فِي الْخَيْرِ وَ لَتُحْسِنَ فِيهِ نَيْتُكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ نَيْتِهِ وَ إِذَا أَحَبَّ الْخَيْرَ وَ أَهْلَهُ وَ لَمْ يَعْمَلْهُ كَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَنْ عَمِلَهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ حِينَ رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ وَ لَا هَبَطْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا

ص: ٦٦

(١-١) ب: «فيه»، و ما أثبتته عن ا، ج.

كَأَنَّا مَعَكُمْ مِمَّا حَبَسَهُمْ إِلَّا الْمَرَضُ يَقُولُ كَأَنَّا لَهْمُ نَبِيٍّ ثُمَّ اعْلَمَ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَكْبَرُ أَجْنَادِي أَهْلَ مِصْرَ وَوَلَّيْتُكَ مَا
 وَلَّيْتُكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تَخَافَ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ وَتَحْذَرَ فِيهِ عَلَى دِينِكَ وَ لَوْ كَانَ سَاعَهُ مِنْ نَهَارٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَطْعَتُ الْأَ
 تَسِيخَ رِبِّكَ لِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَافْعَلْ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَ لَيْسَ فِي شَيْءٍ خَلْفٌ مِنْهُ فَاشْتَدَّ عَلَى الظَّالِمِ وَ لِيَنَّ لِأَهْلِ الْخَيْرِ
 وَ قَرَّبَهُمْ إِلَيْكَ وَ اجْعَلْهُمْ بَطَانَتَكَ وَ إِخْوَانَكَ وَ السَّلَامُ

١١٠٠

١١٤-١- قَالَ إِبرَاهِيمُ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ
 كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَ أَهْلَ مِصْرَ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ الْعَمَلِ بِمَا أَنْتُمْ عَنْهُ مَسْئُولُونَ فَأَنْتُمْ بِهِ رَهْنٌ وَ
 إِلَيْهِ صَائِرُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ (١) وَ قَالَ وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢) وَ قَالَ فَوَ
 رَبِّكَ لَنَسْتَأْتِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣) فَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ سَائِلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرِ فَإِنَّ يُعَذِّبُ
 فَتَحْنُ الظَّالِمِينَ وَ إِنْ يَغْفِرْ وَ يَرْحَمْ فَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ حِينَ مَا يَعْمَلُ
 بِطَاعَةِ اللَّهِ وَ مُنَاصَةِ حَتِيهِ فِي التَّوْبَةِ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنَّهَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَجْمَعُ غَيْرُهَا وَ يُدْرِكُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا
 يُدْرِكُ بِغَيْرِهَا خَيْرِ الدُّنْيَا وَ خَيْرِ الْآخِرَةِ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هُدَاهِ
 الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِمَنْ دَارَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ لِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٤) وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ قَدْ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الْخَيْرِ وَ آجِلِهِ
 شَرِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ

ص: ٦٧

١-١ (١) سورة المدثر ٣٨.

٢-٢ (٢) سورة آل عمران ٢٨.

٣-٣ (٣) سورة الحجر ٩٣، ٩٢.

٤-٤ (٤) سورة النحل ٣٠.

وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) سَيَكُونُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ شَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَأَكَلُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَأْكُلُونَ وَ شَرِبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَشْرَبُونَ وَ يَلْبَسُونَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ وَ يَسْكُنُونَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ أَصَابُوا لَذَّةَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَ أَنَّهُمْ عَدَاءٌ مِنْ جِيرَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَتَمَنُونَ عَلَيْهِ لَا يُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لَا يُنْقَصُ لَهُمْ لَذَّةٌ أَمَا فِي هَذَا مَا يَشْتَاقُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَكُمْ إِذَا اتَّقَيْتُمْ رَبَّكُمْ وَ حَفِظْتُمْ نَبِيَّكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَدْ عَبَدْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا عُبِدَ وَ ذَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذُكِرَ وَ شَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شُكِرَ وَ أَخَذْتُمْ بِأَفْضَلِ الصَّبْرِ وَ جَاهَدْتُمْ بِأَفْضَلِ الْجِهَادِ وَ إِنْ كَانَ غَيْرِكُمْ أَطْوَلَ صِلَاةً مِنْكُمْ وَ أَكْثَرَ صِيَامًا إِذَا كُنْتُمْ أَتَقَى لِلَّهِ وَ أَنْصَحَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ص وَ أَخْشَعَ وَ اخْرَدُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ نَزُولَهُ وَ خُذُولَهُ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُفَارِقُ رُوحَهُ جَسَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ إِلَى أَى الْمَنْزِلَتَيْنِ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ أَعِدُّهُ هُوَ لِلَّهِ أَمْ وَلِيُّ لَهُ فَإِنْ كَانَ وَلِيًّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَ شَرَعَ لَهُ طَرِيقُهَا وَ نَظَرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَوْلِيَائِهِ فِيهَا فَرَعَ مِنْ كُلِّ شُغْلٍ وَ وُضِعَ عَنْهُ كُلُّ ثِقَلٍ وَ إِنْ كَانَ عَدُوًّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ النَّارِ وَ سَهَّلَ لَهُ طَرِيقُهَا وَ نَظَرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا وَ اسْتَقْبَلَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَ فَارَقَ كُلَّ سُرُورٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢) وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ قُوَّةٌ فَاخْرَدُوهُ وَ أَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ فَإِنَّكُمْ

ص: ٤٨

١-١) سورة الأعراف ٣٢.

٢-٢) سورة النحل ٢٨، ٢٩.

طُرِدَاءَ لِلْمَيُوتِ إِنَّ قُتْمَتُمْ أَخَذَكُمْ وَإِنْ هَرَبْتُمْ أَدْرَكَكُمْ وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ مَعْتَقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ عِنْدَ مَا تَنَازَعُكُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ فَإِنَّهُ كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ هَادِمٌ اللَّذَاتِ (١) وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ لِمَنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَ يَرْحَمُهُ وَ اخْذَرُوا الْقَبْرَ وَ ضَمَّتَهُ وَ ضَيْفَهُ وَ ظَلَمَتَهُ فَإِنَّهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَنَا بَيْتُ التُّرَابِ وَ أَنَا بَيْتُ الْغُزْبَةِ وَ أَنَا بَيْتُ الدُّودِ وَ الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ إِنْ أَلْمَسِيْلِمَ إِذَا مَيَاتَ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ مَرْحَبًا وَ أَهْلًا قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ أَحَبُّ أَنْ تَمْشِيَ عَلَيَّ ظَهْرِي فَإِذْ وُلِّيْتُكَ فَسَيَتَعَلَّمُ كَيْفَ صُنِعِي بِعَكْ فَيَتَّسِعُ لَهُ مَيْدَ بَصِيرِهِ وَ إِذَا دُفِنَ الْكَافِرُ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ لَا مَرْحَبًا وَ لَا أَهْلًا قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ أُبْغِضُ أَنْ تَمْشِيَ عَلَيَّ ظَهْرِي فَإِذْ وُلِّيْتُكَ فَسَيَتَعَلَّمُ كَيْفَ صُنِعِي بِكَ فَتَنْضُمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ أَضْلَاعُهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ الْمَعِيْشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي قَالَ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةَ ضَنْكًا (٢) هِيَ عَذَابُ الْقَبْرِ فَإِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَيَّ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ حَيَّاتٍ عِظَامٍ تَنْهَشُ لَحْمَهُ حَتَّى يُبْعَثَ لَوْ أَنَّ تَيْنًا مِنْهَا نَفَخَ الْأَرْضُ مَيَا أَنْبَتَ الزَّرْعَ أَيْدَاءُ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ أَنْفُسَكُمْ وَ أَجْسَادَكُمْ الرَّقِيقَةَ النَّاعِمَةَ الَّتِي يَكْفِيهَا الْيَسِيرُ مِنَ الْعِقَابِ ضَعِيفَةٌ عَنْ هَذَا فَإِنْ اسْتَبَطَعْتُمْ أَنْ تَرْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَجْسَادَكُمْ مِمَّا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ وَ لَا صَبْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ فَتَعْمَلُوا بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَتْرَكُوا مَا كَرِهَ فَاَفْعَلُوا وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعْدَ الْقَبْرِ أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ يَوْمَ يَشِيبُ فِيهِ الصَّغِيرُ وَ يَسْكُرُ فِيهِ

ص: ٦٩

(١-١) هاذم: قاطع، وبقية الحديث: «فإنه لا يكون في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا أجزله»، نقله في الجامع الصغير ١: ٩٠.

(٢-٢) سورة طه ١٢٤.

الْكَبِيرِ وَ تَذَهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ اخذَرُوا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ... كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا أَمَا إِنَّ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ فَرَعَهُ اسْتَطَارَ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَ السَّمْعُ الشَّدَادُ وَ الْجِبَالُ الْأَوْتَادُ وَ الْأَرْضُونَ الْمِهَادُ وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَ تَعَيَّرَتْ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالدَّهَانِ وَ كَانَتْ الْجِبَالُ سِرَابًا بَعْدَ مَا كَانَتْ صِمًّا صَالِبًا يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ (١) فَكَيْفَ بِمَنْ يَعْصِيهِ بِالسَّمْعِ وَ الْبَصْرِ وَ اللَّسَانِ وَ الْيَدِ وَ الْفَرْجِ وَ الْبُطْنِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَ يَرْحَمْ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعِيدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدُّ وَ أَذْهَى نَارًا فَعَزَّهَا بَعِيدٌ وَ حَرَّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ وَ مَقَامُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ لَا يَفْتَرُّ عَذَابُهَا وَ لَا يَمُوتُ سَاكِنُهَا دَارٌ لَيْسَتْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا رَحْمَةٌ وَ لَا يُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَ مَعَ هَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا تَعْجِزُ عَنِ الْعِبَادِ وَ جَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَا يَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ أَبَدًا وَ شَهْوَةٌ لَا تَنفَدُ أَبَدًا وَ لَذَّةٌ لَا تَفْنَى أَبَدًا وَ مَجْمَعٌ لَا يَتَفَرَّقُ أَبَدًا قَوْمٌ قَدْ جَاوَرُوا الرَّحْمَنَ وَ قَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْغُلَمَانُ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا الْفَاكِهَةُ وَ الرَّيْحَانُ وَ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ الْجَبَّارَ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَيَكُونُ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ وَ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ يَاقُوتٍ وَ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ مِسْكِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ يَنْظُرُونَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَ يَنْظُرُ اللَّهُ فِي وُجُوهِهِمْ إِذْ أَقْبَلَتْ سَيِّحَابُهُ تَغْشَاهُمْ فَتَمَطَّرُ عَلَيْهِمْ مِنَ النُّعْمَةِ وَ اللَّذَّةِ وَ السَّرُورِ وَ الْبَهْجَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ مَعَ هَذَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ أَمَا إِنَّا لَوْ لَمْ نُخَوِّفْ إِلَّا بَبْغُضٍ مَا خَوْفُنَا بِهِ لَكُنَّا مَحْقُوقِينَ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُنَا مِمَّا لَا طَاقَةَ

ص ٧٠:

لَنَا بِهِ وَلَا صَبْرَ لِقَوَّتِنَا عَلَيْهِ وَ أَنْ يَشْتَدَّ شَوْقُنَا إِلَى مَا لَا غِنَى لَنَا عَنْهُ وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَافْعَلُوا فَإِنَّ الْعَبِيدَ إِنَّمَا تَكُونُ طَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ لِلَّهِ طَاعَةً أَشَدَّهُمْ لَهُ خَوْفًا وَ انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ صَ لَاتَكَ كَيْفَ تُصَلِّيَهَا فَإِنَّمَا أَنْتَ إِمَامٌ يَتَّبِعُ لَكَ أَنْ تُتِمَّهَا وَ أَنْ تُخَفِّفَهَا وَ أَنْ تُصَلِّيَهَا لَوْفَتِهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِمَامٍ يُصَلِّي بِقَوْمٍ فَيَكُونُ فِي صَ لَاتِهِ وَ صَلَاتِهِمْ نَقْصٌ إِلَّا- كَانَ إِثْمٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَ لَا يَنْقُصُ مِنْ صَ لَاتِهِمْ شَيْئًا وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ يَتَّبِعُ صَ لَاتَكَ فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ فَهُوَ لِعِزِّهَا أَشَدُّ تَضَعِيحًا وَ وُضُوءَكَ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ فَأَتِ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَالْوُضُوءُ نِصْفُ الْإِيمَانِ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يَرَى وَ لَا يُرَى وَ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لَا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ أَنْ تُصَلِّدَ قَوْلَكُمْ أَفْعَالَكُمْ وَ أَنْ يَتَوَافَقَ سِرُّكُمْ وَ عَلَانِيَتُكُمْ وَ لَا- تُخَالِفَ أَلْسِنَتُكُمْ قُلُوبَكُمْ فَافْعَلُوا عَصِيئًا مِنَ اللَّهِ وَ إِيَّاكُمْ بِالْهُدَى وَ سَلَمِكَ بِنَا وَ بِكُمْ الْمَحَجَّةَ الْوَسْطَى وَ إِيَّاكُمْ وَ دَعْوَةَ الْكُذَّابِ ابْنِ هِنْدٍ وَ تَأَمَّلُوا وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا سِوَى إِمَامِ الْهُدَى وَ إِمَامِ الرَّدَى وَ وَصِيِّ النَّبِيِّ وَ عَدُوِّ النَّبِيِّ جَعَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ وَ يَرْضَى وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَ لَا- مُشْرِكًا أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيُخْزِيهِ اللَّهُ بِشِرْكِهِ وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مُنَافِقٍ اللَّسَانَ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تَنْكُرُونَ وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أَفْضَلَ الْفَقْهِ الْوَرَعُ فِي دِينِ اللَّهِ وَ الْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ فَعَلَيْكَ بِالتَّقْوَى فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَ عَلَانِيَتِهِ أَوْصِيكَ بِسَبْعِ هُنَّ جَوَامِعُ الْإِسْلَامِ اخْشَ اللَّهَ وَ لَا- تَخْشَ النَّاسَ فِي اللَّهِ وَ خَيْرُ الْقَوْلِ مَا صَدَقَهُ الْعَمَلُ وَ لَا تَقْضِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ بِقَضَاءِ بَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فَيَتَنَاقَضَ

أَمْرَكَ وَتَرْيَغَ عَنِ الْحَقِّ وَ أَحَبَّ لِعِيَامِهِ رَعِيَّتِكَ مِمَّا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ وَ أَكْرَهَ لَهُمْ مِمَّا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَ أَصْلَحَ أحوَالَ رَعِيَّتِكَ وَ خُضَّ
الْعَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَ لَا تَخَفْ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَ انصَحْ لِمَنْ اسْتَشَارَكَ وَ اجْعَلْ نَفْسَكَ أُسْوَةً لِقَرِيبِ الْمُسْلِمِينَ وَ بَعِيدِهِمْ جَعَلَ اللَّهُ خُلَّتْنَا
وَ وُدَّنَا خَلَّةَ الْمُتَّقِينَ وَ وُدَّ الْمُخْلِصِينَ وَ جَمَعَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ فِي دَارِ الرِّضْوَانِ إِخْوَانًا عَلِيًّا سُرُرًا مُتَقَابِلِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١١٠١

١- قَالَ إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ الثَّقَفِيِّ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ عَنْ أَصِيحَابِهِ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا
كُتِبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ هَذَا الْكِتَابَ كَانَ يَنْظُرُ فِيهِ وَ يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِهِ فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعِيَاصِ وَ قَتَلَهُ أَخَذَ كُتُبَهُ أَجْمَعَ
فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَنْظُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَ هُوَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ وَ قَدْ رَأَى إِعْجَابَهُ بِهِ
مِنْ بَهْدِهِ الْأَحَادِيثِ أَنْ تُحْرَقَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَهْ لَا رَأَى لَكَ فَقَالَ الْوَلِيدُ أَمِنْ الرَّأْيِ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ أَحَادِيثَ أَبِي تُرَابٍ عِنْدَكَ
تَتَعَلَّمُ (١) مِنْهَا قَالَ مُعَاوِيَةُ وَيَحْكُكَ أَ تَأْمُرُنِي أَنْ أُحْرَقَ عِلْمًا مِثْلَ هَذَا وَ اللَّهُ مَا سَمِعْتُ بِعِلْمٍ هُوَ أَجْمَعُ مِنْهُ وَ لَا أَحْكَمُ فَقَالَ الْوَلِيدُ إِنْ
كُنْتُ تَعَجَّبُ مِنْ عِلْمِهِ وَ قَضَيْتَهُ فَعَلَّامٌ تَقَاتَلَهُ فَقَالَ لَوْ لَا أَنَّ أَبَا تُرَابٍ قَتَلَ عُثْمَانَ ثُمَّ أَفْتَانًا لَأَخَذْنَا عَنْهُ ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ نَظَرَ إِلَى
جُلَسَائِهِ فَقَالَ إِنَّا لَا نَقُولُ إِنَّ هَذِهِ مِنْ كُتُبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ لَكِنْ نَقُولُ هَذِهِ مِنْ كُتُبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ كَانَتْ عِنْدَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ
فَنَحْنُ نَنْظُرُ فِيهَا وَ نَأْخُذُ مِنْهَا.

قَالَ فَلَمْ تَزَلْ تَلْعَكَ الْكُتُبُ فِي خَزَائِنِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى وُلِّيَ (٢) عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ أَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ع

قلت الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه و يعجب منه

ص: ٧٢

١- ١) ج: «تعلم».

٢- ٢) ج: «تولى».

و يفتى به و يقضى بقضاياه و أحكامه هو عهد على ع إلى الأشتر فإنه نسيح وحده و منه تعلم الناس الآداب و القضايا و الأحكام و السياسه و هذا العهد صار إلى معاويه لما سم الأشتر و مات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه و يعجب منه و حقيق من مثله أن يقتنى فى خزائن الملوك.

١١٠٢

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا عَ أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ صَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ حُزْنًا .

١١٠٣

١- وَ حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ مَيْسِرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ صِلَى بِنَا عَلِيًّا عَ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَقَدْ عَثَرْتُ عَثْرَةً لَا أَعْتَدِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَ أَسْتَمِرُّ (١) وَ أَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّيْئَ الْمُنْتَشِرَ (٢) فَقُلْنَا مَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصِرَ فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لِي بِالسُّنَنِ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ أَدَبٌ وَ سُنَّةٌ فَقَتِلَ وَ أُحِذَ الْكِتَابُ

١١٠٤

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ عَنِ ابْنِ أَبِي سَيْفِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ فَلَمَّ يَلْبَثُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَهْرًا كَامِلًا حَتَّى بَعَثَ إِلَى أَوْلِيكَ الْمُعْتَرِلِينَ الَّذِينَ كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مُوَادِعًا لَهُمْ فَقَالَ يَا هَوْلَاءِ إِمَّا أَنْ تَدْخُلُوا فِي طَاعِنَنَا وَ إِمَّا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ بِلَادِنَا فَبَعَثُوا إِلَيْهِ أَنَّا لَا نَفْعَلُ فَدَعَانَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِحُّ بِهِ إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا فَأَبَى عَلَيْهِمْ فَاثْتَنَعُوا مِنْهُ وَ أَخَذُوا حِذْرَهُمْ ثُمَّ كَانَتْ وَفَعَهُ صَفِيْن وَ هُمْ لِمُحَمَّدٍ هَائِبُونَ فَلَمَّا أَتَاهُمْ خَبِرُ مُعَاوِيَةَ وَ أَهْلُ الشَّامِ ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْحُكُومَةِ وَ أَنَّ عَلِيًّا وَ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ قَفَلُوا عَنِ مُعَاوِيَةَ وَ الشَّامِ إِلَى عِرَاقِهِمْ اجْتَرَأُوا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ أَظْهَرُوا الْمُنَابَذَةَ لَهُ فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدٌ ذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ جَمْهَانَ الْبَلَوِيِّ وَ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِنَانِيُّ فَقَاتَلَاهُمْ

ص: ٧٣

١- ١) كاس يكيس و أكيس، من الكيس؛ و هو ضد الحمق. و استمر، أى أقوى و اشتد.

٢- ٢) المنتشر: التفرق.

فَقَتَلُوهُمَا ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ فَقَتَلُوهُ أَيْضًا وَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ مِنَ السَّكَاكِ يَدْعُو إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ وَنَاسٌ كَثِيرٌ آخَرُونَ وَفَسَدَتْ مِصْرُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَبَلَغَ عَلِيًّا تَوَثُّبَهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا أَرَى لِمِصْرٍ إِلَّا أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ صَاحِبِنَا الَّذِي عَزَلْنَا بِالْأَمْسِ يَعْنِي قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَوْ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ وَكَانَ عَلِيٌّ حِينَ رَجَعَ عَنْ صِفِّينَ رَدَّ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِهِ بِالْجَزِيرَةِ وَقَالَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ أَقِمْ أَنْتَ مَعِيَ عَلَى شُرْطَتِي حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَى آذْرِيحِ بْنِ فَكَانَ قَيْسٌ مُقِيمًا عَلَى شُرْطَتِهِ فَلَمَّا أَنْ انْقَضَى أَمْرُ الْحُكُومَةِ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى الْأَشْتَرِ وَهُوَ يَوْمئِذٍ بِنَصِيِّينَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمِعْ بِهِ نَخْوَةَ الْمَأْثِمِ وَأَسِدْ بِهِ الثَّغَرَ الْمَخُوفَ وَقَدْ كُنْتُ وَلِيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ فَخَرَجْتُ عَلَيْهِ خَوَارِجٌ وَهُوَ غُلَامٌ حَدَثَ السِّنُّ لَيْسَ بِعَدِي تَجْرِبَةً لِلْحُرُوبِ فَأَقْدَمَ (١) عَلِيٌّ لِنَنْظَرُ فِيمَا يَتَّبِعِي وَاسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَمَلِكَ أَهْلَ الثَّقَفِ وَ النَّصِيحَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ وَالسَّلَامُ .

فَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ شَيْبِ بْنِ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ وَهُوَ جَدُّ الْكِرْمَانِيِّ الَّذِي كَانَ بِخُرَاسَانَ صَاحِبُ نَضْرِ بْنِ سَيَّارٍ فَلَمَّا دَخَلَ الْأَشْتَرُ عَلَى عَلِيٍّ حَدَّثَهُ حَدِيثَ مِصْرَ وَخَبْرَهُ خَبْرَ أَهْلِهَا وَقَالَ لَهُ لَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ فَاخْرُجْ إِلَيْهَا رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنِّي لَا أَوْصِيكَ بِكَ اِكْتِفَاءً بِرَأْيِكَ وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ وَاخْلُطِ الشَّدَّةَ بِاللِّينِ وَارْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَبْلَغَ وَاعْتَرِّمْ عَلَى الشَّدَّةِ حِينَ لَا يُعْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ .

فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَى بِرَحْلِهِ وَ أَتَتْ مُعَاوِيَةَ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ بِوَلَايَةِ الْأَشْتَرِ مِصْرَ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ طَمِعَ فِي مِصْرَ فَعَلِمَ أَنَّ الْأَشْتَرِ إِنْ قَدِمَ عَلَيْهَا كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَبَعَثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْخُرَاجِ يَتَّقِي بِهِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَشْتَرِ قَدْ وُلِيَ مِصْرَ فَإِنْ كَفَيْتَنِيهِ لَمْ أَخُذْ مِنْكَ خَرَاجًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَتْ فَاحْتَلْ فِي هَلَاقِهِ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ .

ص: ٧٤

(١- ١) يقال: قدم الرجل البلد يقدمه، من باب تعب.

فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَى الْقَلْزَمِ (١) حَيْثُ تَرَكُبُ السُّفُنُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْحِجَازِ فَأَقَامَ بِهِ فَقَالَ لَهُ ذَاكَ الرَّجُلُ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَكَانَ مَكَانَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ هَذَا مَنْزِلٌ فِيهِ طَعَامٌ وَعَلْفٌ وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْخَرَاجِ فَأَقِمْ وَاسْتَرِحْ وَأَتَاهُ بِالطَّعَامِ حَتَّىٰ إِذْ طَعِمَ سَبَّحَهُ شَرِبَهُ عَسَلٌ قَدْ جَعَلَ فِيهَا سَمًّا فَلَمَّا شَرِبَهَا مَاتَ

١١٠٥

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ عَلَىٰ يَدِ الْأَشْتَرِ كِتَابًا إِلَىٰ أَهْلِ مِصْرَ رَوَىٰ ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنِ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَنْ بِمِصْرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبِيدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْيَادِ حِذَارَ الدَّوَائِرِ لَا نَاكِلٌ مِنْ قَدَمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ مِنْ أَشَدِّ عِبَادِ اللَّهِ بَأْسًا وَأَكْرَمِهِمْ حَسَبًا أَضْرُّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَأَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ دَنْسٍ أَوْ عَارٍ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ حُسَامٌ صَارِمٌ لَا نَابِي الضَّرِيْبَةَ وَلَا كَلِيلُ الْحَيْدِ حَلِيمٌ فِي السَّلْمِ رَزِينٌ فِي الْحَرْبِ ذُو رَأْيٍ أَصِيلٌ وَصَبِيرٌ جَمِيلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فَإِنِ أَمَرَكُمْ بِالنَّفْرِ فَانْفَرُوا وَإِنِ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخَجِّمُ إِلَّا بِأَمْرِي وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي نَصِيحَةً لَكُمْ وَشِدَّةَ شَكِيمَةٍ (٢) عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ عَصِيَّةً مَكُومًا بِاللَّهِ بِالْهَدَىٰ وَتَبَتُّكُمْ بِالتَّقْوَىٰ وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

١١٠٦

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَرَوَىٰ جَابِرٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ هَلَكَ الْأَشْتَرُ حِينَ أَتَىٰ عَقَبَةَ أَفِيْقٍ (٣) .

١١٠٧

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَحَدَّثَنَا وَطْبَةُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ الْمِنْهَالِ الْغَنَوِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَاصِمِ

ص: ٧٥

١- (١) القلزم: مدينه بمصر على رأس الخليج المضاف إليها، و أطلالها الآن قرب مدينه السويس.

٢- (٢) الشكيمه: الأنفه و الانتصار من الظلم.

٣- (٣) أفیق، بالفتح ثم الكسر: قريه من حوران.

بْنِ كَلْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا بَعَثَ الْأَشْتَرِ إِلَى مِصْرَ وَالْيَا عَلَيْهِمَا وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ خَبْرَهُ بَعَثَ رَسُولًا يُشْعِبُ الْأَشْتَرِ إِلَى مِصْرَ وَ أَمَرَهُ بِاِغْتِيَالِهِ فَحَمَلَ مَعَهُ مِزْوَدَيْنِ فِيهِمَا شَرَابٌ وَ صَحِبَ الْأَشْتَرِ فَاسْتَسْقَى الْأَشْتَرُ يَوْمًا فَسَقَاهُ مِنْ أَحَدِهِمَا ثُمَّ اسْتَسْقَى يَوْمًا آخَرَ مِنْهُ فَسَقَاهُ مِنَ الْآخِرِ وَ فِيهِ سَمٌّ فَشَرِبَهُ فَمَالَتْ عُنُقُهُ وَ طَلَبَ الرَّجُلُ فَفَاتَهُمْ

١١٠٨

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنَا مُحَرَّرُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مُعِيرَةَ الضَّبِّيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَسَّ لِلْأَشْتَرِ مَوْلَى لآلِ عُمَرَ فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْلَى يَذْكُرُ لِلْأَشْتَرِ فَضَلَ عَلِيٌّ وَ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَ اسْتَأْنَسَ بِهِ فَصَدِمَ الْأَشْتَرُ يَوْمًا ثَقَلَهُ (١) أَوْ تَقَدَّمَ ثَقَلَهُ فَاسْتَسْقَى مَاءً فَقَالَ لَهُ مَوْلَى آلِ عُمَرَ (٢) وَ هَلْ لَكَ فِي شَرْبِهِ سَوِيْقٍ فَسَقَاهُ شَرْبَهُ سَوِيْقٍ فِيهَا سَمٌّ فَمَاتَ.

وَ قَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ قَمَالَ لِأَهْلِ الشَّامِ لَمَّا دَسَّ إِلَيْهِ مَوْلَى آلِ عُمَرَ ادْعُوا عَلِيَّ الْأَشْتَرِ فَدَعَوْا عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُهُ قَالَ أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ اسْتُجِيبَ لَكُمْ.

١١٠٩

قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ رَوَى مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ أَنَّ الْأَشْتَرَ قُتِلَ بِمِصْرَ بَعْدَ قِتَالِ شَدِيدٍ.

وَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ سَقَى سَمَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مِصْرَ .

١١١٠

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيْفِ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَقْبَلَ يَقُولُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا قَدْ وَجَّهَ الْأَشْتَرِ إِلَى مِصْرَ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَكْفِيَكُمْوهُ فَكَانُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ فِي دُبُرِ كُلِّ صِيْلَةٍ وَ أَقْبَلَ الَّذِي سَقَاهُ السَّمَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهِلَا- كَ الْأَشْتَرِ فَصَامَ مُعَاوِيَةَ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا فَقَالَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّهُ كَانَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَدَانِ يَمِينَانِ فَقَطَعَتْ إِحْدَاهُمَا يَوْمَ صِفِّينَ وَ هُوَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَ قَدْ قُطِعَتْ الْآخْرَى الْيَوْمَ وَ هُوَ مَالِكُ الْأَشْتَرِ

ص: ٧٤

(١- ١) الثَّقَل: زاد المسافر.

(٢- ٢) ب: «مولى عمر».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا مَوْتَ الْأَشْتَرِ قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَسْبِئُ بِكَ فَإِنَّ مَوْتَهُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ ثُمَّ لَقِيَ رَبَّهُ مَعَ أَنَا قَدْ وَطَّنَا أَنْفُسَنَا أَنْ نَصِيبَ عَلَى كُلِّ مَصِيبَةٍ بَعِيدٍ مُصَابِنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ص فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصِيبَاتِ .

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ الْمُرَادِيُّ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مُغِيرَةَ الصَّبِيِّ قَالَ لَمْ يَزَلْ أَمْرٌ عَلَيَّ شَدِيداً حَتَّى مَاتَ الْأَشْتَرُ وَ كَانَ الْأَشْتَرُ بِالْكُوفَةِ أَسْوَدَ مِنْ الْأَخْفِ بِالْبَصْرَةِ .

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ أَبِي سَيْفِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَشْيَاحِ النَّخَعِ قَالُوا دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُ الْأَشْتَرِ فَوَحَى دِنَاهُ يَتَلَهَّفُ وَ يَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ دَرُّ مَالِكٍ وَ مَا مَالِكٌ لَوْ كَانَ مِنْ جَبَلٍ لَكَانَ فَنْدًا (١) وَ لَوْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ لَكَانَ صَيْلِدًا أَمَا وَ اللَّهُ لَيُهَيِّدَنَّ مَوْتَكَ عَالِماً وَ لَيُفْرِحَنَّ عَالِماً عَلَى مِثْلِ مَالِكٍ فَلْتَبْكِي الْبَوَاكِي وَ هَلْ مَرَجُوْ كَمَا لِكِ وَ هَلْ مَوْجُوْ كَمَا لِكِ .

قَالَ عَلَقَمَةُ بْنُ قَيْسِ النَّخَعِيِّ فَمَا زَالَ عَلِيٌّ يَتَلَهَّفُ وَ يَتَأَسَّفُ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ الْمُصَابُ بِهِ دُونَنَا وَ عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَيَّاماً .

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا مَوْلَى لِلْأَشْتَرِ قَالَ لَمَّا هَلَكَ الْأَشْتَرُ أَصِيبَ (٢) فِي ثَقَلِهِ رِسَالَةٌ عَلَيَّ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى النَّفَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ إِذْ عَصَى فِي الْأَرْضِ وَ ضَرَبَ الْجَوْرَ بِرِوَاقِهِ عَلَى النَّبْرِ وَ الْفَاجِرِ فَلَا حَقَّ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ وَ لَا مُنْكَرٌ يَتَنَاهَى عَنْهُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

١- (١) الفند: الجبل العظيم.

٢- (٢) أصيب: أى وجد.

أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ فِي الْخَوْفِ وَلَا يَنْكَلُ مِنَ الْأَعْدَاءِ حَذَارَ الدَّوَائِرِ أَشَدُّ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَهُوَ مَالِكُ بَنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا فَإِنَّهُ سَيُفِي اللَّهُ لَا نَابِي الضَّرْبِيهِ (١) وَلَا كَلِيلُ الْحَيْدِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَأَقِيمُوا وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُحْجِمُوا فَاحْجِمُوا فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ إِلَّا بِأَمْرِي وَقَدْ آثَرْتُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصَةِ يَحْتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ عَصَمَكُمْ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَتَبَّتْكُمْ بِالتَّقْوَى وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

١١١٥

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ رَجُلٍ أَلِهَ أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ وَجَّهَ الْأَشْتَرَ إِلَى مِصْرَ شَقَّ عَلَيْهِ فَكَتَبَ عِ إِلَيْهِ عِنْدَ مَهْلِكِ الْأَشْتَرِ أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ وَ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ عَنِ الْجِهَادِ وَلَا اسْتِرَادَةً (٢) لَكَ مِنِّي فِي الْجِدِّ وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا حَوَتْ يَدَاكَ مِنْ سِلْطَانِكَ لَوَلَّيْتِكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مَثُونَهُ عَلَيْكَ وَ أَعْجَبُ وَلَايَهُ إِلَيْكَ إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي وَلَّيْتَهُ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا مَنَاصِحًا حَاً وَ هُوَ عَلَى عِدُونَا شَدِيدٌ فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ اسْتَيْكَمَلَ أَيَّامَهُ وَ لَاقَى حِمَامَهُ وَ نَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ فَرَضِي لِي اللَّهُ عَنْهُ وَ ضَاعَفَ لَهُ الثَّوَابَ وَ أَحْسَنَ لَهُ الْمَآبَ فَاصْبِرْ حِرْ (٣) لِعَدُوِّكَ وَ شَمِّرْ لِلْحَرْبِ وَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ أَكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ وَ الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ وَ الْخَوْفَ مِنْهُ يَكْفِكَ مَا هَمَّكَ وَ يُعِنِّكَ عَلَى مَا وَلَاكَ أَعَانَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكَ عَلَى مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ وَ السَّلَامُ.

قَالَ فَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ جَوَابَهُ

ص: ٧٨

١- (١) الضربيه: السيف و حده.

٢- (٢) ج: «استراده»، بالراء، أى رغبه.

٣- (٣) أصحح لعدوك؛ أى ابرز له فى العراء.

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ. سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ انْتَهَى إِلَيَّ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَهَّمْتُهُ وَعَرَفْتُ مَا فِيهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَشَدَّ عَلَيَّ عَدُوًّا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَرْأفَ وَأَرْقَ لَوْلِيَّتِهِ مِنِّي وَ قَدْ خَرَجْتُ فَعَسَى كَرُوتٌ وَأَمْنْتُ النَّاسَ إِلَّا مَنْ نَصَبَ لَنَا حَرْبًا وَأَظْهَرَ لَنَا خِلَافًا وَأَنَا أَتَّبِعُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَافِظٌ وَلا جِئْتُ إِلَيْهِ وَ قَائِمٌ بِهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالسَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

١١١٦

١- قَالَ إِبْرَاهِيمَ فَحَدَّثَتْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ ابْنِ سَيْفِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي جَهْضَمِ الْأَزْدِيِّ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمَّا انْصَرَفُوا عَنْ صِفِّينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي بِهِ الْحَكَمَانِ فَلَمَّا انْصَرَفَا وَتَفَرَّقَا وَبَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ لَمْ يَزِدْ مُعَاوِيَةَ إِلَّا قُوَّةً وَ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ يَكُنْ هُمْ مُعَاوِيَةَ إِلَّا مُضِرًّا وَ قَدْ كَانَ لِأَهْلِهَا هَائِبًا لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ وَ شَدِيدًا عَلَيْهِمْ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِ عُثْمَانَ وَ قَدْ كَانَ عَلِيمًا أَنَّ بِهَا قَوْمًا قَدْ سَاءَ هُمْ قَتْلُ عُثْمَانَ وَ خَالَفُوا عَلِيًّا مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا مُعَاوَنَةٌ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا عَلَى حَرْبِ عَلِيِّ لَوْفُورِ خَرَجِهَا فَدَعَا مُعَاوِيَةَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَ هُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ وَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ وَ بُسَيْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاهِ الْعَامِرِيُّ وَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسِ الْفِهْرِيُّ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُخْزُومِيُّ وَ دَعَا مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ نَحْوَ شُرْحَبِيلِ بْنِ السَّمْطِ الْحَمِيرِيِّ وَ أَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ وَ حَمْرَةَ بْنِ مَالِكِ الْهَمْدَانِيِّ فَقَالَ أَ تَدْرُونَ لِمَا دَا دَعَوْتُكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ هُوَ لِي مِنْهُمْ وَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ أَعَانَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ قَالَ لَهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْلِعْ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا وَ لَسْنَا نَدْرِي مَا تُرِيدُ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَرَى وَاللَّهِ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ لِكَثْرَةِ خَرَجِهَا وَ عَدَدِ أَهْلِهَا قَدْ أَهَمَّكَ (١)

ص: ٧٩

(١-١) ج: «همك».

فَدَعَوْتَنَا تَسْأَلُنَا عَنْ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ فَإِنْ كُنْتَ لِدَلِيكَ دَعَوْتَنَا وَ لَهُ جَمَعْتَنَا فَاعْزِمْ وَ اصْرِمْ وَ نِعْمَ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ إِنَّ فِي افْتِتَاحِهَا عِزَّكَ
وَ عِزَّ أَصْحَابِكَ وَ ذُلَّ عَدُوِّكَ وَ كَبْتَ أَهْلَ الْخِلَافِ عَلَيْكَ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ أَهْمَكَ مَا أَهَمَّكَ يَا ابْنَ الْعِصِ وَ ذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا كَانَ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى قِتَالِ عَلِيٍّ وَ أَنَّ مِصْرَ لَهُ طُعْمَةٌ مَا بَقِيَ فَأَقْبَلَ
مُعَاوِيَةُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ قَالَ إِنَّ هَذَا يَعْنِي ابْنَ الْعِصِ قَدْ ظَنَّ وَ حَقَّقَ ظَنَّهُ قَالُوا وَ لَكِنَّا لَا نَدْرِي وَ لَعَلَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ أَصَابَ فَقَالَ
عَمْرُو وَ أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ أَفْضَلَ الظُّنُونِ مَا شَابَهُ اليَقِينِ.

ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ حَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ رَأَيْتُمْ كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ فِي حَرْبِكُمْ هَذِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ وَ
هُمْ لَا يَشْكُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَأْصِلُونَ بَيْنَ صَنْتِكُمْ وَ يَجُوزُونَ بِبِلَادِكُمْ مَا كَانُوا يَرُونَ إِلَّا أَنَّكُمْ فِي أَيْدِيهِمْ فَزِدْهُمْ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ
كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَ كَفَاكُمْ مَثُونَتَهُمْ.

وَ حَاكَمْتُمُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَحَكَمَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ ثُمَّ جَمَعَ كَلِمَتَنَا وَ أَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ جَعَلَهُمْ أَعْدَاءَ مُتَفَرِّقِينَ يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
بِالْكُفْرِ وَ يَشْفِكُ بَعْضُهُمْ دَمَ بَعْضٍ وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُتِمَّ اللَّهُ لَنَا هَذَا الْأَمْرَ وَ قَدْ رَأَيْتَ أَنْ أَحَاوَلَ حِزْبَ مِصْرَ فَمَا ذَا تَرُونَ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعِصِ قَدْ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا سَأَلْتَ وَ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِمَا سَمِعْتُ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا تَرُونَ فَقَالُوا نَرَى مَا رَأَى عَمْرُو بْنُ الْعِصِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ عَمْرًا قَدْ عَزَمَ وَ صَيَّرَ بِمَا قَالَ وَ لَمْ يُفَسِّرْ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ
نُصْنَعُ.

قَالَ عَمْرُو فَإِنِّي مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِمَا تَصْنَعُ أَرَى أَنْ تَبْعَثَ جَيْشًا كَثِيفًا عَلَيْهِمْ رَجُلٌ صَارِمٌ تَأْمَنُّهُ وَ تَتَّقِي بِهِ فَيَأْتِي مِصْرَ فَيَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ سَيَأْتِينَا
مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا مِنْ أَهْلِهَا فَتُظَاهِرُهُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ عِيدُونَا فَإِنْ اجْتَمَعَ بِهَا جُنْدُكَ وَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ شِيَعَتِكَ عَلَى مَنْ بِهَا
مِنْ أَهْلِ حَرْبِكَ رَجَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعِزَّ نَصْرَكَ وَ يُظْهِرَ فَلْجَكَ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا نَعْمَلُهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قَبْلَ هَذَا قَالَ مَا أَعْلَمُهُ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ رَأْيِي غَيْرُ هَذَا أَرَى أَنْ نُكَاتِبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ شَيْعَتِنَا وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ عِدْوَانَا فَأَمَّا شَيْعَتُنَا فَنَأْمُرُهُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَنُثَمِّنُهُمْ قُدُومَنَا عَلَيْهِمْ وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ عِدْوَانَا فَنَدْعُوهُمْ إِلَى صُدُوحِنَا وَنُثَمِّنُهُمْ شُكْرَنَا وَنُخَوِّفُهُمْ حَرْبَنَا فَإِنْ صَلَحَ لَنَا مَا قَبْلَهُمْ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ فَذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا وَإِلَّا فَحَرْبُهُمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ.

إِنَّكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَأَمْرٌ (١) بُورِكَ لَكَ فِي الْعَجَلِ وَبُورِكَ لِي فِي التَّوَدِّهِ.

قَالَ عَمْرُو فَاعْمَلْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْرَكَ وَأَمْرَهُمْ يَصِيرُ إِلَّا إِلَى الْحَرْبِ.

قَالَ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدِ الْأَنْصَارِيِّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجِ الْكِنْدِيِّ وَكَانَا قَدْ خَالَفَا عَلِيًّا أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ ابْتَعَثَكُمْ لِأَمْرِ عَظِيمٍ أَعْظَمَ بِهِ أَجْرُكُمْ وَرَفَعَ دَرَجَتُكُمْ وَأَمْرٌ بَتُّكُمْ فِي الْمُسْلِمِينَ طَلَبْتُمَا بِدَمِ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ وَغَضِبْنَا لِلَّهِ إِذْ تَرَكْتُمْ حُكْمَ الْكِتَابِ وَجَاهَدْتُمَا أَهْلَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانَ فَأَبْشِرَا بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَعَاجِلًا نُضْرَهُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالْمُؤَاسَاةَ لَكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانَنَا حَتَّى يَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى مَا يُرْضِيكُمْ وَيُؤَدِّي بِهِ (٢) حَقُّكُمْ فَالزُّمَّا أَمْرَكُمْ وَجَاهِدَا عِدْوَكُمْ وَادْعُوا الْمُدْبِرِينَ مِنْكُمْ إِلَى هَذَا كَمَا فَكَانَ الْجَيْشُ قَدْ أَظَلَّ عَلَيْكُمْ فَأَنْدَفِعْ كُلُّ مَا تَكْرَهَانِ وَدَامَ كُلُّ مَا تَهْوِيَانِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ مَعَ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ سُبَيْعٌ فَخَرَجَ بِكِتَابِهِ حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَيْهِمَا بِمِصْرَ

ص: ٨١

١-١) ساقطه من ا،ب.

٢-٢) ا،ج: «و يوفى».

وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَوْمئِذٍ أَمِيرُهَا قَدْ نَاصَبَهُ هَوْلَاءِ النَّفَرِ الْحَزْبِ وَ هُمْ هَائِبُونَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ فَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ فَقَرَأَهُ فَقَالَ الْقَى بِهِ مُعَاوِيَةَ بْنُ حُدَيْجٍ ثُمَّ الْقِنَى بِهِ حَتَّى أُجِيبَ عَنِّي وَ عَنْهُ فَانْطَلَقَ الرَّسُولُ بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنَّ مَسْلَمَةَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُرَدَّ الْكِتَابَ إِلَيْهِ لِكَيْ يُجِيبَ عَنْكَ وَ عَنْهُ قَالَ قُلْ لَهُ فَلْيَفْعَلْ فَأَتَى مَسْلَمَةَ بِالْكِتَابِ فَكَتَبَ الْجَوَابَ عَنْهُ وَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ نَدَبْنَا لَهُ أَنْفُسَنَا وَ ابْتَغَيْنا اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ عَدُوْنَا أَمْرٌ نَرْجُو بِهِ ثَوَابَ رَبِّنَا وَ النَّصْرَ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَنَا وَ تَعْجِيلَ النَّقْمَةِ عَلَيَّ مَنْ سَعَى عَلَيَّ إِمَامِنَا وَ طَاطَأَ الرَّكْضَ فِي مَهَادِنَا وَ نَحْنُ بِهَيْدِهِ الْمَارِضِ قَدْ نَفَيْنَا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ وَ أَنْهَضْنَا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْقِسْطِ وَ الْعَدْلِ وَ قَدْ ذَكَرْتَ مُوَازَرَتَكَ فِي سُلْطَانِكَ وَ ذَاتِ يَدِكَ وَ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَا مِنْ أَجْلِ مَالٍ نَهَضْنَا وَ لَا إِيَّاهُ أَرَدْنَا فَإِنَّ يَجْمَعُ اللَّهُ لَنَا مَا نُرِيدُ وَ نَطْلُبُ أَوْ يُرِينَا [يُرِينَا]

مَا تَمَنَيْنَا فَإِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ قَدْ يُثَوِّبُهُمَا اللَّهُ جَمِيعاً عَالِماً مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ فَاتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابِ الدُّنْيَا وَ حُسْنِ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١) عَجَّلْ لَنَا بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ فَإِنَّ عِيدُونَا قَدْ كَانَ عَلَيْنَا حَرِيئاً (٢) وَ كُنَّا فِيهِمْ قَلِيلاً وَ قَدْ أَصِيبُحُوا لَنَا هَائِبِينَ وَ أَصْبَحْنَا لَهُمْ مُنَابِدِينَ فَإِنْ يَأْتِنَا مَدَدٌ مِنْ قَبْلِكَ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ هُوَ حَسْبُنَا وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ

قَالَ فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ مُعَاوِيَةَ وَ هُوَ يَوْمئِذٍ بِفَلَسْطِينَ فَدَعَا النَّفَرَ الَّذِينَ سَمِعْنَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَ غَيْرِهِمْ وَ أَقْرَأَهُمُ الْكِتَابَ وَ قَالَ لَهُمْ مَاذَا تَرَوْنَ قَالُوا نَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشاً مِنْ قَبْلِكَ فَأَنْتَ مُفْتَتِحُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ مُعَاوِيَةَ فَتَجَهَّزْ إِلَيْهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْني عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَبَعَثَهُ فِي سِتِّهِ آلَافٍ

ص: ٨٢

١-١) سورة آل عمران ١٤٨.

٢-٢) كذا في ج، و في ا، ب: «؟؟؟».

فَخَرَجَ يَسِيرًا وَخَرَجَ مَعَهُ مُعَاوِيَةُ يُودِّعُهُ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ وَدَاعِهِ إِيَّاهُ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ يَا عَمْرُو وَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّهُ يُمَنَّ وَ بِالتُّؤَدَةِ فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَ بِأَنْ تَقْبَلَ مَنْ أَقْبَلَ وَ تَعْفُو عَمَّنْ أَدْبَرَ أَنْظِرْهُ فَإِنَّ تَابَ وَ أَنَابَ قَبِلَتْ مِنْهُ وَ إِنْ أَبَى فَإِنَّ السَّطْوَةَ بَعِيدَ الْمَعْرِفَةِ أُبْلَغَ فِي الْحُجَّةِ وَ أَحْسِنَ فِي الْعِيَاقِبَةِ وَ اذْعُ النَّاسَ إِلَى الصُّلْحِ وَ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ أَنْتَ ظَفِرْتَ فَلْيُكُنْ أَنْصِيَارُكَ أَبْرَ النَّاسِ عِنْدَكَ وَ كُلِّ النَّاسِ فَأَوْلَى حُسْنًا.

قَالَ فَسَارَ عَمْرُو فِي الْجَيْشِ حَتَّى دَنَا مِنْ مِصِرَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْعُتَمِيَّةُ فَأَقَامَ وَ كَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَمَّا بَعْدُ فَتَنَحَّ عَنِّي بِعَدَمِكَ يَا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يُصَيَّبَكَ مِنِّي ظَفِرٌ وَ إِنْ النَّاسَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ خِلَافِكَ وَ رَفَضَ أَمْرَكَ وَ نَدِمُوا عَلَيَّ اتِّبَاعَكَ وَ هُمْ مُسْلِمُونَ لَوْ قَدِ التَّقْتُ حَلَقْنَا الْبِطَانَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ وَ السَّلَامُ.

قَالَ وَ بَعَثَ عَمْرُو إِلَى مُحَمَّدٍ مَعَ هَذَا الْكِتَابِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ وَ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ غَبَّ (١) الظُّلْمَ وَ الْبَغْيَ عَظِيمَ الْوَبَالِ وَ إِنْ سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ النَّقْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ التَّبَعَةِ الْمَوْبِقَةِ فِي الْآخِرَةِ وَ مَا نَعَلِمُ أَحَدًا كَانَ أَعْظَمَ عَلَى عُثْمَانَ بَغْيًا وَ لَا أَسْوَأَ لَهُ عَيْبًا وَ لَا أَشَدَّ عَلَيْهِ خِلَافًا مِنْكَ سَيِّعَتْ عَلَيْهِ فِي السَّاعِينَ وَ سَاعِدَتْ عَلَيْهِ مَعَ الْمُسَاعِدِينَ وَ سَفَكَتْ دَمَهُ مَعَ السَّافِكِينَ ثُمَّ تَطَنَّ أَنِّي نَائِمٌ عَنْكَ فَتَأْتِي بِلُدَّةٍ فَتَأْمَنُ فِيهَا وَ جُلُّ أَهْلِهَا أَنْصَارِي يَرُونَ رَأْيِي وَ يَرْفُضُونَ قَوْلَكَ وَ يَسْتَضْرِحُونَنِي عَلَيْكَ وَ قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ قَوْمًا حَنَاقًا عَلَيْكَ يَسْفِكُونَ دَمَكَ وَ يَتَفَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِجِهَادِكَ وَ قَدْ أَعْطُوا اللَّهَ عَهْدًا لِيُقْتُلَنَّكَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَيْكَ مَيَا قَالُوا لَقَتَلْنَاكَ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَ أَنَا أَحَدٌ دُرُكَ وَ أَنْذِرُكَ فَإِنَّ اللَّهَ مُقِيدٌ مِنْكَ وَ مُفْتَضٌ لَوْلِيهِ وَ خَلِيفَتِهِ بِظُلْمِكَ لَهُ وَ بَغْيِكَ عَلَيْهِ

ص: ٨٣

وَوَفَّيْتِكَ فِيهِ وَ عَدَاوَتِكَ يَوْمَ الدَّارِ عَلَيْهِ تَطَعَنَ بِمَشَاقِصِكَ (١) فِيمَا بَيْنَ أَحْسَائِهِ وَ أَوْدَاجِهِ وَ مَعَ هَذَا فَإِنِّي أَكْرَهُ قَتْلَكَ وَ لَا أَحِبُّ
أَنْ أَتَوَّلَى ذَلِكَ مِنْكَ وَ لَنْ يَسْلَمَكَ اللَّهُ مِنَ النَّقْمَةِ أَيَّنَ كُنْتَ أَبَدًا فَتَنْحَ وَ أَنْجِ بِنَفْسِكَ وَ السَّلَامُ.

قَالَ فَطَوَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ كِتَابَيْهِمَا وَ بَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ع وَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَاصِيَّ ابْنَ الْعَاصِ قَدْ
نَزَلَ أَدَانِي مِصْرَ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَهُمْ وَ هُوَ فِي جَيْشِ جَرَّارٍ وَ قَدْ رَأَيْتُ مِمَّنْ قَبْلِي بَعْضَ الْفِشْلِ فَإِنْ كَانَ
لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ حَاجَةٌ فَأَمِدْ ذَنِي بِالْأَمْوَالِ وَ الرَّجَالِ وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ.

قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ أَمَّا بَعِيدُ فَصَدَّ أَتَانِي رَسُولُكَ بِكِتَابِكَ تَذَكُّرُ أَنْ ابْنَ الْعَاصِ قَدْ نَزَلَ فِي جَيْشِ جَرَّارٍ وَ أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ
رَأْيِهِ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ وَ خُرُوجُ مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِقَامَتِهِ عِنْدَكَ وَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مِمَّنْ قَبْلَكَ فَشَلًّا فَلَا تَفْشَلْ وَ
إِنْ فِئْتَلُوا حَصَّنْ قَرْيَتِكَ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ شَيْعَتَكَ وَ أَذْكَ الْحَرَسَ فِي عَشِيرَتِكَ وَ انْدُبْ إِلَى الْقَوْمِ كِنَانَهُ بَيْنَ بَشَرِ الْمَعْرُوفِ
بِالنَّصِيحَةِ وَ التَّجْرِبَةِ وَ الْبَأْسِ وَ أَنَا نَادِبٌ إِلَيْكَ النَّاسَ عَلَى الصَّعْبِ وَ الدَّلُولِ فَاصْبِرْ لِعَدُوِّكَ وَ امضِ عَلَى بَصِيْرَتِكَ وَ قَاتِلْهُمْ عَلَى
نَيْتِكَ وَ جَاهِدْهُمْ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ إِنْ كَانَتْ فِتْنَتُكَ أَقْلَ الْفِتْنَتَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِينُ الْقَلِيلَ وَ يَخْذُلُ الْكَثِيرَ وَ قَدْ قَرَأْتُ كِتَابِي
الْفَاجِرِينَ الْمُتَحَيِّبِينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَ الْمُتَلَايِمِينَ عَلَى الضَّلَالَةِ وَ الْمُزْتَشَبِينَ عَلَى الْحُكُومَةِ وَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ الَّذِينَ
اسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ

ص: ٨٤

قَتَلَهُمْ بِخِلَافِهِمْ فَلَا يُضِرُّكَ إِزْعَادُهُمَا وَإِبْرَاقُهُمَا وَاجْبُهُمَا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُجِبْهُمَا بِمَا هُمَا أَهْلُهُ فَإِنَّكَ تَجِدُ مَقَالًا مَا شِئْتِ وَالسَّلَامُ قَالَ فَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابَ كِتَابِهِ أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ أَمْرًا لَا أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِنْهُ وَ تَأْمُرُنِي بِالتَّحِي عَنْكَ كَأَنَّكَ لِي نَاصِحٌ وَ تُخَوِّفُنِي بِالْحَرْبِ كَأَنَّكَ عَلَيَّ شَفِيقٌ وَ أَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ الدَّائِرَةُ عَلَيْنَا وَ أَنْ يَهْلِكَ كُمْ اللَّهُ فِي الْوَقَعِ وَ أَنْ يُنْزَلَ بِكُمْ الدَّلُّ وَ أَنْ تُولُوا الدُّبْرَ فَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ الْأَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ وَ كَمْ لَعَمْرِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ نَصَرْتُمْ وَ كَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ قَتَلْتُمْ وَ مَثَلْتُمْ بِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَ إِلَيْهِ تُرَدُّ الْأُمُورُ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ .

قَالَ وَ كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعِاصِ جَوَابَ كِتَابِهِ أَمَّا بَعِيدُ فَهَمَّتْ كِتَابُكَ وَ عَلِمْتُ مَا ذَكَرْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَصَةَ بَيْنِي مِنْكَ ظَفَرٌ فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّكَ لِمَنْ الْمُبْطِلِينَ وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ لِي وَ أَقْسَمُ أَنَّكَ عِنْدِي ظَنِينٌ وَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ أَهْلَ الْبَلَدِ قَدْ رَفَضُونِي وَ نَدِمُوا عَلَيَّ اتِّبَاعِي فَأَوْلَيْتُكَ حِزْبُكَ وَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَ حَسْبُنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ نِعَمَ الْوَكِيلُ وَ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

١١١٧

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمِدَائِنِيِّ قَالَ فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ يَفْصِدُ قَصِيدًا مَضِيرًا فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعِيدُ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَهِكُونَ الْحُرْمَةَ وَ يَغْسُونَ (١) الضَّلَالَةَ وَ يَسِيءُ تَطِيلُونَ بِالْجَبْرِ يَهُ قَدْ نَصَبُوا لَكُمْ الْعِدَاوَةَ وَ سَارُوا إِلَيْكُمْ بِالْجُنُودِ فَمَنْ أَرَادَ الْجَنَّةَ وَ الْمَغْفِرَةَ فَلْيَخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلْيَجَاهِدْهُمْ فِي اللَّهِ انْتَدِبُوا (٢) رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَعَ

ص: ٨٥

١-١) ب: «أرض الضلالة».

٢-٢) انتدبوا: أى خفوا.

كِنَانَهُ بِنِ بَشْرٍ ثُمَّ نَدَبَ مَعَهُ نَحْوَ أَلْفَى رَجُلٍ وَ تَخَلَّفَ مُحَمَّدٌ فِي أَلْفَيْنِ وَ اسْتَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كِنَانَهُ وَ هُوَ عَلَى مُقَدَّمِهِ مُحَمَّدٌ فَلَمَّا دَنَا عَمْرُو مِنْ كِنَانَهُ سَيَّرَحَ إِلَيْهِ الْكِنَائِبَ كَتَيْبَهُ بَعِيدَ كَتَيْبِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ مِنْ كِنَائِبِ الشَّامِ كَتَيْبُهُ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهَا بِمَنْ مَعَهُ فَيَضْرِبُهَا حَتَّى يُلْحِقَهَا بِعَمْرُو فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو ذَلِكَ بَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجِ الْكِنْدِيِّ فَأَتَاهُ فِي مِثْلِ الدَّهْمِ (١) فَلَمَّا رَأَى كِنَانَهُ ذَلِكَ الْجَيْشَ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَ نَزَلَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ فَضَارَبُوهُمْ بِسَيْفِهِ وَ هُوَ يَقُولُ وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا (٢).

فَلَمْ يَزَلْ يُضَارِبُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١١٨

قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا قَتَلَ كِنَانَةَ أَقْبَلَ نَحْوَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ قَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ مَتَمَّهلاً- فَمَضَى فِي طَرِيقِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَرَبِهِ (٣) فَأَوَى إِلَيْهَا وَ جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى دَخَلَ الْفُسَيْطَاطَ وَ خَرَجَ مُعَاوِيَةَ بْنُ حُدَيْجٍ فِي طَلَبِ مُحَمَّدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُلُوجِ (٤) عَلَى قَارِعِهِ الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُمْ هَلْ مَرَّ بِهِمْ أَحَدٌ يُنْكِرُونَهُ قَالُوا لَا- قَالَ أَحَدُهُمْ إِنِّي دَخَلْتُ تَلْمَكِ الْخَرَبَةَ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ قَالَ ابْنُ حُدَيْجٍ هُوَ هُوَ وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ فَانْطَلَقُوا يَرْكُضُونَ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى مُحَمَّدٍ فَاسْتَخْرَجُوهُ وَ قَدْ كَادَ يَمُوتُ عَطْشاً فَأَقْبَلُوا بِهِ نَحْوَ الْفُسَيْطَاطِ.

قَالَ وَ وَثَبَ أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَ كَمَا نَ فِي جُنْدِهِ فَصَالَ لَا- وَ اللَّهُ لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ صَبْرًا ابْعَثْ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ فَانْهَ فَارْسَلْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنْ ابْعَثْ بِمُحَمَّدٍ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَ قَتَلْتُمْ كِنَانَةَ بْنَ بَشْرٍ ابْنِ عَمِّي وَ أُحْلَى عَنْ مُحَمَّدٍ .

ص: ٨٤

١-١) الدهم: العدد الكثير.

٢-٢) سورة آل عمران ١٤٥.

٣-٣) الخربة: موضع الخراب.

٤-٤) علوج: جمع علج؛ وهو الرجل من كفار العجم.

هَيَّيَاتٍ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (١) فَقَالَ مُحَمَّدٌ اسْقُونِي قَطْرَةً مِنَ الْمَاءِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ لَا سَقَانِي اللَّهُ إِنْ سَقَيْتَكَ قَطْرَةً أَبَدًا إِنَّكُمْ مَعْتَمِدُونَ عِثْمَانَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ حَتَّى قَتَلْتُمُوهُ صَائِمًا مُحْرِمًا فَسَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ وَاللَّهُ لَأَقْتُلَنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ وَأَنْتَ ظَلْمَانٌ وَيَسْقِيكَ اللَّهُ مِنَ الْحَمِيمِ وَالْغَسَلِينَ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ النَّسَاجِهِ لَيْسَ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى عِثْمَانَ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ يَسْقِي أَوْلِيَاءَهُ وَيُظْمِئُ أَعْدَاءَهُ وَهُمْ أَنْتَ وَقُرْنَاؤُكَ وَمَنْ تَوَلَّكَ وَتَوَلَّيْتَهُ وَاللَّهُ لَوْ كَانَ سَيِّفِي فِي يَدِي مَا بَلَغْتُمْ مِنِّي مَا بَلَغْتُمْ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ أَتَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِكَ أَذْخُلُكَ جَوْفَ هَذَا الْحِمَارِ الْمَيْتِ ثُمَّ أُحْرِقُهُ عَلَيْكَ بِالنَّارِ قَالِ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَاكَ بِي فَطَالَمَا فَعَلْتُمْ ذَاكَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَ أَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي تُخَوِّفُنِي بِهَا بَرْدًا وَسِلَاحًا كَمَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَوْلِيَائِكَ كَمَا جَعَلَهَا عَلَى نُفْرُودَ وَأَوْلِيَائِهِ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُحْرِقَكَ اللَّهُ وَإِمَامَكَ مُعَاوِيَةَ وَهَذَا وَأَشَارَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ تَلْطَيْ كُلَّمَا خَبَتْ زَادَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سَيِّئًا فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ إِنِّي لَا أَقْتُلُكَ ظُلْمًا إِنَّمَا أَقْتُلُكَ بِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ قَالَ مُحَمَّدٌ وَمَا أَنْتَ وَعِثْمَانُ رَجُلٌ عَمِلَ بِالْحُجُورِ وَبَدَّلَ حُكْمَ اللَّهِ وَالْقُرْآنَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٢) فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٣) فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) فَتَقَمَّنَا (٥) عَلَيْهِ أَشْيَاءَ عَمِلَهَا فَأَرَدْنَا أَنْ يُخْلَعَ مِنَ الْخِلَافَةِ عَلْنَا فَلَمْ يَفْعَلْ فَفَقْتَلَهُ مَنْ قَتَلَهُ مِنَ النَّاسِ.

ص: ٨٧

١-١) سورة القمر ٤٣.

٢-٢) سورة المائدة ٤٤.

٣-٣) سورة المائدة ٤٥.

٤-٤) سورة المائدة ٤٧.

٥-٥) نغم عليه، بكسر القاف: أنكر أمره.

فَغَضِبَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ فَقَدَّمَهُ فَضْرَبَ عَنْقَهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي جَوْفِ حِمَارٍ وَ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ جَزَعَتْ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا وَ قَتَّتْ فِي دُبُرِ كُلِّ صِيْلَةٍ تَدْعُو عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ وَ قَبَضَتْ عِيَالَ مُحَمَّدٍ أَخِيهَا وَ وُلَدَهُ إِلَيْهَا فَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ عِيَالِهَا.

قَالَ وَ كَانَ ابْنُ حُدَيْجٍ مَلْعُونًا حَبِيثًا يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع .

١١١٩

٢- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي عَمْرٍو بْنُ حَمَادٍ بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَادُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي عَوْفٍ قَالَ دَخَلَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ وَيْلَكَ يَا مُعَاوِيَةَ أَنْتَ الَّذِي تَسُبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَ أَمَا وَاللَّهِ لَنْ رَأَيْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مَا أَظُنُّكَ تَرَاهُ لَتَرِيئَهُ كَاشِفًا عَنْ سَاقٍ يَضْرِبُ وَجْهَهُ أَمْثَالَكَ عَنِ الْحَوْضِ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ .

١١٢٠

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ قَالَ حَلَفَتْ عَائِشَةُ لَا تَأْكُلُ شِوَاءً (١) أَبَدًا بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ تَأْكُلْ شِوَاءً حَتَّى لَحِقَتْ بِاللَّهِ وَ مَا عَثَرْتُ قَطُّ إِلَّا قَالَتْ تَعَسَّ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ (٢) وَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ وَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ .

١١٢١

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ قَدْ رَوَى هَاشِمٌ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ لَمَّا جَاءَهَا نَعْيُ (٣) مُحَمَّدٍ ابْنِهَا وَ مَا صُنِعَ بِهِ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَ كَطَمَتْ غَيْظَهَا حَتَّى تَشَخَّبَتْ (٤) دَمًا.

١١٢٢

١٤- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ رَوَى ابْنُ عَائِشَةَ النَّيْمِيُّ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ كَثِيرِ النَّوَّاءِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ

ص: ٨٨

١- (١) الشواء، بالكسر و الضم: ما شوى من اللحم و غيره.

٢- (٢) نعاها له: أخبره بموته.

٣- (٢) نعاها له: أخبره بموته.

فِي حَيَاتِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي غَزَاهِ فَرَأَتْ أُسَيْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَ هِيَ تَحْتَهُ كَمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَخْضَبٌ بِالْحِنَاءِ رَأْسُهُ وَ لِحْيَتُهُ وَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ فَجَاءَتْ إِلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَقَالَتْ إِنَّ صِدْقَتَ رُؤْيَاكَ فَقَدْ قُتِلَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ خِضَابَهُ الدَّمُ وَ إِنَّ ثِيَابَهُ أَكْفَانُهُ ثُمَّ بَكَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ص وَ هِيَ كَذَلِكَ فَقَالَ مَا أَبْكَاهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبْكَاهَا أَحَدٌ وَ لَكِنَّ أُسَيْمَاءَ ذَكَرَتْ رُؤْيَا رَأَتْهَا لِأَبِي بَكْرٍ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ص فَقَالَ لَيْسَ كَمَا عَبَّرْتَ عَائِشَةَ وَ لَكِنَّ يَرْجِعُ أَبُو بَكْرٍ صَالِحًا فَيَلْقَى أُسَيْمَاءَ فَتَحْمِلُ مِنْهُ بَغْلَامٌ فَتَسِدُ مِيهَ مُحَمَّدًا يَجْعَلُهُ اللَّهُ غِيظًا عَلَى الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ ص

١١٢٣

قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ فَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عِنْدَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ كِنَانَةَ بْنِ بَشِيرٍ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا لَقِينَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَ كِنَانَةَ بْنَ بَشِيرٍ فِي جُمُوعٍ مِنْ أَهْلِ مَضِيرٍ فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فَعَصَوْا الْحَقَّ فَتَهَوُّلُوا (١) فِي الصَّلَاةِ فَجَاهِدْنَاهُمْ وَ اسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ حَيْلًا وَ عَزَّ عَلَيْهِمْ فَضْرَبَ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ مَنَحَنَا (٢) أَكْتَانَهُمْ فَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَ كِنَانَةُ بْنُ بَشِيرٍ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

١١٢٤

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُعَيْنٍ عَنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَ اللَّهُ إِنِّي لَعِنْدَ عَلِيٍّ جَالِسٌ إِذْ جَاءَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعِينٍ وَ كَعْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ يَسْتَصِيرُ رِخَانِهِ قَبْلَ الْوُقْعَةِ فَقَامَ عَلِيٌّ فَنَادَى فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً (٣) فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى

ص: ٨٩

١- ١) المتهول: المتحير، و في ب: «فهولوا».

٢- ٢) ج: «و أثننا أكتافهم».

٣- ٣) ساقطه من ج.

عَلَيْهِ وَ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ص فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَهَذَا صَرِيحُ (١) مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ سَارَ إِلَيْهِمْ
إِبْنُ النَّابِغَةِ عَدُوُّ اللَّهِ وَ عَدُوُّ مَنْ وَالَاهُ وَ وَلِيُّ مَنْ عَادَى اللَّهَ فَلَا يَكُونَنَّ أَهْلُ الضَّلَالِ إِلَى بَاطِلِهِمْ وَ الرُّكُونِ إِلَى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أَشَدَّ
اجْتِمَاعًا عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ ضَلَالَتِهِمْ مِنْكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ فَكَأَنَّكُمْ بِهِمْ وَ قَدْ بَدَأَ وَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ بِالْغَزْوِ فَاعْجَلُوا إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَاسَاةِ وَ النَّصْرِ
عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِصْرَ أَعْظَمَ مِنَ الشَّامِ وَ خَيْرٌ أَهْلًا فَلَا تُغْلَبُوا عَلَى مِصْرَ فَإِنَّ بَقَاءَ مِصْرَ فِي أَيْدِيكُمْ عِزٌّ لَكُمْ وَ كِبَتْ لِعِدْوِكُمْ اخْرُجُوا
إِلَى الْجَزْعَةِ قَالَ وَ الْجَزْعَةُ (٢) بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَ الْكُوفَةِ لِنَتَوَافَى هُنَاكَ كُلُّنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ فَلَمَّا كَانَ الْعَمْدُ خَرَجَ يَمْشِي فَنَزَلَهَا بُكْرَةً فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ فَلَمَّ يُؤَافِهِ مِائَةٌ رَجُلٍ فَرَجَعَ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ بَعَثَ إِلَى
الْأَشْرَافِ فَجَمَعَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ الْقَصِيرَ وَ هُوَ كَتِيبٌ حَزِينٌ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَ ابْتَلَانِي بِكُمْ أَيُّهَا
الْفِرْقَةُ الَّتِي لَا تُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُهَا وَ لَا تُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُهَا لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصِيرِكُمْ وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ
الذُّلِّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِغَيْرِ الْحَقِّ وَ اللَّهِ إِنْ جَاءَنِي الْمَوْتُ وَ لِيَأْتِيَنِي لَتَجِدُنِي لَصِيحْتِكُمْ جِدًّا قَالِ أَلَا- دِينَ يَجْمَعُكُمْ أَلَا- حَمِيَّةُ
تُغْضِبُكُمْ أَلَا تَسْمَعُونَ بَعْدُكُمْ يَنْتَقِصُ بِلَادَكُمْ وَ يُشْنُ الْغَارَةَ عَلَيْكُمْ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجَفَاءَ الطَّغَامَ الظَّلْمَةَ فَيَتَّبِعُونَهُ
عَلَى غَيْرِ عَطَاءٍ وَ لَا مُعُونَةٍ وَ يُجِيبُونَهُ فِي السَّنَةِ الْمَرَّةِ وَ الْمَرَّتَيْنِ وَ الثَّلَاثِ إِلَى أَيِّ وَجْهِ شَاءَ ثُمَّ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ أَوْلُو النُّهَى وَ بَقِيَّةُ
النَّاسِ تَخْتَلِفُونَ وَ تَفْتَرِقُونَ عَنِّي وَ تَعْصُونَنِي وَ تُخَالِفُونَ عَلَيَّ

ص : ٩٠

١- ١) الصريح هنا: المستغيث.

٢- ٢) في الأصول: «الجزعه تصحيف».

فَقَامَ إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْدُبِ النَّاسَ مَعِيَ فَإِنَّهُ لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ (١) وَإِنَّ الْمَاجِرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْكُرْهِ [بِالْكُرْهِ]

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ وَاجْبُوا دَعْوَةَ إِمَامِكُمْ وَانصُرُوا دَعْوَتَهُ وَقَاتِلُوا عِدَّوَكُمْ إِنَّا نَسِيرُ إِلَيْهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمَرَ عَلِيٌّ سَيِّدًا مَوْلَاهُ أَنْ يُنَادِيَ -أَلَا سَيِّرُوا مَعَ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ إِلَى مِصْرَ وَكَانَ وَجْهًا مَكْرُوهًا فَلَمْ يَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ شَهْرًا فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ مِائَةٌ اجْتَمَعَ خَرَجَ بِهِمْ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ فَعَسَى كَرَّ بظَاهِرِ الْكُوفَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيٌّ فَنظَرَ فَمَاذَا جَمِيعٌ مَنْ خَرَجَ نَحْوًا مِنَ الْفَتَنِ فَقَالَ عَلِيٌّ سِيرُوا وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ مَا إِخَالِكُمْ تُدْرِكُونَ الْقَوْمَ حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْرَهُمْ.

فَخَرَجَ مَالِكُ بِهِمْ وَسَارَ خَمْسَ لَيَالٍ وَقَدِمَ الْحَجَّاجُ بْنُ عُزَيْبَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى عَلِيٍّ وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْفَزَارِيُّ مِنَ الشَّامِ فَأَمَّا الْفَزَارِيُّ فَكَانَ عَيْنًا لِعَلِيٍّ عَ لَا يَنَامُ وَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَكَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَخَدَّئَهُ الْأَنْصَارِيُّ بِمَا عَايَنَ وَشَاهِدَ وَأَخْبَرَهُ بِهَلَاكِ مُحَمَّدٍ وَأَخْبَرَهُ الْفَزَارِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّامِ حَتَّى قَدِمَتِ الْبُشْرَى مِنْ قِبَلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِفَتْحِ مِصْرَ وَقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَحَتَّى أَذِنَ مَعَاوِيَةُ بِقَتْلِهِ عَلَى الْمِصْرِ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ سُرُورًا مِثْلَ سُرُورِ رَأَيْتُهُ بِالشَّامِ حِينَ أَتَاهُمْ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ عَلِيٌّ أَمَا إِنَّ حُزْنَنا عَلَى قَتْلِهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ لَا بَلَّ يَزِيدُ أَضْعَافًا.

قَالَ فَسَرَّحَ عَلِيٌّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَيْحٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ فَرَدَّهُ (٢) مِنَ الطَّرِيقِ قَالًا وَحَزِنَ عَلِيٌّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِيهِ وَتَبَيَّنَ فِي وَجْهِهِ وَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا وَإِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتَتَحَهَا الْفَجْرَةُ

ص: ٩١

١- ١) لا عطر بعد عروس، مثل يضرب في ذم ادخار الشيء وقت الحاجة، وانظر مورد المثل في الميداني ٢١٢، ٢١١: ٢.

٢- ٢) ب: «فطرده».

أَوْلِيَاءِ الْجُورِ وَالظُّلْمِ الَّذِينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَعَوْا الْإِسْلَامَ عَوَجًا أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَدْ اسْتَشْهَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
عِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ مَا عَلِمْتُ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ وَيَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ وَيُبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ وَيُحِبُّ سَمْتَ الْمُؤْمِنِ إِنِّي وَاللَّهِ
لَا أَلُومُ نَفْسِي عَلَى تَقْصِيرٍ وَلَا عَجْزٍ وَإِنِّي بِمُقَاسَاةِ الْحَرْبِ لَجِدُّ بَصِيرٍ إِنِّي لَأُقَدِّمُ عَلَى الْحَرْبِ وَأَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ وَأَقُومُ بِالرَّأْيِ
الْمُصَيَّبِ فَأَسْتَصْرِحُكُمْ مُعَلَّنًا وَأُنَادِيكُمْ مُسْتَعِينًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا حَتَّى تَصِيرَ الْأُمُورُ إِلَى عَوَاقِبِ الْمَسَاءِ وَ
أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَا يُدْرِكُ بِكُمْ الثَّأْرُ وَلَا تُنْقِضُ بِكُمْ الْأَوْتَارُ دَعَوْتُكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ مِنْذُ بَضْعِ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً فَجَزَّجْتُمْ (١) عَلَيَّ
جَزْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ (٢) وَتَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْمَارِضِ تَثَاقُلَ مَنْ لَا يَتِيَهُ لَهُ فِي الْجِهَادِ وَلَا رَأْيَ لَهُ فِي الْإِكْتِسَابِ لِلْأَجْرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ
جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَأَفَّ لَكُمْ ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ رَحْلَهُ

١١٢٥

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَى الْبَصِيرَةِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مَصِيرَ قَدِ افْتَتِحَتْ وَقَدْ اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ
أَبِي بَكْرٍ فَعِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحْتَسِبُهُ (٣) وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ إِلَى النَّاسِ وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ وَأَمَرْتُهُمْ بِإِغَاثَتِهِ

ص: ٩٢

١- ١) ب: «خرجتم» صوابه في ج. و الجرجره: تردد هدير الفحل.

٢- ٢) الجمل الأسر؛ السرر: وجع يأخذ البعير في كركرته.

٣- ٣) ج: «احتسابه».

قَبِيلَ الْوَقْعَةِ وَ دَعَوْتَهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ عَوْدًا وَ يَدًا فَمِنْهُمْ الْمَاتِي كَارِهًا وَ مِنْهُمْ الْمُتَعَلِّلُ كَاذِبًا وَ مِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا وَ أَنْ يُرِيحَنِي مِنْهُمْ عَاجِلًا. فَوَ اللَّهُ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَاءِ عِدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَ تَوَطُّبِي نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ
لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا عَزَمَ اللَّهُ لَنَا وَ لَكَ عَلَى تَقْوَاهُ وَ هِدَاةِ إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ
وَ بَرَكَاتُهُ.

قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ لِعَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ
بَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدُ فَفَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ افْتِتَاحٌ مِضِيرٌ وَ هَلَاكٌ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ أَنْكَ سَأَلْتَ اللَّهَ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ
الَّتِي ابْتَلَيْتَ بِهَا فَرَجًا وَ مَخْرَجًا وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّيَ كَلِمَتَكَ وَ أَنْ يُعَشِّيكَ بِالْمَلَائِكَةِ عَاجِلًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ صَانِعٌ لَكَ وَ مُعِزٌّ
دَعْوَتِكَ وَ كَابِتٌ عِدْوِكَ وَ أَخْبِرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّاسَ رُبَّمَا تَبَاطُؤُوا ثُمَّ نَشَطُوا فَارْتَفَقُوا بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ دَارِهِمْ وَ مَنَّهُمْ
وَ اسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ كَفَاكَ اللَّهُ الْهَمَّ وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ .

١١٢٤

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ رَوَى عَنِ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى عَلِيٍّ فَعَزَّاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .

١١٢٧

وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ

رَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا كَانَ غُلَامًا حَيْدًا لَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَوْلِيَ الْمِرْقَالَ (١) هَاشِمِ بْنِ عُبَيْهِ مِضِيرَ فَإِنَّهُ وَ اللَّهُ لَوْ وَلَّيْتُهَا لَمَا خَلَّى لِابْنِ
الْعَاصِ وَ أَعْوَانِهِ الْعَرِضَةَ وَ لَا قُتِلَ إِلَّا وَ سَيْفُهُ فِي يَدِهِ بِلَا دَمٍ لِمُحَمَّدٍ فَلَقَدْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فَقَضَى مَا عَلَيْهِ .

ص: ٩٣

١- (١) المرقال: لقب هاشم بن عتبة الزهري؛ لأن عليا عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين؛ فكان يرقل بها إرقالا، و الإرقال: ضرب
من العدو.

١- قَالَ الْمِدَائِنِيُّ وَقِيلَ لِعَلِيٍّ ع لَقَدْ جَزَعْتَ عَلِيَّ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي أَنَّهُ كَانَ لِي رَبِيًّا وَكَانَ لِبَنِي أَخَا وَكُنْتُ لَهُ وَالِدًا أَعُدُّهُ وَوَلَدًا .

خطبه للإمام علي بعد مقتل محمد بن أبي بكر

وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ ع بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ وَقَتَلَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَآمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَشَهِيدًا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ يَوْمئِذٍ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ مُبِيخُونَ عَلَى حِجَارِهِ خُشْنٌ وَحَيَاتٍ صُمٌّ وَشَوْكٍ مَبْشُوثٍ فِي الْبِلَادِ تَشْرَبُونَ الْمِيَاءَ الْخَبِيثَ وَتَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الْخَبِيثَ تَسْتَفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ وَتَأْكُلُونَ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ سُبُلَكُمْ خَائِفَةٌ وَالْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَلَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ .

فَمَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ فَبَعَثَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَعَلَّمَكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ وَأَمَرَكُمْ بِصِلَةِ أَرْحَامِكُمْ وَحَقِّنَ دِمَائِكُمْ وَصَلَّحَ ذَاتِ الْبَيْنِ وَأَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَأَنْ تُوفُوا بِالْعَهْدِ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَأَنْ تَعِاطَفُوا وَتَبَارَوْا وَتَرَاحَمُوا وَنَهَوَكُمْ عَنِ التَّنَاهُبِ وَالتَّظَالُمِ وَالتَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغِي وَالتَّتَعَاذِفِ وَعَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَنَقْصِ الْمِيزَانِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ أَلَّا تَزْنُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالًا

الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا وَ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ كُلَّ خَيْرٍ يُدْنِي
 إِلَى الْجَنَّةِ وَ يُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ أَمَرَكُمْ بِهِ وَ كُلُّ شَرٍّ يُدْنِي إِلَى النَّارِ وَ يُبَاعِدُ عَنِ الْجَنَّةِ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ تَوَفَّاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
 سَعِيداً حَمِيداً فَبَا لَهَا مُصَيبَةً خَصَّتِ الْأَقْرَبِينَ وَ عَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ مَا أَصَابُوا قَبْلَهَا بِمِثْلِهَا وَ لَنْ يُعَابِنُوا بَعْدَهَا أُخْتَهَا فَلَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ
 ص تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ فَوَ اللَّهُ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَ لَا يَخْطُرُ عَلَيَّ بِأَلَى أَنْ الْعَرَبَ تَعْدِلُ هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَنْ أَهْلِ
 بَيْتِهِ وَ لَا أَنْهُمْ مُنْحَوَةٌ عَنِّي مِنْ بَعِيدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَ إِجْفَالُهُمْ (١) إِلَيْهِ لِيُبَايِعُوهُ فَأَمْسَكَتُ يَدِي وَ رَأَيْتُ
 أَنِّي أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ص فِي النَّاسِ مِمَّنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعِيدِهِ فَلَبِثْتُ بِهَذَاكَ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَهُ مِنَ النَّاسِ رَجَعَتْ عَنِ
 الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دِينِ اللَّهِ وَ مَلِهِ مُحَمَّدٍ ص فَخَشِيْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا وَ هَدْمًا يَكُونُ الْمَصَابُ
 بِهِمَا عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوَاتِ وَلَا يَهْ أُمُورِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعٌ أَيَّامٍ فَلَا تَبْلُ ثُمَّ يَزُولُ مَا كَانَ مِنْهَا كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ وَ كَمَا يَنْقَشِعُ
 السَّحَابُ فَمَشَيْتُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعْتُهُ وَ نَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ وَ كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
 وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ فَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأُمُورَ فَيَسَّرَ وَ سَدَّدَ وَ قَارَبَ وَ افْتَصَدَ وَ صَحَّيْتُهُ مَنَاصِحًا وَ أَطَعْتُهُ فِيمَا أَطَاعَ اللَّهُ فِيهِ جَاهِدًا وَ
 مَا طَمِعْتُ أَنْ لَوْ حَدَثَ بِهِ حَادِثٌ وَ أَنَا حَيٌّ أَنْ يُرَدَّ إِلَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي نَارَعْتُهُ فِيهِ طَمَعٌ مُسْتَيْقِينَ وَ لَا يَسْتُ مِنْهُ يَأْسٌ مَنْ لَا يَزْجُوهُ وَ لَوْ
 لَا خَاصَّةٌ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عُمَرَ لَطَنْتُ أَنَّهُ لَا يَدْفَعُهَا عَنِّي فَلَمَّا احْتَضَرَ بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرَ فَوَلَّاهُ فَسَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ نَاصَحْنَا

ص: ٩٥

(١-١) أجبف الناس و انجفلوا: أى ذهبوا مسرعين.

وَتَوَلَّى عُمَرُ الْأَمْرَ فَكَانَ مَرَضِيَّ السَّيْرِهِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ حَتَّى إِذَا اخْتُصِرَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَنْ يَعْدِلَهَا عَنِّي (١) لَيْسَ يُدَافِعُهَا عَنِّي فَجَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ فَمَا كَانُوا لَوْلَايَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدَّ كَرَاهَةً لَوْلَايَتِي عَلَيْهِمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ عِنْدَ وَفَاهِ رَسُولِ اللَّهِ ص لَجَاجِ أَبِي بَكْرٍ وَأَقُولُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ مَا كَانَ فِينَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْرِفُ الشَّعْنَ وَيَدِينُ بِدِينِ الْحَقِّ فَخَشِيَ الْقَوْمُ إِنَّ أَنَا وَلَيْتَ عَلَيْهِمْ إِلَّا- يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ نَصِيبٌ مَا بَقُوا فَأَجْمَعُوا إِجْمَاعًا وَاحِدًا فَصَيَّرُوا لَوْلَايَهُ إِلَى عُثْمَانَ وَ أَخْرَجُونِي مِنْهَا رَحِيَاءَ أَنْ يَنَالُوهَا وَيَتَدَاوُلُوهَا إِذْ يَسُؤُوا أَنْ يَنَالُوا بِهَا مِنْ قِبَلِي ثُمَّ قَالُوا هَلُمَّ فَبَايَعِ وَإِلَّا جَاهِدْنَاكَ فَبَايَعْتُ مُسَدِّ تَكْرَاهًا وَ صَبَرْتُ مُحْتَسِبًا فَقَالَ قَائِلُهُمْ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ أَنْتُمْ أَحْرَصُ مِنِّي وَ أَبْعَدُ أَيْنَا أَحْرَصُ أَنَا الَّذِي طَلَبْتُ مِيرَاثِي وَ حَقِّي الَّذِي جَعَلَنِي اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَوْلَى بِهِ أُمَّ أَنْتُمْ إِذْ تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ وَ تَحُولُونَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ فَبَهْتُوا وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَمَا بَيْنَهُمْ قَطْعُوا رَحِمِي وَ أَضَاعُوا إِيَّايَ وَ صَيَّرُوا عَظِيمَ مَنَزِلَتِي وَ أَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ فَسَيَلْبُونِيهِ ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ فَاصْبِرْ كَمَا أَوْ مِتْ أَسْفًا حَنِقًا فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ مَعِيَ رَافِدٌ وَ لَا ذَابٌّ وَ لَا نَاصِرٌ وَ لَا سَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَيْتَةِ وَ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَ تَجَرَّعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجَرِ وَ صَيَّرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّفَارِ حَتَّى إِذَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ عُثْمَانُ أَنْ أَتَيْتُمُوهُ فَقَتَلْتُمُوهُ ثُمَّ جِئْتُمُونِي لِتُبَايَعُونِي فَأَبَيْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَمْسَكْتُ يَدِي فَنَازَعْتُمُونِي وَ دَافَعْتُمُونِي وَ بَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا وَ مَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا وَ ازْدَحَمْتُمْ عَلَيَّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضِكُمْ أَوْ أَنَّكُمْ قَاتِلِي فَقُلْتُمْ بَايَعْنَا لَا نَجِدُ غَيْرَكَ وَ لَا نَرْضَى إِلَّا بِكَ بَايَعْنَا

ص: ٩٤

(١- ١) ب: «ليس بدافعي عنها».

لَا نَفْتِرُكَ وَلَا تَخْتَلِفُ كَلِمَتُنَا فَبَايَعْتَكُمْ وَدَعَوْتُ النَّاسَ إِلَى بَيْعِي فَمَنْ بَايَعَ طَوْعًا قَبِلْتُهُ وَمَنْ أَبَى لَمْ أَكْرِهْهُ وَتَرَكْتُهُ فَبَايَعَنِي فِيمَنْ بَايَعَنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَكَوْثَرَ وَأَبِيًّا مَا أَكْرَهْتُهُمَا كَمَا لَمْ أَكْرِهْهُمَا فَمَا لَبِثَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى بَلَغَنِي أَنَّهُمَا خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْبُضَيْرِ فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمِحَ لِي بِالْبَيْعِهِ فَقَدِمَا عَلَيَّ عَامِلِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرِي الَّذِينَ كُتِبُوا عَلَيَّ بَيْعِي وَفِي طَاعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَأَفْسَدُوا جَمَاعَتَهُمْ ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيَّ شَيْعَتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَفَقَتُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا وَطَائِفَةً صَبْرًا (١) وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ غَضِبُوا بِاللَّهِ وَلِي فَشَهَرُوا سُيُوفَهُمْ وَضَرَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَادِقِينَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصَبِّبُوا مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُتَعَمِّدِينَ لَقَتْلِهِ لَحَلَّ لِي بِهِ قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ بِأَسْرِهِ فَدَعَغَ مَا أَنْهَمَ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَدَالَ اللَّهُ مِنْهُمْ قَبْعًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ثُمَّ إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِ أَهْلِ الشَّامِ فَإِذَا أُعْرَابٌ أُخْرَابٌ وَأَهْلُ طَمِيعٍ جُفَاءً طُغَاهُ يَجْتَمِعُونَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعِي أَنْ يُؤَدَّبَ وَأَنْ يُؤَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤَخَذَ عَلَى يَدِهِ لَيْسُوا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَا الْمُهَاجِرِينَ وَلَا التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ فَسَرَوْتُ إِلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَبَوْا إِلَّا شِقَاقًا وَفِرَاقًا وَنَهَضُوا فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ يَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ وَيَشْجُرُونَهُمْ (٢) بِالرَّمْحِ فَهَنَّاكَ نَهَدْتُ (٣) إِلَيْهِمْ بِالْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلْتُهُمْ فَلَمَّا عَضَّهُمُ السَّلَاحُ وَوَجَدُوا أَلَمَ الْجِرَاحِ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ يَدْعُونَكَ إِلَى مَا فِيهَا فَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ وَأَنَّهُمْ رَفَعُوا مَكِيدَةً وَخَدِيعَةً وَوَهْنًا وَضَعْفًا فَامْضُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَقَاتِلْكُمْ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ وَقُلْتُمْ أَقْبَلْ مِنْهُمْ فَإِنْ أَجَابُوا إِلَيَّ مَا فِي الْكِتَابِ جَامِعُونَ عَلَيَّ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ

ص: ٩٧

١-١) صبرا، أى حيسا.

٢-٢) يشجرونهم بالرمح: يطعنونهم.

٣-٣) نهدي للقتال: نهض.

الْحَيْقُ وَإِنْ أَبِيؤَا كَانَ أَعْظَمَ لِحُجَّتِنَا عَلَيْهِمْ فَقَبِلْتُ مِنْهُمْ وَكَفَفْتُ عَنْهُمْ إِذْ وَبَيْتُمْ وَ أَبَيْتُمْ فَكَانَ الصُّلْحُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ عَلَى رَجُلَيْنِ يُحْيِيَانِ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يُمَيِّتَانِ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ فَاخْتَلَفَ رَأْيُهُمَا وَ تَفَرَّقَ حُكْمُهُمَا وَ نَبَذَا مَا فِي الْقُرْآنِ وَ خَالَفَا مَا فِي الْكِتَابِ فَجَبَّهَيَا اللَّهُ السَّدَادَ وَ دَلَاهِيَا فِي الضَّلَالَةِ فَانْحَرَفَتْ فِرْقَةُ مِنَّا فَتَرَكْنَاهُمْ مَا تَرَكُونَا حَتَّى إِذَا عَثُوا (١) فِي الْأَرْضِ يَقْتُلُونَ وَ يُفْسِدُونَ أَتَيْنَاهُمْ فَقُلْنَا اذْفَعُوا إِلَيْنَا قَتَلَهُ إِخْوَانِنَا ثُمَّ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ قَالُوا كُلُّنَا قَتَلَهُمْ وَ كُلُّنَا اسْتَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَ شَدَّتْ عَلَيْنَا خِيْلُهُمْ وَ رَحِمَ اللَّهُمَّ فَصِرَ رَعَهُمُ اللَّهُ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَمَرْتُمْ أَنْ تَمْضُوا مِنْ فُورِكُمْ ذَلِكَ إِلَى عِدْوِكُمْ فَقُلْتُمْ كَلْتُمْ سُبُوفُنَا وَ نَفَدْتُمْ نِبَالَنَا وَ نَصَيْتُمْ أَسْنَهُ رِمَاحِنَا وَ عَادَ أَكْثَرُهَا قِصْدًا (٢) فَارْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرِنَا لِنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا فَإِذَا رَجَعْتَ زِدْتَ فِي مَقَاتِلَتِنَا عِدَّةً مَنْ هَلَكَ مِنَّا وَ فَارَقْنَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْوَى لَنَا عَلَى عِدْوِنَا فَأَقْبَلْتُ بِكُمْ حَتَّى إِذَا أَطَلَّتُمْ عَلَى الْكُوفَةِ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْزِلُوا بِالْخَيْلِ وَ أَنْ تَلْزَمُوا مَعْسِيَةَ كَرِكُمْ وَ أَنْ تَضُمُّوا قَوَاصِيَكُمْ وَ أَنْ تُوْطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَكُمْ وَ لَا تُكْثِرُوا زِيَارَةَ أَبْنَائِكُمْ وَ نِسَائِكُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَرْبِ الْمُصَابِرِ وَهِيَ وَ أَهْلَ التَّشْمِيرِ فِيهَا الَّذِينَ لَا يَنْقَادُونَ مِنْ سِيَهْرِ لَيْلِهِمْ وَ لَا ظَمًا نَهَارِهِمْ وَ لَا خَمَصَ بَطُونِهِمْ وَ لَا نَصِيبَ أَيْدَانِهِمْ فَزَلَّتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ مَعِيَ مُعَدَّرَةٌ وَ دَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ الْمِصْرَ عَاصِيَةً فَلَا مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ صَبْرًا وَ ثَبَتًا وَ لَا مَنْ دَخَلَ الْمِصْرَ عَادًا وَ رَجَعَ فَظَنَرْتُ إِلَى مَعْسِيَةِ كَرِي وَ لَيْسَ فِيهِ خَمْسُونَ رَجُلًا فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَتَيْتُمْ دَخَلْتُ إِلَيْكُمْ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فَمَا تَنْتَظِرُونَ أَمَا تَرَوْنَ أَطْرَافَكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ وَ إِلَى مِصْرٍ قَدْ فُتِحَتْ وَ إِلَى شِيَعَتِي بِهَا قَدْ قُتِلَتْ وَ إِلَى مَسَالِحِكُمْ تَعْرَى وَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُعْرَى وَ أَنْتُمْ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ

ص: ٩٨

١- ١) عثى: أفسد، مثل عاث.

٢- ٢) القصد: جمع قصده؛ وهى القطعه المتكسره.

وَشَوْكِهِ وَبَأْسٍ شَدِيدٍ فَمَا بِالْكُمْ لِلَّهِ أَنْتُمْ مِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَمَا لَكُمْ تُؤْفَكُونَ وَأَنْتَى تُسَيِّحُونَ وَ لَوْ أَنَّكُمْ عَزَمْتُمْ وَ أَجْمَعْتُمْ لَمْ تُرَامُوا إِلَّا أَنْ الْقَوْمَ تَرَاجَعُوا وَ تَنَاصَحُوا وَ تَنَاصَحُوا وَ أَنْتُمْ قَدْ وَنَيْتُمْ وَ تَغَاشَشْتُمْ وَ افْتَرَقْتُمْ مَا إِنْ أَنْتُمْ إِنْ أَلَمْتُمْ عِنْدِي عَلَى هَذَا بِسُعْدَاءِ (١) فَانْتَهَوْا بِأَجْمَعِكُمْ وَ أَجْمَعُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَ تَجَرَّدُوا لِحَرْبِ عِدْوِكُمْ وَ قَدْ أَبِيدَتِ الرَّغْوَةُ عَنِ الصَّرِيحِ وَ بَيْنَ الصُّبْحِ لَدَى عَيْنَيْنِ إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ الطُّلُقَاءَ وَ أَبْنَاءَ الطُّلُقَاءِ وَ أَوْلَى الْجَفَاءِ وَ مَنْ أَسْلَمَ كَرْهًا وَ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ أَنْفَ (٢) أَلِاسِيْلَامِ كُلَّهُ حَرْبًا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَ الشُّنَّةِ وَ الْقُرْآنِ وَ أَهْلَ الْبِدْعِ وَ الْأَحْدَاثِ وَ مَنْ كَانَ بَوَاقُهُ تَتَقَى وَ كَانَ عَنِ الْإِسْلَامِ مُنْحَرِفًا أَكَلَهُ الرَّشَا وَ عَبَدَهُ الدُّنْيَا لَقَدْ أَنهَى إِلَيَّ أَنْ إِبْنِ النَّابِغَةِ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى أَعْطَاهُ وَ شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَا هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي يَدِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ أَلَا صَ فَرَّتْ يَدُ هَذَا الْبَائِعِ دِينَهُ بِالْدُنْيَا وَ خَزَيْتْ أَمَانَهُ هَذَا الْمُشْتَرِي نُصْرَةَ فَاسِقٍ غَادِرٍ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنْ فِيهِمْ مَنْ قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْخَمْرَ وَ جُلِدَ الْحَدَّ يُعْرِفُ بِالْفَسَادِ فِي الدِّينِ وَ الْفِعْلِ السَّيِّئِ وَ إِنْ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمَ حَتَّى رُضِيَ لَهُ رَضِيحُهُ (٣) فَهَؤُلَاءِ قَادَةُ الْقَوْمِ وَ مَنْ تَرَكَتْ ذِكْرَ مَسَاوِيهِ مِنْ قَادَتِهِمْ مِثْلُ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْهُمْ بَيْلٌ هُوَ شَرٌّ وَ يُوَدُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ لَوْ وُلُوا عَلَيْكُمْ فَظَهَرُوا فِيكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفَسَادَ وَ الْفُجُورَ وَ التَّسَلُّطَ بِجَبْرِيَّةٍ وَ اتَّبَعُوا الْهَوَى وَ حَكَمُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ لَمَّا أَنْتُمْ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ مِنْ تَوَاكُلٍ وَ تَخَاذُلٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَ أَهْدَى سَبِيلًا فِيكُمْ الْعُلَمَاءُ وَ الْفُقَهَاءُ وَ النُّجَبَاءُ وَ الْحُكَمَاءُ وَ حَمَلَهُ الْكِتَابُ وَ الْمُتَهَجِّدُونَ بِالْأَسِيْحَارِ وَ عَمَّارُ الْمَسَاجِدِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَ فَلَا تَسِيْخُطُونَ وَ تَهْتُمُونَ أَنْ يُنَازِعَكُمْ الْوَلَايَةَ عَلَيْكُمْ سَفَهَاؤُكُمْ وَ الْأَشْرَارُ الْأَرَادِلُ مِنْكُمْ

ص: ٩٩

١-١) كذا في ب، و هي ساقطه من ا، ج.

٢-٢) أنف كل شيء: أوله.

٣-٣) الرَضِيحَةُ: العطية القليلة.

فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي فَوَ اللَّهُ لَئِنِ أَطَعْتُمُونِي لَا تَغْوُونَ وَ إِنِ عَصَيْتُمُونِي لَا تَرْشُدُونَ خُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّتْ نَارُهَا وَ عَلَا سِنَانُهَا وَ تَجَرَّدَ لَكُمْ فِيهَا الْفَاسِقُونَ كَيْ يُعَذِّبُوا عِبَادَ اللَّهِ وَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ أَلَا إِنَّهُ لَيْسَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ وَ الْمَكْرِ وَ الْجَفَاءِ بِأَوْلَى فِي الْجِدِّ فِي عَيْبِهِمْ وَ ضَلَالَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ وَ الزَّهَادَةِ وَ الْإِخْبَاتِ فِي حَقِّهِمْ وَ طَاعَةِ رَبِّهِمْ إِنِّي وَ اللَّهُ لَوْ لَقَيْتُهُمْ فَرَدًّا وَ هُمْ مِلءُ الْأَرْضِ مَا بَالَيْتُ وَ لَا اسْتَوْحِشْتُ وَ إِنِّي مِنْ ضَلَالَتِهِمْ الَّتِي هُمْ فِيهَا وَ الْهُدَى الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ لَعَلَى ثِقَةٍ وَ بَيِّنَةٍ وَ يَقِينٍ وَ بَصِيرَةٍ وَ إِنِّي إِلَى لِقَاءِ رَبِّي لَمُشْتَاقٌ وَ لِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ وَ لَكِنِّ أَسِيفًا يَعْتَرِينِي وَ حُزْنًا يُخَامِرُنِي أَنْ يَلِيَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سِيفَهَا وَهَا وَ فُجَارُهَا فَيَنْجِدُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَهُ خَوْلًا وَ الْفَاسِقِينَ حِزْبًا وَ أَيُّمَ اللَّهِ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا أَكْثَرْتُ تَأْنِيْبَكُمْ وَ تَحْرِيبَكُمْ وَ لَتَرَكْتُكُمْ إِذْ وَنَيْتُمْ وَ أَيْبَيْتُمْ حَتَّى أَلْقَاهُمْ بِنَفْسِي مَتَى حُمَّ لِي لِقَاؤُهُمْ فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَعَلَى الْحَقِّ وَ إِنِّي لِلشَّهَادَةِ لَمُحِبٌّ فَانْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَ لَا تَتَأَقَلُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقَرُّوا بِالْخَسْفِ وَ تَبْوءُوا بِالذُّلِّ وَ يَكُنْ نَصِيْبِكُمُ الْخُسْرَانِ إِنَّ (١) أَخْبَأَ الْحَرْبِ الْيَقْظَانَ وَ مِنْ ضَعْفِ أَوْدَى وَ مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ كَمَا ن كَالْمَغْبُونِ الْمُهِينِ اللَّهُمَّ اجْمَعْنا وَ إِيَّاهُمْ عَلَى الْهُدَى وَ زَهْدُنَا وَ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ اجْعَلِ الْآخِرَةَ خَيْرًا لَنَا وَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْلَى .

خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة

١١٣٠

قَالَ إِبرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذِيفَةَ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ أُصِيبَ لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِصْرَ فَبَعَثَ بِهِ

ص: ١٠٠٠

إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ بِفَلَسْطِينَ فَحَبَسَهُ مُعَاوِيَةُ فِي سِجْنٍ لَهُ فَمَكَثَ فِيهِ غَيْرَ كَثِيرٍ ثُمَّ هَرَبَ وَكَانَ ابْنُ خَالِ مُعَاوِيَةَ
فَأَرَى مُعَاوِيَةَ النَّاسَ أَنَّهُ كَرِهَ انْفِلَاتَهُ مِنَ السِّجْنِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَنْجُوَ فَقَالَ لِأَهْلِ الشَّامِ مَنْ يَطْلُبُهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خَتَمٍ يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ
اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ ظَلَامٍ وَكَانَ شُجَاعًا وَكَانَ عُثْمَانِيًّا أَنَا أَطْلُبُهُ فَخَرَجَ فِي خَيْلٍ فَلَحِقَهُ بِحَوَارِينَ (١). وَقَدْ دَخَلَ بَغَارٌ هُنَاكَ فَجَاءَتْ
حُمُرٌ فَدَخَلَتْهُ فَلَمَّا رَأَتْ الرَّجُلَ فِي الْغَارِ فَرَعَتْ وَنَفَرَتْ فَقَالَ حَمَارُونَ كَانُوا قَرِيبًا مِنَ الْغَارِ إِنَّ لِهَذِهِ الْحُمُرِ لَشَأْنًا مَا نَفَرَهَا مِنْ هَذَا
الْغَارِ إِلَّا أَمْرٌ فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ فَإِذَا هُمْ بِهِ فَوَافَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ ظَلَامٍ فَسَأَلَهُمْ وَوَصَّيَهُ لَهُمْ فَقَالُوا هَا هُوَ هَذَا فَجَاءَ
حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ وَكَرِهَ أَنْ يَصِيرَ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَيُخْلَى سَبِيلَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ص: ١٠١

(١-١) حوارين، من قرى حلب، أو حصن بناحية حمص (مرصد الاطلاع).

اشاره

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمْدَهُ وَ الثِّيَابُ الْمَتِدَاعِيَهُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْسِيرٌ مِنْ مَنَاسِيرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ انْجَحَرَ انْجَحَارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُّ فِي وَجَارِهَا الدَّلِيلُ وَ اللَّهُ مِنْ نَصِيرِ رُتْمُوهُ وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقِ نَاصِلِ إِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ وَ إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصِلِحُكُمْ وَ يَقِيمُ أَوْدَكُمْ وَ لَكِنِّي وَ اللَّهُ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ [فَسَادِي]

نَفْسِي أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَنْعَسَ جُدُودَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَا عَرَفْتُمْ الْبَاطِلَ وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَمَا يُبْطِلُكُمْ الْحَقُّ .

البكار

جمع بكر و هو الفتى من الإبل و العمده التي قد انشدت أسنمتها من داخل و ظاهرها صحيح و ذلك لكثرة ركوبها .

و الثياب المتداعيه

الأسمال التي قد أخلقت و إنما سميت متداعيه لأن بعضها يتخرق فيدعو بعضها إلى مثل حاله .

و حيصت خيطة و الحوص الخياطه و تهتك تخرقت

و أطل عليكم أى أشرف و روى أظل بالظاء المعجمه و المعنى واحد.

و منسر قطعه من الجيش تمر قدام الجيش الكثير و الأفصح منسر بكسر الميم و فتح السين و يجوز منسر بفتح الميم و كسر السين

و انجر استتر فى بيته أجرحت الضب إذا ألجأته إلى جحره فانجر.

و الضبه أنثى الضباب و إنما أوقع التشبيه على الضبه مبالغه فى وصفهم بالجبن و الفرار لأن الأنتى أجبن و أذل من الذكر و الوجار بيت الضبع .

و السهم الأفوق الناصل المكسور الفوق المنزوع النصل و الفوق موضع الوتر من السهم يقال نصل السهم إذا خرج منه النصل فهو ناصل و هذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا ينجده .

و الباحات جمع باحه و هى ساحه الدار و الأود العوج أود الشىء بكسر الواو يأود أودا أى أعوج و تأود أى تعوج و أضرع الله خدودكم أذل وجوهكم.

ضرع الرجل ذل و أضرعه غيره و منه المثل الحمى أضرعته لك (1).

و أتعس جدودكم

أى أحال حظوظكم و سعودكم و أهلكها فجعلها إدارا و نحسا.

و التعس الهلاك و أصله الكب و هو ضد الانتعاش تعس الرجل بفتح العين يتعس تعسا يقول كم أداريكم كما يدارى ركب البعير بعيره المنفضخ السنام و كما يدارى لابس الثوب السمل ثوبه المتداعى الذى كلما خيط منه جانب تمزق جانب .

ثم ذكر خبيثهم و ذلهم و قله انتصار من ينتصر بهم و أنهم كثير فى الصوره قليل فى المعنى ثم قال إنى عالم بما يصلحكم يقول إنما يصلحكم فى السياسه السيف و صدق فإن كثيرا لا يصلح إلا عليه كما فعل الحجاج بالجيش الذى تقاعد بالمهلب

ص: ١٠٣

(١-١) الميدانى ٢٠٥:١، يضرب فى الذل عند الحاجه تنزل.

فإنه نادى مناديه من وجدناه بعد ثلثه لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ثم قتل عمير بن ضابئ و غيره فخرج الناس يهرعون إلى المهلب . و أمير المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه ما يستحله من يريد الدنيا و سياسه الملك و انتظام الدوله قال ع لكنى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى أى بإفساد دينى عند الله تعالى.

فإن قلت أليست نصره الإمام واجبه عليهم فلم لا يقتلهم إذ أدخلوا بهذا الواجب قلت ليس كل إخلال بواجب يكون عقوبته القتل كمن أخل بالحج و أيضا فإنه كان يعلم أن عاقبه القتل فسادهم عليه و اضطرابهم فلو أسرع فى قتلهم لشغبوا عليه شغبا يفضى إلى أن يقتلوه و يقتلوا أولاده أو يسلموه و يسلموهم إلى معاويه و متى علم هذا أو غلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل الذى يفضى إلى هذه المفسده فلو ساسهم بالقتل و الحال هذه لكان آثما عند الله تعالى و موقعا للقيح و فى ذلك إفساد دينه كما قال لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل إلى آخر الفصل فكأنه قال لا تعتقدون الصواب و الحق كما تعتقدون الخطأ و الباطل أى اعتقادكم الحق قليل و اعتقادكم الباطل كثير فعبر عن الاعتقاد العام بالمعرفه الخاصه و هى نوع تحت جنسه مجازا.

ثم قال و لا تسرعون فى نقض الباطل سرعتكم فى نقض الحق و هدمه

طائفه من الأشعار الوارده فى ذم الجبن

و اعلم أن الهجاء بالجبن و النذل الفرق كثير جدا و نظير قوله إنكم لكثير فى الباحات قليل تحت الرايات قول معدان الطائى فأما الذى يحصيههم فمكثر و أما الذى يطريهم فمقلل (١).

ص: ١٠٤

و نحو قول قراد بن حنش و هو من شعر الحماسه (١) و أنتم سماء يعجب الناس رزها

و من شعر الحماسه فى هذا المعنى لقد كان فيكم لو وفيتم بجاركم

و من الهجاء بالجبن و الفرار قول بعض بنى طيئ يهجو حاتما و هو من شعر الحماسه أيضا (٢) لعمري و ما عمري على بهين

ص: ١٠٥

١-١ ديوان الحماسه-بشرح المرزوقى ١٤٣١:٣؛ من أبيات أربعه أولها: لقومى أرعى للعلا من عصابه من الناس يا حار بن عمرو تسودها.

٢-٢ رزها: صوتها، أى صوت رعدھا. و الآبده: الغريبه. و تنحى: تعتمد.

و نظير المعنى الأول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسه كآثر بسعد إن سعدا كثيره

و منه قول عويف القوافى و ما أمكم تحت الخوافى و القنا

و ممن حسن الجبن و الفرار بعض الشعراء فى قوله أضحى تشجعتى هند و قد علمت

و من هذا قول أيمن بن خريم الأسدى إن للفتنه ميطا بينا

و ممن عرف بالجبن أميه بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبد الملك بن مروان فقال

ص: ١٠٦

و ليث حديد الناب عند التراث (١).

و قال آخر يطير فؤاده من نبح كلب و يكفيه من الزجر الصغير.

و قال آخر و لو أنها عصفوره لحسبتها مسومه تدعو عبيدا و أزنا (٢).

أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم

و من أخبار الجبناء ما

١١٣١

١- رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ عِيُونِ الْأَخْبَارِ قَالَ رَأَى عَمْرُو بْنُ الْعِيَاصِ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا فَضَحِكَ وَقَالَ مِمَّ تَضْحَكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِتْنَكَ قَالَ أَضْحَكَكَ مِنْ حُضُورِ ذَهْنِكَ عِنْدَ إِبْدَانِكَ سُوءَ تَكِّ يَوْمَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتَهُ مَنَانًا كَرِيمًا (٣) وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يَقْتُلَكَ لَقَتَلَكَ فَقَالَ عَمْرُو يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَعَنَ يَمِينِكَ حِينَ دَعَاكَ إِلَى الْبِرَازِ فَاحْوَلْتُ عَيْنَاكَ وَ انْفَتَحَ سَحْرُكَ وَ بَدَا مِنْكَ مَا أَكْرَهُ ذِكْرُهُ لَكَ فَمِنْ نَفْسِكَ فَاضْحَكْ أَوْ فَدَعْ (٤)

١١٣٢

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَ قَدِمَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ عَلَيْهِ دِرْعٌ وَ عِمَامَةٌ سَوْدَاءٌ وَ قَوْسٌ عَرَبِيَّةٌ وَ كِنَانَةٌ فَبَعَثَتْ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْوَلِيدِ وَ هِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ الْمُسْتَلْتِمِ فِي السَّلَاحِ عِنْدَكَ عَلَى خَلْوِهِ وَ أَنْتَ فِي غُلَالِهِ

ص: ١٠٧

١-١ (١) عيون الأخبار ١:١٦٦، العقد ١:١٦٨.

٢-٢ (٢) هو العوام بن شوذب الشيباني، عيون الأخبار ١:١٦٦ و البيت من شواهد المغنى ٢:١٩٦.

٣-٣ (٣) من عيون الأخبار.

٤-٤ (٤) عيون الأخبار ٤:١٦٩.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الْوَلِيدُ أَنَّهُ الْحَجَّاجُ فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ الرَّسُولَ وَاللَّهُ لَمَّا يَخْلُو بِمَكَ مَلَمَكَ الْمَوْتَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْلُو بِمَكَ الْحَجَّاجُ فَضَحِكَ وَأَخْبَرَ الْحَجَّاجَ بِقَوْلِهَا وَهُوَ يُمَارِضُهُ فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَعْ عَنْكَ مُفَاكَهَةَ النِّسَاءِ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ فَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ فَلَا تَطْلِعْهَا عَلَى سِرِّكَ وَ مَكَايِدِهِ عَدْوِكَ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ الْحَجَّاجُ وَ دَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَى امْرَأَتِهِ أَخْبَرَهَا بِمَقَالِهِ الْحَجَّاجُ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَنَّ تَأْمُرَهُ عَدَاً أَنْ يَأْتِيَنِي مُسْتَلْتِمًا فَفَعِلَ ذَلِكَ وَ أَتَاهَا الْحَجَّاجُ فَحَجَبَتْهُ ثُمَّ أَدَخَلَتْهُ وَ لَمْ تَأْذَنْ لَهُ فِي التُّعُودِ فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا ثُمَّ قَالَتْ إِيهِ يَا حَجَّاجُ أَنْتَ الْمُمْتَنُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَ ابْنَ الْأَشْعَثِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّكَ شَرُّ خَلْقِهِ مَا ابْتَلَاكَ بِرَمِي الْكُعْبَةِ الْحَرَامِ وَ لَا- بِقَتْلِ ابْنِ ذَاتِ النُّطَاقِينَ أَوَّلِ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ وَ أَمَا نَهَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مُفَاكَهَةِ النِّسَاءِ وَ بُلُوغِ لَهْدَاتِهِ وَ أَوْطَارِهِ فَإِنْ كُنَّ يَنْفَرِجَنَّ عَنْ مِثْلِكَ فَمَا أَحَقَّهُ بِالْقَبُولِ مِنْكَ وَ إِنْ كُنَّ يَنْفَرِجَنَّ عَنْ مِثْلِهِ فَهِيَ غَيْرُ قَابِلٍ لِقَوْلِكَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ نَفَضَ نِسَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطِّيبَ مِنْ عَدَائِرِهِنَّ فَبِعَنَتِهِ فِي أُعْطِيَهُ أَهْلُ الشَّامِ حِينَ كُنْتُ فِي أَضْيَاقٍ مِنَ الْقَرْنِ قَدْ أَظَلَّتْكَ الرِّمَاحُ وَ أَثَخَنَكَ الْكِفَاحُ وَ حِينَ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِهِمْ وَ أَبْنَائِهِمْ فَانْجِرَاكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحُبِّهِمْ إِيَّاهُ قَاتِلَ اللَّهِ الْقَاتِلَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَ سَنَانَ غَزَالِهِ (١) بَيْنَ كَتِفَيْكَ أَسَدٌ عَلَيَّ وَ فِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ

ثُمَّ قَالَتْ لِحِجَارِهَا أَخْرِجْنَهُ فَأُخْرِجَ (٢).

ص: ١٠٨

١- ١) غزاله: امرأه شيبب الخارجي.

٢- ٢) عيون الأخبار ١٧٠، ١٦٩: ١.

ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ قَالَ كَانَ بِالْبَصِيرَةِ شَيْخٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ بِنِ دَارِمٍ يُقَالُ لَهُ عَزْوُهُ بِنُ مَرْثَدٍ وَ يُكْنَى أَبُو الْأَعَزِّ يَنْزِلُ فِي بَنِي أُحْتٍ لَهُ مِنْ الْأَزْدِ فِي سِتِّهِ بَنِي مِازِنٍ فَخَرَجَ رِحَالُهُمْ إِلَى ضَمِياعِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَ خَرَجَ النِّسَاءُ يُصَيِّمِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ وَ لَمْ يَبْقَ فِي الدَّارِ إِلَّا إِمَاءٌ فَدَخَلَ كَلْبٌ يَتَعَسَّسُ فَرَأَى بَيْتًا مَفْتُوحًا فَدَخَلَهُ وَ انْصَفَقَ الْبَابَ عَلَيْهِ فَسَمِعَ بَعْضَ الْإِمَاءِ الْحَرَكَهَ فَظَنُّوا أَنَّهُ لِصٌّ دَخَلَ الدَّارَ فَذَهَبَتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَى أَبِي الْأَعَزِّ فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ أَبُو الْأَعَزِّ لِأُمِّهِ اللَّصُّ عِنْدَنَا وَ أَخَذَ عَصَاهُ وَ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ بِيَابِ الْبَيْتِ وَ قَالَ إِيه يَا فُلَانُ أَمِيَا وَ اللَّهُ إِنِّي بِحُكِّكَ لَعَارِفٌ فَهَلْ أَنْتَ مِنْ لُصُوصِ بَنِي مَازِنٍ شَرِبْتَ حَامِضًا حَبِيثًا حَتَّى إِذَا دَارَتْ فِي رَأْسِكَ مَتِّكَ نَفْسُكَ الْأَمَانِيَّ وَ قُلْتَ أَطْرُقُ دُورَ بَنِي عَمْرٍو وَ الرَّجَالُ حُلُوفٌ وَ النِّسَاءُ يُصَيِّمِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ فَأَسْرِفُهُمْ سَوْءَةً لَكَ وَ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ هَذَا وَ لِمَ الْأَحْزَارِ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَأَهْتَفَنَّ هَتْفَهُ مَشْمُومَةً يَلْتَقِي فِيهَا الْحَيَّانِ عَمْرُو وَ حَنْظَلُهُ وَ تَجِيءُ سَعْدٌ عَدَدَ الْحَصَى وَ تَسِيلُ عَلَيْكَ الرَّجَالُ مِنْ هُنَا وَ هُنَا وَ لَيْنٌ فَعَلْتُ لَتَكُونَنَّ أَشَامٌ مَوْلُودٍ.

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ أَخَذَهُ بِاللِّينِ فَقَالَ اخْرُجْ بِأَبِي أَنْتَ مَسْتُورًا وَ اللَّهُ مَا أَرَاكَ تَعْرِفُنِي وَ لَوْ عَرَفْتَنِي لَقَنِغْتَ بِقَوْلِي وَ اطمأننت إلى ابن أختي البار الوصول أنا فدتيك أبو الأعز النهشلي و أنا خال القوم و جلده بين أعينهم لا يعصونني و لا تضار الليلة و أنت في ذمتي و عندي قوصرتان (١) أهداهما إلي ابن أختي البار الوصول فخذ إحداهما فأنبذها حلالاً من الله و رسوله .

وَ كَانَ الْكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ أَطْرُقَ وَ إِذَا سَكَتَ أَبُو الْأَعَزِّ وَ ثَبَّ يُرِيدُ الْمَخْرَجَ فَتَهَانَفَ (٢) أَبُو الْأَعَزِّ ثُمَّ تَضَاحَكَ وَ قَالَ يَا أَلَامَ النَّاسِ وَ أَوْضَعَهُمْ أَلَا أَرَانِي لَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ

١- (١) القوصره، مخفف و مثقل: وعاء يرفع فيه التمر من البواري.

٢- (٢) التهاتف: الضحك و الاستهزاء.

فِي وَادٍ وَ أَنْتَ لِي فِي وَادٍ آخَرَ أَقْبَلْتَ السُّودَاءَ وَ الْبَيْضَاءَ فَتَصِيحُ وَ تَطْرُقُ فَإِذَا سَيَكْتُ عَنْكَ وَ ثَبَتَ تُرِيدُ الْخُرُوجَ وَ اللَّهُ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ
لَالِجَنَّ عَلَيْكَ الْبَيْتَ.

فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ جَاءَتْ إِخِيْدَى الْإِمَاءِ فَقَالَتْ أَعْرَابِيٌّ مَجْنُونٌ وَ اللَّهُ مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا فَدَفَعَتِ الْبَابَ فَخَرَجَ الْكَلْبُ شَارِدًا وَ حَادًّا
عَنْهُ أَبُو الْأَعْرَزِّ سَاقِطًا عَلَى قَفَاهُ سَائِلَهُ رَجُلَاهُ وَ قَالَ تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ هَذِهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا كَلْبًا وَ لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوَلَجْتُ عَلَيْهِ (١).

و نظير هذه الحكاياه

١١٣٤

حِكَايَةُ أَبِي حَيَّةِ النَّمِيرِيِّ وَ كَدَانَ جَبَانًا قِيلَ كَانَ لِأَبِي حَيَّةِ سَيِّفٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْخَسْبِ فَرْقٌ كَانَ يُسَيِّمُهُ لُعَابَ الْمَمِيَّةِ فَحَكَى عَنْهُ
بَعْضُ جِيرَانِهِ أَنَّهُ قَالَ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَ قَدِ انْتَضَاهُ وَ هُوَ وَاقِفٌ بِنَابِ بَيْتٍ فِي دَارِهِ وَ قَدْ سَمِعَ فِيهِ حِسًّا وَ هُوَ يَقُولُ أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِنَا
الْمُجْتَرِي عَيْنِنَا بِنَسِّ وَ اللَّهُ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا قَلِيلٌ وَ سَيِّفٌ صِغِيرٌ لُعَابُ الْمَمِيَّةِ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ مَشْهُورَةٌ صَوْلَتُهُ وَ لَا تَخَافُ
نَبْوَتَهُ اخْرُجْ بِالْعَفْوِ عَنْكَ لَا أَدْخُلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ إِنِّي وَ اللَّهُ إِنْ أَدَعُ [أَدْعُ]

قَيْسًا تَمَلَّا الْفَضَاءَ عَلَيْكَ خَيْلًا وَ رَجُلًا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَهَا وَ أَطْيَبَهَا وَ اللَّهُ مَا أَنْتَ بِبَعِيدٍ مِنْ تَابِعِيهَا وَ الرَّسُوبِ فِي تَيَّارِ لُجَّتِيهَا.

وَ قَالَ وَ هَبَّتْ رِيحٌ فَفَتَحَتِ الْبَابَ فَخَرَجَ كَلْبٌ يَشْتُدُّ فُلْبَطَ أَبِي حَيَّةِ وَ ارْبَدًا وَ شَعَرَ بِرَجْلَيْهِ وَ تَبَادَرَتْ إِلَيْهِ نِسَاءُ الْحَيِّ فَقُلْنَ يَا أَبَا حَيَّةِ
لِتَفْرُخَ رَوْعَتُكَ إِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ فَجَلَسَ وَ هُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا وَ كَفَانِي حَزْبًا (٢).

وَ خَرَجَ مَغِيرَهُ بِنِ سَعِيدِ الْعَجَلِيِّ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ظَهَرَ الْكُوفَةَ فَعَطَعُوا (٣) وَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ أَمِيرِ الْعِرَاقِ يَخْطُبُ عَلَى
الْمَنْبَرِ فَعَرِقَ وَ اضْطَرَبَ وَ تَحِيرَ وَ جَعَلَ يَقُولُ أَطْعَمُونِي مَاءَ فَهَجَاهُ ابْنُ نُوْفَلٍ فَقَالَ

ص: ١١٠

١-١ (١) عيون الأخبار ١٦٩، ١٦٨: ١.

١-٢ (٢) عيون الأخبار ١٦٨: ١.

٣-٣ (٣) العطعطه: تتابع الأصوات و اختلافها.

وقال آخر يعيره بذلك بل المنابر من خوف و من دهش و استطعم الماء لما جد في الهرب (١).

و من كلام ابن المقفع في ذم الجبن الجبن مقتله و الحرص محرمة فانظر فيما رأيت و سمعت من قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا و انظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطيه أم من يطلب ذلك بالشره و الحرص

ص: ١١١

١-١) من أبيات وردت متفرقه في البيان و التبيين ٢٠٥:٢٤٧/٣، و الحيوان ٢:٤/٢٤٧:٢٠:٧/٣٢٢:٢٠.

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا حَيِّ السُّ فَسَيِّحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدَدِ فَقَالَ اذْءُغْ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبَدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

[قال الرضى رحمه الله يعنى بالأود الاعوجاج و باللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام]

قوله ملكتنى عينى من فصيح الكلام يريد غلبنى النوم قوله فسنىح لى رسول الله ص يريد مر بى كما تسنىح الطباء و الطير يمر بك و يعترض لك .

و ذا هاهنا بمعنى الذى كقوله تعالى مَاذَا تَرَى (١) أى ما الذى ترى يقول قلت له ما الذى لقيت من أمتك و ما هاهنا استفهاميه كأى و يقال ذلك فيما يستعظم أمره كقوله سبحانه الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ (٢) و شرا هاهنا لا يدلّ على أن فيه شرا كقوله قُلْ أَدْرَأَيْكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ (٣) لا يدلّ على أن فى النار خيرا

ص: ١١٢

١-١) سورة الصافات ١٠٢.

٢-٢) سورة القارعه ١،٢.

٣-٣) سورة الفرقان ١٥.

و يجب أن نذكر في هذا الموضع مقتله ع و أصح ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين (١).

١١٣٥

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَعِيدَ أَسَانِيدَ ذَكَرَهَا مُخْتَلِفَةً مُتَّفِرِّقَةً تَجْتَمِعُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ نَحْنُ ذَاكِرُوهُ إِنَّ نَفْرًا مِنَ الْخَوَارِجِ اجْتَمَعُوا بِمَكَّةَ فَتَدَاكُرُوا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَعَابُوهُمْ وَ عَابُوا أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ وَ ذَكَرُوا أَهْلَ النَّهْرَوَانَ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَوْ أَنَا شَرِينَا أَنْفُسِنَا لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَاتَيْنَا أَنْيَمَةَ الضَّلَالِ وَ طَلَبْنَا عَزَّتُهُمْ وَ أَرْحَنَّا مِنْهُمْ الْعِبَادَ وَ الْبِلَادَ وَ تَأَزَّنَا بِإِخْوَانِنَا الشُّهَدَاءِ بِالنَّهْرَوَانَ فَتَعَاقَدُوا عِنْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ أَنَا أَكْفِيكُمْ عَلِيًّا وَ قَالَ وَاحِدٌ أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ وَ قَالَ الثَّالِثُ أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ فَتَعَاقَدُوا وَ تَوَانَقُوا عَلَى الْوَفَاءِ وَ الْأَيْتُكَلِّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَ لَا عَنْ قَتْلِهِ وَ اتَّعَدُوا لِشَهْرِ رَمَضَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَتَلَ فِيهَا ابْنَ مُلْجَمٍ عَلِيًّا .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ قَالَ أَبُو زُهَيْرٍ الْعَبْسِيُّ الرَّجُلَانِ الْآخِرَانِ الْبُرُكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ وَ هُوَ صَاحِبُ مُعَاوِيَةَ وَ عَمْرُو بْنُ بَكْرِ التَّمِيمِيُّ وَ هُوَ صَاحِبُ عَمْرُو بْنِ الْعِاصِ .

قَالَ فَأَمَّا صَاحِبُ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ قَصَدَهُ فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ ضَرَبَهُ فَوَقَعَتْ ضَرْبَتُهُ عَلَى أَلْبَتِهِ وَ أَخَذَ فَجَاءَ الطَّيِّبُ إِلَيْهِ فَظَنَرَ إِلَى الضَّرْبَةِ فَقَالَ إِنَّ السَّيْفَ مَسْمُومٌ فَاخْتَرِ إِمَّا أَنْ أَحْمِيَ لَكَ حَدِيدَهُ فَأَجْعَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ فَتَبْرَأَ (٢) وَ إِمَّا أَنْ أَسْقِيكَ دَوَاءً فَتَبْرَأَ وَ يَنْقَطِعَ نَسْلُكَ فَقَالَ أَمَّا النَّارُ فَلَا أُطِيقُهَا وَ أَمَّا النَّسْلُ فَفِي يَزِيدَ وَ عَبْدَ اللَّهِ مَا تَقَرَّرَ عَيْنِي وَ حَسْبِي بِهِمَا .

فَسَقَاهُ الدَّوَاءَ فَعُوفِيَ وَ عَالَجَ جُرْحَهُ حَتَّى التَّامَ وَ لَمْ يُوَلِّدْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

ص: ١١٣

(١-١) مقاتل الطالبين ص ٢٩ و ما بعدها.

(٢-٢) من مقاتل الطالبين.

وَقَالَ لَهُ الْبَرَكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ لَكَ عِنْدِي بَشَارَةٌ قَالَ وَمَا هِيَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ صَاحِبِهِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ عَلِيًّا قُتِلَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَأَخْبَسَنِي عِنْدَكَ فَإِنْ قُتِلَ فَأَنْتَ وَلِيُّ مَا تَرَاهُ فِي أَمْرِي وَإِنْ لَمْ يُقْتَلْ أُعْطَيْتَكَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاطِقَ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ ثُمَّ أَعُودَ إِلَيْكَ فَأَضَعُ يَدِي فِي يَدِكَ حَتَّى تَحْكُمَ فِيَّ بِمَا تَرَى فَحَبَسَهُ عِنْدَهُ فَلَمَّا أُتِيَ الْخَبْرُ أَنَّ عَلِيًّا قُتِلَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَلَّى سَبِيلَهُ.

هَذِهِ رِوَايَةُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَاشِدٍ وَقَالَ غَيْرُهُ مِنَ الرُّوَاهِ بَلْ قَتَلَهُ مِنْ وَقْتِهِ.

وَأَمَّا صَاحِبُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَإِنَّهُ وَافَاهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ دَوَاءً وَاشْتِخَلَفَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ يُقَالُ لَهُ خَارِجُهُ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ فَخَرَجَ لِلصَّلَاةِ فَشَدَّ عَمْرٍو بْنُ بَكْرٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَأُثْبِتَهُ (١) وَأَخَذَ الرَّجُلُ فَأَتَى بِهِ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَتَلَهُ وَدَخَلَ مِنْ عَمْرٍو إِلَى خَارِجِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا أَرَادَ غَيْرَكَ قَالَ عَمْرٍو وَكَيِّنَ اللَّهُ أَرَادَ خَارِجَهُ. وَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَإِنَّهُ قَتَلَ عَلِيًّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ

١١٣٦

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَشْنَانِدَانِيُّ وَغَيْرُهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الطَّرِيقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا فَطْرٌ (٢) عَنْ أَبِي الطَّفَيْلِ قَالَ جَمَعَ عَلِيُّ عِ النَّاسِ لِلْبَيْعَةِ فَبَاءَ عَمْرٍو بْنُ مُلْجَمٍ فَرَدَّهُ عَلِيُّ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَبَاعَهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ مَا يَحْسِبُ أَشْفَاهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْضِبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ثُمَّ أَنْشَدَ أَشَدُّ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ .

١١٣٧

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ

ص: ١١٤

١- (١) أثبتته: أي جرحه.

٢- (٢) في الأصول: «قطن»، تصحيف، صوابه من مقاتل الطالبين؛ وهو فطر بن خليفة المخزومي، ذكره صاحب التهذيب فيمن روى عن أبي الطفيل عامر بن واثله.

وَقَدْ رَوَى لَنَا مِنْ طَرُقٍ غَيْرِ هَذِهِ أَنَّ عَلِيًّا أَعْطَى النَّاسَ فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ مُلْجَمٍ أَعْطَاهُ وَقَالَ لَهُ أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَ يُرِيدُ قَتْلِي عَزِيدُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

(١)

١١٣٨

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى الْعِجْلِيُّ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ الْعَبْسِيِّ قَالَ كَانَ ابْنُ مُلْجَمٍ مِنْ مُرَادٍ وَ عَدَاؤُهُ فِي كِنْدَةَ فَأَقْبَلَ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ فَلَقِيَ بِهَا أَصِيحَابَهُ وَ كَتَمَهُمْ أَمْرُهُ وَ طَوَى عَنْهُمْ مَا تَعَاقدَهُ وَ أَصِيحَابُهُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ مِنْ قَتْلِ أَمْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَهُ أَنْ يَنْتَشِرَ وَ زَارَ رَجُلًا مِنْ أَصِيحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ الرِّيَابِ فَصَادَفَ عِنْدَهُ قَطَامَ بِنْتِ الْأَخْضَرِ مِنْ بَنِي تَيْمِ الرِّيَابِ وَ كَانَ عَلِيٌّ قَتِيلَ أَخَاهِ وَأَبَاهَا بِالنَّهْرَوَانَ وَ كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ أَهْلِ زَمَانِهَا فَلَمَّا رَأَاهَا شَغِفَ بِهَا وَ اشْتَدَّ إِعْجَابُهُ فَحَطَبَهَا فَقَالَتْ لَهُ مَا الَّذِي تُسَمِّي لِي مِنَ الصَّدَاقِ فَقَالَ اخْتَكِمِي مَا بَدَا لَكَ فَقَالَتْ اخْتَكِمِي عَلَيْكَ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَ وَصِيْفًا وَ خَادِمًا وَ أَنْ تَقْتُلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ لَهَا لَكَ جَمِيعُ مَا سَأَلْتِ وَ أَمَّا قَتْلُ عَلِيٍّ فَأَنْتِ لِي بِذَلِكَ قَالَتْ تَلْتَمِسُ غِرَّتَهُ فَإِنْ أَنْتِ قَتَلْتَهُ سَمَيْتِ نَفْسِي وَ هَتَّأَكَ الْعَيْشُ مَعِي وَ إِنْ قَتَلْتِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَقَالَ لَهَا أَمَا وَاللَّهِ مَا أَقْدَمَنِي هَذَا الْمِصْرَ وَ قَدْ كُنْتُ هَارِبًا مِنْهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا مَا سَأَلْتَنِي مِنْ قَتْلِ عَلِيٍّ. قَالَتْ لَهُ فَأَنَا طَالِبَةٌ لَكَ بَعْضَ مَنْ يُسَاعِدُكَ عَلَى هَذَا وَ يُقَوِّيكَ ثُمَّ بَعَثَتْ إِلَى وَرْدَانَ بْنِ مَجَالِدٍ أَحَدِ بَنِي تَيْمِ الرِّيَابِ فَحَبَّرَتْهُ الْخَبْرَ وَ سَأَلَتْهُ مُعَاوَنَةَ ابْنِ مُلْجَمٍ فَتَحَمَّلَ لَهَا ذَلِكَ وَ خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ شَيْبُ بْنُ بَجْرَةَ وَ قَالَ لَهُ يَا شَيْبُ هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَ الْأَخْرَةِ قَالَ وَ مَا ذَاكَ قَالَ تُسَاعِدُنِي عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ وَ كَانَ شَيْبُ عَلَى رَأْيِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ هَبْلَتَكَ الْهَبُولُ (٢) لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِذَا وَ كَيْفَ تَقْدِرُ وَ يَحْكُكَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ نَكْمُنُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ

ص: ١١٥

١-١) البيت لعمر بن معديكرب، اللآلى ١٣٨، و روايته هناك: «أريد حباه».

٢-٢) الهبل: الثكل، و الهبول: المرأه الثكول.

فَإِذَا خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَكَّنَا بِهِ وَ شَفِينَا أَنْفُسَنَا مِنْهُ وَ أَدْرَكْنَا ثَارَنَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ.

فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى قَطَامٍ وَ هِيَ مُعْتَكِفَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ قَدْ ضُرِبَتْ لَهَا قُبَّةٌ فَقَالَ لَهَا قَدْ أَجْمَعَ رَأَيْنَا عَلَى قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ قَالَتْ لَهُمَا فَإِذَا أَرَدْتُمَا ذَلِكَ فَالْقِيَانِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَانْصِرِفَا مِنْ عِنْدِهَا فَلَبِنَا أَيَّامًا ثُمَّ أَتَيْتَاهَا وَ مَعَهُمَا وَرَدَانُ بْنُ مُجَالِدٍ الَّذِي كَلَّفْتُهُ مَسَاعِدَهُ ابْنَ مُلْجَمٍ وَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِتَسْمَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ حَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ هَكَذَا فِي رِوَايِهِ (١) أَبِي مِخْنَفٍ وَ فِي رِوَايِهِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهَا كَانَتْ لَيْلَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَالَ لَهَا ابْنُ مُلْجَمٍ هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ الَّتِي وَعَدْتُ فِيهَا صَاحِبِي وَ وَعَدَانِي أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَاحِبَهُ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ

. قلت إنما تواعدوا بمكة عبد الرحمن و البرك و عمرو على هذه الليلة لأنهم يعتقدون أن قتل ولاء الجور قربه إلى الله و أحرى القربات ما تقرب به في الأوقات الشريفة المباركة.

و لما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر عينوها لفضل ما يعتقدونه قربه إلى الله فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسرى في القلوب و تغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظام الأفعال و أهوال الخطوب لأجلها (٢)

١١٣٩

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فَدَعَتْ لَهُمْ بِحَرِيرٍ فَعَصَبَتْ بِهِ صُدُورَهُمْ وَ تَقَلَّدُوا سِيُوفَهُمْ وَ مَضَوْا فَجَلَسُوا مُقَابِلَ الشُّدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا عَلِيٌّ عَ إِلَى الصَّلَاةِ (٣) .

ص: ١١٦

١- (١) ج و مقاتل الطالبيين: «حديث».

٢- (٢) ساقط من ب، و هو في ا، ج و مقاتل الطالبيين.

٣- (٢) ساقط من ب، و هو في ا، ج و مقاتل الطالبيين.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ قَدْ كَانَ إِثْنُ مُلْجَمٍ أَتَى الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ وَ مَرَّ بِهِمَا حُجْرٌ بِنُ عَدِيٍّ فَسَمِعَ الْأَشْعَثَ وَ هُوَ يَقُولُ لِإِثْنِ مُلْجَمٍ النَّجَاءَ النَّجَاءَ بِحَاجَتِكَ فَقَدْ فَضَحَكَ الصُّبْحُ قَالَ لَهُ حُجْرٌ قَتَلْتَهُ يَا أَعْوَرُ وَ خَرَجَ مُبَادِرًا إِلَى عَلِيٍّ (١) وَ قَدْ سَبَقَهُ إِثْنُ مُلْجَمٍ فَضْرَبَهُ (٢) فَأَقْبَلَ حُجْرٌ وَ النَّاسُ يَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

١١٤٠

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي انْحِرَافِهِ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبَارٌ يَطُولُ شَرْحُهَا مِنْهَا حَدِيثٌ حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَشْنَانِدَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ عَنِ الْأَجْلَحِ عَنِ مُوسَى بْنِ أَبِي النُّعْمَانِ قَالَ جَاءَ الْأَشْعَثُ إِلَى عَلِيٍّ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَرَدَّهُ فَتَبَّرَ فَأَذْمَى الْأَشْعَثُ أَنْفَهُ فَخَرَجَ عَلِيٌّ وَ هُوَ يَقُولُ مَا لِي وَ لَكَ يَا أَشْعَثُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بَعْدَ ثَقِيفٍ تَمَرَّسَتْ لَأَقْشَعَرَّتْ شُعَيْرَاتُكَ قَيْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ عَبُدَ ثَقِيفٍ قَالَ غَلَامٌ لَهُمْ لَا يُبْقَى أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا أَدْخَلَهُمْ ذُلًّا قَيْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ يَلِي أَوْ كَمْ يَمُكُّ قَالَ عَشْرِينَ إِنْ بَلَغَهَا

١١٤١

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ أَنَّ الْأَشْعَثَ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ فَكَلَّمَهُ فَأَغْلَظَ عَلِيٌّ لَهُ فَعَرَّضَ لَهُ الْأَشْعَثُ أَنَّهُ سَيْفَتِكَ بِهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أ بِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي أَوْ تُهَدِّدُنِي فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي وَقَعْتَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيَّ

١١٤٢

١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ فَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ إِنِّي لَأُصِلُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْمِضِيرِ كَانُوا يُصِيلُونَ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رِجَالٍ يُصِيلُونَ قَرِيبًا مِنَ السُّدَّةِ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ رُكُوعًا وَ سُجُودًا مَا يَسْتَأْمُونَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْفَجْرَ فَأَقْبَلَ يُنَادِي الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ فَرَأَيْتُ بَرِيقَ السَّيْفِ وَ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ الْحُكْمُ لِلَّهِ يَا عَلِيُّ لَا لَكَ

ص: ١١٧

١- ١) بعدها في مقاتل الطالبين: «وأسرج دابته».

٢- ٢) في مقاتل الطالبين: «فضرب عليا».

ثُمَّ رَأَيْتُ بَرِيقَ سَيْفِ آخَرَ وَ سَمِعْتُ صَوْتَ عَلِيٍّ ع يَقُولُ لَا يَفُوتَنَّكُمْ الرَّجُلُ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فَأَمَّا بَرِيقُ السَّيْفِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ كَانَ شَيْبُ بْنُ بَجْرَةَ ضَرَبَهُ فَأَخْطَاهُ وَ وَقَعَتْ ضَرْبَتُهُ فِي الطَّاقِ وَ أَمَّا بَرِيقُ السَّيْفِ الثَّانِي فَإِنَّهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ضَرَبَهُ فَأَثْبَتَ الضَّرْبَةَ فِي وَسْطِ رَأْسِهِ وَ شَدَّ النَّاسَ عَلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى أَخَذُوهُمَا (١) .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَهَمَّ يَدَانُ تَذَكَّرُ أَنْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكْنَى أَبَا أَدْمَاءَ أَخَذَ ابْنَ مُلْجَمٍ . وَ قَالَ غَيْرُهُمْ بَلْ أَخَذَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ طَرَحَ عَلَيْهِ قَطِيفَةً ثُمَّ صَرَعهُ وَ أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَ جَاءَ بِهِ .

قَالَ وَ أَمَّا شَيْبُ بْنُ بَجْرَةَ فَإِنَّهُ خَرَجَ هَارِبًا فَأَخَذَهُ رَجُلٌ فَصَبَّ رَعَهُ وَ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ وَ أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ لِيَقْتُلَهُ فَرَأَى النَّاسَ يَقْصِدُونَ نَحْوَهُ فَخَشِيَ أَنْ يُعْجَلُوا عَلَيْهِ فَوَثَبَ عَنْ صَدْرِهِ (٢) وَ خَلَّاهُ وَ طَرَحَ السَّيْفَ عَنْ يَدِهِ وَ أَمَّا شَيْبُ بْنُ بَجْرَةَ فَفَعَاتَهُ فَخَرَجَ هَارِبًا حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ (٣) فَرَأَاهُ يُحِلُّ الْحَرِيرَ عَنْ صَدْرِهِ فَقَالَ لَهُ (٤) مَا هَذَا لَعَلَّكَ قَتَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَا فَقَالَ نَعَمْ فَمَضَى ابْنُ عَمِّهِ فَاشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ

١١٤٣

١- قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَازِدِيِّ قَالَ أُدْخِلَ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى عَلِيٍّ ع وَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِيمَنْ دَخَلَ فَبَدَأَ عَلِيٌّ يَقُولُ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ إِنْ أَنَا مِتُّ فَأَقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلْتَنِي وَ إِنْ سَلِمْتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي فَقَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَ لَقَدْ اشْتَرَيْتُهُ بِالْفِ يَعْني السَّيْفَ وَ سَمَّمْتُهُ بِالْفِ فَإِنْ خَانَنِي فَأَبْعِدْهُ اللَّهُ قَالَ فَادَّعَاهُ أُمُّ كَلْثُومٍ يَا عَدُوَّ اللَّهِ قَتَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ إِنَّمَا قَتَلْتُ أَبَاكَ قَالَتْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو

ص: ١١٨

١- ١) مقاتل الطالبين: «عليه من كل ناحية حتى أخذوه».

٢- ٢- ٢) ساقط من ا،ج،و هو في مقاتل الطالبين.

٣- ٣- ٣) ساقط من ا،ب،و هو في مقاتل الطالبين.

٤- ٣- ٣) ساقط من ا،ب،و هو في مقاتل الطالبين.

أَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ بَأْسٌ قَالَ فَارَاكِ إِنَّمَا تَبْكِينَ عَلَيَّ إِذَا وَاللَّهِ لَقَدْ ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَهْلَكْتَهُمْ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ أَخْرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ هُوَ يَقُولُ (١) نَحْنُ ضَرَبْنَا يَا ابْنَ الْخَيْرِ إِذْ طَعَى

قَالَ وَ انْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَأُخِدُوا بِابْنِ مُلْجَمٍ يَنْهَشُونَ لَحْمَهُ بِأَسْنَانِهِمْ كَانَتْهُمْ السَّبَاعُ وَ يَقُولُونَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَاذَا صَنَعْتَ أَهْلَكَتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَ قَتَلْتَ خَيْرَ النَّاسِ وَ إِنَّهُ لَصَامِتٌ مَا يَنْطِقُ

١١٤٤

١،١٤،٢- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّ صَعْصِعَةَ بِنَ صُوحَانَ اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ عَلِيٌّ ع وَ قَدْ أَتَاهُ عَائِدًا لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِذْنٌ فَقَالَ صَعْصِعَةُ لِلْمَآذِنِ قُلْ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيًّا وَ مَيِّتًا فَلَقَدْ كَانَ اللَّهُ فِي صَدْرِكَ عَظِيمًا وَ لَقَدْ كُنْتُ بَدَاتِ اللَّهِ عَلِيمًا فَأَبْلَغُهُ الْآذِنُ مَقَالَتَهُ فَقَالَ قُلْ لَهُ وَ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلَقَدْ كُنْتُ خَفِيفَ الْمُتُونَةِ كَثِيرَ الْمَعُونَةِ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ أَطِبَاءُ الْكُوفَةِ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِجُرْحِهِ مِنْ أُثَيْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَيَانِ السُّكُونِيِّ وَ كَانَ مُتَطَبِّبًا صَاحِبَ كُرْسِيِّ يُعَالِجُ الْجَرَاحَاتِ وَ كَانَ مِنَ الْأَرْبَعِينَ غُلَامًا الَّذِينَ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَصَابَهُمْ فِي عَيْنِ التَّمْرِ فَسَبَاهُمْ فَلَمَّا نَظَرَ أُثَيْرٌ إِلَى جُرْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا بَرِيئَةَ شَاهِ حَارَةَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا عِرْقًا وَ أَدْخَلَهُ فِي الْجُرْحِ ثُمَّ نَفَخَهُ ثُمَّ

ص: ١١٩

١- (١) الأبيات في المؤلف والمختلف للآمدی ٢٨٥، ونسبها إلى ابن مينا. قال: و مينا. أمه.

اسْتَخْرَجَهُ وَإِذَا عَلَيْهِ بَيَاضُ الدِّمَاغِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اعْهَدْ عَهْدَكَ فَإِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ وَصَلَتْ ضَرْبَتُهُ إِلَيَّ أَمْ رَأْسِكَ فَدَعَا عَلِيٌّ ع
 عِنْدَ ذَلِكَ بِدَوَاهٍ وَصِيْفِهِ وَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوْصَى بِأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ
 أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ إِنَّ
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُهْمْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ أَوْصِيكَ يَا حَسَنُ وَجَمِيعَ
 وُلْدِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبِّكُمْ وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
 تَفَرَّقُوا فإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَإِنَّ الْمُبِيرَةَ حَالِقَةَ الدِّينِ إِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ انظُرُوا إِلَى ذَوِي أَرْحَامِكُمْ فَصَلُّوْهَا يُهَوِّنِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَسَابَ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ فَلَا تُغَيِّرَنَّ
 أَفْوَاهُهُمْ بِجَفْوَتِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جَبْرَانِكُمْ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَا زَالَ يُوصِينَا بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورِّثُهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي
 الْقُرْآنِ فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عِمَادُ دِينِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَ
 اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي زَكَاةِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَلَا
 يُظْلَمَنَّ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَوْصَى بِهِمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَأَشْرِكُوهُمْ فِي
 مَعَايِشِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَإِنَّهُ كَانَتْ آخِرَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِذْ قَالَ أَوْصِيكُمْ بِالضَّعِيفِينَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ثُمَّ
 الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ لَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيْمٍ يَكْفِكُمْ مَنْ بَعَى عَلَيْكُمْ وَمَنْ أَرَادَكُمْ بِسُوءٍ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَا
 تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَتَوَلَّى ذَلِكَ غَيْرُكُمْ وَتَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّبَادُلِ وَالتَّبَارُّ وَ
 إِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّفَرُّقِ

وَالْتَدَابِرُ تَلَاوُثًا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَلَاوُثًا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حَفِظَكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهُ خَيْرَ مُسْتَوْدِعٍ وَعَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ

قلت قوله و الله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم يحتمل تفسيرين أحدهما لا تجيعوهم فإن الجائع يخلف فمه و تنغير نكهته و الثانى لا تحوجوهم إلى تكرار الطلب و السؤال فإن السائل ينضب ريقه و تنشف لهواته و يتغير ريح فمه.

و قوله حكاية عن رسول الله ص أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيما نكم يعنى به الحيوان الناطق و الحيوان الأعجم.

١١٤٥

١٤، ١، ٢- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ عَنْ أَبِي عَبِيدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ قَالَ لِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَخْرَجْتُ وَ أَبِي يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ لِي يَا بَنِيَّ إِنِّي بَتُّ اللَّيْلَةَ أَوْقِظُ أَهْلِي لِأَنَّهَا لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ صَبِيحَهُ يَوْمَ بَدْرٍ لِتَسْعَ (١) عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلْتُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَمَلَكَتْنِي عَيْنَايَ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ (٢) وَ اللَّدِّ فَقَالَ لِي اذْءُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ أْبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أْبْدِلْهُمْ بِي مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي قَالَ الْحَسَنُ ع وَ جَاءَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ فَخَرَجَ فَخَرَجْتُ خَلْفَهُ فَاعْتَوَرَهُ الرَّجُلَانِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَوَقَعَتْ ضَرْبَتُهُ فِي الطَّاقِ وَ أَمَّا الْآخَرُ فَأَثْبَتَهَا فِي رَأْسِهِ

١١٤٦

١، ٢- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ قَالَ

ص: ١٢١

١- (١) مقاتل الطالبين: «لسبع عشره».

٢- (٢) في مقاتل الطالبين: قال أبو الفرج: الأود: العوج، و اللدد: الخصومات.

حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْمُعَدَّلِ عَنْ يَحْيَى بْنِ شَعْبٍ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ عَنْ فَضِيلِ بْنِ خَدِيجٍ عَنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ وَالْأَجْلَحِ قَالَ تُوْفِّي عَلِيٌّ ع وَ هُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَ سِتِّينَ سَنَةً فِي عَامِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ لَيْلَةَ [الْأَحَدِ]

لِإِحْدَى وَ عِشْرِينَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ وُلِيَ غُسْلَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاجٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَ صَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَسَنُ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ وَ دُفِنَ بِالرَّحْبَةِ مِمَّا يَلِي أَبْوَابَ كِنْدَةَ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ .

هذه روايه أبي مخنف .

١١٤٧

٣,١- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَلَّالِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قُلْتُ لِلْحُسَيْنِ (١) بِنِ عَلِيٍّ عَ أَيَّنَ دَفَنْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ قَالَ خَرَجْنَا بِهِ لَيْلًا مِنْ مَنْزِلِهِ حَتَّى مَرَرْنَا بِهِ عَلَى مَنْزِلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ثُمَّ خَرَجْنَا بِهِ إِلَى الظُّهْرِ بِجَنْبِ الْغُرِيِّ

قلت و هذه الروايه هي الحق و عليها العمل و قد قلنا فيما تقدم إن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب و هذا القبر الذي بالغرى هو الذي كان بنو علي يزورونه قديما و حديثا و يقولون هذا قبر أبينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم أعنى بنى علي من ظهر الحسن و الحسين و غيرهما من سلالة المتقدمين منهم و المتأخرين ما زاروا و لا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه .

١١٤٨

٥,٦- وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَزِيِّ فِي تَارِيخِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُنْتَظَمِ (٢) وَفَاهَ

ص: ١٢٢

١-١) مقاتل الطالبيين: «الحسن».

٢-٢) المنتظم ١٨٩: ٩.

أَبِي الْغَنَائِمِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَيْمُونِ النَّرْسِيِّ (١) الْمَعْرُوفِ بِأَبِيِّ (٢) لِحُودِهِ قِرَاءَتِهِ قَالَ تُوْفِّي أَبُو الْغَنَائِمِ هَذَا فِي سِنِّهِ عَشْرٍ وَ خَمْسِ مِائَةٍ وَ كَانَ مَحْدَثًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثِقَةً حَافِظًا وَ كَانَ مِنْ قَوْمِ اللَّيْلِ وَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ كَانَ يَقُولُ مَا بِالْكُوفَةِ مَنْ هُوَ عَلِيٌّ مَيِّذَهُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ غَيْرِي وَ كَانَ يَقُولُ مَاتَ بِالْكُوفَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ صَحَابِيٍّ لَيْسَ قَبْرُ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَعْرُوفًا إِلَّا قَبْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُوَ هَذَا الْقَبْرُ الَّذِي يَزُورُهُ النَّاسُ الْآنَ جَاءَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ع وَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع إِلَيْهِ فَرَارَاهُ وَ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ قَبْرًا مَعْرُوفًا ظَاهِرًا وَ إِنَّمَا كَانَ بِهِ سَرْحٌ عِضَاءً حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ الدَّاعِي صَاحِبِ الدَّيْلَمِ فَأَظْهَرَ الْقَبْرَ (٣)

و سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه أن قوما يقولون إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغرى هو قبر المغيرة بن شعبه فقال غلطوا في ذلك قبر المغيرة و قبر زياد بالثوية (٤) من أرض الكوفة و نحن نعرفهما و ننقل ذلك عن آبائنا و أجدادنا و أنشدني قول الشاعر يرثي زيادا و قد ذكره أبو تمام في الحماسة صلى الإله على قبر و طهره

ص: ١٢٣

١- ١) في الأصول: «الرسى»، و ما أثبتته عن المنتظم و النجوم الزاهرة ٥: ٢١٢.

٢- ٢) أبي بن كعب بن قيس سيد القراء.

٣- ٣) في الأصول: «القيمه»، و ما أثبتته من المنتظم.

٤- ٤) الثوية: موضع قريب من الكوفة.

و سألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال صدق من أخبرك نحن و أهلها كافه نعرف مقابر ثقيف إلى الثويه و هي إلى اليوم معروفه و قبر المغيره فيها إلا- أنها لا تعرف و قد ابتلعها السبخ و زبد الأرض و فورانها فطمست و اختلط بعضها ببعض.

ثم قال إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيره في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني (١) لأبي الفرج علي بن الحسين و المح ما قاله في ترجمه المغيره و أنه مدفون في مقابر ثقيف و يكفيك قول أبي الفرج فإنه الناقد البصير و الطيب الخبير فتصفح ترجمه المغيره في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب .

١١٤٩

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ كَانَ مَضِيَّ قَلْبُهُ بِنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيَّ قَدْ لَاحَى الْمَغِيرَةَ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ فَضَرَعَ لَهُ الْمَغِيرَةُ وَ تَوَاضَعَ فِي كَلَامِهِ حَتَّى طَمَعَ فِيهِ مَضِيَّ قَلْبَهُ فَاسْتَعْلَى عَلَيْهِ وَ سَتَمَهُ وَ قَالَ إِنِّي لَأَعْرِفُ شَبَهِي فِي عُرْوَةِ ابْنِكَ فَأَشْهَدُ الْمَغِيرَةَ عَلَيَّ قَوْلِهِ هَذَا شُهُودًا ثُمَّ قَدَّمَهُ إِلَى سُورِيحِ الْفَاضِي فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْبَيْتَةَ فَضَرَبَهُ سُورِيحُ الْحِدِّ وَ آلَى مَضِيَّ قَلْبَهُ أَلَّا يُقِيمَ بِبَلَدِهِ فِيهَا الْمَغِيرَةَ فَلَمَّ يَدْخُلُ الْكُوفَةَ حَتَّى مَاتَ الْمَغِيرَةُ فَدَخَلَهَا فَتَلَقَّاهُ قَوْمُهُ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَمَا فَرَّغَ مِنَ السَّلَامِ حَتَّى سَأَلَهُمْ عَنْ مَقَابِرِ ثَقِيفٍ فَأَرشَدُوهُ إِلَيْهَا فَجَعَلَ قَوْمٌ مِنْ مَوَالِيهِ

ص: ١٢٤

١ - ١) قال المبرد: «قوله: كأنما نفخت فيه الأعاصير؛ هذا مثل؛ و إنما يريد خفه الحلوم. و الإعصار - فيما ذكر أبو عبيده - ريح تهب بشده فيما بين السماء و الأرض». هذا و لم أجد الأبيات في الحماسه.

يَلْتَقِطُونَ الْحِجَارَةَ فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذَا فَقَالُوا نَظُنُّ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِمَ قَبْرَ الْمُغِيرَةَ فَقَالَ أَلْقُوا مَا فِي أَيْدِيكُمْ فَانْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِمَّا عَلِمْتُ نَافِعًا لَصِدِّيقِكَ ضَارًّا لِعَدُوِّكَ وَمَا مَثَلُكَ إِلَّا كَمَا قَالَ مُهْلَهُلٌ فِي كَلْبٍ أُخِيهِ إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَعَزْمًا

١١٥٠

٢- قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَإِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ دَفْنِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا بِهِ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ رَأَيْتَ أَنْ تَأْخُذَ عَلِيَّ الْعُهُودَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ حَتَّى أَضَعَّ يَدِي فِي يَدِكَ بَعْدَ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى الشَّامِ فَانْظُرْ مَا صَنَعَ صَاحِبِي بِمُعَاوِيَةَ فَإِنْ كَانَ قَتَلَهُ وَالْإِلَّا قَتَلْتُهُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَحْكُمَ فِي حُكْمِكَ فَقَالَ هَيْهَاتَ وَاللَّهِ لَا تَشْرَبُ الْمَاءَ الْبَارِدَ حَتَّى تَلْحَقَ رُوْحَكَ بِالنَّارِ ثُمَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ وَاسْتَوْهَبَتْ أُمُّ الْهَيْثَمِ بِنْتُ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيَّةُ جُثَّتَهُ مِنْهُ فَوَهَبَهَا لَهَا فَأَحْرَقَتْهَا بِالنَّارِ

و قال ابن أبي مياس الفزاري و هو من الخوارج فلم أر مهرا ساقه ذو سماحه

و قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (١) و هز على بالعراقيين لحيه

ص: ١٢٥

(١- ١) الأغاني ١٦:٩٢، والمعلاق: اللسان البليغ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ أَنْشَدَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَزِيهِ عَلِيًّا وَ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ
يَا قَبْرِ سَيِّدِنَا الْمَجْنِ سَمَاحَةً

أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيْمُهَا وَ طَالَ تَأْيِمُهَا وَ وَرَثَتُهَا أَبْعَدُهَا.

أَمَا وَ اللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِياراً وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ [أَتَيْتُكُمْ]

سَوْفًا وَ لَصَدُّ بَلْعِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ (١) يَكْذِبُ فَمَا تَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّهِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أُمُّ عَلِيٍّ نَبِيِّهِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ (٢) بِهِ كَلَاءً وَ اللَّهُ لَكِنَّهَا لَهَجَةٌ غَبِثَتْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيُلْمُهُ كَيْلًا بَغِيرِ تَمَنٍّ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ .

أملصت الحامل ألقط ولدها سقاطا و قيمها بعلها و تأيمها خلوها عن الأزواج يقول لما شارفتم استئصال أهل الشام و ظهرت أمارات الظفر لكم و دلائل الفتح نكصتم و جنحتم إلى السلم و الإجابة إلى التحكيم عند رفع المصاحف فكنتم كالمراه الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقط ولدها إلقاء غير طبعي نحو أن تلقيه لسقطه أو ضربه أو عارض يقتضي أن تلقيه هالكا .

ثم لم يكتف لهم بذلك حتى قال و مات بعلها و طال تأيمها و ورثها أبعدها أي لم يكن لها ولد و هو أقرب المخلفين إلى الميت و لم يكن لها بعل فورثها الأبعد عنها

ص: ١٢٧

١-١) ساقطه من مخطوطه النهج.

٢-٢) مخطوطه النهج: «صدقته».

كالسافلين من بنى عم و كالمولاه تموت من غير ولد و لا من يجرى مجراه فيرثها مولاهها و لا نسب بينها و بينه .

ثم أقسم أنه لم يأتهم اختيارا و لكن المقادير ساقته إليهم سوفا يعنى اضطرارا.

و صدق ع لأنه لو لا- يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق و إنما استنجد بأهل الكوفه على أهل البصره اضطرارا إليهم لأنه لم يكن جيشه الحجازى و افيا بأهل البصره الذين أصفقوا على حربته و نكث بيعته و لم يكن خروجه عن المدينة و هى دار الهجره و مفارقتة لقبر رسول الله ص و قبر فاطمه عن إيثار و محبه و لكن الأحوال تحكم و تسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابتداء.

و قد روى هذا الكلام على وجه آخر ما أتيتكم اختيارا و لا جئت إليكم سوفا بالشين المعجمه .

ثم قال بلغنى أنكم تقولون يكذب و كان كثيرا ما يخبر عن الملاحم و الكائنات و يومئ إلى أمور أخبره بها رسول الله ص فيقول المنافقون من أصحابه يكذب كما كان المنافقون الأولون فى حياه رسول الله ص يقولون عنه يكذب.

١١٥٢

١- وَ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ ع فَقَالَ وَ اللَّهُ لَوْ أَمَرْتُكُمْ فَجَمَعْتُكُمْ مِنْ خِيَارِكُمْ مِائَةً ثُمَّ لَوْ شِئْتُ لَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ غُدُوهِ إِلَى أَنْ تَغِيَبَ الشَّمْسُ لَا أَخْبَرْتُكُمْ إِلَّا حَقًّا ثُمَّ لَتَخْرُجَنَّ فَلَترَعَمَنَّ أَنِّي أَكْذَبُ النَّاسِ وَ أَفْجَرُهُمْ .

١١٥٣

وَ قَدْ رَوَى صَاحِبُ هَذَا الْكِتَابِ وَ غَيْرُهُ مِنَ الرُّوَاهِ أَنَّهُ قَالَ

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهَ قَبْلَهُ لِلْإِيمَانِ .

ص: ١٢٨

و هذا الكلام منه كلام عارف عالم بأن في الناس من لا يصدقه فيما (١) يقول و هذا أمر مركز في الجبله البشريه و هو استبعاد الأمور الغريبه و تكذيب الأخبار بها و إذا تأملت أحواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصره من أحوال رسول الله ص في حياته كأنها نسخه منتسخه منها في حربه و سلمه و سيرته و أخلاقه و كثره شكايته من المنافقين من أصحابه و المخالفين لأمره و إذا أردت أن تعلم ذلك علما واضحا فاقرا سورة براءه ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه

ذكر مطاعن النظام على الإمام علي و الرد عليه

و اعلم أن (٢) النظام لما تكلم في كتاب النكت و انتصر لكون الإجماع ليس بحجه اضطر إلى ذكر عيوب الصحابه فذكر لكل منهم عيبا و وجه إلى كل واحد منهم طعنا

١١٥٤

١٤،٢،١- وَ قَالَ فِي عَلِيٍّ إِنَّهُ لَمَّا حَارَبَ الْخَوَارِجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانَ كَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَارَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُطْرِقُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا تَارَةً أُخْرَى يُوهِمُ أَصْحَابَهُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِتَالِهِمْ وَ أُدِيلَ عَلَيْهِمْ وَ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا قَالَ الْحَسَنُ ابْنُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ بِشَيْءٍ فَقَالَ لَا وَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَمَرَنِي بِكُلِّ حَقٍّ وَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ

قال النظام (٣) و قوله ما كذبت و لا كذبت و رفعه رأسه أحيانا إلى السماء و إطراقه إلى الأرض إيهام إماما لتزول الوحي عليه أو لأنه قد أوصى من قبل في شأن الخوارج بأمر ثم هو يقول ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر و إنما أوصى بكل الحق و قتالهم من الحق.

ص: ١٢٩

(١-١) كذا في ج، و في ا، ب: «كما».

(٢-٢) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى أبو إسحاق النظام، أحد أئمة المعتزله؛ ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١: ٦٧، و قال إنه «مات في خلافه المعتصم سنه بضع و عشرين و مائتين».

(٣-١) كذا في ج، و في ا، ب: «كما».

و هذا عجيب طريف.

ف نقول إن النظام أخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا و قال قولا منكرا نستغفر الله له من عقابه و نسأله عفوه عنه و ليست الروايه التي رواها عن الحسن و سؤاله لأبيه و جوابه له بصحيحه و لا معروفه و المشهور المعروف المنقول نقلا يكاد يبلغ درجه المتواتر من الأخبار ما

١١٥٥

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى فِي مَعْنَى الْخَوَارِجِ بِأَعْيَانِهِمْ وَ ذِكْرِهِمْ بِصَفَاتِهِمْ وَ قَوْلِهِ صَلَّى عِنْدَ إِنْكَارِ مَقَاتِلِهِمْ وَ قَاتِلِهِمْ وَ إِنَّ الْمَخْدَجَ (١) ذَا التُّدْيَةِ مِنْهُمْ وَ إِنْكَارِ سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ .

فجعلهم أصنافا ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه و هذا من معجزات الرسول ص و إخباره عن الغيوب المفصله فما أعلم من أى كتاب نقل النظام هذه الروايه و لا عن أى محدث رواها و لقد كان رحمه الله تعالى بعيدا عن معرفه الأخبار و السير منصبا فكره مجهدا نفسه فى الأمور النظرية الدقيقه كمسأله الجزء و مداخله الأجسام و غيرهما و لم يكن الحديث و السير من فنونه و لا من علومه و لا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله فنقلها كما سمعها.

فأما كونه ع كان ينظر تاره إلى السماء و تاره إلى الأرض و قوله ما كذبت و لا كذبت فصحيح و موثوق بنقله لاستقامته و شهرته و كثره رواته و الوجه فى ذلك أنه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه فى جملة القتلى فلما طال الزمان و أشفق من دخول شبهه على أصحابه لما كان قدمه إليهم من الأخبار قلق و اهتم و جعل يكرر قوله ما كذبت و لا كذبت أى ما كذبت على رسول الله ص و لا كذبتى رسول الله ص فيما أخبرنى به.

فأما رفعه رأسه إلى السماء تاره و إطرافه إلى الأرض أخرى فإنه حيث كان يرفع

ص: ١٣٠

رأسه كان يدعو و يتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمُخَدَج و حيث يطرق كان يغلبه الهم و الفكر فيطرق.

ثم حين يقول ما كذبت و لا كذبت كيف ينتظر نزول الوحي فإن من نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول ما كذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله ص .

و مما طعن به النظام عليه (١)

١١٥٦

أَنَّهُ ع قَالَ

إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَهُوَ كَمَا حَدَّثْتُمْ فَوَاللَّهِ لَأَنَّ أَخْرَجَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَإِذَا سَمِعْتُمُونِي أَحَدْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خُدْعَةٌ .

قال النظام هذا يجرى مجرى التدليس في الحديث و لو لم يحدثهم عن رسول الله ص بالمعاريض و على طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك.

فقول في الجواب إن النظام قد وهم و انعكس عليه مقصد أمير المؤمنين و ذلك أنه ع لشده ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه و بين ما يرويه عن رسول الله ص و ذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعاريض لا سيما في الحرب المبنيه على الخديعه و الرأي فقال لهم كلما أقول لكم قال لي رسول الله ص فاعلموا أنه سليم من المعاريض خال من الرمز و الكنايه لأنني لا أستجيز و لا أستحل أن أعمى أو ألغز في حديث رسول الله ص . و ما حدثتكم به عن نفسي فربما أستعمل فيه المعاريض لأن الحرب خدعه.

ص: ١٣١

(١ - ١) ج: «رضي الله عنه».

و هذا كلام رجل قد استعمل التقوى و الورع فى جميع أموره و بلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاه و السلام و إجلال قدره و احترام حديثه ألا- يرويه إلا- بألفاظه لا- بمعانيه و لا بأمر يقتضى فيه إلباسا و تعميه و لو كان مضطرا إلى ذلك ترجيحا للجانب الذى على جانب مصلحته فى خاص نفسه فأما إذا هو قال كلاما يتدئ به من نفسه فإنه قد يستعمل فيه المعارض إذا اقتضت الحكمة و التدبير ذلك

١١٥٧

١٤- فَصَدَّ كَمَا نَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِاتِّفَاقِ الرُّوَاهِ كَافَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ وَجْهًا وَرَى عَنْهُ بَغَيْرِهِ وَ لَمَّا خَرَجَ عَ مِنَ الْمَيْدِينَةِ لِفَتْحِ مَكَّةَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ كَلَامًا يَفْتَضِي أَنَّهُ يَفْصِدُ بَيْنِي بَكْرُ بْنُ عَبْدِ مَنَآةَ مِنْ كِنَانَةَ فَلَمَّ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ حَالِهِ حَتَّى شَارَفَ مَكَّةَ وَ قَالَ حِينَ هَاجَرَ وَ صَحْبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِأَعْرَابِيٍّ لَفِيهِمَا مِنْ أَيْنَ أَنْتَ وَ مِمَّنْ أَنْتَ فَلَمَّا انْتَسَبَ لَهُمَا قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ أَمَا أَنَا فَصَدَّ أَطْلَعْتُكُمَا طَلَعَ أَمْرِي فَمِمَّنْ أَنْتَ فَقَالَ مِنْ مَاءٍ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ فَجَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ يُفَكِّرُ وَ يَقُولُ مِنْ أَيِّ مَاءٍ مِنْ مَاءِ بَنِي فُلَانٍ مِنْ مَاءِ بَنِي فُلَانٍ فَتَرَكَهُ وَ لَمْ يُفَسِّرْ لَهُ

و إنما أراد ع أنه مخلوق من نطفه.

فأما قول النظام لو لم يحدث عن رسول الله ص بالمعارض لما اعتذر من ذلك فليس فى كلامه اعتذار و لكنه نفى أن يُدخل المعارض فى روايته و أجازها فيما يتدئ به عن نفسه و ليس يتضمن هذا اعتذارا و قوله لأن آخر من السماء يدل على أنه ما فعل ذلك و لا يفعله .

ثم قال على من أكذب يقول كيف أكذب على الله و أنا أول المؤمنين به و كيف أكذب على رسول الله و أنا أول المصدقين به أخرجهم مخرج الاستبعاد لدعواهم و زعمهم.

فإن قلت كيف يمكن أن يكون المكلف الذى هو من أتباع الرسول كاذبا على الله إلا بواسطة إخباره عن الرسول لأنه لا وصله و لا واسطه بينه و بين الله تعالى إلا الرسول.

ص: ١٣٢

و إذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب وقوله أفأنا أكذب على الله أو على رسوله معنى (١).

قلت يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبا على الرسول و إن كان من أتباع الرسول نحو أن يقول كنت مع الرسول ص ليله في مقبره فأحيا الله تعالى فلانا الميت فقام وقال كذا أو يقول كنت معه يوم كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا أو نحو ذلك من الإخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول . ثم قال ع (٢) كلاً- و الله أى لا و الله و قيل إن كلاً بمعنى حقا و إنه إثبات .

قال و لكنها لهجه غبتم عنها اللهجه بفتح الجيم و هى آله النطق يقال له هو فصيح اللهجه و صادق اللهجه و يمكن أن يعنى بها لهجه رسول الله ص فيقول شهدت و غبتم و يمكن أن يعنى بها لهجته هو فيقول إنها لهجه غبتم عن منافعها و أعدتم أنفسكم ثمن مناصحتها .

ثم قال و يلمه الضمير راجع إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لأنه لما ذكر اللهجه و شهوده إياها و غيبوتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول ع فقال و يلمه و هذه كلمه تقال للتعجب و الاستعظام يقال و يلمه فارسا و تكتب موصوله كما هى بهذه الصورة و أصله ويل أمه مرادهم التعظيم و المدح و إن كان اللفظ موضوعا لصد ذلك

١١٥٨

كَقَوْلِهِ ع

فَاطَفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ .

و كقولهم للرجل يصفونه و يقرظونه لا أبأله .

و قال الحسن البصرى و هو يذكر عليا ع و يصف كونه على الحق

ص: ١٣٣

١-١) ساقطه من ا،ب و هى فى ج.

٢-٢) ج: «رضى الله عنه».

فى جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر وافق على التحكيم و ما لك فى التحكيم و الحق فى يديك لا أبا لك.

قال أبو العباس المبرد هى (١) كلمه فيها جفاء و خشونه كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره قال و لما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب رب العباد ما لنا و ما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث لا أبا لكا.

قال أشهد أنه لا أب له و لا صاحبه و لا ولد فأخرجها أحسن مخرج .

ثم قال ع كيلا- بغير ثمن لو كان له وعاء انتصب كيلا لأنه مصدر فى موضع الحال و يمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم لله دره فارسا يقول أنا أكيل لكم العلم و الحكمه كيلا و لا أطلب لذلك ثمنا لو وجدت وعاء أى حاملا للعلم

١١٥٩

وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ ع

هَا إِنَّ بَيْنَ جَنَّتَيْ عِلْمًا جَمًّا لَوْ أَجِدُ لَهُ حَمَلَةً .

ثم ختم الفصل بقوله تعالى وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ و هو أحسن ما ختم هذا الكلام به

خطبه الإمام على بعد يوم النهروان

١١٦٠

١- وَ رَوَى آلِمِ دَائِنِي فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ ع بَعِيدَ انْقِصَاءِ أَمْرِ النَّهْرَوَانِ فَذَكَرَ طَرَفًا مِنَ الْمَلَا حِمِ قَالَ إِذَا كَثُرَتْ فِيكُمْ الْأَخْلَاطُ وَ اسْتَبَوَلَتِ الْأَنْبَاطُ دَنَا خَرَابُ الْعِرَاقِ ذَاكَ إِذَا بُنِيَتْ مَدِينَتُهُ ذَاتُ أَثَلٍ وَ أَنْهَارٍ فَإِذَا غَلَّتْ فِيهَا الْأَسْمَاعُ وَ شُيِّدَ فِيهَا الْبُنْيَانُ وَ حَكَمَ فِيهَا الْفُسَّاقُ وَ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ وَ تَفَاخَرَ الْعُوغَاءُ دَنَا حُسُوفُ الْبَيْدَاءِ وَ طَابَ الْهَرَبُ وَ الْجَلَاءُ وَ سَيَتَكُونُ قَبْلَ الْجَلَاءِ أُمُورٌ يَشْتَبُ مِنْهَا الصَّغِيرُ وَ يَعْطَبُ الْكَبِيرُ وَ يَخْرُسُ الْفَصِيحُ

ص: ١٣٤

١-١) الكامل ص ٢١٦:٣.

وَبِنَهْتِ اللَّيْبِ يُعَاجِلُونَ بِالسَّيْفِ صِلْتًا وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَضَارِهِ مِنْ عَيْشِهِمْ يَمْرُحُونَ فَيَا لَهَا مُصِيبَةً حِينِنْدٍ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
وَالْبُكَاءِ الطَّوِيلِ وَالْوَيْلِ وَالْعَوِيلِ وَشِدَّةِ الصَّرِيخِ فِي ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَائِنٌ وَقْتًا يُرِيحُ (١) فَيَا ابْنَ حُرِّهِ (٢) الْإِمَاءِ مَتَى تَنْتَظِرُ
أَبْشَرُ بِنَصْرِ قَرِيبٍ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ أَلَا فَوَيْلٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ حَصَادِ الْحَاصِدِينَ وَقَتْلِ الْفَاسِقِينَ عَصَاهِ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فَيَأْبَى وَأُمِّي
مِنْ عَدُوِّهِ قَلِيلَهُ أَسِيْمًا وَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ قَدْ دَنَا حِينِنْدٍ ظُهُورُهُمْ وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا يَأْتِي وَيَكُونُ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِكُمْ وَ
نَوَائِبِ زَمَانِكُمْ وَبَلَايَا أَيَّامِكُمْ وَغَمْرَاتِ سَاعَاتِكُمْ وَلَكِنَّهُ أفضَ بِهِ إِلَيَّ مَنْ أفضَ بِهِ إِلَيْهِ مَخَافَةً عَلَيْكُمْ وَنَظْرًا لَكُمْ عَلِمًا مِنِّي بِمَا هُوَ
كَائِنٌ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّامِلِ ذَلِكَ عِنْدَ تَمَرُّدِ الْأَشْرَارِ وَطَاعِهِ أُولَى الْخَسَارِ ذَاكَ أَوَانُ الْحَتْفِ وَالذَّمَارِ ذَاكَ إِذْ بَارَأْمِكُمْ وَ
انْقِطَاعِ أَصْلِكُمْ وَتَشْتُّ أَلْفِتِكُمْ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْعِضْيَانِ وَانْتِشَارِ الْفُسُوقِ حَيْثُ يَكُونُ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ أَهْوَنَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اِكْتِسَابِ دِرْهَمٍ حَلَالٍ حِينَ لَا تَنَالُ الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ حِينَ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ وَتَحْلِفُونَ مِنْ
غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَتَظْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ تَتَفَكَّهُونَ بِالْفُسُوقِ وَتَبَادُرُونَ بِالْمَعْصِيَةِ قَوْلُكُمْ الْبُهْتَانُ وَحَدِيثُكُمْ
الزُّورُ وَأَعْمَالُكُمْ الْغُرُورُ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا تَأْمَنُونَ الْبَيَّاتِ فَيَا لَهُ مِنْ بَيَّاتٍ مَا أَشَدَّ ظُلْمَتَهُ وَمِنْ صَائِحٍ مَا أَفْطَحَ صَوْتَهُ ذَلِكَ بَيَّاتٍ لَا يَنْمِي
صَاحِبُهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تُفْتَلُونَ وَبِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ تُضْرَبُونَ وَبِالسَّيْفِ تُحْصَدُونَ وَإِلَى النَّارِ تَصِيرُونَ وَيَعْضُكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْغَارِبُ
الْقَتْبُ (٣).

يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ مِنْ جَمْعِ أَشْتَاتٍ وَحَصِيدِ نَبَاتٍ وَمِنْ أَصْوَاتٍ بَعْدَهَا أَصْوَاتٌ ثُمَّ قَالَ سَبَقَ الْقَضَاءُ سَبَقَ
الْقَضَاءُ

ص: ١٣٥

١-١) كذا وردت العبارة في الأصول، وفيها غموض.

٢-٢) كذا في ب، وفي ج: «خرت الإمام، وفي أ كلمه غير واضح.

٣-٣) الغارب هنا: كاهل البعير. والقرب: رجل صغير على قدر السنام؛ والكلام هنا جار على المثل.

قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى جَانِبِهِ أَشْهَدُ أَنَّهُ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ الْكُوفِيُّ وَ مَا يُدْرِيكَ قَالَ فَوَلَّى اللَّهُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْمُنْبَرِ حَتَّى فُلِحَ الرَّجُلُ فَحَمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي شِقِّ مَحْمِلٍ فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ

من خطب الإمام علي أيضا

١١٦١

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ أَيْضاً قَالَ خَطَبَ عَلِيُّ ع (١) فَقَالَ لِمُكْسِرَتٍ لِي الْوَسِيَّةُ لِحَكْمَتِ بَيْنِ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ وَ بَيْنِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ وَ بَيْنِ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ وَ مَا مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْزَلْتُ فِي سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ إِلَّا وَ أَنَا عَالِمٌ مَتَى أَنْزَلْتُ وَ فِيمَنْ أَنْزَلْتُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقُعُودِ تَحْتَ مُنْبَرِهِ يَا لِلَّهِ وَ لِلدَّعْوَى الْكَاذِبَةِ وَ قَالَ آخِرُ إِلَى جَانِبِهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّنَاقُضِ وَ التَّبَايُنِ فِيهِ

١١٦٢

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ أَيْضاً قَالَ خَطَبَ عَلِيُّ ع (٢) فَذَكَرَ الْمَلَا حِمَّ فَقَالَ سَيَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي أَمَا وَ اللَّهُ لَتَشْغَرَنَّ الْفِتْنَةُ الصَّمَاءَ بِرِجْلَيْهَا وَ تَطَّأَ فِي خِطَامِهَا يَا لَهَا مِنْ فِتْنَةٍ (٣) شَبَّتْ نَارَهَا بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ مُقْبِلَةً مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ رَافِعَةً ذَيْلَهَا دَاعِيَةً وَيَلْهَا بِدِجْلَةٍ أَوْ حَوْلَهَا ذَاكَ إِذَا اسْتَدَارَ الْفَلَكَ وَ قُلْتُمْ مَاتَ أَوْ هَلَكَ بَأَى وَادٍ سَلَكَ فَقَالَ قَوْمٌ تَحْتَ مُنْبَرِهِ لِلَّهِ أَبُوهُ مَا أَفْصَحَهُ كَاذِباً

١١٦٣

١- وَ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ

ص: ١٣٦

١- ١) ح: «رضي الله عنه».

١- ٢) ح: «رضي الله عنه».

قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ مَا أَحَدٌ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ قُرْآنًا فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ قَالَ يُرِيدُ تَكْذِيبَهُ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ يَلْكَزُونَهُ فِي صَدْرِهِ وَجَنْبِهِ فَقَالَ دَعُوهُ أَقْرَأَتْ سُورَةَ هُودٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَ قْرَأَتْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ أَ فَمَنْ كَانَ عَلِيٌّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (١) قَالَ نَعَمْ قَالَ صَاحِبُ الْبَيْتِ مُحَمَّدٌ وَ التَّالِي الشَّاهِدُ أَنَا

ص: ١٣٧

(١-١) سورة هود ١٧.

اللَّهُمَّ دَاخِيَ الْمَدْحُورَاتِ وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا (١) شَقِيحًا وَ سَعِيدًا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَ الْمُغْلِبِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَ الدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدَمٍ وَ لَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لَوْحِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْزَى قَبَسِ الْقَابِسِ وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَ هَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ الْأَثَامِ (٢) وَ أَقَامَ بِمُوضِعَاتِ الْأَعْلَامِ وَ تَبَرَّاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ وَ اجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ اَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَيَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لِمَدِينِكَ مَنَزَلَتَهُ وَ أَتَمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزِهِ مِنْ اِتِّعَازَاتِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ وَ خُطْبِهِ فَضْلِ اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَ قَرَارِ النُّعْمَةِ وَ مَنَى الشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اللَّذَاتِ وَ رَخَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ وَ تَحْفِ الْكِرَامَةِ.

ص: ١٣٨

١-١) مخطوطه النهج: «فطرتها».

٢-٢) مخطوطه النهج بالإثم: «».

دحوت الرغيف دحوا بسطته و المدحوات هنا الأرضون.

فإن قلت قد ثبت أن الأرض كرهه فكيف تكون بسيطه و البسيط هو المسطح و الكرى لا يكون مسطحا.

قلت الأرض بجملتها شكل كره و ذلك لا- يمنع أن تكون كل قطعه منها مبسوطة تصلح لأن تكون مستقرا و مجالا للبشر و غيرهم من الحيوان فإن المراد بانبساطها هاهنا ليس هو السطح الحقيقي الذى لا يوجد فى الكره بل كون كل قطعه منها صالحه لأن يتصرف عليها الحيوان لا يعنى به غير ذلك.

و داحى المدحوات ينتصب لأنه منادى مضاف تقديره يا باسط الأرضين المبسوطات قوله و داعم المسموكات أى حافظ السماوات المرفوعات دعمت الشىء إذا حفظته من الهوى بدعامه و المسموك المرفوع قال إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول (١).

و يجوز أن يكون عنى بكونها مسموكه كونها تخينه و سمك الجسم هو البعد الذى يعبر عنه المتكلمون بالعمق و هو قسيم الطول و العرض و لا شىء أعظم ثخنا من الأفلاك.

فإن قلت كيف قال إنه تعالى دعم السماوات و هى بغير عمد.

قلت إذا كان حافظا لها من الهوى بقدرته و قوته فقد صدق عليه كونه داعما لها لأن قوته الحافظه تجرى مجرى الدعامة .

قوله و جابل القلوب أى خالقها و الجبل الخلق و جبله الإنسان خلقتة و فطراتها بكسر الفاء و فتح الطاء جمع فطره و يجوز كسر الطاء كما قالوا فى سدره سدرات و سدرات و الفطره الحاله التى يفطر الله عليها الإنسان أى يخلقه عليها خاليا من الآراء

ص: ١٣٩

١- (١) البيت مطلع قصيده للفرزدق، ديوانه ٧١٤.

و الديانات و العقائد و الأهويه و هى ما يقتضيه محض العقل و إنما يختار الإنسان بسوء نظره ما يفضى به إلى الشقوه و هذا معنى

١١٦٤

قَوْلِ النَّبِيِّ ص كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ .

قوله شقيها و سعيدها بدل من القلوب و تقدير الكلام و جابل الشقى من القلوب و السعيد على ما فطرت عليه .

و النوامى الزوائد و الخاتم لما سبق أى لما سبق من الملل و الفاتح لما انغلق من أمر الجاهليه و المعلن الحق بالحق أى المظهر للحق الذى هو خلاف الباطل بالحق أى بالحرب و الخصومه يقال حاق فلان فلانا فحقه أى خاصمه فخصمه و يقال ما فيه حق أى خصومه .

قوله و الدافع جيئات الأباطيل جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

و الأباطيل جمع باطل على غير قياس و المراد أنه قانع ما نجم من الباطل .

و الدماغ

المهلك من دمه أى شجه حتى بلغ الدماغ و مع ذلك يكون الهلاك.

و الصولات جمع صوله و هى السطوه و الأضاليل جمع ضلال على غير قياس .

قوله كما حمل أى لأجل أنه يحمل و العرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر فقلت له أبا الملحاء خذها كما أوسعتنا بغيا و عدوا أى هذه الضربه لبغيك علينا و تعديك.

و قوله كما حمل يعنى حمل أعباء الرساله فاضطلع أى نهض بها قويا فرس ضليع أى قوى و هى الضلاعه أى القوه .

مستوفزا

أى غير بطيء بل يحث نفسه و يجهدا فى رضا الله سبحانه و الوفز العجله و المستوفز المستعجل .

ص : ١٤٠

غير ناكل عن قدم

أى غير جبان ولا متأخر عن إقدام و المقدم المتقدم يقال مضى قدما أى تقدم و سار و لم يعرج .

قوله و لا واه فى عزم وهى أى ضعف و الواهى الضعيف .

واعيا لوحيك

أى فاهما وعيت الحديث أى فهمته و عقلته .

ماضيا على نفاذ أمرك

فى الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى فى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ (١) و لم يقل مرسلا لأن الكلام يدلّ بعضه على بعض .

و قوله حتى أورى قبس القابس يقال ورى الزند يرى أى خرج ناره و أوريته أنا و القبس شعله من النار و المراد بالقبس هاهنا نور الحق و القابس الذى يطلب النار يقال قبست منه نارا و أقبسنى نارا أى أعطانيها.

و قال الراوندى أقبست الرجل علما و قبسته نارا أعطيته فإن كنت طلبتها له قلت أقبسته نارا.

و قال الكسائى أقبسته نارا و علما سواء قال و يجوز قبسته بغير همزه فيهما .

قوله و أضاء الطريق للخابط أى جعل الطريق للخابط مضيئه و الخابط الذى يسير ليلا على غير جاده واضحه.

و هذه الألفاظ كلها استعارات و مجازات .

و خوضات الفتن جمع خوضه و هى المره الواحده من خضت الماء و الوحل أخوضهما و تقدير الكلام و هديت به القلوب إلى الأعلام الموضحه بعد أن خاضت فى الفتن أطوارا و الأعلام جمع علم و هو ما يستدل به على الطريق كالمناره و نحوها.

و الموضحه التى توضح للناس الأمور و تكشفها و النيرات (٢) ذوات النور .

قوله فهو أمينك المأمون أى أمينك على وحيك و المأمون من ألقاب رسول الله ص قال كعب بن زهير

ص: ١٤١

١-١) سورة النمل ١٢.

٢-٢) زياده يقتضيهما السياق.

سقاك أبو بكر بكأس رويه

و انهلك المأمون منها و علكا (١).

و خازن علمك المخزون

بالجر صفة علمك و العلم الإلهي المخزون هو ما اطلع الله تعالى عليه و رسوله من الأمور الخفيه التي لا تتعلق بالأحكام الشرعيه كالملاحم و أحكام الآخره و غير ذلك لأن الأمور الشرعيه لا يجوز أن تكون مخزونه عن المكلفين .

و قوله و شهيدك يوم الدين أى شاهدك قال سبحانه فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٢).

و البعث المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل و جريح و صريع و مفسحا مصدر أى وسع له مفسحا.

و قوله فى ظلك يمكن أن يكون مجازا كقولهم فلان يشملنى بظله أى بإحسانه و بره و يمكن أن يكون حقيقه و يعنى به الظل الممدود الذى ذكره الله تعالى فقال وَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ وَ مَاءٌ مَسْكُوبٌ (٣).

و قوله و أعل على بناء البانين بناء أى اجعل منزلته فى دار الثواب أعلى المنازل .

و أتمم له نوره

من قوله تعالى رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا (٤)

١١٦٥

وَ قَدْ رَوَى أَنَّهُ تُطْفَأُ سَائِرُ الْأَنْوَارِ إِلَّا نُورَ مُحَمَّدٍ ص ثُمَّ يُعْطَى الْمُخْلِصُونَ (٥) مِنْ أَضْيَاحِهِ أَنْوَارًا يَسِيرَةً يُبْصِرُونَ بِهَا مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ فَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بزيادته تِلْكَ الْأَنْوَارِ وَ إِتْمَامِهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُتِمُّ نُورَ مُحَمَّدٍ ص فَيَسِيرُ تَطِيلٌ حَتَّى يَمْلَأَ الْأَفَاقَ. فذلك هو إتمام نوره ص .

قوله من ابتعثك له أى فى الآخره.

مقبول الشهاده

أى مصدقا فيما يشهد به على أمته و على غيرها من الأمم.

ص: ١٤٢

١- ١) ديوانه ٣، و روايته: «شربت مع المأمون»، و قال فى شرحه: «و كانت قریش تسمى النبى صلى الله عليه و سلم المأمون الأمين».

٢- ٢) سورة النساء ٤١.

٣-٣) سورة الواقعة ٣١، ٣٠.

٤-٤) سورة التحريم ٨.

٥-٥) ج «المكلفون».

و قوله ذا منطق عدل أى عادل و هو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر و صوم أى مفطر و صائم .

و قوله و خطبه فصل أى يخطب خطبه فاصله يوم القيامة كقوله تعالى إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١) أى فاصل يفصل بين الحق و الباطل و هذا هو المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى فى الكتاب فقال عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٢) و هو الذى يشار إليه فى الدعوات فى قولهم اللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَ ابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ .

قوله فى برد العيش تقول العرب عيش بارد و معيشه بارده أى لا حرب فيها و لا نزاع لأن البرد و السكون متلازمان كتلازم الحرّ و الحركة.

و قرار النعمه

أى مستقرها يقال هذا قرار السيل أى مستقره و من أمثالهم لكل سائله قرار .

و منى الشهوات

ما تتعلق به الشهوات من الأمانى و أهواء اللذات ما تهواه النفوس و تستلذه و الرخاء المصدر من قولك رجل رخی البال فهو بين الرخاء أى واسع الحال.

و الدعه السكون و الطمأنينه و أصلها الواو .

و منتهى الطمأنينه غايتها التى ليس بعدها غايه .

و التحف جمع تحفه و هى ما يكرم به الإنسان من البر و اللطف و يجوز فتح الحاء

معنى الصلاة على النبى و الخلاف فى جواز الصلاة على غيره

فإن قلت ما معنى الصلاة على الرسول ص التى قال الله تعالى فيها

ص: ١٤٣

١-١) سورة الطارق ١٤، ١٣.

٢-٢) سورة الإسراء ٧٩.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(١)

قلت الصلاة من الله تعالى هي الإكرام والتبجيل ورفع المنزلة والصلاة منا على النبي ص هي الدعاء له بذلك فقوله سبحانه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ (٢) أى هو الذى يرفع منازلكم فى الآخرة وقوله وَمَلَائِكَتُهُ أى يدعون لكم بذلك.

وقيل جعلوا لكونهم مستجابى الدعوه كأنهم فاعلون التعظيم للمؤمن ورفع المنزلة ونظيره قوله حياك الله أى أحياك الله وأبقاك وحييتك أى دعوت لك بأن يحييك لأنك لاعتمادك على إجابته دعوتك وثوقك بذلك كأنك تحييه وتبقيه على الحقيقة وهكذا القول فى قوله سبحانه إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ .

وقد اختلف فى الصلاة على النبي ص هل هى واجبه أم لا.

فمن الناس من لم يقل بوجوبها وجعل الأمر فى هذه الآيه للندب ومنهم من قال إنها واجبه.

واختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره

١١٦٦

وَ فِي الْحَدِيثِ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ دَخَلَ النَّارَ وَ أَبْعَدَهُ اللَّهُ.

ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مره واحده وإن تكرر ذكره ومنهم من أوجبها فى العمر مره واحده وكذلك قال فى إظهار الشهادتين.

واختلف أيضا فى وجوبها فى الصلاة المفروضه فأبو حنيفه وأصحابه لا يوجبونها فيها وروى عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكتفون يعنى أصحابه عنها بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته وأوجبها الشافعي وأصحابه واختلف أصحابه فى وجوب الصلاة على آل محمد ص فالأكثر على أنها واجبه وأنها شرط فى صحه الصلاة.

ص: ١٤٤

١-١) سورة الأحزاب ٥٦.

٢-٢) سورة الأحزاب ٤٣.

فإن قلت فما تقول في الصلاة على الصحابه و الصالحين من المسلمين .

قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ وَقَوْلُهُ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (١) وقوله أُوتِيَتْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ (٢) ولكن العلماء قالوا إذا ذكر أحد من المسلمين تبعاً للنبي ع فلا كلام في جواز ذلك و أما إذا أفردوا أو ذكر أحد منهم فأكثر الناس كرهوا الصلاة عليه لأن ذلك شعار رسول الله فلا يشركه فيه غيره.

و أما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر و هو أنهم يكرهون إذا ذكروا علياً ع أن يقولوا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ لا يكرهون أن يقولوا صلوات الله عليه و جعلوا اللفظه الأولى مختصه بالرسول ص و جعلوا اللفظه الثانيه مشتركه فيها بينهما ع و لم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على علي وحده

ص: ١٤٥

١-١) سورة التوبه ١٠٣.

٢-٢) سورة البقره ١٥٧.

اشاره

قَالُوا: أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَ لَهُ
يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ ع أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةً لَوْ بَايَعَنِي بِإِيدِهِ لَغَدَرَ بِسَبِيَّتِهِ
أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَهُ الْكَلْبُ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعِي وَ سَتَلَقَى الْأُمَّهُ مِنْهُ وَ مِنْ وُلْدِهِ يَوْمًا [مَوْتًا]
أَحْمَرَ .

قد روى هذا الخبر من طرق كثيرة و رويت فيه زياده لم يذكرها صاحب نهج البلاغه

١١٤٧

وَ هِيَ قَوْلُهُ ع فِي مَرْوَانَ

يَحْمِلُ رَأْيَهُ ضَلَالَهُ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صُدُغَاهُ وَ إِنَّ لَهُ إِمْرَةً .

إلى آخر الكلام .

و قوله فاستشفع الحسن و الحسين إلى أمير المؤمنين ع هو الوجه يقال استشفعت فلانا إلى فلان أى سألته أن يشفع لى إليه و
تشفعت إلى فلان فى فلان فشفعنى فيه تشفيعا و قول الناس استشفعت بفلان إلى فلان بالباء ليس بذلك الجيد .

و قول أمير المؤمنين ع أ و لم يبايعنى بعد قتل عثمان أى و قد غدر و هكذا لو بايعنى الآن .

ص: ١٤٦

و معنى قوله إنها كف يهوديه أى غادره و اليهود تنسب إلى الغدر و الخبث و قال تعالى لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ (١) .

و السبه الاست بفتح السين سبه يسبه أى طعنه فى الموضوع و معنى الكلام محمول على وجهين.

أحدهما أن يكون ذكر السبه إهانه له و غلظه عليه و العرب تسلك مثل ذلك فى خطبها و كلامها قال المتوكل لأبى العيناء إلى متى تمدح الناس و تدمهم فقال ما أحسنوا و أساءوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضى عن واحد فمدحه و سخط على آخر فهجاه و هجا أمه قال نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوْابٌ (٢) و قال عْتَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ (٣) و الزنيم ولد الزنا (٤) .

الوجه الثانى أن يريد بالكلام حقيقه لا مجازا و ذلك لأن الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده حبق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين و العهد و سخرية و تهكما .

و الإمرة الولاية بكسر الهمزة و قوله كلعه الكلب أنفه يريد قصر المده و كذلك كانت مده خلافه مروان فإنه ولى تسعه أشهر .

و الأكبش الأربعة بنو عبد الملك الوليد و سليمان و يزيد و هشام و لم يل الخلافه من بنى أميه و لا من غيرهم أربعة إخوه إلا هؤلاء .

و كل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه و عندى أنه يجوز أن يعنى به

ص: ١٤٧

١-١) سورة المائده ٨٢.

٢-٢) سورة ص ٣٠، ٤٤.

٣-٣) سورة القلم ١٣.

٤-٤) العتل: الشديد.

بنى مروان لصلبه و هم عبد الملك و عبد العزيز و بشر و محمد و كانوا كباشا أبطالاً أنجاداً أما عبد الملك فولى الخلافة و أما بشر فولى العراق و أما محمد فولى الجزيره و أما عبد العزيز فولى مصر و لكل منهم آثار مشهوره و هذا التفسير أولى لأن الوليد و إخوته أبناء ابنه و هؤلاء بنوه لصلبه .

و يقال لليوم الشديد يوم أحمر و للسنه ذات الجذب سنه حمراء.

و كل ما أخبر به أمير المؤمنين ع فى هذا الكلام وقع كما أخبر به و كذلك قوله يحمل رايه ضلاله بعد ما يشيب صدغاه فإنه ولى الخلافة و هو ابن خمسه و ستين فى أعدل الروايات

مروان بن الحكم و نسبه و أخباره

و نحن ذاكرون فى هذا الموضع نسبه و جملاً من أمره و ولايته للخلافة و وفاته على سبيل الاختصار.

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه آمنه بنت علقمه بن صفوان بن أميه الكنانيّ يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله ص منذ سنه اثنتين من الهجرة و قيل عام الخندق و قيل يوم أحد و قيل غير ذلك و قال قوم بل ولد بمكّه و قيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب (1). قال أبو عمر و ممن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس و على قوله يكون

ص: ١٤٨

١٤- وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا نَفَى مَعَ أَبِيهِ إِلَى الطَّائِفِ كَانَ طِفْلاً لَا يَعْقِلُ وَإِنَّهُ لَمَّ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ ص وَكَانَ الْحَكَمُ أَبُوهُ قَدْ طَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَسَيَّرَهُ إِلَى الطَّائِفِ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى وُلِّيَ عُثْمَانُ فَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَدِمَهَا هُوَ وَوَلَدُهُ فِي خِلَافِهِ عُثْمَانُ وَتُوفِّيَ فَاسْتَكْتَبَهُ عُثْمَانُ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ

و الحكم بن أبي العاص (١) هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمه الفتح و من المؤلفه قلوبهم و توفى الحكم فى خلافه عثمان قبل قتله بشهور .

١٤- وَ اِخْتَلَفَ فِي السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِتَنَفِي رَسُولِ اللَّهِ ص فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَتَحَيَّلُ وَيَسْتَتْفِي وَيَتَسَمَّعُ (٢) مَا يُسْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ فِي مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَ سَائِرِ الْكُفَّارِ وَ الْمُتَنَافِقِينَ وَ يُفْشِي ذَلِكَ عَنْهُ حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ عَنْهُ (٣) .

وَ قِيلَ كَانَ يَتَجَسَّسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُوَ عِنْدَ نِسَائِهِ وَ يَشْتَرِقُ السَّمْعَ وَ يُضِيغِي إِلَى مَا يَجْرِي هُنَاكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ الإِطْلَاعُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُحَدِّثُ بِهِ الْمُتَنَافِقِينَ عَلَى طَرِيقِ الإِسْتَهْزَاءِ .

وَ قِيلَ كَانَ يَحْكِيهِ فِي بَعْضِ مَشِيَّتِهِ وَ بَعْضِ حَرَكَاتِهِ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ص كَانَ إِذَا مَشَى يَتَكَفَّأُ (٤) وَ كَانَ الْحَكَمُ بِنُ أَبِي الْعَاصِ يَحْكِيهِ وَ كَانَ شَانِئاً لَهُ مُبْغِضاً حَاسِداً فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمًا فَرَأَهُ يَمْشِي خَلْفَهُ يَحْكِيهِ فِي مَشِيَّتِهِ

١- (١) الاستيعاب ٣٦٠، ٣٥٩.

٢- (٢) كذا فى الإستيعاب، و فى الأصول: «يسمع».

٣- (٣) ج: «منه».

٤- (٤) قال ابن الأثير فى النهاية ٢٤:٤ فى صفه مشيه عليه الصلاه و السلام: «كان إذا مشى تكفى تكفيا؛ أى تمايل إلى قدام؛ هكذا روى غير مهموز، و الأصل الهمز، و بعضهم يرويه مهموزا لأنه مصدر تفعل...».

فَقَالَ لَهُ كَذَلِكَ فَلْتَكُنْ يَا حَكْمُ فَكَانَ الْحَكْمُ مُخْتَلِجًا يَزْوَعِشُ مِنْ (١) يَوْمَئِذٍ

. فذكر ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوهُ إن اللعين أبوك فارم عظامه

قال صاحب الاستيعاب أما قول عبد الرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه

١١٧٠

١٤- رَوَى عَنْ عَائِشَةَ مِنْ طُرُقٍ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي حَيْثَمَةَ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِمَرْوَانَ إِذْ قَالَ فِي أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ أَنْزَلَ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِي إِذْ تَدِيهِ أَفْ لَكُمْ أ تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَتِعِيَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكُمُ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢) أَمَا أَنْتَ يَا مَرْوَانَ فَأَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَعَنَ أَبَاكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِهِ

(٣)

١١٧١

١٤- وَ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْأِسْتِيعَابِ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِينٌ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَ كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ أَبِي (٤) يَلْبَسُ ثِيَابَهُ لِيُقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمْ أزل مُشْفِقًا أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ فَدَخَلَ الْحَكْمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ .

١١٧٢

١- قَالَ صَاحِبُ الْأِسْتِيعَابِ وَ نَظَرَ عَلَيَّ ع يَوْمًا إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ وَيْلٌ لَكَ وَ وَيْلٌ لَأُمَّهُ مُحَمَّدٍ مِنْكَ وَ مِنْ بَيْنِكَ (٥) إِذَا شَابَ صُدْعَاكَ .

و كان مروان يدعى

ص : ١٥٠

١- (١) الخبر في النهاية لابن الأثير ١:٣١٠ عن عبد الرحمن بن أبي بكر: «أن الحكم بن أبي العاص ابن أبي أمية أبا مروان، كان يجلس خلف النبي صلى الله عليه و سلم، فإذا تكلم اختلج بوجهه، فرآه فقال له: كن كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات أي كان يحرك شفتيه و ذفنه استهزاء و حكاية لفعل النبي صلى الله عليه و سلم فبقى يرتعد و يضطرب إلى أن مات».

٢- (٢) سورة الأحقاف ١٧.

٣- (٣) الاستيعاب: «تركت».

٤-٤) الاستيعاب: «عمرأ».

٥-٥) ج: «بيتك».

خَيْطٌ باطلٌ قيلَ لأنَّه كان طويلاً مضطرباً.

و ضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه (١) فلما بويع له بالخلافه قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم و كان ماجنا شاعرا محسنا (٢) و كان لا يرى رأى مروان فوالله ما أدري و إننى لسائل

و قيل إنما قال له أخوه عبد الرحمن ذلك حين ولاه معاويه إمرة المدينه و كان كثيرا ما يهجوهم و من شعره فيه وهبت نصيبى منك يا مرو كله

و قال مالك بن الريب يهجو مروان بن الحكم لعمر ك ما مروان يقضى أمورنا (٣)

و من شعر أخيه عبد الرحمن فيه ألا من يبلغن مروان عنى (٤)

ص: ١٥١

١-١ الاستيعاب: «فجرى لفيه».

٢-٢ من الاستيعاب.

٣-٣ فى الأصول: «يا مروان» و الصواب ما أثبتته من الاستيعاب.

٤-٤ الاستيعاب: «من مبلغ».

و لما صار أمر الخلافة إلى معاوية ولى مروان المدينة ثم جمع له إلى المدينة مکه و الطائف ثم عزله و ولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية و ولى ابنه أبو لیلی معاوية بن يزيد فى سنة أربع و ستين عاش فى الخلافة أربعين يوما و مات فقالت له أمه أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس اجعل الخلافة من بعدك لأخیک فأبى و قال لا يكون لى مرها و لكم حلوها فوثب مروان عليها و أنشد إنى أرى فتنه تغلى مراجلها و الملك بعد أبى لیلی لمن غلبا.

١١٧٣

١٤- وَ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي أَنَّ (١) مُعَاوِيَةَ لَمَّا عَزَلَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ إِمْرِهِ الْمَدِينَةِ وَ الْأَحْزَابِ وَ وُلَّى مَكَانَهُ سَيِّعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَجَّهَ مَرْوَانَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَمَامَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ قَالَ لَهُ الْقَهْ قَبْلِي فَعَاتَبَهُ لِي وَ اسْتَصْلِحَهُ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ قَدْ رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ بِبَدْمَشَقَ يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ عَزْلِ مَرْوَانَ وَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ خَرَجَ وَ تَلَقَّاهُ وَ قَالَ لَهُ أَقِمْ حَتَّى أَدْخَلَ إِلَيَّ أَخِيكَ (٢) فَإِنْ كَانَ عَزَلَكَ عَنْ مَوْجِدِهِ دَخَلْتُ إِلَيْهِ مُنْفَرِدًا وَ إِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِ مَوْجِدِهِ دَخَلْتُ إِلَيْهِ مَعَ النَّاسِ

ص: ١٥٢

١- ١) الرجا: ناحيه البئر من أعلاها، إلى أسفلها، و تثنيته رجوان، (على البناء للمجهول) و رمى به الرجوان، أى استهين به، فكأنه رمى به هناك، أى طرح فى المهالك.

٢- ٢) الأغاني ١٣: ٢٥٩ و ما بعدها (طبعه الدار).

فَأَقَامَ مَرْوَانَ وَ مَضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ دَخَلَ إِلَيْهِ وَ هُوَ يُعَشِّي النَّاسَ فَأَنشَدَهُ أَتَتْكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ أَرَأَيْتَ جِئْتُ أَمْ مُفَاحِرًا مُكَابِرًا فَقَالَ أَى ذَلِكَ شِئْتَ فَقَالَ مَا أَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا وَ أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ كَلَامِهِ
الَّذِي عَنْ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلَى أَى ظَهَرَ جِئْنَا فَقَالَ عَلَى فَرَسٍ قَالَ مَا صِفْتُهُ قَالَ أَجَشُّ هَزِيمٍ يُعْرَضُ بِقَوْلِ النَّجَاشِيِّ فِي مُعَاوِيَةَ يَوْمَ صِفِينَ
وَ نَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عَلَالَةٍ

فَغَضِبَ مُعَاوِيَةَ وَ قَالَ إِلَّا- أَنَّهُ لَا يَزُكُّهُ صَاحِبُهُ فِي الظُّلَمِ إِلَى الرَّيْبِ وَ لَا هُوَ مِمَّنْ يَتَسَوَّرُ عَلَى جَارَاتِهِ وَ لَا يَتَوَثَّبُ بَعِيدَ هَجَعِهِ النَّاسِ
عَلَى كِنَانِهِ (١) وَ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُتَّهَمُ بِمَدْلِكَ فِي امْرَأَةِ أَخِيهِ فَخَجَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا حَمَلَكَ عَلَى عَزْلِ
ابْنِ عَمِّكَ أَلِخِيَانِهِ أَوْ جَبْتَ ذَلِكَ أَمْ لِرَأْيِ رَأَيْتُهُ وَ تَدْبِيرِ اسْتَضِيْلِحْتُهُ قَالَ بَلْ لِتَدْبِيرِ اسْتَضِيْلِحْتُهُ قَالَ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ
فَلَقِيَ أَخَاهُ مَرْوَانَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا دَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَشَاطَ غَيْظًا وَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ قَبِّحَكَ اللَّهُ مَا أَضْمَعَفَكَ عَرَضْتَ لِلرَّجُلِ بِمَا
أَغْضَبَهُ حَتَّى إِذَا انْتَصَرَ (٢)

ص: ١٥٣

١-١) العيس: النوق البيض، يخالط بياضها شقره. و البرى: جمع بره، بضم ففتح، و هى حلقة تجعل فى أنف البعير: و القطوع: جمع قطع، بالكسر؛ و هو الطنفسه تكون تحت الرحل.

٢-٢) المضرحى: السيد الكريم، و الصنيع: السيف المجرب المجلو.

مِنْكَ أَحْجَمِيَتْ عَنْهُ ثُمَّ لَبَسَ حُلَّتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ حِينَ رَأَاهُ وَتَبَيَّنَ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ
مَرْحَبًا بِأَبِي عَبْدِ الْمَلِكِ لَقَدْ زُرْتَنَا عِنْدَ اشْتِيَاقٍ مِنَّا إِلَيْكَ فَقَالَ لَا (١) هَا اللَّهُ مَا زُرْتِكَ لِتَذَلِّكَ وَلَا قَدِمْتُ عَلَيْكَ فَالْفَيْتُكَ إِلَّا عَاقًا
قَاطِعًا وَاللَّهِ مَا أَنْصَيْتُنَا وَلَا جَزَيْتُنَا جَزَاءً نَا لَقَدْ كَانَتْ السَّابِقَةُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ لِأَبِي الْعَاصِ وَالصُّهْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص لَهُمْ
وَ الْخِلَافَةُ مِنْهُمْ (٢) فَوَصَّيْتُكُمْ يَا بَنِي حَزْبٍ وَ شَرَّفُوكُمْ وَ وَلَّوْكُمْ فَمَا عَزَلُوكُمْ وَ لَا- آثَرُوا عَلَيْكُمْ حَتَّى إِذَا وَلَيْتُمْ وَ أَفْضَى الْأَمْرُ
إِلَيْكُمْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَثَرَهُ وَ سُوءَ صَنِيعِهِ وَ فُبِحَ قَطِيعُهُ فَرُوَيْدًا رُوَيْدًا فَقَدْ بَلَغَ بَنُو الْحَكَمِ وَ بَنُو بَيْنِهِ نَيْفًا وَ عِشْرِينَ وَ إِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ
حَتَّى يَكْمُلُوا أَرْبَعِينَ ثُمَّ يَعْلَمُ امْرُؤٌ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ ثُمَّ هُمْ لِلْجَزَاءِ بِالْحُسْنَى وَ السُّوءِ بِالْمِرْصَادِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ هَذَا رَمَزٌ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا فَكَانَ
بَنُو أَبِي الْعَاصِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ سَيَلُونَ أَمْرَ الْأُمَّةِ إِذَا بَلَغُوا هَذِهِ الْعِدَّةَ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ مَهْلًا- أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ إِنِّي لَمْ أَعَزِلْكَ عَنْ حَيَاتِهِ وَ إِنَّمَا عَزَلْتُكَ لِثَلَاثَةِ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدَةً
لَمَا وَجَبَتْ عَزْلُكَ إِخِيادَهُنَّ أَنِّي أَمَرْتُكَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَ بَيْنَكُمْ مَا بَيْنَكُمْ فَلَنْ تَسِيَطِعَ أَنْ تَشْتَفِي مِنْهُ وَ الثَّانِيهِ كَرَاهِيَتِكَ
لِإِمْرِهِ زِيَادٍ وَ الثَّلَاثَةِ أَنَّ ابْنَتِي رَمَلَهُ اسْتَعْدَتْكَ عَلَى زَوْجِهَا عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ فَلَمْ تُعِدْهَا فَقَالَ مَرْوَانَ أَمَا ابْنُ عَامِرٍ فَإِنِّي لَا أَنْتَصِرُ مِنْهُ
فِي سُلْطَانِي وَ لَكِنْ إِذَا تَسَاوَتِ الْأَقْدَامُ عَلِمَ أَيْنَ مَوْقِعُهُ وَ أَمَا كَرَاهِيَتِي لِإِمْرِهِ زِيَادٍ فَإِنَّ سَائِرَ بَنِي أُمِّيهِ كَرِهُوهُ وَ جَعَلَ اللَّهُ لَنَا فِي ذَلِكَ
الْكُرْهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَ أَمَا اسْتِعْدَاءُ رَمَلَهُ عَلَى عَمْرٍو فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِيَأْتِي عَلَيَّ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ

ص: ١٥٤

١- ١) من الأغانى، وها هنا للتنبية وبعدها حرف قسم محذوف (انظر المغنى ٣٤٩: ١).

٢- ٢) الأغانى: «فيهم».

وَ عِنْدِي بِنْتُ عُثْمَانَ فَمَا أَكْشِفُ لَهَا ثَوْبًا يُعْرِضُ بِأَنْ رَمَلَهُ إِنَّمَا تَسْتَعْدِي عَلَيَّ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ طَلَبَ النِّكَاحَ فَعَضِبَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ يَا ابْنَ الْوَزْعِ (١) لَسْتَ هُنَاكَ فَقَالَ مَرْوَانَ هُوَ مَا قُلْتَ لَكَ وَ إِنِّي الْآنَ لِأَبُو عَشْرِهِ وَ أَخُو عَشْرِهِ وَ عَمُّ عَشْرِهِ وَ قَدْ كَادَ وُلِدَ أَبِي (٢) أَنْ يَكْمُلُوا الْعِدَّةَ يَعْنِي أَرْبَعِينَ وَ لَوْ قَدْ بَلَّغُوهَا لَعَلِمْتَ أَيْنَ تَقَعُ مِنِّي فَانْخَزَلَ مُعَاوِيَةَ (٣) وَ قَالَ فَإِنْ أَكَّ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا

ثُمَّ اسْتَحَذَى مُعَاوِيَةَ فِي يَدِ مَرْوَانَ (٤) وَ خَضَعَ وَ قَالَ لَكَ (٥) الْعُتْبِيُّ وَ أَنَا رَادُّكَ إِلَى عَمَلِكَ فَوَثَبَ مَرْوَانَ وَ قَالَ كَلَّا وَ عَيْشِيكَ لَا رَأَيْتَنِي عَائِدًا وَ خَرَجَ.

فَقَالَ الْأَخْنَفُ لِمُعَاوِيَةَ مَا رَأَيْتُ قَطُّ لَكَ سِقْطَةً مِثْلَهَا مَا هَذَا الْخُضُوعُ لِمَرْوَانَ وَ أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ مِنْهُ وَ مِنْ بَنِي أَبِيهِ إِذَا بَلَّغُوا أَرْبَعِينَ وَ مَا الَّذِي تَخْشَاهُ مِنْهُمْ فَقَالَ أَذُنٌ مِنِّي أُخْبِرُكَ ذَلِكَ فَدَنَا الْأَخْنَفُ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ (٦) إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ كَانَ أَحَدَ مَنْ قَدِمَ مَعَ أُخْتِي (٧) أُمِّ حَبِيبَةَ لَمَّا زَفَّتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى نَفْلَهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يُحَدِّثُ النَّظَرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَحَدَدْتَ النَّظَرَ إِلَى الْحَكَمِ فَقَالَ ابْنُ الْمُخْزُومِيِّ ذَاكَ رَجُلٌ إِذَا بَلَغَ بَنُو (٨) أَبِيهِ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ مَلَكَوا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَلَقَّاهَا مَرْوَانَ مِنْ عَيْنِ صَافِيهِ فَقَالَ الْأَخْنَفُ رُوَيْدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْمَعُ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ فَإِنَّكَ تَضَعُ مِنْ قَدْرِكَ وَ قَدْرَ وُلْدِكَ بَعْدَكَ وَ إِنْ يَفْضِ اللَّهُ أَمْرًا يَكُنْ فَقَالَ

ص: ١٥٥

١- (١) الوزغ: جمع وزغه، سام أبرص، سميت بها لخفائها و سرعه حركتها.

٢- (٢) الأغاني: «ولد».

٣- (٣) انخزل، أي تراجع.

٤- (٤) البيتان من مقطوعه للعباس بن مرداس - حماسه أبي تمام - بشرح المرزوقي ١٤٥٣: ٣؛ و نسب صاحب اللسان في (قلت) البيت الثاني إلى كثير عزه.

٥- (٥) المقالات: مفعال، من القلت، و هو الهلاك. و النزور: القليله.

٦- (٦) المقالات: مفعال، من القلت، و هو الهلاك. و النزور: القليله.

٧- (٧) المقالات: مفعال، من القلت، و هو الهلاك. و النزور: القليله.

٨- (٨) الأغاني: «ولد».

مُعَاوِيَةُ اِكْتُمَهَا يَا اَبَا بَحْرٍ عَلَيَّ اِذَا فَقَدْ لَعَمْرُكَ (١) صَدَقْتَ وَ نَصَحْتَ

. و ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب مفاخره هاشم و عبد شمس أن مروان كان يضعف و أنه كان ينشد يوم مرج راهط و الرءوس تندر عن كواهلها و ما ضرهم غير حين النفوس أي غلامى قريش غلب.

قال و هذا حمق شديد و ضعف عظيم قال و إنما ساد مروان و ذكر بابنه عبد الملك كما ساد بنوه و لم يكن فى نفسه هناك.

فأما خلفه مروان

١١٧٤

فَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ

(٢)

أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا أُخْرِجَ بِنِي أُمِّيَّةَ عَنِ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ خَرَجُوا وَ فِيهِمْ مَرْوَانُ وَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَ لَمْ تَطُلْ مُدَّةُ يَزِيدَ فَتَوَفَّى وَ مَاتَ ابْنُهُ بَعْدَهُ بِأَيَّامِ يَسِيرِهِ وَ كَانَ مِنْ رَأْيِ مَرْوَانَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فَيُبَايِعَهُ بِالْخِلَافَةِ فَقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَ قَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ يَزِيدَ فَاجْتَمَعَ هُوَ وَ بَنُو أُمِّيَّةَ وَ أَخْبَرُوهُ بِمَا قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ فَجَاءَ إِلَيْهِ وَ قَالَ اسْتَجِبْتُ لِمَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ فَمَا يُرِيدُ أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَ سَيِّدُهَا تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُ وَ تَشْخِصُ إِلَى أَبِي حُبَيْبٍ فَيُبَايِعُهُ بِالْخِلَافَةِ فَقَالَ مَرْوَانُ مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعِيدٌ فَقَامَ مَرْوَانُ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَنُو أُمِّيَّةَ وَ مَوَالِيَهُمْ وَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَ كَثِيرٌ مِنْ كَلْبٍ فَقَدِمَ دِمَشْقُ وَ عَلَيْهَا الضُّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ قَدْ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ وَ يُقِيمَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَجْتَمَعَ

ص: ١٥٦

١-١) الأغانى: «لعمرى».

٢-٢) تاريخ الطبرى ٥:٥٣٠ و ما بعدها؛ مع تصرف و اختصار.

النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ وَكَانَ هَوَى الضَّحَّاكِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ لَهُ بَعْدُ وَكَانَ زُفْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ بِفَنَسِيرِينَ يَخْطُبُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ بِحَمَصٍ يَخْطُبُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيُّ بِفَلَسْطِينَ يَهُوَى هَوَى بَنِي أُمِّيَّةٍ ثُمَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بَنِي حَزْبٍ لِأَنَّهُ كَانَ عَامِلًا لِمُعَاوِيَةَ ثُمَّ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ عَظِيمًا عِنْدَهُمْ فَخَرَجَ عَنْ فِلَسْطِينَ يُرِيدُ الْأُرْدُنَّ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى فِلَسْطِينَ رُوْحُ بْنُ زَيْنَابِ الْجُدَامِيُّ فَوَثَبَ عَلَيْهِ بَعِيدٌ شُخُوصِ حَسَّانَ بْنِ مَالِكٍ وَنَاتِلُ (١) بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ أَيْضًا فَأَخْرَجَهُ عَنْ فِلَسْطِينَ وَخَطَبَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ لَهُ فِيهِ هَوَى فَاسْتَوَثَقَتِ الشَّامُ كُلُّهَا لِابْنِ الزُّبَيْرِ مَا عَدَا الْأُرْدُنَّ فَإِنَّ حَسَّانَ بْنَ مَالِكِ الْكَلْبِيَّ كَانَ يَهُوَى هَوَى بَنِي أُمِّيَّةٍ وَيَدْعُو إِلَيْهِمْ فَقَامَ فِي أَهْلِ الْأُرْدُنَّ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ مَا شَهَادَتُكُمْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَتْلَى الْمَدِينَةَ بِالْحَرَّةِ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ مُنَافِقًا وَأَنَّ قَتْلَى أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِالْحَرَّةِ فِي النَّارِ قَالَ فَمَا شَهَادَتُكُمْ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَقَتْلَاكُمْ بِالْحَرَّةِ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ كَانَ مُؤْمِنًا وَكَانَ قَتْلَانَا بِالْحَرَّةِ فِي الْجَنَّةِ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ دِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ حَقٌّ حَقًّا إِنَّهُ الْيَوْمَ لَعَلَى حَقٍّ هُوَ وَشَيْعَتُهُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَشَيْعَتُهُ عَلَى بَاطِلٍ إِنَّهُ الْيَوْمَ وَشَيْعَتُهُ عَلَى بَاطِلٍ قَالُوا صَدَقْتَ نَحْنُ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ نُقَاتِلَ مَعَكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنَ النَّاسِ وَأَطَاعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى أَنْ تُجَبِّنَا وَلَا يَهْدِيَنَّ الْغُلَامِينَ ابْنِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُمَا خَالِدٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ فَإِنَّهُمَا حَيْدِيَّتُهُ أَسَدَانَاهُمَا وَنَحْنُ نَكْرَهُ أَنْ يَأْتِينَا النَّاسُ بِشَيْخٍ وَنَأْتِيَهُمْ بِصَبِيٍّ.

قَالَ وَقَدْ كَانَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ يُوَالِي ابْنَ الزُّبَيْرِ بَاطِنًا وَيَهُوَى هَوَاهُ وَيَمْنَعُهُ إِظْهَارَ ذَلِكَ بِدِمَشْقَ وَالْبَيْعَةَ لَهُ أَنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ وَكَلْبًا كَانُوا بِحَضْرَتِهِ وَكَلْبُ أَحْوَالِ يَزِيدَ

ص: ١٥٧

(١-١) في الأصول: «ناتل»، و الصواب ما أثبتته من تاريخ الطبري.

بْنِ مُعَاوِيَةَ وَبَنِيهِ وَيَطْلُبُونَ الْبَاهِرَةَ لَهُمْ فَكَانَ الضَّحَّاكُ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ سِرًّا وَبَلَغَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بِنَ بَحْدَلٍ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُعْظِمُ فِيهِ حَقَّ بَنِي أُمِّيَّةَ وَيَذْكُرُ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَحُسْنَ بِلَاءِ بَنِي أُمِّيَّةَ عِنْدَهُ وَصَدَّيْعُهُمْ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَيَذْكُرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَيَقَعُ فِيهِ وَيَشْتُمُهُ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ قَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ وَأَمْرُهُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ دَعَا رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ نَاعِضُهُ فَسَرَّحَ بِالْكِتَابِ مَعَهُ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَكَتَبَ حَسَّانُ نُسَيْخَهُ ذَلِكَ الْكِتَابِ وَدَفَعَهُ إِلَى نَاعِضُهُ وَقَالَ لَهُ إِنَّ قَرَأَ الضَّحَّاكُ كِتَابِي عَلَى النَّاسِ وَإِلَّا فَقَمِ أَنْتَ وَاقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَكَتَبَ حَسَّانُ إِلَى بَنِي أُمِّيَّةَ يَا مُرْهُمُ أَنْ يَحْضُرُوا ذَلِكَ فَقَدِمَ نَاعِضُهُ بِالْكِتَابِ عَلَى الضَّحَّاكِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَدَفَعَ كِتَابَ بَنِي أُمِّيَّةَ إِلَيْهِمْ سِرًّا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَصَدَّ الضَّحَّاكُ عَلَى الْمِئْبَرِ وَقَدِمَ إِلَيْهِ نَاعِضُهُ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ادْعُ بِكِتَابِ حَسَّانَ فَاقْرَأْهُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ اجْلِسْ فَجَلَسَ ثُمَّ قَامَ ثَانِيَةً فَتَكَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ اجْلِسْ فَجَلَسَ ثُمَّ قَامَ ثَالِثَةً وَكَانَ كَالثَانِيَةِ وَالْأُولَى فَلَمَّا رَأَاهُ نَاعِضُهُ لَا يَقْرَأُ الْكِتَابَ أَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي مَعَهُ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ فَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصَدَّقَ حَسَّانَ وَكَذَّبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَشْتَمَهُ وَقَامَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي النَّمِسِ الْعَسَانِيُّ فَصَدَّقَ مَقَالَهُ حَسَّانَ وَكِتَابَهُ وَشْتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَقَامَ سُفْيَانُ بْنُ الْأُبْرَدِ الْكَلْبِيُّ فَصَدَّقَ مَقَالَهُ حَسَّانَ وَشْتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَقَامَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدِ الْحَكَمِيُّ فَشْتَمَ حَسَّانَ وَأَثْنَى عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَنَزَلَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ فَأَمَرَ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ وَسُفْيَانَ بْنِ الْأُبْرَدِ وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي النَّمِسِ الَّذِينَ كَانُوا صَدَّقُوا حَسَّانَ وَشْتَمُوا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَحُجِسُوا وَجَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَوَثَبَتْ كَلْبٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ يَزِيدِ الْحَكَمِيِّ فَضَرْبُوهُ وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَقَدْ كَانَ قَامَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَصَعِدَ مِرْقَاتَيْنِ (١) مِنَ الْمِئْبَرِ وَهُوَ يَوْمئِذٍ غُلَامٌ.

وَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ فَوْقَ الْمِئْبَرِ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَوْجَزَ فِيهِ لَمْ يُشْمَعْ بِمِثْلِهِ ثُمَّ نَزَلَ.

ص: ١٥٨

فَلَمَّا دَخَلَ الضَّحَّاكُ بَنُ قَيْسٍ دَارَهُ جَاءَتْ كَلْبٌ إِلَى السَّجْنِ فَأَخْرَجُوا سُفْيَانَ بْنَ أُبَيْرَدَ الْكَلْبِيِّ وَجَاءَتْ غَسَّانُ فَأَخْرَجُوا يَزِيدَ بْنَ أَبِي النَّمِسِ وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُثْبَةَ لَوْ كُنْتُ مِنْ كَلْبٍ أَوْ غَسَّانَ لَأَخْرَجْتُ فَجَاءَ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ خَالِدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمَعَهُمَا أَخَوَاهُمَا مِنْ كَلْبٍ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ السَّجْنِ.

ثُمَّ إِنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَلَسَ فِيهِ وَذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فَوَقَعَ فِيهِ فَقَامَ إِلَيْهِ سِنَانٌ مِنْ كَلْبٍ وَمَعَهُ عَصَا فَضْرَبَهُ بِهَا وَالنَّاسُ جُلُوسٌ حَلَقًا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ فَقَامَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاقْتَتَلُوا فَكَانَتْ قَيْسٌ عَيْلَانٌ قَاطِبَةً تَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَعَهُمَا الضَّحَّاكُ وَكَلْبٌ تَدْعُو إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ثُمَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ فَيَتَعَصَّبُونَ لَهُ فَدَخَلَ الضَّحَّاكُ دَارَ الْإِمَارَةِ وَاصْبَحَ النَّاسُ فَلَمْ يَخْرُجِ الضَّحَّاكُ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ.

فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ بَعَثَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِمْ وَذَكَرَ حُسْنَ بِلَائِهِمْ عِنْدَهُ وَ أَنَّهُ لَيْسَ يَهْوَى شَيْئًا يَكْرَهُونَهُ ثُمَّ قَالَ تَكْتُبُونَ إِلَيَّ حَسَّانَ وَ نَكْتُبُ وَ يَسِيرُ حَسَّانُ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَابِيَةَ (١) وَ نَسِيرُ نَحْنُ وَ أَنْتُمْ حَتَّى نُؤَافِيَهُ بِهَا فَيَجْتَمِعُ رَأْيُ النَّاسِ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ فَرَضِيَتْ بِذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ وَ كَتَبُوا إِلَى حَسَّانَ وَ هُوَ بِالْأُرْدُنِّ وَ كَتَبَ إِلَيْهِ الضَّحَّاكُ يَأْمُرُهُ بِالْمُؤَافَاةِ فِي الْجَابِيَةِ وَ أَخَذَ النَّاسُ فِي الْجَهَازِ لِلرَّحِيلِ.

وَ خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ دِمَشْقَ وَ خَرَجَ النَّاسُ وَ خَرَجَتْ بَنُو أُمَيَّةَ وَ تَوَجَّهَتِ الرِّايَاتُ يُرِيدُونَ الْجَابِيَةَ فَجَاءَ ثَوْرُ بْنُ مَعْنٍ [بْن]

يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيِّ إِلَى الضَّحَّاكَ فَقَالَ دَعَوْنَا إِلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَبَايَعْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ تَسِيرُ إِلَى هَذَا الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كَلْبٍ لِسِتْخَلِيفِ ابْنِ أُخْتِهِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ الضَّحَّاكُ فَمَا الرَّأْيُ قَالَ الرَّأْيُ أَنْ

ص: ١٥٩

نُظِرَ مَا كُنَّا نَسْتُرُ وَ نَدْعُو إِلَى طَاعِهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَ نُقَاتِلَ عَلَيْهَا فَمَالَ الضُّحَّاكُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَ انْحَزَلَ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ وَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَاةِ آلِ الْيَمَنِ فَنَزَلَ مَرْجَ رَاهِطٍ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ اخْتَلَفَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَتْ الْوَقْعَةُ بِمَرْجِ رَاهِطٍ فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ كَانَتْ فِي سِنِّهِ خَمْسٍ وَ سِتِّينَ وَ قَالَ غَيْرُهُ فِي سِنِّهِ أَرْبَعٍ وَ سِتِّينَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ سَارَتْ بَنُو أُمِّيَّةَ وَ لَفِيْفَهَا حَتَّى وَافُوا حَسَانَ بِالْجَابِيَةِ فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَ النَّاسُ يَتَشَاوَرُونَ وَ كَتَبَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ مَرْجِ رَاهِطٍ إِلَى التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ وَ هُوَ عَلَى حِمصٍ يَسْتَنْجِدُهُ وَ إِلَى زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ وَ هُوَ فِي قَشِيرِينَ وَ إِلَى نَابِلِ (١) بْنِ قَيْسٍ وَ هُوَ عَلَى فَلْسِ طِينٍ لَيْسَ تَمِدَّهُمْ وَ كُلُّهُمْ عَلَى طَاعِهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَمِدُّوهُ فَاجْتَمَعَتِ الْأَجْنَادُ إِلَيْهِ بِمَرْجِ رَاهِطٍ وَ أَمَّا الَّذِينَ بِالْجَابِيَةِ فَكَانَتْ أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةً فَأَمَّا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ فَكَانَ يَهْوَى هَوَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ فِي وُلْدِهِ وَ أَمَّا حَصِينُ بْنُ نُمَيْرِ السَّكُونِيُّ (٢) فَكَانَ يَهْوَى هَوَى بَنِي أُمِّيَّةَ وَ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ لِلْحَصِينِ بْنِ نُمَيْرٍ هَلُمَّ فَلْتَبَاغِ لِهَذَا الْغُلَامِ الَّذِي نَحْنُ وَ لَدْنَا أَبَاهُ وَ هُوَ ابْنُ أُخْتِنَا فَقَدْ عَرَفْتَ مَنَزِلَتَنَا الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَبِيهِ إِنَّكَ إِنْ تَبَايَعَهُ يَحْمِلَكَ غَدًا عَلَى رِقَابِ الْعَرَبِ يَعْنِي خَالِدَ بْنَ يَزِيدٍ فَقَالَ الْحَصِينُ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا يَأْتِينَا الْعَرَبُ بِشَيْخٍ وَ نَأْتِيهَا بِصَبِيٍّ فَقَالَ مَالِكُ أَظُنُّ هَوَاكَ فِي مَرْوَانَ وَ اللَّهُ إِنْ اسْتِخْلَفْتَ مَرْوَانَ لِيَحْسِدَنَّكَ عَلَى سَوْطِكَ وَ شِرَاكِ نَعْلِكَ وَ ظِلُّ شَجَرِهِ تَسِيْظُلُ بِهَا إِنْ مَرْوَانَ أَبُو عَشْرِهِ وَ أَخُو عَشْرِهِ وَ عَمُّ عَشْرِهِ فَإِنْ بَايَعْتُمُوهُ كُنْتُمْ عبيدًا لَهُمْ وَ لَكِنْ عَلَيْكُمْ بِابْنِ أُخْتِكُمْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ فَقَالَ الْحَصِينُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَنَدِيلاً مُعْلَقًا مِنَ السَّمَاءِ وَ إِنَّهُ جَاءَ كُلُّ مَنْ يَمُدُّ عُنُقَهُ إِلَى الْخِلَافَةِ لِيَتَنَاوَلَهُ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ وَ جَاءَ مَرْوَانَ فَتَنَاوَلَهُ وَ اللَّهُ لَسْتَخْلِفَنَّهُ .

ص : ١٦٠

١- ١) في الأصول: «نائل» و صوابه من تاريخ الطبري.

٢- ٢) في الأصول: «السلولي»، و ما أثبتته من تاريخ الطبري.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى بَيْعَتِهِ وَاسْتَمَالُوا حَسَانَ بْنَ بَحْدَلٍ إِلَيْهَا قَامَ رَوْحُ بْنُ زُرَيْعٍ الْجُدَامِيُّ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ لِهَذَا الْأَمْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ تَذْكُرُونَ صُحْبَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدَمَهُ فِي الْأَسْطِیْلَامِ وَ هُوَ كَمَا تَذْكُرُونَ لَكِنَّهُ رَجُلٌ ضَعِيفٌ وَ لَيْسَ صَاحِبُ أُمِّهِ مُحَمَّدٌ بِالضَّعِيفِ وَ أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَ مَا يَذْكُرُ النَّاسُ مِنْ أَمْرِهِ وَ أَنَّ أَبَاةَ حِوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أُمَّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ فَهُوَ لِعَمْرِي كَمَا تَذْكُرُونَ وَ لَكِنَّهُ مُنَافِقٌ قَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ يَزِيدَ وَ أَبَاةَ مُعَاوِيَةَ وَ سَيْفَكَ الدِّمَاءِ وَ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَ لَيْسَ صَاحِبُ أُمِّهِ مُحَمَّدٌ ص بِالْمُنَافِقِ وَ أَمَّا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَوَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي الْأَسْطِیْلَامِ صَدْعٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ مَرْوَانُ مِمَّنْ يَشْعَبُ ذَلِكَ الصَّدْعَ وَ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ يَوْمَ الدَّارِ وَ الَّذِي قَاتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ إِنَّا نَرَى لِلنَّاسِ أَنْ يُبَايَعُوا الْكَبِيرَ وَ يَسْتَشِيرُوا (١) الصَّغِيرَ يَعْنِي بِالْكَبِيرِ مَرْوَانَ وَ بِالصَّغِيرِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ النَّاسِ عَلَى الْبَيْعَةِ لِمَرْوَانَ ثُمَّ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بَعْدَهُمَا عَلَى أَنْ تَكُونَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ مَرْوَانَ إِمْرَهُ دِمَشْقَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَ إِمْرَهُ حِمصَ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ دَعَا حَسَانَ بْنَ بَحْدَلٍ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ فَقَالَ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَبُوكَ لِحَدَاثَةِ سَنَتِكَ وَ إِنِّي وَ اللَّهُ مَا أُرِيدُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لَكَ وَ لِأَهْلِ بَيْتِكَ وَ مَا أَبَايَعُ مَرْوَانَ إِلَّا نَظْرًا لَكُمْ فَقَالَ خَالِدٌ بَلْ عَجَزْتَ عَنَّا فَقَالَ لَا وَ اللَّهُ لَمْ أَعْجِزْ عَنْكَ وَ لَكِنَّ الرِّأْيَ لَكَ مَا رَأَيْتَ.

ثُمَّ إِنَّ حَسَانَ دَعَا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ يَا مَرْوَانَ إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ

ص: ١٦١

(١-١) في الأصول: «و يسلموا» و ما أثبتته من تاريخ الطبري.

بِكَ فَمَا تَرَى فَقَالَ مَرْوَانَ إِنَّ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَهَا لَمْ يَمْنَعِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ بُرِدَ أَنْ يَمْنَعِيهَا لَا يُعْطِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فَقَالَ حَسَّانُ صَدَقْتَ.

ثُمَّ صَاحَ حَسَّانُ الْمِثْبَرُ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي مُسِيءٌ تَخَلَّفُ فِي غَدِّ أَحَدِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ بُكْرَةَ الْعَدِ يَنْتَظِرُونَ فَصَعِدَ حَسَّانُ الْمِثْبَرُ وَبَايَعَ لِمَرْوَانَ وَبَايَعَ النَّاسُ وَسَارَ مِنَ الْجَابِيَةِ حَتَّى نَزَلَ بِمَرْجِ رَاهِطٍ حَيْثُ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ نَازِلٌ فَجَعَلَ مَرْوَانَ عَلَى مِثْمَتِهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَجَعَلَ الضَّحَّاكُ عَلَى مِثْمَتِهِ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعَتَكِيُّ وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ ثَوْرُ بْنُ مَعْنٍ السُّلَمِيُّ وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي النَّمِسِ الْعَسَانِيُّ بِدِمَشْقَ لَمْ يَشْهَدِ الْحَرَابَةَ وَكَانَ مَرِيضًا فَلَمَّا حَصَلَ الضَّحَّاكُ بِمَرْجِ رَاهِطٍ (١) تَمَارَ بِأَهْلِ دِمَشْقَ فِي عَيْبِدِهِ وَأَهْلِهِ فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَأَخْرَجَ عَامِلَ الضَّحَّاكِ مِنْهَا وَغَلَبَ عَلَى الْخَزَائِنِ وَبَيْتِ الْمَالِ وَبَايَعَ لِمَرْوَانَ وَآمَدَهُ مِنْ دِمَشْقَ بِالرِّجَالِ وَالْمِيَالِ وَالسَّلَاحِ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ فَتْحِ دِمَشْقَ لِمَرْوَانَ. ثُمَّ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ مَرْوَانَ وَالضَّحَّاكِ فَاقْتَتَلُوا بِمَرْجِ رَاهِطٍ عَشْرِينَ لَيْلَةً فَهَزَمَ أَصْحَابُ الضَّحَّاكِ وَقَتَلُوا وَقَتِلَ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَتِلَتْ قَيْسُ مَقْتَلَهُ لَمْ تُقْتَلْ مِثْلَهَا فِي مَوْطِنٍ قَطُّ وَقَتِلَ ثَوْرُ بْنُ مَعْنٍ السُّلَمِيُّ الَّذِي رَدَّ الضَّحَّاكُ عَنْ رَأْيِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَرَوَى أَنَّ بَشِيرَ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ صَاحِبَ الرَّأْيِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ إِنَّ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا أَنْ يُخْفِضَ الصَّعْدَةَ أَوْ يَنْدَقَّا.

وَ صُرِعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ (٢) ثُمَّ اسْتَقْتَدَ (٣).

قَالَ وَ مَرَّ مَرْوَانُ بِرَجُلٍ مِنْ مُحَارِبٍ وَ هُوَ فِي نَفَرٍ يَسِيرُ مِنْ أَصْحَابِ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ

ص: ١٦٢

١-١) مرج راهط: موضع في الغوطه من دمشق؛ بها الواقعة المشهوره بين قيس و تغلب.

٢-٢-٢) لم يذكر في الطبري.

٣-٢-٢) لم يذكر في الطبري.

لَوْ أَنْصَمَتْ إِلَى أَصِيحَابِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنِّي أَرَاكَ فِي قَلْبِهِ فَقَالَ إِنَّ مَعَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَدَدًا أَوْعَافَ مَنْ تَأْمُرُنَا بِالْإِنْصِمَامِ إِلَيْهِمْ قَالَ فَضَحِكَ مَرْوَانُ وَ سَرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ لِلنَّاسِ مِمَّنْ كَانَ حَوْلَهُ أَلَّا تَسْتَمِعُونَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ كَانَ قَاتِلُ الضَّحَّاكِ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ زُحْنَةُ بْنُ عَيْدٍ اللَّهُ فَلَمَّا قَتَلَهُ وَأَخْضَرَ الرَّأْسِ إِلَى مَرْوَانَ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ كَابَةٌ وَقَالَ الْآنَ حِينَ كَبِرَتْ سِنِّي وَ دَقَّ عَظْمِي وَ صِرْتُ فِي مِثْلِ ظَمءٍ (١) الْحِمَارِ أَقْبَلْتُ أَضْرِبُ الْكُتَّابِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ رُوِيَ أَنَّ مَرْوَانَ أَنْشَدَ لَمَّا بُويعَ وَ دَعِيَ إِلَى نَفْسِهِ لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا نَهَبًا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ خَرَجَ النَّاسُ مِنْهُزِمِينَ بَعِيدًا قَتَلَ الضَّحَّاكِ فَانْتَهَى أَهْلُ حِمصٍ إِلَى حِمصٍ وَ عَلَيْهَا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَلَمَّا عَرَفَ الْخَبَرَ خَرَجَ هَارِبًا وَ مَعَهُ ثِقْلُهُ وَ وُلْدُهُ وَ تَحَيَّرَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا وَ أَصْرِيحَ وَ هُوَ بِيَابِ مَدِينَةِ حِمصٍ فَرَأَهُ أَهْلُ حِمصٍ فَقَتَلُوهُ وَ خَرَجَ زُفْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ مِنْ قَسِيرِينَ هَارِبًا فَلَحِقَ بِقُرَيْسِيَّةِ بِيَاءَ وَ عَلَيْهَا عِيَاضُ بْنُ أَسْلَمَ الْجَرَشِيُّ (٢) فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ دُخُولِهَا فَحَلَفَ لَهُ زُفْرٌ بِالطَّلَاقِ وَ الْعِتَاقِ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ حَمَامَهَا خَرَجَ مِنْهَا وَقَالَ لَهُ إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَى دُخُولِ الْحَمَامِ فَلَمَّا دَخَلَهَا لَمْ يَدْخُلْ حَمَامَهَا وَ أَقَامَ بِهَا وَ أَخْرَجَ عِيَاضًا

ص: ١٦٣

١- ١) أى لم يبق من عمرى غير وقت قصير، والظمء فى الأصل: ما بين الشربتين، و يقال: إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار.

٢- ٢) الطبرى: «لا يأخذون الملك».

مِنْهَا وَ تَحَصَّنَ فِيهَا وَ ثَابَتْ إِلَيْهِ قَيْسُ عَيْلَانَ وَ خَرَجَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ مِنْ فِلَسْطِينَ هَارِبًا فَالْتَحَقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَ أَطْبَقَ أَهْلُ
الشَّامِ عَلَى مَرْوَانَ وَ اسْتَوْثَقُوا لَهُ وَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عُمَّالُهُ فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَرِيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنِّي

وَ قَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا وَ هُوَ مِنْ شِعْرِ الْحِمَاسَةِ أ فِي اللَّهِ أَمَا بَحْدَلُ وَ ابْنُ بَحْدَلِ

وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِقِيِّهِ فَوْقَكُمْ

شُعَاعُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ (١).

و أما وفاه مروان و السبب فيها أنه كان قد استقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمنا ذكره فلما استوثق له الأمر أحب أن يبايع لعبد الملك و عبد العزيز ابنه فاستشار في ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد و هي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافه فتزوجها ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما و المجلس غاص بأهله اسكت يا ابن الرطبه (٢) فقال خالد أنت لعمري مؤتمن و خبير.

ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئذ فدخل على أمه فأخبرها فقالت له لا يعرفن ذلك فيك و اسكت فأنا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها ما قال لك خالد قالت و ما عساه يقول قال أ لم يشكني إليك قالت إن خالدًا أشدَّ إعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قد واعدت جواريتها و قمن إليه فجعلن الوسائد و البراذع عليه و جلسن عليه حتى خنقه و ذلك بدمشق في شهر رمضان .

و هو ابن ثلاث و ستين سنة في قول الواقدي . و أما هشام بن محمد الكلبى فقال ابن إحدى و ثمانين سنة و قال كان ابن إحدى و ثمانين عاش في الخلافه تسعه أشهر و قيل عشره أشهر و كان في أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما و أشدَّ تلطفا و تسلطا منه في أيام خلافته و كان ذلك من أعظم الأسباب الداعيه إلى خلع عثمان و قتله.

و قد قال قوم إن الضحاک بن قيس لما نزل مرج راهط لم يدع إلى ابن الزبير و إنما دعا إلى نفسه و بويع بالخلافه و كان قرشيا و الأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير

ص: ١٦٥

١- ١) قرن الشمس: أول ما ظهر منها. الترجل: هو المتوع، و المتوع: قبل انتصاف النهار.

٢- ٢) الطبرى: «يا ابن الرطبه الاست».

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَاللَّهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمْتَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التَّمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَ زَبْرَجِهِ .

نافست فى الشىء منافسه و نفاسا إذا رغبت فيه على وجه المباره فى الكرم و تنافسوا فيه أى رغبوا.

و الزخرف الذهب ثم شبه به كل مموه مزور قال تعالى [□] [□] إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ^(١) و المزخرف المزين.

و الزبرج الزينه من وشى أو جوهر و نحو ذلك و يقال الزبرج الذهب أيضا.

يقول لأهل الشورى إنكم تعلمون أنى أحق بالخلافه من غيرى و تعدلون عنى ثم أقسم ليسلمن و ليتركن المخالفه لهم إذا كان فى تسليمه و نزوله عن حقه سلامه أمور المسلمين و لم يكن الجور و الحيف إلا عليه خاصه و هذا كلام مثله ع لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن نازع و حارب دخل على الإسلام و هن و ثلم لم يختر له المنازعه و إن كان

ص: ١٦٦

يطلب بالمنازعه ما هو حقّ و إن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنّما يدخل التلم و الوهن عليه خاصّه و يسلم الإسلام من الفتنه و جب عليه أن يغضى و يصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه و كف يده حراسه للإسلام من الفتنه.

فإن قلت فهلا سلم إلى معاويه و إلى أصحاب الجمل و أغضى على اغتصاب حقه حفظا للإسلام من الفتنه.

قلت إن الجور الداخلى عليه من أصحاب الجمل و من معاويه و أهل الشام لم يكن مقصورا عليه خاصّه بل كان يعم الإسلام و المسلمين جميعا لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسه الأمه و تحمل أعباء الخلافه فلم يكن الشرط الذى اشترطه متحققا و هو قوله و لم يكن فيه جور إلا على خاصّه .

و هذا الكلام يدلّ على أنّه ع لم يكن يذهب إلى أن خلافه عثمان كانت تتضمن جورا على المسلمين و الإسلام و إنّما كانت تتضمن جورا عليه خاصّه و أنّها وقعت على جهه مخالفه الأولى لا- على جهه الفساد الكلى و البطلان الأصلى و هذا محض مذهب أصحابنا

كلام لعلى قبل المبايعه لعثمان

و نحن نذكر فى هذا الموضوع ما استفاض فى الروايات من مناشدته أصحاب الشورى و تعديده فضائله و خصائصه التى بان بها منهم و من غيرهم قد روى الناس ذلك فأكثرنا و الذى صح عندنا أنّه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويله

١١٧٥

١- وَ لَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ بَعِيدٌ أَنْ بَايَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ الْحَاضِرُونَ عُثْمَانَ وَ تَلَكَّأَ هُوَ عَنِ الْبَيْعَةِ إِنَّ لَنَا حَقًّا إِنْ نُعْطُهُ نَأْخُذُهُ وَ إِنْ نُمْنَعُهُ نَزَكَبَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السَّرَى .

فى كلام قد ذكره أهل السيره و قد أوردنا بعضه فيما تقدم

١١٧٦

١,١٤- ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ أَفِيكُمْ أَحَدٌ آخَى رَسُولَ اللَّهِ ص بَيْنَهُ وَ بَيْنَ نَفْسِهِ حَيْثُ آخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ بَعْضُ غَيْرِي

ص: ١٦٧

فَقَالُوا لَا- فَقَالَ أَيْكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَيْدًا مَوْلَاهُ غَيْرِي فَقَالُوا لَا فَقَالَ أَيْكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلِهِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي غَيْرِي قَالُوا لَا قَالَ أَيْكُمْ مِنْ أَوْثَمِنَ عَلَى سُورِهِ بَرَاءَةٌ وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّهُ لَا- يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا- أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي غَيْرِي قَالُوا لَا قَالَ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَزُّوا عَنْهُ فِي مَاقِطٍ (١)

الْحَرْبِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَ مَا فَزَرْتُمْ قَطُّ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا قَالُوا بَلَى قَالَ فَأَيُّنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص نَسَبًا قَالُوا أَنْتَ فَقَطَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَلَامَهُ وَقَالَ يَا عَلِيُّ قَدْ أَبَى النَّاسُ إِلَّا عَلَى عُثْمَانَ فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلِيَّ نَفْسِكَ سَبِيلًا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا طَلْحَةُ مَا الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ عُمَرُ قَالَ أَنْ أَقْتَلَ مَنْ شَقَّ عَصَا الْجَمَاعَةِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِعَلِيٍّ بَايِعْ إِذَنْ وَ إِلَّا كُنْتَ مُتَّبِعًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْفَذْنَا فِيكَ مَا أَمَرْنَا بِهِ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ اللَّهُ لَأُسَلِّمَنَّ ...

الفصل إلى آخره ثم مدَّ يده فبايَع

ص: ١٦٨

(١-١) المأقط: موضع القتال.

٧٤ و من كلام له ع لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة فى دم عثمان

أَوْ لَعَمَّ يَنْهَ بِنَى أُمِّيَّةَ عَلِمْتُهَا بِي عَنْ قَرْفَى أَوْ مَيَا وَزَعِ الْجُهَّالِ سَابِقَتِي عَنْ تَهْمَتِي وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ
الْمَارِقِينَ وَ خَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُزْتَابِينَ وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ وَ بَمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ .

القرف العيب قرفته بكذا أى عبته و وزع كف و ردع و منه قوله لا بد للناس من وزعه جمع وازع أى من رؤساء و أمراء و التهمه بفتح الهاء هى اللغه الفصيحه و أصل التاء فيه واو .

و الحجيج كالخصيم ذو الحجاج و الخصومه يقول ع أ ما كان فى علم بنى أمية بحالى ما ينهاها عن قرفى بدم عثمان و حاله التى أشار إليها و ذكر أن علمهم بها يقتضى ألا- يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدين التى لا- منزله أعلى منها و ما نطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهاره بنيه و زوجته فى قوله **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً (١)**

١١٧٧

وَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و ذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام

ص: ١٦٩

كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك و ترادف الأقوال و الأفعال من رسول الله ص فى أمره التى يضطر معها الحاضرون لها و المشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى فى إراقه دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه.

و هذا الكلام صحيح معقول و ذاك أنا نرى من يظهر ناموس الدين و يواظب على نوافل العبادات و نشاهد من ورعه و تقواه ما يتقرر معه فى نفوسنا استشعاره الدين و اعتقاده إياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشه و نستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه و نتكره و نأباه و نكذبه فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين ع مع علمهم بمنزلته العاليه فى الدين التى لم يصل إليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه و ينسبوه إلى قتل عثمان أو المملاه عليه لا سيما و قد اتصل بهم و ثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه و أنه كان أحسن الجماعه فيه قولا و فعلا.

ثم قال أ لم ترع الجهال و تردعهم سابقتي عن تهمتي و هذا الكلام تأكيد للقول الأول.

ثم قال إن الذى وعظهم الله تعالى به فى القرآن من تحريم الغيبه و القذف و تشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم لأنه لا عظه أبلغ من عظه القرآن . ثم قال أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين يعنى يوم القيامه

١١٧٨

رُويَ عَنْهُ ع أَنَّهُ قَالَ

أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُتُو لِلْحُكُومَةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى .

١١٧٩

١٤،١- وَقَدْ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ص مِثْلُ ذَلِكَ مَرْفُوعاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى هَذَا خِضْمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (١) وَ أَنَّهُ ص سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ عَلِيٌّ وَ حَمْزُهُ وَ عُنَيْدُهُ وَ عُنْبُهُ وَ شَيْبُهُ وَ الْوَلِيدُ .

و كانت حادثتهم أول حادثه وقعت فيها مبارزه أهل الإيمان لأهل الشرك و كان المقتول الأول بالمبارزه الوليد بن عتبه قتله على ع ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته

ص : ١٧٠

فقال النبي ص فيه وفي أصحابه ما قال و كان على ع يكثر من قوله أنا حجيج المارقين و يشير إلى هذا المعنى .

ثم أشار إلى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الأمثال يريد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم .

ثم قال و بما في الصدور تجازى العباد إن كنت قتلت عثمان أو مالات عليه فإن الله تعالى سيجازيني بذلك و إلا فسوف يجازى بالعقوبه و العذاب من اتهمني به و نسبه إلى .

و هذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرؤ أمير المؤمنين ع من دم عثمان و فيه رد و إبطال لما يزعمه الإماميه من كونه رضى به و أباحه و ليس يقول أصحابنا أنه ع لم يكن ساخطا أفعال عثمان و لكنهم يقولون إنه و إن سخطها و كرهها و أنكرها لم يكن مبيحا لدمه و لا مماثلا على قتله و لا يلزم من إنكار أفعال الإنسان إحلال دمه فقد لا يبلغ الفعل في القبح إلى أن يستحل به الدم كما في كثير من المناهي

ص: ١٧١

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً [عَبْدًا]

سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى وَ دُعَى إِلَى رِشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْرِهِ هَادٍ فَنَجَا رَاقِبَ رَبِّهِ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصًا وَ عَمِلَ صَالِحًا [نَاصِحًا]
 اِكْتَسَبَ مَيْذُخُورًا وَ اجْتَنَّبَ مَحْذُورًا رَمَى غَرَضًا وَ أَحْرَزَ عَوْضًا كَابِرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ
 رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغُرَاءَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ اعْتَنَمَ الْمَهْلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

الحكم هاهنا الحكمه قال سبحانه وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١) و وعى حفظ وعيت الحديث أعيه وعيا و أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ أى حافظه و دنا
 قرب و الحجزه معقد الإزار و أخذ فلان بحجزه فلان إذا اعتصم به و لجأ إليه .

ثم حذف ع الواو فى اللفظات الأخر فلم يقل و راقب ربّه و لا و قدم خالصا و كذلك إلى آخر اللفظات و هذا نوع من الفصاحه
 كثير فى استعمالهم .

و اكتسب بمعنى كسب يقال كسبت الشىء و اكتسبته بمعنى .

و الغرض ما يرمى بالسهم يقول رحم الله امراً رمى غرضاً أى قصد الحق كمن يرمى غرضاً يقصده لا- من يرمى فى عمياء لا
 يقصد شيئاً بعينه.

ص: ١٧٢

و العوض المحرز هاهنا هو الثواب .

و قوله كابر هواه أى غالبه و روى كافر بالثناء المنقوطة بالثلاث أى غالب هواه بكثرة عقله يقال كاثرتاهم فكثرتاهم أى غلبناهم بالكثرة .

و قوله و كذب مناه أى أمنيته و الطريقه الغراء البيضاء و المهمل النظر و التؤده

ص : ١٧٣

إِنَّ بَيْنِي أُمَّيَّهَ لَيْفُوقُونِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ ص تَفْوِيْقًا وَ اللّٰهَ لَيْنٌ بَقِيْتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهْمُ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةَ.

قال الرضى رحمه الله و يروى التراب الودمه و هو على القلب.

و قوله ع ليفوقوننى أى يعطوننى من المال قليلا كفواق الناقه و هو الحلبه الواحده من لبنها.

و الودام التربه جمع ودمه و هى الحزه من الكرش أو الكبد تقع فى التراب فتنفض

اعلم أن أصل هذا الخبر قد

١١٨٠

١- رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي (١) بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ بَعَثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْعِيَّاصِ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْكُوفَةِ مِنْ قَبْلِ عُثْمَانَ بِهَيْدَايَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَ بَعَثَ مَعِيَ هَيْدِيَّةً إِلَى عَلِيٍّ ع وَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَى أَحَدٍ أَكْثَرَ مِمَّا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ إِلَّا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢) فَلَمَّا أَتَيْتُ عَلِيًّا ع وَ قَرَأْتُ كِتَابَهُ (٣) قَالَ لَشَدِّ مَا يَحْضُرُ عَلِيَّ بَنُو أُمَّيَّهَ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ ص أَمَا وَ اللّٰهَ لَيْنٌ وَ لِيَّتْهَا لَأَنْفُضَنَّهَا نَفْضَ الْقَصَابِ التُّرَابَ الْوِذَمَةَ .

ص: ١٧٤

١- ١) الأغاني ١٢:١٤٤ (طبعة دار الكتب).

٢- ٢) الأغاني: «إلا شيئا فى خزائن أمير المؤمنين».

٣- ٣) الأغاني: «فأخبرته».

١- قَالَ وَقَدْ حَدَّثَنِي (١) بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدِ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ سَيِّدَ بْنَ الْعِيَّاصِ حَيْثُ كَانَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ بَعَثَ مَعَ ابْنِ أَبِي عَائِشَةَ مَوْلَاهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع بِصَلَمَةٍ فَقَالَ عَلِيُّ ع وَاللَّهِ لَا يَزَالُ غُلَامٌ مِنْ غُلَمَانِ بَنِي أُمِّيَّةٍ يَبْعَثُ إِلَيْنَا مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولِهِ بِمِثْلِ قُوْتِ الْأَرْمَلِ وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتْ لَأَنْفُضَنَّهَا نَفْضَ الْقَصَابِ الْوَدَامِ التَّرْبَةِ .

ص: ١٧٥

(١- ١) الخبر في الأغاني: «عن أبي زيد عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه».

إشاره

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ وَ سَيْقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَ سَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ .

وأيت

أى وعدت و الوأى الوعد و رمزات الألحاط الإشاره بها و الألحاط جمع لحظ بفتح اللام و هو مؤخر العين و سقطات الألفاظ لغوها و سهوات الجنان غفلاته و الجنان القلب و هفوات اللسان زلاته .

و فى هذا الموضوع يقال ما فائده الدعاء عندكم و القديم تعالى إنما يغفر الصغائر لأنها تقع مكفره فلا حاجه إلى الدعاء بغفرانها و لا يؤثر الدعاء أيضا فى أفعال البارى سبحانه لأنه إنما يفعل بحسب المصالح و يرزق المال و الولد و غير ذلك و يصرف المرض و الجذب و غيرهما بحسب ما يعلمه من المصلحه فلا تأثير للدعاء فى شىء من ذلك.

و الجواب أنه لا يمتنع أن يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعل له لا محاله و يكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانتقطاع إلى الخالق سبحانه.

و يجوز أيضا أن يكون في الدعاء نفسه مصلحه و لطف للمكلف لقد حسن منا الاستغفار للمؤمنين و الصلاه على الأنبياء و الملائكه.

و أيضا فليس كل أفعال البارئ سبحانه واجبه عليه بل معظمها ما يصدر على وجه الإحسان و التفضل فيجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله.

فإن قلت فهل يسمى فعل الواجب الذي لا بدّ للقديم تعالى من فعله إجابة لدعاء المكلف.

قلت لا و إنما يسمى إجابة إذا فعل سبحانه ما يجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله كالتفضل و أيضا فإن اللطف و المصلحه قد يكون لطفًا و مصلحه في كل حال و قد يكون لطفًا عند الدعاء و لو لا الدعاء لم يكن لطفًا و ليس بممتنع في القسم الثاني أن يسمى إجابة للدعاء لأن للدعاء على كل حال تأثيرًا في فعله.

فإن قيل أيجوز أن يدعو النبي ص بدعاء فلا يستجاب له.

قيل إن من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعي حسن ما طلبه بالدعاء و إنما يعلم حسنه بألا يكون فيه وجه قبح ظاهر و ما غاب عنه من وجوه القبح نحو كونه مفسده يجب أن يشترطه في دعائه و يطلب ما يطلبه بشرط ألا يكون مفسده و إن لم يظهر هذا الشرط في دعائه و جب أن يضمه في نفسه فمتى سأل النبي ربه تعالى أمرا فلم يفعله لم يجز أن يقال إنه ما أجيبت دعوته لأنه يكون قد سأل بشرط ألا يكون مفسده فإذا لم يقع ما يطلبه فلأن المطلوب قد علم الله فيه من المفسده ما لم يعلمه النبي ص فلا يقال إنه ما أجيبت دعاؤه لأن دعائه كان مشروطًا و إنما يصدق قولنا ما أجيبت دعاؤه على من طلب أمرا طلبًا مطلقًا غير مشروط فلم يقع و النبي ص لا يتحقق ذلك في حقه

و نحن نذكر فى هذا الموضوع جملة من الأدعية المأثوره طلبا لبركتها و لينتفع قارئ الكتاب بها

١١٨٢

كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَقُولُ

أَصْبِحْنَا وَ أَصْبَحَ الْمَلِكُ وَ الْكِبْرِيَاءُ وَ الْعِظَمَةُ وَ الْجَلَالُ وَ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ وَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ مَا يَسِيْرُ كُنْ فِيهِمَا لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَحِيْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هَذَا صَاحًا وَ آخِرَهُ نَجَاحًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ مَعَاصِيكَ وَ مِنْ طَاعَتِنَا مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ رَحْمَتَكَ وَ مِنَ الْيَقِيْنِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَ أَبْصَارِنَا وَ اجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنَّا وَ انصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَ لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَ لَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَ لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا .

من أدعية الصحيفه

١١٨٣

١,٤- وَ مِنْ دُعَائِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ كَانَ يَدْعُو بِهِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع وَ هُوَ مِنْ أَدْعِيَةِ الصَّحِيْفَةِ يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ يَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا يَقْبَلُهُ الْبِلَادُ يَا مَنْ لَا يَخْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ يَا مَنْ لَا يَجْبُهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الْإِلْحَاحِ إِلَيْهِ يَا مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ صَغِيرٌ مَا يُتَحَفُّ بِهِ وَ لَا يَضِيْعُ يَسِيرٌ مَا يُعْمَلُ لَهُ يَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ وَ يُجَازِي بِالْجَلِيلِ يَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ يَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ يَا مَنْ لَا يُعَيِّرُ النَّعْمَةَ وَ لَا يُبَادِرُ بِالنَّقْمَةِ يَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنْمِيَهَا وَ يَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعْفِيَهَا انصرفت

ص: ١٧٨

دُونَ مَدَى كَرَمِكَ الْحَاجَاتُ وَامْتَلَأَتْ بِيَغْضِ جُودِكَ أَوْعِيَهُ الطَّلِبَاتِ وَتَفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نِعْتِكَ الصِّفَاتُ فَلَكَ الْعُلُوُّ الْأَعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ وَ الْجَلَالُ الْأَمَّحِدُ فَوْقَ كُلِّ جَلَالٍ كُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَكَ حَقِيرٌ وَ كُلُّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ صَغِيرٌ خَابَ الْوَاثِقُونَ عَلَى غَيْرِكَ وَ خَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ وَ ضَاعَ الْمُلْمُونَ إِلَّا بِكَ وَ أَجِدَبَ الْمُنتَجِعُونَ إِلَّا مِنْ أَنْتَجَعَ فَضْلَكَ لِأَنَّكَ ذُو غَايَةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الرَّاغِبِينَ وَ ذُو مَجِيدٍ مُبَاحٍ لِلْسَائِلِينَ لَا يَخِيبُ لَدَيْكَ الْآمِلُونَ وَ لَا يُخْفِقُ مِنْ عَطَائِكَ الْمُتَعَرِّضُونَ وَ لَا يَشْقَى بِنِقْمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ رِزْقِكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ وَ حِلْمِكَ مُعَرَّضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ وَ عَادَتُكَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيئِينَ وَ سُنَّتُكَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنْتُكَ عَنِ النَّزْوَعِ وَ صَدَّهُمْ إِمَهَالُكَ عَنِ الرُّجُوعِ وَ إِنَّمَا تَأْتَيْتَ بِهِمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِكَ وَ أَمَهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِعَدْوَامِ مُلْكِكَ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِهَا وَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ خَدَلْتَهُ لَهَا.

كُلُّهُمْ صَائِرٌ إِلَى رَحْمَتِكَ وَ أَمُورُهُمْ آئِلَةٌ إِلَى أَمْرِكَ لَمْ يَهْنُ عَلَى طُولِ مَدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ وَ لَمْ تَدْحَضْ لِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ حُجْجُكَ (١) حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ وَ سُلْطَانُكَ ثَابِتٌ فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَحَّحَ عَنْكَ وَ الْخِيْبَةُ الْخَازِلَةُ لِمَنْ خَابَ أَمَلُهُ مِنْكَ وَ الشَّقَاءُ الْأَشْقَى لِمَنْ اغْتَرَّ بِكَ مَا أَكْثَرَ تَقَلُّبُهُ فِي عِدَابِكَ وَ مَا أَعْظَمَ تَرُدُّدُهُ فِي عِقَابِكَ وَ مَا أَبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الْفَرْجِ وَ مَا أَثْبَطَهُ مِنْ سُهُولِهِ الْمَخْرَجِ عِدْلًا مِنْ قِضَائِكَ لَا تَجُورُ فِيهِ وَ إِنْصَافًا مِنْ حُكْمِكَ لَا تَحِيفُ عَلَيْهِ قَدْ ظَاهَرَتْ الْحُجَجُ وَ أَرَلَّتِ الْأَعْدَارُ وَ تَقَدَّمَتْ بِالْوَعِيدِ وَ تَلَطَّفَتْ فِي التَّرْغِيبِ وَ ضَرَبَتْ الْأَمْثَالَ وَ أَطَلَّتِ الْإِمَهَالَ وَ أَخْرَجَتْ وَ أَنْتَ تَسِيْطِيعُ الْمُعَاجَلَةَ وَ تَأْتَيْتَ وَ أَنْتَ مَلِيٌّ بِالْمُبَادَرَةِ لَمْ تَكُ أَنْتُكَ عَجْزًا وَ لَا حِلْمًا وَ هُنَا وَ لَا- إِمْسَاكُكَ لِعَلِّهِ وَ لَا انْتِظَارُكَ لِمِدَارِهِ بَلْ لِيَتَكُونَ حُجَّتُكَ الْإِبْلَغُ وَ كَرْمُكَ الْإِكْمَالُ وَ إِحْسَانُكَ الْأَوْفَى وَ نِعْمَتُكَ الْأَتَمَّ

ص: ١٧٩

كُلِّ ذَلِكْ كَانَ وَ لَمْ يَزَلْ وَ هُوَ كَائِنٌ لَا يَزُولُ نِعْمَتُكَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تُوصَفَ بِكُلِّهَا وَ مَجِيدُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يُحَدِّدَ بِكُنْهِهِ وَ إِحْسَانُكَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُشْكَرَ عَلَى أَقْلِهِ فَقَدْ أَقْصَرْتُ سَاكِنَةً عَنْ تَحْمِيدِكَ وَ تَهَيَّبْتُ مُمَسِّكًا عَنْ تَمْجِيدِكَ لَا رَغْبَةَ يَا إِلَهِي عَنْكَ بَلْ عَجْزًا وَ لَا زُهَيْدًا فِيمَا عِنْدَكَ بَلْ تَقْصِيرًا وَ هَا أَنَا ذَا يَا إِلَهِي أَوْمِلُ بِالْوَفَادَةِ وَ أَسْأَلُكَ حُسْنَ الرِّفَادَةِ فَاسْمِعْ نِدَائِي وَ اسْتَجِبْ دُعَائِي وَ لَا تَحْتِمِ عَمَلِي بِخَيْبَتِي وَ لَا تَجْهِنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي وَ أَكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ مَنْصِيَّةَ رَفِي إِنْكَ غَيْرُ ضَائِقٍ عَمَّا تُرِيدُ وَ لَا عَاجِزٍ عَمَّا تَشَاءُ وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

١١٨٤

١١٤- وَ مِنْ أَدْعِيَتِهِ ع وَ هُوَ مِنْ أَدْعِيَةِ الصَّحِيفَةِ أَيْضًا اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَبِيحُ الْمُدْتَبِعُونَ وَ يَا مَنْ إِلَى إِحْسَانِهِ يَفْرَعُ الْمُضْطَرُّونَ وَ يَا مَنْ لِيَخِيفَتِهِ يَنْتَجِبُ الْخَاطِئُونَ يَا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ غَرِيبٍ يَا فَرَجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ حَرِيبٍ يَا عَوْنَ كُلِّ مَخْذُولٍ فَرِيدٍ يَا عَائِدَ كُلِّ مُخْتِاجٍ طَرِيدٍ أَنْتَ الَّذِي وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْمًا وَ أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعْمَتِكَ سَهْمًا وَ أَنْتَ الَّذِي عَفَوْتَ أَعْلَى مِنْ عِقَابِهِ وَ أَنْتَ الَّذِي رَحِمْتَهُ أَمَامَ غَضَبِهِ وَ أَنْتَ الَّذِي إِعْطَاؤُهُ أَكْبَرُ مِنْ مَنَعِهِ وَ أَنْتَ الَّذِي وَسَّعَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ بِعَفْوِهِ وَ أَنْتَ الَّذِي لَا يَزْعَبُ فِي غَنَى مَنْ أَعْطَاهُ وَ أَنْتَ الَّذِي لَا يُفْرِطُ فِي عِقَابِ مَنْ عَصَاهُ.

وَ أَنَا يَا سَيِّدِي عَبْدُكَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالِدُّعَاءِ فَقَالَ لَبَّيْكَ وَ سَيِّدِيكَ وَ أَنَا يَا سَيِّدِي عَبْدُكَ الَّذِي أَوْقَرْتِ الْخَطَايَا ظَهْرَهُ وَ أَنَا الَّذِي أَفْنَتِ (١) الذُّنُوبَ عُمْرَهُ وَ أَنَا الَّذِي بَجَهْلِهِ عَصَاكَ وَ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا مِنْهُ لِتَذَلِّكَ فَهَلْ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ رَاحِمٌ مِنْ دَعَاكَ فَأَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ أَمْ أَنْتَ عَافِرٌ لِمَنْ بَكَى لِمَكَ فَاسْتَبْرَحَ فِي الْبُكَاءِ أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ مُتَذَلِّلًا أَمْ أَنْتَ مُغْنٍ مَنْ شَكَا إِلَيْكَ فَفَرَّهُ مُتَوَكِّلًا

ص: ١٨٠

(١-١) ج: «و أفنت الذنوب عمره».

اللَّهُمَّ فَلَا تُخَيِّبْ مَنْ لَا يَجِدُ مُعْطِيًا غَيْرَكَ وَلَا تَخْذُلْ مَنْ لَا يَسْتَتَعِنِي عَنْكَ بِأَحَدٍ دُونَكَ اللَّهُمَّ لَا تُعْرِضْ عَنِّي وَ قَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ وَ لَا تَحْرِمْنِي وَ قَدْ رَغِبْتُ إِلَيْكَ وَ لَا تَجْبِهْنِي بِالرَّدِّ وَ قَدْ انْتَصَبْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَنْتَ الَّذِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِالرَّحْمَةِ وَ أَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بِالْعَفْوِ فَارْحَمْنِي وَ اعْرِفْ عَنِّي فَقَدْ تَرَى يَا سَيِّدِي فَيْضَ دُمُوعِي مِنْ خِيْفَتِكَ وَ وَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ وَ انْتِصَاصَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ كُلُّ ذَلِكَ حَيَاءً مِنْكَ بِسُوءِ عَمَلِي وَ خَجَلًا مِنْكَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِي قَدْ كَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ وَ خَمِدَ صَوْتِي عَنِ الدُّعَاءِ إِلَيْكَ يَا إِلَهِي فَكَمْ مِنْ عَيْبٍ سَتَرْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي وَ كَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَ عَلَيْهِ فَلَمْ تَشْهَرْ بِي وَ كَمْ مِنْ عَائِيهِ أَلَمَّمْتُ بِهَا فَلَمْ تُهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا وَ لَمْ تُقْلِدْنِي مَكْرُوهَ سَنَارِهَا وَ لَمْ تُبَيِّدْ عَلَيَّ مُحْرَمَاتِ سَوَآتِهَا فَمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِي مِنْ جِيرَتِي وَ حَسَدِهِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذَلِكَ حَتَّى صَبَرْتُ إِلَى أَسْوَأِ مَا عَاهَدْتُ مِنِّي فَمَنْ أَجْهَلُ مِنِّي يَا سَيِّدِي بِرُشْدِكَ وَ مَنْ أَغْفَلُ مِنِّي عَنْ حَظِّهِ مِنْكَ وَ مَنْ أَبْعَدُ مِنِّي مِنْ اسْتِصْلَاحِ نَفْسِهِ حِينَ أَنْفَقْتَ مَا أَجْرَيْتَ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ فِيمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ وَ مَنْ أَبْعَدُ غَوْرًا فِي الْبَاطِلِ وَ أَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى السُّوءِ مِنِّي حِينَ أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَ دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ فَاتَّبِعْ دَعْوَتَهُ عَلَيَّ غَيْرِ عَمَى عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ وَ لَا نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لَهُ وَ أَنَا حِينَئِذٍ مُوقِنٌ أَنْ مُنْتَهَى دَعْوَتِكَ الْجَنَّةُ وَ مُنْتَهَى دَعْوَتِهِ النَّارُ سُبْحَانَكَ فَمَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَيَّ نَفْسِي وَ أَعِدُّدُهُ مِنْ مَكْنُونِ أَمْرِي وَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَا تَكَ عَنِّي وَ إِطْأَاؤُكَ عَنِّي مُعَاجِلَتِي وَ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ بَلْ تَأْتِيًا [تَأْتِيًا]

مِنْكَ بِي وَ تَفْضُلًا مِنْكَ عَلَيَّ لِأَنَّ أَرْتَدَعَ عَنْ خَطِيئِي وَ لِأَنَّ عَفْوَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي بَلْ أَنَا يَا إِلَهِي أَكْثَرُ ذُنُوبًا وَ أَقْبَحُ آثَارًا وَ أَشْنَعُ أَفْعَالًا وَ أَشَدُّ فِي الْبَاطِلِ تَهَوُّرًا وَ أضعْفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيْقُظًا وَ أَغْفَلُ لَوْعِيدِكَ انْتِبَاهًا مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي وَ أَقْدِرَ عَلَى تَعْدِيدِ

ذُنُوبِي وَإِنَّمَا أُوْبِخُ بِهَذَا نَفْسِي طَمَعًا فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا إِضِيْلَاحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ وَرَجَاءٌ لِعِصْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ
اللَّهُمَّ وَهَيْدِهِ رَقَبَتِي قَدْ أَرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ فَأَعْتَقْتُهَا بِعَفْوِكَ وَقَدْ أَثْقَلَتْهَا الْخَطَايَا فَخَفَّفْ عَنْهَا بِمَنِّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ بَكَيتُ حَتَّى تَسِيْقُطَ
أَشْفَارُ عَيْنَيَّ وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَنْتَشِرَ قَدَمَايَ وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْجَدِعَ صُلْبِي وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى
تَتَفَقَّأَ حِدْقَتَايَ وَأَكَلْتُ التُّرَابَ طُولَ عُمُرِي وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي ثُمَّ لَمْ
أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ إِسْتِحْيَاءً مِنْكَ لَمَّا إِسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئِهِ وَاحِدِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي فَإِنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لِي حِينَ اسْتَوْجِبُ
مَغْفِرَتَكَ وَتَغْفُو عَنِّي حِينَ إِسْتَحِقُّ عَفْوَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرٌ وَاجِبٌ لِي بِالِإِسْتِحْقَاقِ وَلَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ عَلَى الْإِسْتِجَابِ إِذْ كَانَ جَزَائِي
مِنْكَ مِنْ (١) أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ فَإِنْ تُعَذِّبُنِي فَإِنَّكَ غَيْرُ ظَالِمٍ إِلَهِي فَإِنْ تَعَمَّدْتَنِي بِسِتْرِكَ فَلَمْ تَفْضَحْنِي وَآمَهَلْتَنِي بِكَرَمِكَ فَلَمْ
تُعَاجِلْنِي وَحَلَمْتَ عَنِّي بِتَفْضُلِكَ فَلَمْ تُعْزِرْ نِعَمَكَ عَلَيَّ وَ لَمْ تُكَدِّرْ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي فَارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِي وَشِدَّةَ مَسِيْكَتِي وَ سَوْءَ
مَوْقِفِي اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَنْقِذْنِي مِنَ الْمَعَاصِي وَ اسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ وَ ارْزُقْنِي حُسْنَ الْإِنَابَةِ وَ طَهِّرْنِي بِالتَّوْبَةِ وَ
أَيِّدْنِي بِالْعِصْمَةِ وَ اسْتَصْرِ لِحْنِي بِالْعَافِيَةِ وَ ارْزُقْنِي حِلَاوَةَ الْمَغْفِرَةِ وَ اجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ وَ اكْتُبْ لِي أَمَانًا مِنْ سَيِّئَاتِكَ وَ بَشِّرْنِي
بِذَلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الْآجِلِ (٢) بَشْرِي أَعْرِفُهَا وَ عَرَّفْنِي لَهُ عَلَامَةً أَتَيْتُهَا إِنْ ذَلِكَ لَا يَضِيْقُ عَلَيْكَ فِي وُجْدِكَ وَ لَا يَتَكَأَدُكَ
فِي قُدْرَتِكَ وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

١١٨٥

١،٤- وَ مِنْ أَدْعِيَتِهِ ع وَ هُوَ مِنْ أَدْعِيَةِ الصَّحِيْفَةِ

ص: ١٨٢

١-١ (١) ب: «في».

٢-٢ (٢) ب: «و العاجل».

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَأَبَّدِ بِالْخُلُودِ وَالسُّلْطَانِ الْمُتَمَتِّعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ وَالْعِزِّ الْبَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزًّا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا مُنْتَهَى لِآخِرِهِ وَاسْتَيْغَلَى مُلْكُكَ عَلْوًا سَقَطَتِ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهِ وَلَا يَبْلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَيْأْتَزَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ نُعُوتٌ أَقْصَى نَعْتِ النَّاعِيَتَيْنِ ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ وَحَارَتْ فِي كِبَرِيَايِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ كَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ فِي أَوْلِيَّتِكَ وَعَلَى ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لَا تَزُولُ وَكَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ فِي آخِرِيَّتِكَ وَكَذَلِكَ أَنْتَ ثَابِتٌ لَا تَحُولُ وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَلًا الْجَسِيمُ أَمَلًا خَرَجْتُ مِنْ يَدَيَّ أَسِيْبُ الْوَضِيْلَاتِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَتَقَطَّعْتُ عَنِّي عَصَمَ الْأَمَالِ إِلَّا مَا أَنَا مُعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِكَ فَلَّ عِنْدِي مَا أَعْتَدْتُ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَكَثُرَ عِنْدِي مَا أُبُوءُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ وَ لَنْ يَفُوتَكَ (١) عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإِنْ أَسَاءَ فَاعْفُ عَنِّي اللَّهُمَّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى كُلِّ خَطَايَا الْأَعْمَالِ عِلْمُكَ وَ انْكَشَفَ كُلُّ مَسِيئَةٍ عِنْدَ خَيْرِكَ فَلَا يَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الْأُمُورِ وَلَا يَعْزُبُ عَنْكَ خَفَايَا السَّرَائِرِ (٢) وَ قَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ صِغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ وَ كِبَائِرِ أَعْمَالٍ مُرْدِيَةٍ فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ وَلَا خَفِيرَ يُؤْمِنِي مِنْكَ وَلَا حِصْنَ يَحْجُبُنِي عَنْكَ وَلَا مَلَاذَ أَلْجَأُ إِلَيْهِ غَيْرُكَ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ وَ مَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ فَلَا يَضِيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ وَلَا يَقْضِرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ وَ لَا أَكُونُ أَحْيَبَ عِيَادِكَ التَّائِبِينَ وَ لَا أَقْنِطُ وَفُودَكَ الْآمِلِينَ وَ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَغَفَلْتُ وَ نَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ وَ هَذَا مَقَامٌ مِنْ اسْتِيْحَايَا لِنَفْسِهِ مِنْكَ وَ سَيَخْطُ عَلَيْهَا وَ رَضِيَ عَنْكَ وَ تَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ وَ عَيْنٍ خَاضِعَةٍ وَ ظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا وَاقِفًا بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَ الرَّهْبَةِ مِنْكَ وَ أَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَجَاءٍ وَ أَحَقُّ مِنْ خَشْيَةٍ وَ اتَّقَاهُ

ص: ١٨٣

(١-١) ج: «يفوتك».

(٢-٢) ج: «خفايا لأعمال».

فَأَعِظْنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ وَ آمِنِّي مَا حَذَرْتُ وَ عُدَّ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ وَ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْئُولِينَ اللَّهُمَّ وَ إِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ وَ تَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ فَأَجْزِنِي مِنْ فَضَّةِ يَحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَ الرُّسُلِ الْمُكْرَمِينَ وَ الشُّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ مِنْ حَيَارِ كُنْتُ أَكْثَمُهُ سَيِّئَاتِي وَ مِنْ ذِي رَحِمٍ كُنْتُ أَحْتَشِمُ مِنْهُ لِسِرِّيَاتِي لَمْ أَذِقْ بِهِمْ فِي السِّرِّ (١) عَلَيَّ وَ وَثِقْتُ بِكَ فِي الْمَغْفِرَةِ لِي وَ أَنْتَ أَوْلَى مَنْ وَثِقَ بِهِ وَ أَعْطَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ وَ أَرْأَفُ مَنْ اسْتَرْجَمَ فَارْحَمْنِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغْلِظُ بِهَا عَلَيَّ مِنْ عَصَاكَ وَ أُوْعِدْتَ بِهَا مَنْ ضَارَكَ وَ نَاوَاكَ وَ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ وَ مِنْ نَارٍ نُورَهَا ظُلْمَةٌ وَ هَيَّئْهَا صِعْبٌ وَ قَرِيبًا بَعِيدٌ وَ مِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَ يَصُولُ بَعْضُهَا عَلَيَّ بِعُضٍ وَ مِنْ نَارٍ تَذُرُّ الْعِظَامَ رَمِيمًا وَ تَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيمًا وَ مِنْ نَارٍ لَا تُبْقِي عَلَيَّ مَنْ تَضَرَّعَ وَ لَا تَرْحَمُ مَنْ اسْتَعْفَفَهَا وَ لَا تَقْدِرُ عَلَيَّ التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَ اسْتَبْتَلَ إِلَيْهَا تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحْرٍ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَ شَدِيدِ الْوَبَالِ اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ مِنْ عَقَابِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا وَ حَيَاتِهَا النَّاهِشَةَ بِأَنْبَابِهَا وَ شَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ الْأَمْعَاءَ وَ يُذِيبُ الْأَحْشَاءَ وَ اسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ عَنْهَا وَ أَنْقِذْ مِنْهَا فَأَجْزِنِي بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ وَ أَقْلِنِي عَثْرَتِي بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ وَ لَا تَخْذَلْنِي يَا خَيْرَ الْمُجِيرِينَ اللَّهُمَّ صِلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ إِذَا ذُكِرَ الْمَأْبُرُ وَ صِلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ مِمَّا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ صِلْ لَاهُ لَا يَنْقُطُ مَدَدُهَا وَ لَا يُحْصِي عَدَدُهَا صِلْ لَاهُ تَشْحِنُ الْهَوَاءَ وَ تَمَلُّ الْأَرْضَ وَ السَّمَاءَ صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرْضَى وَ صَلِّ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الرِّضَا صَلَاةً لَا حَدَّ لَهَا وَ لَا مُنْتَهَى يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٤- وَ مِنْ دُعَائِهِ ع وَ هُوَ مِنْ أَدْعِيهِ الصَّحِيفَةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيْجَانِ الْحِرْصِ وَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ وَ غَلْبَةِ الْحَسَدِ وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ وَ قَلْبِهِ الْفَنَاعَةِ وَ شَكَاةِ الْخُلُقِ وَ إِحْسَاسِ الشُّهُورِ وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ وَ مُتَابَعَةِ الْهَوَى وَ مُخَالَفَةِ الْهُدَى وَ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَ تَعَاطِي الْكُلْفَةِ - إِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَ الْإِضْرَارِ عَلَى الْمَأْتَمِّ وَ الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَ الْإِقْلَالِ مِنَ الطَّاعَةِ وَ مِبَاهَاتِ الْمُكْثَرِينَ وَ الْإِزْرَاءِ عَلَى الْمُقْلِينَ وَ سُوءِ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا وَ تَزَكِ الشُّكْرِ لِمَنْ أَصْطَلَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا وَ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِمًا أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفًا أَوْ نَزُومَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ أَوْ نَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشٍّ لِأَحَدٍ وَ أَنْ نُعْجَبَ بِأَمْوَالِنَا وَ أَعْمَالِنَا وَ أَنْ نُمَدَّ فِي آمَالِنَا وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ وَ احْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ وَ أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ أَوْ يَشْتَدَّ لَنَا الزَّمَانُ أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ حُبِّ الْإِسْرَافِ وَ فِقْدَانِ الْكِفَافِ وَ مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْيَادِ وَ الْفَقْرِ إِلَى الْأَصِيدِقَاءِ وَ مِنْ عَيْشِهِ فِي شِدَّةٍ أَوْ مَوْتٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ وَ نَعُوذُ اللَّهُمَّ بِكَ مِنَ الْحَسِرَةِ الْعُظْمَى وَ الْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى وَ مِنْ سُوءِ الْمَيَابِ وَ حِرْمَانِ الثَّوَابِ وَ حُلُولِ الْعِقَابِ اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَ مَنِّكَ وَ جُودِكَ إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

١٤- وَ مِنْ دُعَائِهِ ع وَ تَحْمِيدِهِ وَ ذِكْرِهِ النَّبِيِّ ص وَ هُوَ مِنْ أَدْعِيهِ الصَّحِيفَةِ أَيْضًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِكُلِّ مَا حَمَدَهُ أَذْنِي مَلَائِكَتِهِ إِلَيْهِ وَ أَكْرَمُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ وَ أَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ حَمْدًا يُفْضَلُ سَائِرِ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ وَ الْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ

مِنْ بَعْدِ الْقِيَامَةِ حَمْدًا لَا غَايَةَ لِحَدِّهِ وَلَا حِسَابَ لِعَدِّهِ وَلَا مَبْلَغَ لِأَعْدَادِهِ وَلَا انْقِطَاعَ لِأَمَادِهِ حَمْدًا يَكُونُ وَصْلَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَ سَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ وَ ذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَ طَرِيقًا إِلَى جَنَّتِهِ وَ خَيْرًا مِنْ نِقْمَتِهِ وَ أَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ وَ ظَهِيرًا عَلَى طَاعَتِهِ وَ حَاجِرًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَ عَوْنًا عَلَى تَأْدِيهِ حَقِّهِ وَ وَظَائِفَهُ حَمْدًا نَسَبَهُ بِهٖ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَ نَتَّظِمُ بِهِ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ص دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إِنَّ عَظْمَ وَ لَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَ إِنَّ لَطْفَ اللَّهِ فَصَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَ نَجِيَّتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَ صَفِيَّتِكَ مِنْ عِبَادِكَ إِمَامَ الرَّحْمَةِ وَ قَائِدَ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحَ الْبَرَكَاتِ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَ عَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بِيَدِنَهُ وَ كَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَاسَتَهُ وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسِيرَتَهُ وَ قَطَعَ فِي نُصْرَتِهِ دِينَكَ رَحِمَهُ وَ أَقْصَى الْأَذْنِينَ عَلَى عُنُودِهِمْ عَنْكَ وَ قَرَّبَ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ وَ وَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِينَ وَ عَانَدَ فِيكَ الْأَقْرَبِينَ وَ أَذَابَ (١) نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ وَ أَنْتَبَهَى فِي الدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ وَ شَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ وَ هَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَةِ وَ مَجَلَّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَ مَوْضِعِ رِجْلِهِ وَ مَسَقَطِ رَأْسِهِ وَ مَيَأَسَ نَفْسَهُ إِزَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ وَ اسْتِئْصَارًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِحُكْمِكَ حَتَّى اسْتَيْتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَغْيَادِكَ وَ اسْتَيْتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ فَنَهَدَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِكَ مُسَدِّ تَفْتِحًا بِعَوْنِكَ وَ مُتَقَوِّيًا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ فَغَزَاهُمْ فِي عَقْرِ دِيَارِهِمْ وَ هَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحِهِ قَرَارِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَ عَلَتْ كَلِمَتُكَ وَ قَدَّرَهُ الْمُشْرِكُونَ اللَّهُمَّ فَارْزُقْهُ بِمَا كَادَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ حَتَّى لَا يُسَاوَى فِي مَنْزِلِهِ وَ لَا يُكَافَأُ فِي مَرْتَبِهِ وَ لَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ عَرَّفْهُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ

ص: ١٨٦

(١ - ١) ج: «و أدب».

حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِدَ الْعِدَّةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

من الأدعية المأثورة عن عيسى ع

١١٨٨

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ع

اللَّهُمَّ أَنْتَ إِلَهٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَ إِلَهٌ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا إِلَهَ فِيهِمَا غَيْرُكَ وَأَنْتَ حَكِيمٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَ حَكِيمٌ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا حَكِيمَ فِيهِمَا غَيْرُكَ وَأَنْتَ مَلِكٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَ مَلِكٌ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا مَلِكَ فِيهِمَا غَيْرُكَ قُدْرَتُكَ فِي السَّمَاءِ كَقُدْرَتِكَ فِي الْأَرْضِ وَ سُلْطَانُكَ فِي السَّمَاءِ كَسُلْطَانِكَ فِي الْأَرْضِ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْكَرِيمِ وَ وَجْهِكَ الْمُنِيرِ وَ مُلْكِكَ الْقَدِيمِ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا .

من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين

١١٨٩

وَ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يَدْعُو فَيَقُولُ اللَّهُمَّ لَا تَدْخِلْنَا النَّارَ بَعِيدًا أَنْ أَسِيكَنْتَ قُلُوبَنَا تَوْحِيدَكَ وَ إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَفْعَلَ وَ إِنْ فَعَلْتَ لَتَجْمَعَنَّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمٍ عَادَيْنَاهُمْ فِيكَ .

١١٩٠

وَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِهِمْ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُشْرِكْ فِي خَلْقِنَا غَيْرَكَ فَلَا تُشْرِكْ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْنَا غَيْرَكَ اللَّهُمَّ لَا رَبَّ لَنَا غَيْرَكَ فَلَا تَجْعَلْ حَاجَتَنَا عِنْدَ غَيْرِكَ اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا غَيْرَكَ .

١١٩١

قَامَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ

ص: ١٨٧

بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ فَقَبِلْنَا وَ تَلَوْتَ فَوَعَيْنَا ثُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ قَرَأْنَا فِيهَا أَلْفَ مِائَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوْ حَادُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا (١) اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ جِئْنَا رَسُوكَ وَ نَحْنُ نَسِيَةٌ تَغْفِرُكَ وَ نَسْأَلُ رَسُوكَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا فَاعْفِرْ لَنَا وَ تُبِّ عَلَيْنَا.

فَيَقَالُ إِنَّ إِنْسَانًا حَضَرَ ذَلِكَ الدُّعَاءَ فَرَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي مَنَامِهِ يَقُولُ لَهُ أَلْبِغِ الْأَعْرَابِيَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ.

١١٩٢

وَ مِنْ أَدْعِيَةِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ

اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آتِيكَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ وَ لَمْ أَشْفَعْهُ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ أَتَيْتُكَ مُقِرًّا بِالظُّلْمِ وَ الْإِسْيَاءِ عَلَيَّ نَفْسِي أَتَيْتُكَ بِمَا حُجِّبَ أَتَيْتُكَ أَرْجُو عَظِيمَ عَفْوِكَ الَّذِي عَمِدْتُ بِهِ عَلَى الْخَاطِئِينَ ثُمَّ لَمْ يَمْنَعِيكَ عُكُوفُهُمْ عَلَيَّ عَظِيمِ الْجُزْمِ أَنْ جِئْتُكَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ فَيَا صَاحِبَ الْعَفْوِ الْعَظِيمِ اغْفِرِ الدَّنْبَ الْعَظِيمَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

١١٩٣

١- وَ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا عِ اعْتَمَرَ فَرَأَى رَجُلًا مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكُعْبَةِ وَ هُوَ يَقُولُ يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ يَا مَنْ لَا تُفْلِقُهُ (٢) الْمَسَائِلُ وَ لَمْ يَبْرَمْهُ إِلَّا الْحَاحُ الْمُلْحِنُ أَذْفَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَ حَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَ عَمِدُوْبَهُ عَافِيَتِكَ وَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ فَقَالَ عَلِيُّ ع وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ قَالَهَا وَ عَلَيْهِ مِثْلُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنَ الدُّنُوبِ قَوْلًا مُخْلِصًا لِيُغْفَرَ لَهُ

١١٩٤

وَ دَعَا أَعْرَابِيٌّ عِنْدَ الْمُلتَزِمِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حُقُوقًا فَتَصَيِّدْ بِهَا عَلَيَّ وَ إِنَّ لِلنَّاسِ قِبَلِي تَبِعَاتٍ فَتَحْمَلْهَا عَنِّي وَ قَدْ أُوجِبَتْ لِكُلِّ ضَيْفٍ قَرِي وَ أَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ فَاجْعَلْ قِرَايَ الْجَنَّةِ .

ص: ١٨٨

١-١) سورة النساء ٦٤.

٢-٢) ب: «تغلطه»، و ما أثبتته من ج.

وَ دَعَا بَعْضَ الْمَاعِزَابِ أَيْضاً وَقَدْ خَرَجَ حَاجِياً فَقَالَ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ خَرَجْتُ وَ مَا عِنْدَكَ طَلَبْتُ فَلَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ تَعَبِي وَ نَصَبِي فَإِنَّهَا لَمْصِيبَةٌ أَصِيبُ بِهَا فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمَصَابِ عَلَى الْمُصِيبَةِ .

وَ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ سَتَرْتَ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا ذُنُوباً كَثِيرَةً وَ نَحْنُ إِلَى سِتْرِهَا فِي الْآخِرَةِ أَحْوَجُ فَاعْفِرْ لَنَا .

وَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِهِمْ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْمَوْتَ خَيْرَ غَائِبٍ نَنْتَظِرُهُ وَ اجْعَلِ الْقَبْرَ خَيْرَ بَيْتٍ نَعْمُرُهُ وَ اجْعَلِ مَا بَعْدَهُ خَيْراً لَنَا مِنْهُ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ عَجَّتِ الْمَأْصُوتُ بِصُنُوفِ اللُّغَاتِ تَسْأَلُكَ الْحَاجَاتِ وَ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَذُكِّرَنِي عِنْدَ طَوْلِ الْبَلَى إِذَا نَسِيتُنِي أَهْلُ الدُّنْيَا .

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ بَعِيدَ وَفَاهِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنْ أَرَاهُ فِي مَنَامِي فَرَأَيْتُهُ بَعِيدَ سِنِهِ فَقُلْتُ يَا أَبَا يَحْيَى عَلَّمَنِي كَيْفَ أَدْعُو فَقَالَ قُلِ اللَّهُمَّ يَسِّرِ الْجَوَازَ وَ سَهِّلِ الْمَجَازَ .

وَ قَالَ الشَّعْبِيُّ حَسَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَى الْمَيْتِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي كَثِيرَةٌ جَلْتُ أَنْ تُوصَفَ وَ هِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي .

وَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ الزُّهَادِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَهْلٍ يُلْهِينِي وَ مِنْ هَوَى يُرْدِينِي وَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِينِي وَ مِنْ صَاحِبٍ يُغْوِينِي وَ مِنْ جَارٍ يُؤْذِينِي وَ مِنْ غَنِي يُطْغِينِي وَ مِنْ فَقْرٍ يُنْسِينِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نَسِيَةً تَحْيِيكَ وَ تَنْقِيكَ وَ نَخَافَكَ وَ نَخْشَاكَ وَ نَرْجُوكَ وَ نُطِيعُكَ فِي السَّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا بِالْمَعَافَاهِ وَ الْغِنَى اسْتَعِينِ اللَّهُ عَلَى أُمُورِي وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهُ لِدُنُوبِي وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي .

١٤- وَ يُرْوَى أَنَّ رَجُلًا أَعْمَى جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصِيرِهِ فَقَالَ ص لَهُ قُلْ يَا سُبُّوحُ يَا قُدُّوسُ يَا نُورَ الْأَنْوَارِ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَ يَا آخِرَ الْآخِرِينَ وَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَسْأَلُكَ

أَنْ تَغْفِرَ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعِيمَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النَّعَمَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُوجِبُ الْبَلَاءَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجَاءَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تَحْسِبُ الدُّعَاءَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تَكْشِفُ الْغَطَاءَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَوَاءَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ وَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ بَصْرِي فَدَعَا بِذَلِكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ

١٢٠٢

وَمِنَ الْأَشَارِ الْمَنْقُولِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَضِبَ عَلَى أُمَّهِ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَكَانَ فِيهِمْ ثَلَاثَةٌ صَيَّحُوا فَخَرَجُوا وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَقَامَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نُعْتِقَ أَرْقَاءَنَا وَنَحْنُ أَرْقَاؤُكَ فَأَعْتَقْنَا ثُمَّ جَلَسَ وَقَامَ الثَّانِي فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا وَهَذَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا ثُمَّ جَلَسَ وَقَامَ الثَّالِثُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ لَمْ تَخْلُقْ خَلْقًا أَوْسَعَ مِنْ مَغْفِرَتِكَ فَاجْعَلْ لَنَا فِي سَعَتِهَا نَصيبًا فَرَفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ .

١٢٠٣

١٤- قِيلَ لِسَيِّدِي بْنِ عَيْنَةَ مَا حَدِيثُ رَوَيْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَفْضَلُ دُعَاءٍ أُعْطِيْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَ هُوَ عَلِيٌّ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَانَتْهُمْ لَمْ يَرَوْهُ دُعَاءٌ فَقَالَ مَا تُنْكِرُونَ مِنْ هَذَا ثُمَّ رَوَى لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَنْ تَشَاغَلَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ فَوْقَ رَغْبَةِ السَّائِلِينَ ثُمَّ قَالَ هَذَا أُمَّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ يَقُولُ لِابْنِ جُدَعَانَ أَاذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي

وَ قَالَ هَذَا مَخْلُوقٌ يَقُولُ لِمَخْلُوقٍ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

ص: ١٩٠

وَمِنْ دُعَائِهِ ص

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الدُّلِّ إِلَّا لَكَ .

وَمِنْ دُعَائِهِ ع

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ تَسْقِيَانِ الْقُلُوبَ مَذْرُوفَ الدُّمُوعِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا وَفَرْعَ الضَّرْسِ نَدْمًا .

وَمِنْ دُعَائِهِ ع

اللَّهُمَّ طَهِّرْ لِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَقَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ وَبَصِيرِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْمَأْعِينِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

وَمِمَّا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ لَا تَعَجِزُوا عَنِ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ .

وَمِنْ رِوَايَةِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ فِي الْحَاجَةِ بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ فِيهَا أُعْطِيهَا أَوْ مَنَعَهَا .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِضْمَةُ أَمْرِي وَاصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَاصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ أَوْ تَحْسِنُ أَنْ تَدْعُو رَبَّكَ فَقَالَ نَعَمْ ثُمَّ دَعَا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنَّتَ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَكَ فَلَا تَحْرِمْنَا الْجَنَّةَ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ .

سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ فِي دُعَائِهَا يَا عَرِيضَ الْجَفْنَةِ يَا أَبَا الْمَكَارِمِ يَا أَيْضَ الْوَجْهِ فَزَجَرَهَا رَجُلٌ فَقَالَتْ دَعُونِي أَصِفْ رَبِّي بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

٧- وَكَانَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَهِي عَظَمَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلِيْحَسِّنِ الْعَفْوَ مِنْ عِنْدِكَ .

ذُكِرَ عِنْدَ بَعْضِ الصَّالِحِينَ رَجُلٌ قَدْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَدْعُو فَتَبَطَّيْ عَنْهُ الْإِجَابَةُ فَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ كَيْفَ أَرْحَمُ الْمُؤْتَلَى مِنْ شَيْءٍ أَرْحَمُهُ بِهِ-

٤- قَالَ طَاوُسٌ إِنِّي لَفِي الْحِجْرِ لَيْلَةً إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ ع فَقُلْتُ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ صَالِحٍ لَأَسْمَعَنَّ دُعَاءَهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي أَثْنَاءِ دُعَائِهِ عَبْدُكَ بِفَنَائِكَ سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ فَمَا دَعَوْتُ بِهِنَّ فِي كَرْبٍ إِلَّا وَفُرِّجَ عَنِّي .

عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ

اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا عَصَيْنَاكَ فَقَدْ تَرَكْنَا مِنْ مَعَاصِيكَ أَبْغَضَهَا إِلَيْكَ وَهُوَ الْإِشْرَاكُ وَإِنْ كُنَّا قَصِيرِينَ عَنْ بَعْضِ طَاعَتِكَ فَقَدْ تَمَسَّكْنَا مِنْهَا بِأَحَبِّهَا إِلَيْكَ وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ رُسُلَكَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ .

أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبَاتُ نِعْمَتِكَ فَلَا تَجْعَلْنَا حَصَائِدَ نِعْمَتِكَ .

بَعْضُهُمْ

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ قَدْ بَلَغْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ دَرَجَةً بِيَلَاءٍ فَبَلِّغْنِيهَا بِالْعَافِيَةِ .

حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فَكَانَ لَا يَشِيءُ تَعْفُرُ إِذَا صَلَّى كَمَا يَشْتَعْفِرُ النَّاسُ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ كَمَا أَنَّ تَرْكِي الْإِسْتِغْفَارَ مَعَ مَا أَعْلَمُ مِنْ عَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ضَعْفٌ فَكَذَلِكَ اسْتِغْفَارِي مَعَ مَا أَعْلَمُ مِنْ إِضْرَارِي لَوْمٌ .

لَمَّا صَافَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ التُّرُوكَ وَهِيَ أَلَّةٌ أَمْرُهُمْ سَدَّالٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فَقِيلَ هُوَ فِي أَقْصَى الْمَيْمَنَةِ جَانِحًا عَلَى سَيْمِهِ (١) قَوْسِهِ مُبْضَبًا بِأَضْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَ قُتَيْبَةُ لِتِلْكَ الْأَضْبَعِ الْقَارُورَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَائِهِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَرُوحِ طَيْرٍ (٢) .

سَمِعَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ صَيَحَهُ النَّاسِ بِالْأُدْعَاءِ فَقَالَ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْلِفَ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَهُمْ ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنِّي فِيهِمْ فَكَفَفْتُ .

كَانَ الْمَأْمُونُ إِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَرْزَاقَنَا أَكْثَرَ مِنْ أَقْوَاتِنَا .

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ

مَنْ دَخَلَ الْمُقْبِرَةَ فَقَالَ اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ وَالْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ

ص: ١٩٢

١-١) سببه القوس: ما عطف من طرفيها.

٢-٢) رمح طرير: محدد.

وَ الْعِظَامِ النَّخْرَةَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَ هِيَ مُؤَمَّنَةٌ بِكَ أُدْخِلْ عَلَيْهِمْ رَوْحاً مِنْكَ وَ سَلاماً مِنِّي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِعِيدٍ مَنْ وُلِدَ مِنْهُ
زَمَنٍ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَسَنَاتٍ.

١٢٢٣

عَلِيٌّ ع

الِدُّعَاءِ سِلَاحِ الْمُؤْمِنِ وَ عِمَادِ الدِّينِ وَ نُورِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ .

١٢٢٤

قِيلَ إِنَّ فِيهَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي الْعَبْدَ وَ هُوَ يُجِبُهُ لِيَسْمَعَ دُعَاءَهُ وَ تَضَرُّعَهُ.

١٢٢٥

أَبُو هُرَيْرَةَ

اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ وَ تَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ
اسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَ يُؤْمِنَ رَوْعَاتِكُمْ.

١٢٢٦

صَلَّى رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُتَيَّارِ كَيْفَ سَلَّمَ الْإِمَامَ سَلَّمَ وَ قَامَ عَجِلاً فَخَذَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِثَوْبِهِ وَ قَالَ أَمَا لَكَ إِلَى رَبِّكَ
حَاجَةٌ.

١٢٢٧

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا فَقَالَ لَا بَلْ جَزَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا.

١٢٢٨

عَلِيٌّ ع

الِدَّاعِي بِغَيْرِ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِغَيْرِ وَتَرٍ .

١٢٢٩

كَانَ الزُّهْرِيُّ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْحَدِيثِ تَلَاهُ فَدَعَا لِلَّهِمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا

أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٢٣٠

كَأَنَّ زُبَيْدَ النَّامِي سَمِعَ الصَّبِيَّانَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَفِي كُمَّهِ الْجَوْزُ وَيَقُولُ مَنْ يَتَّبِعُنِي مِنْكُمْ فَأُعْطِيهِ خَمْسَ حِرْزَاتٍ فَإِذَا دَخَلُوا
الْمَسْجِدَ قَالَ ارْفُوعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَزُبَيْدٍ فَإِذَا دَعَوْا قَالَ اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُدْنِبُوا.

١٢٣١

عَلِيٌّ ع

جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَاسْتَمَطَرْتَ شَائِبَ رَحْمَتِهِ
فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ

ص: ١٩٣

إِحَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّيِّهِ وَرُبَّمَا أَخْرَجَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةَ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ وَ رُبَّمَا سَأَلَتْ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَ أُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ صُرِفَ عَنْكَ بِمَا هُوَ لَكَ خَيْرٌ وَ اعْلَمْ أَنَّهُ رَبٌّ أَمْرٌ قَدْ طَلَبْتَ فِيهِ هَلَاكَ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ .

١٢٣٢

وَ مِنْ الدُّعَاءِ الْمَرْفُوعِ

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ بِهِ ذَلِكَ السُّوءَ كَأَحَاطَهُ الْقَلَابِدُ بِتَرَائِبِ الْوَلَائِدِ وَ أَرْضِخْهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ (١) عَلَى قِمَمِ أَصْحَابِ الْفِيلِ .

١٢٣٣

سَمِعَ عُمَرُ رَجُلًا يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْأَقْلِينَ فَقَالَ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا قَالَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٢) وَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (٣) فَقَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّعَاءِ بِمَا عُرِفَ .

١٢٣٤

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مَرَّ بِى صِدْلَهُ بِنُ أَشِيمٍ فَقُلْتُ لَهُ ادْعُ لِي فَقَالَ رَغَبَكَ اللَّهُ فِيَمَا يَنْقَى وَ زَهْدَكَ فِيَمَا يَفْنَى وَ وَهَبَ لَكَ الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ وَ لَا تَعُولُ إِلَّا عَلَيْهِ .

١٢٣٥

كَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ صَاحِبَ خُرَاسَانَ وَ فِي أَيَّامِهِ عِصَامُ بْنُ يُوسُفَ الرَّاهِدُ فَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ وَ سَلَّمَ عَلَيْهِ عَلِيُّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَوَقَّفَ عَلِيُّ وَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَ أَسْبَلَ عَيْنَيْهِ وَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِبُغْضِي وَ أَنَا أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِحُبِّهِ فَإِنْ كُنْتُ غَفَرْتُ لَهُ بِبُغْضِي فَاعْفِرْ لِي بِحُبِّهِ يَا كَرِيمُ ثُمَّ سَارَ .

١٢٣٦

قَالَ الْأَضِيمَعِيُّ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَدْعُو وَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِزْقِي فِي السَّمَاءِ فَأَنْزِلْهُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ فَأَخْرِجْهُ وَ إِنْ كَانَ بَعِيدًا فَاقْرَبْهُ وَ إِنْ كَانَ قَرِيبًا فَيَسِّرْهُ وَ إِنْ كَانَ قَلِيلًا فَكَثِّرْهُ وَ إِنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَارِكْ لِي فِيهِ .

ص : ١٩٤

١- (١) السجیل: حجاره من مدر.

٢- (٢) سورة هود ٤٠.

٣- (٣) سورة سبأ ١٣.

مِنْ دُعَاءِ عَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ

(١)

اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ وَلَا تُفْقِرْنِي بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِالْفَنَاءِ وَعَلَى الدِّينِ بِالْعِصْمَةِ .

١٢٣٨

شَكَرًا رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَجُلًا يَظْلِمُهُ فَقَالَ لَهُ إِذَا صَبَّحْتَ الرِّكَعَتَيْنِ بَعِيدِ الْمَغْرِبِ فَاسْتَجِدْ وَقُلْ يَا شَدِيدَ الْقُوَى يَا شَدِيدَ الْمِحَالِ يَا عَزِيزَ أَدْلَتِ لِعِزِّكَ جَمِيعَ مَنْ خَلَقْتَ فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَكَفِّنِي مَثْوَاهُ فَلَانٍ بِمَا شِئْتُمْ فَدَعَا بِهَا فَلَمْ يَزِعْهُ إِلَّا الْوَاعِيَهُ (٢) بِاللَّيْلِ فَسَأَلَ فَقِيلَ مَاتَ فَلَانَ فَجَاءَهُ .

١٢٣٩

قَالَ مُوسَى ع يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتُعْطِينِي أَكْثَرَ مِنْ أَمَلِي قَالَ لِأَنَّكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

١٢٤٠

كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يَقُولُ قَبْلَ الصَّلَاةِ يَا مُحْسِنُ قَدْ جَاءَكَ الْمَسِيءُ وَقَدْ أَمَرْتَ الْمُحْسِنَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمَسِيءِ فَتَجَاوَزَ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدِي بِجَمِيلِ مَا عِنْدَكَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَمَلَ الْخَائِفِينَ وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ حَتَّى أُنْعَمَ بِتَوْكَلِ (٣) التَّعْنُمِ طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتُمْ وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتُمْ .

١٢٤١

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْجَامِعَةِ

اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ وَكَرِّمْنِي بِالتَّقْوَى .

١٢٤٢

أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ كَاتِبُ الْمَأْمُونِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ حَيَاهُ بِتَحِيَّهِ أَبُو وَبَيْرِ الْمَلِكِ عَشَتْ الدَّهْرُ وَنَلَتْ الْمُنَى وَجُنِبَتْ طَاعَةُ النَّسَاءِ .

١٢٤٣

وَمِنَ الدُّعَاءِ الْمَرْوِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا اللَّهُمَّ أَنْعِشْنِي وَأَجِرْنِي وَانصُرْنِي وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ

ص: ١٩٥

١-١) في الأصول: «عبيده» تحريف.

٢-٢) الواعيه: الصراخ.

٣-٣) في الأصول: «منزله»، تحريف.

إِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا وَلَا يَضُرُّ عَنْ سَيِّئِهَا إِلَّا أَنْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعَلَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعَلَّمَ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعَلَّمَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ .

آداب الدعاء

قالوا و من آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشريفة كما بين الأذان والإقامة و كوقت السجود و وقت السحر و يستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه

١٢٤٤

لِمَا رَوَى سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَبَّكُمْ كَرِيمٌ يَسْتَجِيءُ مِنْ عِبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا وَيُسَدِّتَهُمَا أَنْ يَمْسِحَ بِهِمَا وَجْهَهُ بَعْدَ الدُّعَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ

١٢٤٥

لِقَوْلِهِ ع لَيْتَنِي هَيِّنَ أَقْوَامٌ عَنْ رَفَعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ أَوْ لَتَخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ.

و قد رخص في ذلك للصديقين و الأئمة العادلين و يستحب أن يخفض صوته لقوله تعالى اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً (١) و قد روى أن عمر سمع رجلا يجهر بالدعاء فقال لكن زكريا نادى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا .

و يكره أن يتكلف (٢) الكلام المسجوع و يستحب الإتيان بالمطبوع منه

١٢٤٦

لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَبَّكُمْ كَرِيمٌ يَسْتَجِيءُ مِنْ عِبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا وَيُسَدِّتَهُمَا أَنْ يَمْسِحَ بِهِمَا وَجْهَهُ بَعْدَ الدُّعَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ

ص: ١٩٦

١-١) سورة الأعراف ٥٥.

٢-٢) في ب: «يتكلم»، و ما أثبتته عن ج.

وقيل في الوصيه الصالحه ادع ربك بلسان الذله و الاحتقار لا بلسان الفصاحه و التشدق.

وقال سفيان بن عيينه لا- يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شر خلقه إبليس حيث قال أَنْظِرْنِي (١).

١٢٤٧

النَّبِيُّ ص

إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ (٢) فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَ مَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَاكَ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

و من الآداب أن يفتتح بالذكر و ألا يتدئ بالمسأله

١٢٤٨

١- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْوَهَّابِ .

١٢٤٩

أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ يَسْأَلْ حَاجَتَهُ ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ الصَّلَاتَيْنِ وَ هُوَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَدْعَ مَا بَيْنَهُمَا.

١٢٥٠

وَ مِنْ دُعَاءِ عَلِيِّ ع

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَ لَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالِاقْتَارِ فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ وَ أَسْتَعِظُفَ شَرَارَ خَلْقِكَ وَ أُبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَ أُفْتِنَ بِدَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

١٢٥١

وَ مِنْ دُعَاءِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ يَعْرِفُ وَ لِسَانٍ يَصِفُ وَ أَعْمَالٍ تُخَالِفُ .

١٢٥٢

وَ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ع وَ فِيهِ رَائِحَةٌ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع الَّذِي نَحْنُ فِي شَرْحِهِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبْتُ مِنْهُ إِلَيْكَ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ وَ أَسْتَغْفِرُكَ

ص: ١٩٧

١-١) سورة الأعراف ١٤.

٢-٢) من ج.

لِمَا وَعَدْتِكَ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ أَخْلَفْتِكَ وَ أَسِيءْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ عَلَى مَعْصِيَتِكَ وَ أَسِيءْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تَمَكَّنْتُ مِنْهُ بِعَافِيَتِكَ وَ نَالَتُهُ يَدِي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ وَ انْبَسَطْتُ إِلَيْهِ بِسَعَةِ رِزْقِكَ وَ اخْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِسِتْرِكَ وَ اتَّكَلْتُ فِيهِ عَلَى أَكْرَمِ عَفْوِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ حَقًّا لَيْسَ فِيهِ رِضَاكَ أَلْتَمِسُ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَ وَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَشِيءُنِي عِنْدَكَ وَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ عِبْرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَنِي مِنِّي وَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَعِينَ بِمَعْصِيَةِ لَكَ عَلَى ضُرِّ يُصِيبُنِي .

١٢٥٣

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ قَالَ يَا مَالِكَ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

١٢٥٤

وَ مِنْ دُعَاءِ عَلِيِّ ع

اللَّهُمَّ إِنْ تَهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي وَ أُعْمِيَتْ عَنْ طَلِبَتِي فَمدِّلْنِي عَلَى مَصَالِحِي وَ خُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاتِدِي اللَّهُمَّ احمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ

ص: ١٩٨

إشاره

وقد قال له إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال ع: أترعّم أنك تهدي إلى الساعه التي من سار فيها صيرف عنه الشوء و تحوف من الساعه التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانه بالله في نيل المحبوب و دفع المكروه و تبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحميد دون ربّه لئلا يركب برعيتك أنت هديته إلى الساعه التي نال فيها النفع و أمن الضر ثم أقبل ع على الناس فقال أيها الناس إياكم و تعلم النجوم إلا ما يهتدى به في برّ أو بحر فإنها تدعو إلى الكهان المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر و الكافر في النار سيروا على اسم الله .

حاق به الضر

أى أحاط به قال تعالى و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (١).

و يوليكَ الحمد مضارع أولاك و أولاك معدى بالهمزه من ولى يقال ولى

ص: ١٩٩

الشيء ولايه و أوليته ذلك أى جعلته واليا له و متسلطا عليه و الكاهن واحد الكهان و هم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين
بكثير من الغائبات

القول فى أحكام النجوم

و اعلم أن الناس قد اختلفوا فى أحكام النجوم فأنكرها جمهور المسلمين و المحققون من الحكماء و نحن نتكلم هاهنا فى ذلك
و نبحت فيه بحثين بحثا كلاميا و بحثا حكيميا.

أما البحث الكلامى هو أن يقال أما أن يذهب المنجمون إلى أن النجوم مؤثره أو أمارات.

و الوجه الأول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال إنها تفعل بالاختيار و الثانى أن تفعل بالإيجاب.

و القول بأنها تفعل بالاختيار باطل لأن المختار لا بد أن يكون قادرا حيا و الإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست
حيه و لا- قادره و الإجماع حجه و قد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياه الرطوبه و أن تكون الحراره على قدر مخصوص
متى أفرط امتنع حلول الحياه فى ذلك الجسم فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون حيه و أن تحلها الحياه لعدم الرطوبه و
إفراط الحراره فيها و اليبس و الشمس أشدّ حراره من النار لأنها على بعدها تؤثره النار على قربها و ذلك دليل على أن حرارتها
أضعاف حراره النار و بينوا أيضا أنها لو كانت حيه قادره لم يجز أن تفعل فى غيرها ابتداء لأن القادر بقدره لا يصحّ منه الاختراع
و إنما يفعل فى غيره على سبيل التوليد و لا بدّ من وصله بين الفاعل و المفعول فيه و الكواكب غير مماسه لنا فلا وصله بينها و
بيننا فيستحيل أن تكون فاعله فينا.

فإن ادعى مدع أن الوصله هي الهواء فعن ذلك أجوبه أحدها أن الهواء لا يجوز أن يكون وصله و آله فى الحركات الشديده و حمل الأثقال لا سيما إذا لم يتموج.

و الثانى أنه كان يجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحركنا و يصرفنا كما نعلم فى الجسم إذا حركنا و صرفنا بآله موضع تحريكه لنا بتلك الآله.

و الثالث أن فى الأفعال الحادته فينا ما لا يجوز أن يفعل بآله و لا يتولد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و نحوها.

و قد دلت أصحابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعله للأفعال فينا بأن ذلك يقتضى سقوط الأمر و النهى و المدح و الذم و يلزمهم ما يلزم المجبره و هذا الوجه يبطل كون الكواكب فاعله فينا بالإيجاب كما يبطل كونها فاعله بالاختيار.

و أمّا القول بأنها أمارات على ما يحدث و يتجدد فيمكن أن ينصر بأن يقال لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العاده بأن يفعل أفعالا مخصوصه عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر.

و الكلام على ذلك بأن يقال هذا غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضى ذلك فإن هذا ممّا لا يعلم بالعقل.

فإن قالوا نعلم بالتجربه.

قيل لهم التجربه إنّما تكون حجه إذا استمرت و اطرقت و أنتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتهم الصواب الذى يقع منكم إلى الاتفاق و التخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق (1) و التخمين من يصيب أكثر ممّا يصيب المنجم و هو من غير أصل صحيح و لا قاعده معتمده و متى قلتم إنّما أخطأ المنجم لغلطه فى تسيير الكواكب

ص: ٢٠١

(١-١) الزرق: التفرس.

قيل لكم و لم لا يكون سبب الإصابه اتفاقا و إنما يصحّ لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابه المنجم.

فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابه فهلا كان دليل فسادها الخطاء فما أحدهما إلا في مقابله صاحبه.

و ممّا قيل على أصحاب الأحكام إن قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع و احكموا أ يؤخذ أم يترك فإن حكموا بأحدهما خولفوا و فعل خلاف ما أخبروا به و هذه المسأله قد أعضل عليهم جوابها.

و قال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرني لو فرضنا جاده مسلوكة و طريقا يمشى فيها الناس نهارا و ليلا- و في تلك المحجه آبار متقاربه و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتّى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامه من يمشى بهذا الطريق من العميان كسلامه من يمشى فيه من البصراء و المفروض أن الطريق لا يخلو طرفه عين من مشاه فيها عميان و مبصرون و هل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان.

فقال المنجم هذا ممّا لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامه البصراء أكثر من سلامه العميان.

فقال المتكلم فقد بطل قولكم لأنّ مسألتنا نظير هذه الصورة فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون مساعدها من مناحسها و يتوقون بهذه المعرفه مضار الوقت و الحركات و يتخطونها و يعتمدون منافعها و يقصدونها و مثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم و لا يقولون به من أهل العلم و العامه و هم أضعاف أضعاف عدد المنجمين.

و مثال الطريق الذى فيه الآبار الزمان الذى مضى و مر على الخلق أجمعين و مثال آباره مصائبه و محنه.

و قد كان يجب لو صح علم أحكام النجوم أن سلامه المنجمين أكثر و مصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن و يتخطونها لعلمهم بها قبل كونها و أن تكون محن المعرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر و أظهر حتى تكون سلامه كل واحد منهم هى الطريقه الغريبه و المعلوم خلاف ذلك فإن السلامه و المحن فى الجميع متقاربه متناسبه غير متفاوته.

و أما البحث الحكيمى فى هذا الموضوع فهو أن الحادث فى عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص فى البرج المخصوص إما أن يكون المقتضى له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج أو حلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج فالأولان باطلان و إلا- لوجب أن يحدث ذلك الأمر قبل أن يحدث و الثالث باطل أيضا لأنه إما أن يكون ذلك البرج مساويا لغيره من البروج فى الماهيه أو مخالفا و الأول يقتضى حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا فى غيره من البروج لأن حكم الشئ حكم مثله و الثانى يقتضى كون كره البروج متخالفه الأجزاء فى أنفسها و يلزم فى ذلك كونها مركبه و قد قامت الدلاله على أنه لا شئ من الأفلاك بمركب.

و قد اعترض على هذا الدليل بوجهين أحدهما أنه لم لا- يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيره عند حلولها فى البروج لا لاختلاف البروج فى نفسها بل لاختلاف ما فى تلك البروج من الكواكب الثابته المختلفه الطبائع.

الوجه الثانى لم لا يجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صغار لا تراها

لغايه بعدها عنا فإذا تحركت في كرات تدويرها سامتت مواضع مخصوصه من كره الكواكب الثابته و هي فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيره عند حلولها في البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيره و لم لا- يجوز إثبات كره بين الكره الثامنه و بين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب و تكون تلك الكره المتوسطه بينهما بطيئه الحركه بحيث لا تفي أعمارنا بالوقوف على حركتها و هي مكوكبه بتلك الكواكب الصغار المختلفه الطبائع.

و أجب عن الأول بأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب و أشرافها و حدودها عند حركه الثوابت بحركه فلكها حتى أنها تتقدم على مواضعها في كل مائه سنه على رأى المتقدمين أو فى كل ست و ستين سنه على رأى المتأخرين درجه واحده لكن ليس الأمر كذلك فإن شرف القمر كما أنه فى زماننا فى درجه الثالثه من الثور فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنه و بألفى سنه.

و أما الوجه الثانى فلا جواب عنه.

و اعلم أن الفلاسفه قد عولت فى إبطال القول بأحكام النجوم على وجه واحد و هو أن مبنى هذا العلم على التجربه و لم توجد التجربه فيما يدعيه أرباب علم النجوم فإن هاهنا أمور لا- تتكرر إلا- فى الأعمار المتطاولة مثل الأدوار و الألوف التى زعم أبو معشر أنها هى الأصل فى هذا العلم و مثل مماسه جرم زحل للكره المكوكبه و مثل انطباق معدل النهار على دائره فلك البروج فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضى حدوث طوفان الماء و إحاطته بالأرض من جميع الجوانب مع أن هذه الأمور لا توجد إلا فى ألوف الألوف من السنين فكيف تصح أمثال هذه الأمور بالتجربه.

و أيضا فإننا إذا رأينا حادثا حدث عند حلول كوكب مخصوص فى برج مخصوص

فكيف نعلم استناد حدوثه إلى ذلك الحلول فإن في الفلك كواكب لا تحصى فما الذى خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكوكب في ذلك البرج لا- غيره وبتقدير أن يكون لحلوله تأثير في ذلك فلا يمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذا حل في البرج المذكور لا- بد أن يحدث ذلك الحادث لجواز أن يوجد ما يبطل تأثيره نحو أن يحل كوكب آخر في برج آخر فيدفع تأثيره و يبطل عمله أو لعلّ المادة الأرضيه لا تكون مستعدة لقبول تلك الصوره و حدوث الحادث كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل و إذا وقع الشك في هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم و هذه الحجة جيده إن كان المنجمون يطلبون القطع في علمهم.

فإما أن كانوا يطلبون الظنّ فإن هذه الحجة لا تفسد قولهم.

فأما أبو البركات بن ملكا البغداديّ صاحب كتاب المعترف فإنه أبطل أحكام النجوم من وجه و أثبتته من وجه.

قال أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعده العلم الطبيعي فإنه لا سبيل له إلى ذلك فإننا لا نتعلق من أقوالهم إلا بأحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحر الكواكب و بردها أو رطوبتها و يبوستها و اعتدالها كقولهم إن زحل بارد يابس و المشتري معتدل و الاعتدال خير و الإفراط شر و ينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادته و الشر يوجب منحسه و ما جانس ذلك ممّا لم يقل به علماء الطبيعيين و لم تنتجه مقدماتهم في أنظارهم و إنّما الذى أنتجته هو أن الأجرام السماويه فعالة فيما تحويه و تشتمل عليه و تتحرك حوله فعلا على الإطلاق غير محدود بوقت و لا مقدر بتقدير و القائلون بالأحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف و تجربه لا يطابق نظر الطبيعي.

و إذا قلت بقول الطبيعي بحسب أنظاره أن المشتري سعد و المريخ نحس أو أن زحل

بارد يابس و المريخ حار يابس و الحار و البارد من الملموسات و ما دل على هذا المس و ما استدلّ عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه فإن ذلك لم يظهر للحس فى غير الشمس حيث تسخن الأرض بشعاعها و لو كان فى السمايات شىء من طبائع الأضداد لكان الأولى أن تكون كلها حاره لأن كواكبها كلها منيره.

و متى يقول الطبيعى بتقطيع الفلك و تقسيمه إلى أجزاء كما قسمه المنجمون قسمه وهميه إلى بروج و درج و دقائق و ذلك جائز للمتوهم كجواز غيره و ليس بواجب فى الوجود و لا حاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب فى أحكامهم و كان الأصل فيه على زعمهم حركة الشمس و الأيام و الشهور فحصلوا منها قسمه وهميه و جعلوها كالحاصله الوجوديه المشره بحدود و خطوط كان الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خطت فى السماء خطوطا و أقامت فيها جدرا أو حدودا أو غيرت فى أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيتقى به القسمه إلى تلك الدرج و الدقائق مع جواز الشمس عنها و ليس فى جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب و الكواكب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الأمكنه على التشابه فيما ذا تتميز بوجه و بحسبها أحكاما و كيف له أن يقول بالحدود و يجعل خمس درجات من برج الكوكب و ستا لآخر و أربعا لآخر و يختلف فيها البابليون و المصريون و جعلوا أرباب البيوت كأنها ملاك و البيوت كأنها أملاك تثبت لأربابها بصكوك و أحكام الأسد للشمس و السرطان للقمر و إذا نظر الناظر وجد الأسد أسدا من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ثم انقلبت عن مواضعها و بقى الموضع أسدا و جعلوا الأسد للشمس و قد ذهبت منه الكواكب التى كان بها أسدا كان ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن و كذلك السرطان للقمر.

و من الدقائق فى العلم النجومى الدرجات المداره و الغربيه و المظلمه و النيره و الزائده فى السعاده و درجات الآثار من جهه أنها أجزاء الفلك إن قطعوها و ما انقطعت و مع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها و عنها ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج و أقسام الفلك فقالوا إن الكوكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجه نظر تسديس لأنه سدس من الفلك و لا ينظر إليه من خمسين و لا من سبعين و قد كان قبل الستين بعشر درج و هو أقرب من ستين و بعدها بعشر درج و هو أبعد من ستين لا ينظر.

فليت شعرى ما هذا النظر أ ترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله و لا بعده.

و كذلك التريبع من الربع الذى هو تسعون درجه و الثلث من الثلث الذى هو مائه و عشرون درجه فلم لا يكون التخميس و التسبيع و التعشير على هذا القياس ثم يقولون الحمل حار يابس نارى و الثور بارد يابس أرضى و الجوزاء حار رطب هوائى و السرطان بارد رطب مائى ما قال الطبيعى هذا قط و لا يقول به.

و إذا احتجوا و قاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لأن الشمس إذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع و الثور برج ثابت لأن الشمس إذا نزلت فيه ثبت الربيع على ربيعته.

و الحق أنه لا ينقلب الحمل و لا يثبت الثور بل هما على حالهما فى كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه و حلولها فيه أ تراها تخلف فيه أثرا أو تحيل منه طباعا و تبقى تلك الاستحاله إلى أن تعود فتجددها و لم لا يقول قائل إن السرطان حار يابس لأن الشمس إذا نزلت فيه يشتد حر الزمان و ما يجانس هذا ممّا لا يلزم لا هو و لا ضده فليس فى الفلك اختلاف يعرفه الطبيعى إلا بما فيه من الكواكب و هو فى نفسه

واحد متشابه الجوهر و الطبع و لكنها أقوال قال بها قائل فقبلها قائل و نقلها ناقل فحسن فيها ظنّ السامع و اغتر بها من لا خبره له و لا قدره له على النظر.

ثمّ حكم بها الحاكمون بجيد و ردىء و سلب و إيجاب و بت و تجوز فصادف بعضه موافقه الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون و لم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه بل عذروا و قالوا إنّما هو منجم و ليس بنبي حتّى يصدق فى كل ما يقول و اعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد و لو أحاط به أحد لصدق فى كل شىء و لعمر الله إنّّه لو أحاط به علما صادقا لصدق و الشأن فى أن يحيط به على الحقيقة لا أن يفرض فرضا و يتوهم وهما فينقله إلى الوجود و ينسب إليه و يقيس عليه.

قال و الذى يصحّ من هذا العلم و يلتفت إليه العقلاء هى أشياء غير هذه الخرافات التى لا أصل لها فما حصل توقيف أو تجربه حقيقه كالقرانات و المقابلة فإنها أيضا من جملة الاتصالات كالمقارنه من جهه أن تلك غاية القرب و هذه غاية البعد و نحو ممر كوكب من المتحيره تحت كوكب من الثابته و نحوه ما يعرض للمتحيره من رجوع و استقامه و ارتفاع فى شمال و انخفاض فى جنوب و أمثال ذلك.

فهذا كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه و يقول به من وجه.

و قد وقفت لأبى جعفر محمّد بن الحسين الصنعانى المعروف بالخازن صاحب كتاب زيغ الصفائح على كلام فى هذا الباب مختصر له سماه كتاب العالمين أنا ذاكره فى هذا الموضع على وجهه لأنّه كلام لا بأس به قال إن بعض المصدقين بأحكام النجوم و كل المكذبين بها قد زاغوا عن طريق الحق و الصواب فيها فإن الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ما ليس منها و ادعوا ما لم يمكن إدراكه بها حتّى كثر فيها خطؤهم و ظهر كذبهم و صار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم.

فأما المكذبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه و ردّ ظاهره إلى أن قالوا إنّه لا يصحّ منه شيء أصلا و نسبوا أهله إلى الرزق و الاحتيال و الخداع و التمويه فلذلك رأينا أن نبتدئ بتبيين صحه هذه الصناعات ليظهر فساد قول المكذبين لها بأسرها ثم نبين ما يمكن إدراكه بها ليبتل دعوى المدعين فيها ما يمتنع وجوده بها.

أما الوجوه التي بها تصح صناعات الأحكام فهي كثيره منها ما يظهر لجميع الناس من قبل الشمس فإن حدوث الصيف و الشتاء و ما يعرض فيهما من الحرّ و البرد و الأمطار و الرياح و نبات الأرض و خروج وقت الأشجار و حملها الثمار و حركه الحيوان إلى النسل و التوالد و غير ذلك ممّا يشاكله من الأحوال إنّما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الرءوس في ناحيه الشمال و تباعدها منه إلى ناحيه الجنوب و بفضل قوه الشمس على قوه القمر و قوى سائر الكواكب ظهر ما قلنا لجميع الناس.

و قد ظهر لهم أيضا من قبل الشمس في تغيير الهواء كل يوم عند طلوعها و عند توسطها السماء و عند غروبها ما لا خفاء به من الآثار.

و من هذه الوجوه ما يظهر للفلاحين و الملاحين بأدنى تفقد للأشياء التي تحدث فإنهم يعلمون أشياء كثيره من الآثار التي يؤثرها القمر و أنوار الكواكب الثابته كالمد و الجزر و حركات الرياح و الأمطار و أوقاتها عند الحدوث و ما يوافق من أوقات الزراعات و ما لا يوافق و أوقات اللقاح و النتائج.

و قد يظهر من آثار القمر في الحيوان الذي يتوالد في الماء و الرطوبات ما هو مشهور لا ينكر.

و منها جهات أخرى يعرفها المنجمون فقط على حسب فضل علمهم و دقه نظرهم في هذا

العلم و إذ قد وصفنا على سبيل الإجمال ما يوجب حقيقه هذا العلم فإننا نصف ما يمكن إدراكه به أو لا يمكن فنقول لما كانت تغيرات الهواء إنما تحدث بحسب أحوال الشمس و القمر و الكواكب المتحيره و الثابته صارت معرفه هذه التغيرات قد تدرك من النجوم مع سائر ما يتبعها من الرياح و السحاب و الأمطار و الثلج و البرد و الرعد و البرق لأن الأشياء التى تلى الأرض و تصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها كانت الأعراض العاميه التى تعرض فى هذه الأشياء تابعه لتلك الآثار مثل كثره مياه الأنهار و قلتها و كثره الثمار و قلتها و كثره خصب الحيوان و قلتها و الجدوبه و القحط و الوباء و الأمراض التى تحدث فى الأجناس و الأنواع أو فى جنس دون جنس أو فى نوع دون نوع و سائر ما يشاكل ذلك من الأحداث.

و لما كانت أخلاق النفس تابعه لمزاج البدن و كانت الأحداث التى ذكرناها مغيره لمزاج البدن صارت أيضا مغيره للأخلاق و لأن المزاج الأول الأصيل هو الغالب على الإنسان فى الأمر الأكثر و كان المزاج الأصيل هو الذى طبع عليه الإنسان فى وقت كونه فى الرحم و فى وقت مولده و خروجه إلى جو العالم صار وقت الكون و وقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان و على أحواله التابعه للمزاج مثل خلقه البدن و خلق النفس و المرض و الصحه و سائر ما يتبع ذلك فهذه الأشياء و ما يشبهها من الأمور التى لا تشارك شيئا من الأفعال الإراديه فيه مما يمكن معرفته بالنجوم و أما الأشياء التى تشارك الأمور الإراديه بعض المشاركه فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر و إذا لم يستعمل فيه الإراده جرى على ما تقود إليه الطبيعه.

على أنه قد يعرض الخطاء و الغلط لأصحاب هذه الصناعه من أسباب كثيره بعضها يختص بهذه الصناعه دون غيرها و بعضها يعمها و غيرها من الصنائع.

فأما ما يعم فهو من قصور طبيعه الناس فى معرفه الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغايه فيها حتى لا يبقى وراءها غايه أخرى فكثره الخطأ وقلته على حسب تقصير واحد واحد من الناس.

و أما ما يخص هذه الصناعه فهو كثير ما يحتاج صاحبها إلى معرفته ممّا لا يمكنه أن يعلم كثيرا منه إلا بالحدس و التخمين فضلا عن لطف الاستنباط و حسن القياس و ممّا يحتاج إلى معرفه علم أحوال الفلك و ممّا يحدث فى كل واحد من تلك الأحوال فإن كل واحد منها له فعل خاصّ ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثره فنونها و اختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوه واحده و فعل واحد يكون عنه الحادث فى هذا العالم و ذلك أمر عسير فمتى أغفل من ذلك شىء كان الخطأ الواقع بحسب الشىء الذى سها عنه و ترك استعماله.

ثمّ من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغى أن يعلم الحال التى عليها يوافقى فى تلك القوه الواحده الأشياء التى تعرض فيها تلك الأحداث كأنه مثلا- إذا دل ما فى الفلك على حدوث حر و كانت الأشياء التى يعرض فيها ما يعرض قد مر بها قبل ذلك حر فحميت و سخنت أثر ذلك فيها أثرا قويا فإن كان قد مر بها برد قبل ذلك أثر ذلك فيها أثرا ضعيفا و هذا شىء يحتاج إليه فى جميع الأحداث التى تعمل فى غيرها ممّا يناسب هذه المعرفه.

و أمّا الأحداث التى تخص ناحيه ناحيه أو قوما قوما أو جنسا جنسا أو مولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضا أحوال البلاد و العادات و الأغذيه و الأوباء و سائر ما يشبه ذلك ممّا له فيه أثر و شركه مثل ما يفعل الطبيب فى المعالجه و فى تقدمه المعرفه ثمّ من بعد تحصيل هذه الأشياء كلها ينبغى أن ينظر فى الأمر الذى قد استدللّ على حدوثه هل هو ممّا يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو بغيره من جهه

الطب و الحيل أم لا كأنه مثلا استدلّ على أنه يصيب هذا الإنسان حراره يحم منها فينبغي أن يحكم بأنه يحم أن لم يتلاف تلك الحراره بالتبريد فإنه إذا فعل ذلك أنزل الأمور منازلها و أجراها مجاريها.

ثم إن كان الحادث قويا لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا فليس يلزم الحاجه إلى ما قلنا فإن الأمر يحدث لا محاله و ما قوى و شمل الناس فإنه لا يمكن دفعه و لا فسخه و إن أمكن فإنما يمكن في بعض الناس دون بعض.

و أمّا أكثرهم فإنه يجرى أمره على ما قد شمل و عم فقد يعم الناس حر الصيف و إن كان بعضهم يحتال في صرفه بالأشياء التي تبرد و تنفى الحرّ.

فهذه جملة ما ينبغي أن يعلم و يعمل عليه أمور هذه الصنّاعه.

قلت هذا اعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان و غيره من الحيوان لا مدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لا يصحّ قول من يقول منهم لزيد مثلا- إنك تتزوج أو تشتري فرسا أو تقتل عدوا أو تسافر إلى بلد و نحو ذلك و هو أكثر ما يقولونه و يحكمون به.

و أمّا الأمور الكليه الحادثه لا بإرادته الحيوان و اختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التي ذكرها و هي تعلق كثير من الأحداث بحركه الشمس و القمر إلا أن المعلوم ضروره من دين رسول الله ص إبطال حكم النجوم و تحريم الاعتقاد بها و النهي و الزجر عن تصديق المنجمين و هذا معنى قول أمير المؤمنين في هذا الفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانه بالله ثم أردف

ذلك و أكدده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون البارى تعالى لأن المنجم هو الذى هدى الإنسان إلى الساعه التى ينجح فيها و صده عن الساعه إلى يخفق و يكدى فيها فهو المحسن إليه إذا و المحسن يستحق الحمد و الشكر و ليس للبارئ سبحانه إلى الإنسان فى هذا الإحسان المخصوص فوجب ألا- يستحق الحمد على ظفر الإنسان بطلبه لكن القول بذلك و التزامه كفر محض

ص: ٢١٣

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيْمَانِ نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَمَعْوَدُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُطُوطِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النَّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ .

جعل ع نقصان الصلاة نقصانا في الإيمان و هذا هو قول أصحابنا إن الأعمال من الإيمان و إن المقر بالتوحيد و النبوه و هو تارك للعمل ليس بمؤمن .

و قوله ع و لا تطيعوهن في المعروف ليس بنهي عن فعل المعروف و إنما هو نهى عن طاعتهن أى لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به بل افعلوه لأنه معروف و الكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعا فيأخذ ذراعا.

و هذا الفصل كله رمز إلى عائشه و لا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت و ماتت تائبه و إنها من أهل الجنة .

قال كل من صنف في السير و الأخبار أن عائشه كانت من أشد الناس على عثمان حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله ص فنصبته في منزلها و كانت تقول للداخلين إليها هذا ثوب رسول الله ص لم يبل و عثمان قد أبلى سنته.

قالوا أول من سمى عثمان نعتلا عائشه و النعتل الكثير شعر اللحيه و الجسد و كانت تقول اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا.

١٢٥٥

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ قَالَ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ كَانَتْ عَائِشَةُ بِمَكَّةَ وَ بَلَغَ قَتْلُهُ إِلَيْهَا وَ هِيَ بِشِرَافٍ فَلَمْ تَشْكُ فِي أَنَّ طَلْحَةَ هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَ قَالَتْ بُعِيداً لِنَعْتَلٍ وَ سِيحَقاً إِيَّاهُ ذَا الْإِصْبِجِ إِيَّاهُ أَبَا شَيْبَلٍ إِيَّاهُ يَا ابْنَ عَمِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى إِصْبِجِهِ وَ هُوَ يُبَايِعُ لَهُ حُثُوثاً الْبَابِلَ وَ دَعَدَعُوهَا (١).

قَالَ وَ قَدْ كَانَ طَلْحَةُ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ أَخَذَ مَفَاتِيحَ بَيْتِ الْمَالِ وَ أَخَذَ نَجَائِبَ كَانَتْ لِعُثْمَانَ فِي دَارِهِ ثُمَّ فَسَدَ أَمْرُهُ فَدَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع

أخبار عائشه في خروجها من مكه إلى البصره بعد مقتل عثمان

١٢٥٦

١- وَ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى الْأَزْدِيُّ فِي كِتَابِهِ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُ عُثْمَانَ وَ هِيَ بِمَكَّةَ أَقْبَلَتْ مُسِيرَةً وَ هِيَ تَقُولُ إِيَّاهُ ذَا الْإِصْبِجِ لِلَّهِ أَبُوكَ أَمَا إِنَّهُمْ وَجَدُوا طَلْحَةَ لَهَا كُفُوءاً فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَى شِرَافٍ اسْتَقْبَلَهَا عُيَيْدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ اللَّيْثِيُّ فَقَالَتْ لَهُ مَا عِنْدَكَ قَالَ قُتِلَ عُثْمَانُ قَالَتْ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ حَارَتْ بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى خَيْرٍ مَحَارٍ بَايَعُوا عَلِيًّا فَقَالَتْ لَوَدِدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ تَمَّ هَذَا وَيَحْكُكُ أَنْظُرْ مَا تَقُولُ قَالَ هُوَ مَا قُلْتَ لَكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَوَلَوْلَتْ فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ٢١٥

وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَحَدًا أَوْلَىٰ بِهَا مِنْهُ وَلَا أَحَقَّ وَلَا أَرَىٰ لَهُ نَظِيرًا فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ فَلَمَّا ذَا تَكَرَّهَيْنِ وَلَايَتَهُ قَالَ فَمَا رَدَّتْ عَلَيْهِ جَوَابًا.

□
قَالَ وَقَدْ رَوَىٰ مِنْ طُرُقٍ مُّخْتَلِفَةٍ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَ عُمَانَ وَهِيَ بِمَكَّةَ قَالَتْ أَبْعِدَهُ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ

١٢٥٧

١١٤-١- قَالَ وَقَدْ رَوَىٰ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ حَجَّ فِي الْعَامِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُمَانُ وَكَانَ مَعَ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَهُ فَتَحَمَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَسَجِعَهَا تَقُولُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ ذَا الْإِضْبِيعِ وَإِذَا ذَكَرْتُ عُمَانَ قَالَتْ أَبْعِدَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ أَتَاهَا خَبْرُ بَيْعِهِ عَلِيٍّ فَقَالَتْ لَوَدِدْتُ أَنَّ هَذِهِ وَقَعَتْ عَلَيَّ هَذِهِ ثُمَّ أَمَرْتُ بِرَدِّ رَكَابَتِهَا إِلَى مَكَّةَ فَرُدَّتْ مَعَهَا وَرَأَيْتُهَا فِي سَيْرِهَا إِلَى مَكَّةَ تُخَاطِبُ نَفْسَهَا كَأَنَّهَا تُخَاطِبُ أَحَدًا قَتَلُوا ابْنَ عَمَّانَ مَظْلُومًا فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ أَسْمِعْكَ آيَاتِ تَقْوِيلِ أَبْعِدَهُ اللَّهُ وَقَدْ رَأَيْتُكَ قَبْلَ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَقْبَحُهُمْ فِيهِ قَوْلًا- فَقَالَتْ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَ لَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِهِ فَرَأَيْتُهُمْ اسْتَبَابُوهُ حَتَّىٰ إِذَا تَرَكَوهُ كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ أَتَوْهُ صَائِمًا مُحْرِمًا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَفَتَلُوهُ.

قَالَ وَ رَوَىٰ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَىٰ أَنَّهَا قَالَتْ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَهُ أَبْعِدَهُ اللَّهُ قَتْلَهُ ذَنْبُهُ وَأَقَادَهُ اللَّهُ بِعَمَلِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا يَسُومَنَّكُمْ قَتْلَ عُمَانَ كَمَا سَامَ أَحْمَرَ ثَمُودَ قَوْمَهُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ ذُو الْإِضْبِيعِ فَلَمَّا جَاءَتْ الْأَحْبَابُ بِبَيْعِهِ عَلِيٍّ ع قَالَتْ تَعَسُوا تَعَسُوا لَا يَرُدُّونَ الْأَمْرَ فِي تَيْعٍ أَبَدًا.

كَتَبَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَىٰ عَائِشَةَ وَهِيَ بِمَكَّةَ كِتَابًا أَنَّ نَحْنُذِي النَّاسَ عَنْ بَيْعِهِ عَلِيٍّ وَأُظْهِرِي الطَّلَبَ بِبَدَمِ عُمَانَ وَحَمَلَا الْكِتَابَ مَعَ ابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا قَرَأَتِ الْكِتَابَ كَاشَفَتْ وَأُظْهِرَتِ الطَّلَبَ بِبَدَمِ عُمَانَ وَكَانَتْ أُمَّ سَيْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ فَلَمَّا رَأَتْ صَيَّعَ عَائِشَةَ قَابَلَتْهَا بِنَقِيضِ ذَلِكَ وَأُظْهِرَتْ مُوَالَاهُ عَلِيٍّ ع وَنُصِرَتْهُ عَلَىٰ مُقْتَضَى الْعِدَاوَةِ الْمُرْكُوزَةِ فِي طِبَاعِ الضَّرَّتَيْنِ.

ص: ٢١٦

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ جَاءَتْ عَائِشَةُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ تُخَادِعُهَا عَلَى الْخُرُوجِ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ فَقَالَتْ لَهَا يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ أَنْتِ أَوْلُ مُهَاجِرِهِ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَأَنْتِ كَبِيرُهُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ يَقْسِمُ لَنَا مِنْ بَيْتِكَ وَكَانَ جَبْرِيلُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِي مَنْزِلِكَ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِأُمِّرٍ مَا قُلْتِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْقَوْمَ اسْتَتَابُوا عُثْمَانَ فَلَمَّا تَابَ قَتَلُوهُ صَائِمًا فِي شَهْرِ حَرَامٍ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبُضَيْرَةِ وَمَعِيَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ فَأَخْرَجَنِي مَعَنَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى أَيْدِينَا بِنَا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ إِنَّكَ كُنْتِ بِالْأَمْسِ تُحَرِّضِينَ عَلِيَّ عُثْمَانَ وَتَقُولِينَ فِيهِ أَخْبَثَ الْقَوْلُ وَمَا كَانَ اسْمُهُ عِنْدَكَ إِلَّا نَعْتًا وَإِنَّكَ لَتَعْرِفِينَ مَنْزِلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَفَأَذْكُرُكَ قَالَتْ نَعَمْ قَالَتْ أَتَذْكُرِينَ يَوْمَ أَقْبَلَ عَ وَنَحْنُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا هَيَّطَ مِنْ قُدَيْدِ ذَاتِ الشَّيْءِ خَلَا- بَعَلِي يُنَاجِيهِ فَأَطَالَ فَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُمَنِي عَلَيْهِمَا فَهَيَّيْتُكَ فَعَصَيْتَنِي فَهَجَمْتَ عَلَيْهِمَا فَمَا لَبِثْتُ أَنْ رَجَعْتَ بِأَكْبَهُ فَقُلْتُ مَا شَأْنُكَ فَقُلْتِ إِنِّي هَجَمْتُ عَلَيْهِمَا وَهُمَا يَتَنَاجِيَانِ فَقُلْتُ لَعَلِّي لَيْسَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا يَوْمٌ مِنْ تِسْعَةِ أَيَّامٍ أَمَا تَدْعُنِي يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَوْمِي فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضَبَانُ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ فَقَالَ ارْجِعِي وَرَاءَكَ وَاللَّهِ لَا يُبْغِضُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ فَرَجَعْتُ نَادِمَةً سَاقِطَةً قَالَتْ عَائِشَةُ نَعَمْ أَذْكُرُ ذَلِكَ قَالَتْ وَ أَذْكُرُكَ أَيضًا كُنْتُ أَنَا وَ أَنْتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَنْتِ تَغْسِلِينَ رَأْسَهُ وَ أَنَا أَحْيِسُ لَهُ حَيْسًا وَ كَانَ الْحَيْسُ (١) يُعْجِبُهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّتُكُنَّ صَاحِبَهُ الْجَمَلِ الْأَذْنَبِ تَتَّبِعُهَا كِلَابُ الْحَوَابِّ فَتُكُونُ نَاكِبَةً

ص: ٢١٧

(١- ١) الحيس: تمر يخلط بسمن و أقط فيعجن و يدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه.

عَنِ الصَّرَاطِ فَرَفَعَتْ يَدِي مِنَ الْحَيْسِ فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيَّ ظَهْرِي وَقَالَ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا ثُمَّ قَالَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمِّيهِ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا يَا حُمَيْرَاءُ أَمَا أَنَا فَقَدْ أَنْذَرْتُكَ قَالَتْ عَائِشَةُ نَعَمْ أَذْكَرُ هَذَا قَالَتْ وَأَذْكَرُكَ أَيْضًا كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي سَفَرٍ لَهُ وَكَانَ عَلَيَّ يَتَعَاهَدُ نَعْلِي رَسُولِ اللَّهِ ص فِيخَصُّهُمَهَا (١) وَيَتَعَاهَدُ أَثْوَابَهُ فَيَغْسِلُهَا فَتَقْبِتُ (٢) لَهُ نَعْلٌ فَأَخَذَهَا يَوْمَئِذٍ يَخَصُّهُمَهَا وَقَعَدَ فِي ظِلِّ سِمْرِهِ وَجَاءَ أَبُوكَ وَمَعَهُ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ فَقُمْنَا إِلَى الْحِجَابِ وَدَخَلَا يُحَادِثَانِهِ فِيمَا أَرَادَ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَدْرِي قَدْرَ مَا تَصْبِحُنَا فَلَوْ أَعْلَمْتُنَا مَنْ يَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا لَيَكُونَ لَنَا بَعْدَكَ مَفْرَعًا فَقَالَ لَهُمَا أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى مَكَانَهُ وَ لَوْ فَعَلْتُ لَتَفَرَّقْتُمْ عَنْهُ كَمَا تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ فَسَيَكْتُنَا ثُمَّ خَرَجَا فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قُلْتُ لَهُ وَ كُنْتُ أَجْرًا عَلَيْهِ مِنَّا مَنْ كُنْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُسْتَخْلِفًا عَلَيْهِمْ فَقَالَ خَاصِفَ النَّعْلِ فَنَظَرْنَا فَلَمْ نَرِ أَحَدًا إِلَّا عَلِيًّا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا عَلِيًّا فَقَالَ هُوَ ذَاكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ نَعَمْ أَذْكَرُ ذَلِكَ فَقَالَتْ فَأَيُّ خُرُوجٍ تَخْرُجِينَ بَعْدَ هَذَا فَقَالَتْ إِنَّمَا أَخْرُجُ لِلِاصْتِلاحِ بَيْنِ النَّاسِ وَ أَرْجُو فِيهِ الْأَجْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَتْ أَنْتِ وَ رَأْيِكَ فَأَنْصِرِي رَفَّتْ عَائِشَةُ عَنْهَا وَ كَتَبْتُ أُمَّ سَلَمَةَ بِمَا قَالَتْ وَقِيلَ لَهَا إِلَى عَلِيٍّ

ع

فإن قلت فهذا نص صريح في إمامه على ع فما تصنع أنت و أصحابك المعتزله به قلت كلا إنه ليس بنص كما ظننت لأنه ص لم يقل قد استخلفته و إنما قال لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته و ذلك لا يقتضى حصول الاستخلاف

ص: ٢١٨

١-١) خصف النعل: حرزها.

٢-٢) نقبت النعل: ثقبت.

و يجوز أن تكون مصلحه المكلفين متعلقه بالنص عليه لو كان النبي ص مأمورا بأن ينص على إمام بعينه من بعده و أن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبي ص و آراءهم و لم يعين أحدا.

١٢٥٨

١- وَ رَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَتَبَتْ إِلَى عَلِيٍّ ع مِنْ مَكَّةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ أَشْيَاعَهُمْ أَشْيَاعَ الضَّلَالَةِ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا بِعَائِشَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْبٍ وَ يَذْكُرُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا وَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بِدَمِهِ وَ اللَّهُ كَافِيهِمْ بِحَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ لَوْ لَا مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْخُرُوجِ وَ أَمَرَنَا بِهِ مِنْ لُزُومِ الْبَيْتِ لَمْ أَدْعِ الْخُرُوجَ إِلَيْكَ وَ التُّصْرَةَ لَكَ وَ لَكِنِّي بَاعْتُهُ نَحْوَكَ ابْنِي عَدَلٍ (١) نَفْسِي عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فَاسْتَوْصِ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا.

قَالَ فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ ع أَكْرَمَهُ وَ لَمْ يَزَلْ مُقِيمًا مَعَهُ حَتَّى شَهِدَ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا وَ وَجَّهَهُ أَمِيرًا عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَ قَالَ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ بَلِّغْنِي أَنَّ عُمَرَ يَقُولُ الشَّعْرَ فَمَا بَعَثَ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَيِّاتٍ لَهُ أَوْلَاهَا جَزَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَابَةُ رَفَعَتْ بِهَا ذِكْرِي جَزَاءً مُؤَفَّرًا.

فَعَجِبَ عَلِيٌّ ع مِنْ شِعْرِهِ وَ اسْتَحْسَنَهُ

١٢٥٩

وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي قِيلَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ كَتَبَتْ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ أَنَّكَ جُنَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَ أَنَّ الْحِجَابَ دُونَكَ لَمْضُزُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ وَ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذَلِكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ وَ سَكَّنَ عَقِيرَاكَ فَلَا تُصْحِرِيهَا لَوْ أذَكَرْتُكَ قَوْلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص تَعْرِفِينَهَا لَنَهَشْتِ بِهَا نَهَشَ الرَّقْشَاءِ الْمُطْرِقَةِ مَا كُنْتِ

ص: ٢١٩

(١- ١) عدل نفسى: مثلها.

قَائِلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص لَوْ لَقَيْكَ نَاصَهُ قَلُوصًا قُعُودِكَ مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ قَدْ تَرَكْتَ عَهْدَهُ وَهَتَكْتَ سِتْرَهُ إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ لَا يَقُومُ
بِالنِّسَاءِ وَصَدَعَهُ لَا- يُزَابُ بِهِنَّ حُمَادِيَاتُ النِّسَاءِ خَفِضَ الْأَصْوَاتِ وَخَفَرَ الْأَعْرَاضِ اجْعَلِي قَاعِدَةَ الْبَيْتِ قَبْرِكَ حَتَّى تَلْقَيْنَهُ وَ أَنْتِ
عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا أَعْرَفَنِي بِنُصَيْحِكَ وَ أَقْبَلَنِي لَوْ عَظَمْتُكَ وَ لَيْسَ الْأَمْرُ حَيْثُ تَذْهَبِينَ مَا أَنَا بِعَمِيمَةٍ عَنْ رَأْيِكَ فَإِنْ أَقِمِ فِي غَيْرِ حَرْجٍ وَ
إِنْ أَخْرَجِ فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

١٢٦٠

١٤- وَ قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُصَنَّفِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ عَلَى مَا
أُورِدَهُ عَلَيْكَ قَالَ لَمَّا أَرَادَتْ عَائِشَةُ الْخُرُوجَ إِلَى الْبَصِيرَةِ أَتَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لَهَا إِنَّكَ سُدَّةٌ بَيْنَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَيْنَ أُمَّتِهِ
وَ حِجَابِكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذَلِكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ وَ سَكَنَ عَقِيرَاكَ فَلَا تُصْجِرِيهَا اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَوْ أَرَادَ
رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْكَ عَهْدًا عُلْتُ عُلْتُ بَلْ قَدْ نَهَاكَ عَنِ الْفَرْطِ فِي الْبِلَادِ إِنَّ عَمُودَ الْإِسْلَامِ لَا يُثَابُ بِالنِّسَاءِ إِنْ مَالَ وَ لَا
يُزَابُ بِهِنَّ إِنْ صَدَعَ حُمَادِيَاتُ النِّسَاءِ غَضُّ الْأَطْرَافِ وَ خَفَرَ الْأَعْرَاضِ وَ قَصِيرُ الْوَهَازِ مَا كُنْتِ قَائِلَهُ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص عَارَضَكَ
بَعِيدَ الْفُلُوتِ نَاصَهُ قَلُوصًا مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى آخِرٍ إِنْ بَعَيْنَ اللَّهُ مَهْوَاكَ وَ عَلَى رَسُولِهِ تَرْدِينَ وَ قَدْ وَجَّهَتْ سِدَاقَتَهُ وَ يَرُوى سِدَاقَتَهُ وَ
تَرَكْتَ عَهْدَهُ لَوْ سَرَبْتَ مَسِيرَكَ هَذَا ثُمَّ قِيلَ لِي ادْخُلِي الْفِرْدَوْسَ لِاسْتِحْيَاتِ أَنْ أَلْقَى مُحَمَّدًا ص هَاتِكَةَ حِجَابًا وَ قَدْ ضَرَبَهُ عَلَيَّ
اجْعَلِي حِصْنَكَ بَيْتِكَ وَ وَقَاعَهُ السِّتْرَ قَبْرِكَ حَتَّى تَلْقَيْنَهُ وَ أَنْتِ عَلَى تِلْكَ أَطْوَعُ مَا تَكُونِينَ لِلَّهِ

ص: ٢٢٠

بِالرَّقَبَةِ وَ أَنْصُرْ مَا تَكُونُ لِلدِّينِ مَا حُلَّتِ عَنْهُ لَوْ ذَكَرْتُكَ قَوْلًا تَعْرِفِينَهُ لَنَهَشْتِ بِهِ نَهْشَ الرَّقْشَاءِ الْمُطْرَفَةِ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا أَقْبَلَنِي لَوْ عَظَمْتُكَ وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَظُنِّينَ وَ لِنَعْمِ الْمَسِيرِ مَسِيرٍ فَرَعَتْ فِيهِ إِلَيَّ فِتْنَانِ مُتَنَاجِرَتَانِ أَوْ قَالَتْ مُتَنَاجِرَتَانِ إِنْ أَقْعُدُ فِيهِ غَيْرَ حَرَجٍ وَ إِنْ أَخْرَجُ فَإِلَى مَا لَا بُدَّ لِي مِنَ الْإِزْدِيَادِ مِنْهُ

تفسير غريب هذا الخبر السده الباب

١٢٤١

وَ مِنْهُ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ ذَكَرَ أَوَّلَ مَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَقَالَ الشُّعْثُ رُءُوساً الدُّنُسُ ثِيَاباً الَّذِينَ لَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ وَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعَّمَاتِ.

و أرادت أم سلمه أنك باب بين النبي ص و بين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله ص فى حرمه و حوزته و استبيح ما حماه تقول فلا تكونى أنت سبب ذلك بالخروج الذى لا يجب عليك فتحوجى الناس إلى أن يفعلوا ذلك و هذا مثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين فى غزاه نهاوند ألا و إنكم باب بين المسلمين و المشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه.

و قولها قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه أى لا تفتحيه و لا توسعيه بالحركه و الخروج يقال ندحت الشىء إذا وسعته و منه يقال فلان فى مندوحه عن كذا أى فى سعه تريد قول الله تعالى وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (١) و من روى تبدحيه بالباء فإنه من البداح و هو المتسع من الأرض و هو معنى الأول.

و سكن عقيراك من عقير الدار و هو أصلها أهل الحجاز يضمون العين و أهل نجد يفتحونها و عقير اسم مبنى من ذلك على صيغه التصغير و مثله مما جاء مصغرا الثريا و الحميا و هو سوره الشراب قال ابن قتيبه و لم أسمع بعقيرا إلا فى هذا الحديث.

ص: ٢٢١

قولها فلا تصحريها أى لا تبرزيها و تجعليها بالصحراء يقال أصحر كما يقال أنجد و أسهل و أحزن.

□
و قولها الله من وراء هذه الأسمه أى محيط بهم و حافظ لهم و عالم بأحوالهم كقوله تعالى وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (١) قولها لو أراد رسول الله ص الجواب محذوف أى لفعل و لعهد و هذا كقوله تعالى وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ (٢) أى لكان هذا القرآن. قولها عَلَّتِ عِلْتِ أى جرت فى هذا الخروج و عدلت عن الجواب و العول الميل و الجور قال تعالى ذَلِكَ أَذُنِي أَلَّا تَعُولُوا (٣) و من الناس من يرويه عِلْتِ عِلْتِ بكسر العين أى ذهب فى البلاد و أبعدت السير يقال عال فلان فى البلاد أى ذهب و أبعد و منه قيل للذئب عيال.

قولها عن الفرطه فى البلاد أى عن السفر و الشخوص من الفرط و هو السبق و التقدّم و رجل فارط أتى الماء أى سابق.

قولها لا يثأب بالنساء أى لا يرد بهن إن مال إلى استوائه من قولك ثأب فلان إلى كذا أى عاد إليه.

قولها و لا يرأب بهن إن صدع أى لا يسد بهن و لا يجمع و الصدع الشق و يروى إن صدع بفتح الصاد و الدال أجروه مجرى قولهم جبرت العظم فجبر.

قولها حماديات النساء يقال حماداك أن تفعل كذا مثل قصاراك أن تفعل كذا أى جهدك و غايتك.

ص: ٢٢٢

١-١) سورة البروج ٨٥.

٢-٢) سورة الرعد ٣١.

٣-٣) سورة النساء ٣.

و غرض الأَطراف جمعها و خفر الأ_عراض الخفر الحياء و الأ_عراض جمع عرض و هو الجسد يقال فلان طيب العرض أى طيب ريح البدن و من رواه الإعراض بكسر الهمزة جعله مصدرا من أعرض عن كذا.

قولها و قصر الوهازه قال ابن قتيبه سألت عن هذا فقال لى من سألته سألت عنه أعرابيا فصيحاً فقال الوهازه الخطوه يقال للرجل إنّه لمتوهز و متوهر إذا وطئ وطئا ثقيلا.

قولها ناصه قلوفا أى رافعه لها فى السير و النصّ الرفع و منه يقال حديث منصوص أى مرفوع و القلوص من النوق الشابه و هى بمنزله الفتاه من النساء.

و المنهل الماء ترده الإبل.

قولها إن بعين الله مهواك أى إن الله يرى سيرك و حركتك و الهوى الانحدار فى السير من النجد إلى الغور.

قولها و على رسوله تردين أى تقديم فى القيامه .

قولها و قد وجهت سدافته السدافه الحجاب و الستر هى من أسدف الليل إذا ستر بظلمته كأنه أرخى ستورا من الظلام و يروى بفتح السين و كذلك القول فى سجافته إنّه يروى بكسر السين و فتحها و السدافه و السجافه بمعنى.

و وجهت أى نظمتها بالخرز و الوجيهه خرزه معروفه و عاده العرب أن تنظم على المحمل خرزات إذا كان للنساء.

قولها و تركت عهداه لفظه مصغره مأخوذه من العهد مشابهه لما سلف من قولها عقيراك و حماديات النساء.

قولها و وقاعه الستر أى موقعه على الأرض إذا أرسلته و هى الموقعه أيضا و موقعه الطائر.

قولها حتى تلقينه و أنت على تلك أى على تلك الحال فحذف.

قولها أطوع ما تكونين لله إذا لزمته أطوع مبتدأ و إذا لزمته خبر المبتدأ و الضمير فى لزمته راجع إلى العهد و الأمر الذى أمرت به.

قولها لنهشت به نهش الرقشاء المطرقه أى لعضك و نهشك ما أذكره لك و أذكرك به كما تنهشك أفعى رقشاء و الرقش فى ظهرها هو النقط و الجراده أيضا رقشاء قال النابغه فبت كائنى ساورتنى ضئيله من الرقش فى أنيابها السم نافع (١).

و الأفعى يوصف بالإطراق و كذلك الأسد و النمر و الرجل الشجاع و كان معاويه يقول فى على ع الشجاع المطرق و قال الشاعر و ذكر أفعى أصم أعمى ما يجيب الرقى من طول إطراق و إسبات (٢).

قولها فنتان متناجزتان أى تسرع كل واحده منهما إلى نفوس الأخرى و من رواه متناحرتان أراد الحرب و طعن النحور بالأسننه و رشقها بالسهام.

و فرعت إلى فلان فى كذا أى لذت به و التجأت إليه.

و قولها إن أقعد ففى غير حرج أى فى غير إثم و قولها فإن أخرج فإلى ما لا بد لى من الازدياد منه كلام من يعتقد الفضيله فى الخروج أو يعرف موقع الخطأ و يصبر عليه.

١٢٦٢

١٤,١- لَمَّا عَزَمَتْ عَائِشَةُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبَصْرَةِ طَلَبُوا لَهَا بَعِيرًا أَيْدًا يَحْمِلُ هَوْدَجَهَا فَجَاءَهُمْ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ بِبَعِيرِهِ الْمُسَمَّى عَسْكَرًا وَ كَانَ عَظِيمِ الْخَلْقِ شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا وَ أَنْشَأَ الْجَمَالَ يُحَدِّثُهَا بِقُوَّتِهِ وَ شِدَّتِهِ وَ يَقُولُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَسْكَرٌ فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ اسْتَرْجَعَتْ وَ قَالَتْ رُدُّوهُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَ ذَكَرْتُ حَيْثُ سُئِلْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص

ص: ٢٢٤

١- (١) ديوانه: ٥١.

٢- (٢) اللسان ٣٤٣: ٢، من غير نسبه.

ذَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِسْمَ وَنَهَاها عَنْ رُكُوبِهِ وَ أَمَرَتْ أَنْ يُطَلَبَ لَهَا غَيْرُهُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَا يُشْبِهُهُ فُغَيِّرَ لَهَا بِجَلَالٍ غَيْرِ جَلَالِهِ وَقِيلَ لَهَا قَدْ أَصَبْنَا لَكَ أَعْظَمَ مِنْهُ خَلْقًا وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَبْيَتْ بِهِ فَرَضِيَّتَ.

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ وَ أُرْسِلَتْ إِلَى حَفْصَةَ تَسْأَلُهَا الْخُرُوجَ وَ الْمَسِيرَ (١) مَعَهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَأَتَى أُخْتَهُ فَعَزَمَ عَلَيْهَا فَأَقَامَتْ وَ حَطَّتِ الرَّحَالَ بَعْدَ مَا هَمَّتْ.

كَتَبَ الْمَأْشُورُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَائِشَةَ وَ هِيَ بِمَكَّةَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّكَ طَعِنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ص وَ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَقْرِي فِي بَيْتِكَ فَإِنْ فَعَلْتِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ فَإِنْ أَبَيْتِ إِلَّا- أَنْ تَأْخُذِي مِنْسَأَتِكَ وَ تُلْقِي جِلْبَابَكَ وَ تُبْذِرِي لِلنَّاسِ شِعْبِرَاتِكَ فَاتْلُتْكِ حَتَّى أُرْذَكَ إِلَى بَيْتِكَ وَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَرْضَاهُ لَكَ رَبُّكَ.

فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ فِي الْجَوَابِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ أَوَّلَ الْعَرَبِ سَبَّ الْفِتْنَةَ وَ دَعَا إِلَى الْفُرْقَةِ وَ خَالَفَ الْأَيْمَةَ وَ سَعَى فِي قَتْلِ الْخَلِيفَةِ وَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَنْ تُعْجِزَ اللَّهَ حَتَّى يُصِيبَكَ مِنْهُ بِنِقْمِهِ يَنْتَصِرُ بِهَا مِنْكَ لِلْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ وَ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَ فَهِمْتُ مَا فِيهِ وَ سَيَكْفِينِيكَ اللَّهُ وَ كُلٌّ مَنْ أَصْبَحَ مُمَانِلًا لَكَ فِي ضَلَالِكَ وَ غَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَ قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ لَمَّا انْتَهَتْ عَائِشَةُ فِي مَسِيرِهَا إِلَى الْخَوَاطِبِ وَ هُوَ مَاءُ لَيْلَى عَامِرِ بْنِ صَعْبَةَ مَعَهُ نَبَحَتْهَا الْكِلَابُ حَتَّى نَفَرَتْ صَبَابُ إِبِلِهَا فَصَالَ قَائِلٌ مِنْ أَصْحَابِهَا أَلَا- تَرَوْنَ مَا أَكْثَرَ كِلَابَ الْخَوَاطِبِ وَ مَا أَشَدَّ بُبَاخَهَا فَأَمْسَكَتْ زِمَامَ بَعِيرِهَا وَ قَالَتْ وَ إِنَّهَا لَكِلَابُ الْخَوَاطِبِ رُدُونِي رُدُونِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ وَ ذَكَرَتْ الْخَبْرَ فَقَالَ لَهَا قَائِلٌ مَهْلًا يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَقَدْ جُرْنَا مَاءَ الْخَوَاطِبِ فَقَالَتْ فَهَلْ مِنْ شَاهِدٍ فَلَفَّقُوا لَهَا خَمْسِينَ أَعْرَابِيًّا جَعَلُوا لَهُمْ جُعْلًا فَحَلَفُوا لَهَا (٢) أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَاءِ الْخَوَاطِبِ فَسَارَتْ لَوْجِهَا.

لَمَّا انْتَهَتْ عَائِشَةُ وَ طَلَحَهُ وَ الزُّبَيْرُ إِلَى حَفْرِ (٣) أَبِي مُوسَى قَرِيبًا مِنَ الْبَصْرَةِ أُرْسِلَ

ص: ٢٢٥

١- (١) ساقطه من ب.

٢- (١) ساقطه من ب.

عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَامِلٌ عَلِيُّ عَ عَلَى الْبَصِيرَةِ إِلَى الْقَوْمِ أبا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ يَعْلَمُ لَهُ (١) عَلِمَهُمْ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَسَأَلَهَا عَنْ مَسِيرِهَا فَقَالَتْ أَطْلُبُ بِعَدَمِ عُثْمَانَ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْبَصِيرَةِ مِنْ قَتْلِهِ عُثْمَانَ أَحَدٌ قَالَتْ صَدَقْتَ وَ لَكِنَّهُمْ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْمَدِينَةِ وَ جِئْتُ أَسْتَنْهَضُ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ لِقِتَالِهِ أَنْ نَغْضِبَ لَكُمْ مِنْ سَوْطِ عُثْمَانَ وَ لَا نَغْضِبَ لِعُثْمَانَ مِنْ سُيُوفِكُمْ فَقَالَ لَهَا مَا أَنْتِ مِنَ السَّوْطِ وَ السَّيْفِ إِنَّمَا أَنْتِ حَبِيسُ رَسُولِ اللَّهِ صِ أَمْرَكَ أَنْ تَقْرَى فِي بَيْتِكَ وَ تَتْلَى كِتَابَ رَبِّكَ وَ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ وَ لَا لَهِنَّ الطَّلُبُ بِالْدِّمَاءِ وَ إِنْ عَلِيًّا لَأَوْلَى بِعُثْمَانَ مِنْكَ وَ أَمْسُ رَحِمًا فَإِنَّهُمَا ابْنَا عَدُوِّ مَنْافٍ فَقَالَتْ لَسْتُ بِمُنْصَرِفِهِ حَتَّى أَمْضِيَ لِمَا قَدِمْتُ لَهُ أَ فَتَنْظُرُنِي يَا أبا الأَسْوَدِ أَنْ أَحَدًا يُقَدِّمُ عَلَيَّ قِتَالِي قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لَتَقَاتِلَنَّ قِتَالًا أَهْوَنُهُ الشَّدِيدُ.

ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الزُّبَيْرَ فَقَالَ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ عَهْدُ النَّاسِ بِكَ وَ أَنْتِ يَوْمَ بُوَيْعِ أَبُو بَكْرٍ آخِذٌ بِقَائِمِ سَيْفِكَ تَقُولُ لَا أَحَدٌ أَوْلَى بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ أَيْنَ هَذَا المَتَّعَامُ مِنْ ذَاكَ فَذَكَرَ لَهُ دَمَ عُثْمَانَ قَالَ أَنْتِ وَ صَاحِبُكَ وَ لَيْتَمَاهُ فِيمَا بَلَّغْنَا قَالَ فَأَنْطَلِقُ إِلَى طَلْحَةَ فَاسْمَعِ مَا يَقُولُ فَذَهَبَ إِلَى طَلْحَةَ فَوَجَدَهُ سَادِرًا فِي عَيْهِ مُصَرًّا عَلَى الحَرْبِ وَ الفِتْنَةِ فَرَجَعَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ فَقَالَ إِنَّهَا الحَرْبُ فَتَأَهَّبَ لَهَا.

لَمَّا نَزَلَ عَلِيُّ عَ بِالْبَصِيرَةِ كَتَبَتْ (٢) عَائِشَةُ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ العَبْدِيِّ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ زَوْجِ النَّبِيِّ صِ إِلَى ابْنِهَا الخَالِصِ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ أَمَا بَعِيدٌ فَأَقِمِ فِي بَيْتِكَ وَ خَدِّلِ النَّاسَ عَنْ عَلِيٍّ وَ لِيُبَلِّغُنِي عَنْكَ مَا أَحَبُّ فَإِنَّكَ أَوْثَقُ أَهْلِي عِنْدِي وَ السَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهَا مِنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ إِلَى عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ وَ أَمَرْنَا بِأَمْرٍ أَمْرَكَ أَنْ تَقْرَى فِي بَيْتِكَ وَ أَمَرْنَا أَنْ نُجَاهِدَ وَ قَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ

ص: ٢٢٦

١-١) كذا في ا،و في ب:«لهم».

٢-٢) كذا في ا،و في ب:«فكتبت».

فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَصْنَعَ خِلَافَ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ فَأَكُونَ قَدْ صَنَعْتُ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَصَنَعْتُ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ فَأَمْرُكَ عِنْدِي غَيْرُ مُطَاعٍ وَ كِتَابُكَ غَيْرُ مُجَابٍ وَ السَّلَامُ.

رَوَى هَذَا فِي الْكِتَابَيْنِ شَيْخُنَا أَبُو عُمَرَ بَنُ بَحْرٍ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْحَسَنِ الْبَصِيرِيِّ . وَ رَكِبْتُ عَائِشَةَ يَوْمَ الْحَرْبِ الْجَمَلِ الْمُسَمَّى عَسْكَرًا فِي هَوْدَجٍ قَدْ أَلْبَسَ الرَّفْرَفَ ثُمَّ أَلْبَسَ جُلُودَ النَّمْرِ ثُمَّ أَلْبَسَ فَوْقَ ذَلِكَ دُرُوعَ الْحَدِيدِ

١٢٤٣

١٤- الشَّعْبِيُّ عَنِ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ لَمَّا قَدِمَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ الْبَصِيرَةَ تَقَلَّدْتُ سَيْفِي وَ أَنَا أُرِيدُ نَصِيرَهُمَا فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَ إِذَا هِيَ تَأْمُرُ وَ تَنْهَى وَ إِذَا الْأَمْرُ أَمْرُهَا فَذَكَرْتُ حَدِيثًا كُنْتُ سَمِعْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ تُدَبَّرُ أَمْرُهُمْ امْرَأَةً فَانصرفتُ وَ اعترلتهم .

١٢٤٤

وَ قَدْ رَوَى هَذَا الْخَبْرُ عَلَى صُورِهِ أُخْرَى إِنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ بَعْدِي فِي فِتْنَةٍ رَأْسُهَا امْرَأَةٌ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا.

١٢٤٥

١- كَانَ الْجَمَلُ لِيَوَاءِ عَسْكَرِ الْبَصِيرَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَوَاءِ غَيْرِهِ.

خَطَبْتُ عَائِشَةَ وَ النَّاسُ قَدْ أَخَذُوا مَصَافِيَهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَتْ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّا كُنَّا نَقْمُنَا عَلَى عُثْمَانَ ضَرْبَ السَّوِطِ وَ إِمْرَةَ الْفُتَيَانِ وَ مَرْتَعِ السَّحَابَةِ الْمُحَمِّيَّةِ أَلَا وَ إِنَّكُمْ اسْتَعْتَبْتُمُوهُ فَأَعْتَبْكُمْ فَلَمَّا مَضْتُمُوهُ (١) كَمَا يُمَاصُّ الثَّوْبُ الرَّحِيضُ (٢) عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَارْتَكَبْتُمْ مِنْهُ دَمًا حَرَامًا وَ أَيُّمَ اللَّهُ إِنْ كَانَ لَأَخْصَنُكُمْ فَرَجًا وَ أَنْتَقَاكُمْ لِلَّهِ.

ص: ٢٢٧

١- (١) الموص: الغسل؛ كذا فسرهُ صاحب اللسان، و استشهد بكلام عائشه.

٢- (٢) الرحيض: المغسول؛ و انظر النهايه لابن الأثير ١: ٧٢.

خَطَبَ عَلِيٌّ ع لَمَّا تَوَاقَفَ الْجَمْعَانِ فَقَالَ لَا تُقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَبْدُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ وَ كَفَّكُمْ عَنْهُمْ حَتَّى يَبْدُوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى وَ إِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَلَا تَجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ إِذَا هَرَمْتُمُوهُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا مِدْبِرًا وَ لَا تَكْشِفُوا عَوْرَهُ وَ لَا تَمْتَلُوا بِقَتِيلٍ وَ إِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِحَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا وَ لَا تَدْخُلُوا دَارًا وَ لَا تَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا وَ لَا تَهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى وَ إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَ سَيِّبْنَ امْرَأَتَكُمْ وَ ضَلَحْنَ كُمَّ فَإِنَّهِنَّ ضِعَافُ الْقَوَى (١) وَ الْمَانُفِسِ وَ الْعُقُولِ لَقَدْ كُنَّا نُؤْمِرُ بِالْكَفِّ عَنْهِنَّ وَ إِنَّهِنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ بِالْهَرَاوَةِ وَ الْجَرِيدَةِ فَيُعَيِّرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

قَتِيلَ بُنُو ضَبَّةَ حَوْلَ الْجَمَلِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا مَنْ لَا نَفْعَ عِنْدَهُ وَ أَخَذَتِ الْأَزْدُ بِخَطَامِهِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا الْأَزْدُ قَالَتْ صَبْرًا فَإِنَّمَا يَصْبِرُ الْأَخْرَارُ مَا زِلْتُ أَرَى النَّصِيرَ مَعَ بَنِي ضَبَّةَ فَلَمَّا فَتَدُّهُمْ أَنْكَرْتُهُ فَحَرَّضَتِ الْأَزْدَ بِذَلِكَ فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَ رَمَى الْجَمَلُ بِالْبَنْبَلِ حَتَّى صَارَتِ الْقُبَّةُ عَلَيْهِ كَهَيْئَةِ الْقَنْفَدِ .

فَالَ عَلِيٌّ ع لَمَّا فَنَى النَّاسُ عَلَى خَطَامِ الْجَمَلِ وَ قُطِعَتِ الْأَيْدِي وَ سَيَّالَتِ النَّفُوسُ أَدْعُوا لِي الْأَشْتَرِ وَ عَمَّارًا فَجَاءَ فَقَالَ إِذْهَبَا فَاعْقِرَا هَذَا الْجَمَلَ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَا يَبُوحُ (٢) ضِرَامُهَا مَا دَامَ حَيًّا إِنَّهُمْ قَدْ اتَّخَذُوهُ قِبَلَهُ فَذَهَبَا وَ مَعَهُمَا فَتَيَانٍ مِنْ مُرَادٍ يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا بِعَمْرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَمَا زَالَا يَضْرِبَانِ النَّاسَ حَتَّى خَلَصَا إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ الْمُرَادِيُّ عَلَى عُرْفَيْهِ فَأَقْعَى وَ لَهُ رُغَاءٌ ثُمَّ وَقَعَ لِحْنَبِهِ وَ قَرَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ فَنَادَى عَلِيٌّ ع اِقْطَعُوا

ص: ٢٢٨

١- (١) فى ب: «القوم»، و ما أثبتته من ا.

٢- (٢) لا يبوخ: لا يخدم.

أَنْسَاعَ الْهُودِجِ ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ إِكْفِينِي أَخْتِكَ فَحَمَلَهَا مُحَمَّدٌ حَتَّى أَنْزَلَهَا دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيِّ .

بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى عَائِشَةَ يَأْمُرُهَا بِالرَّحِيلِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَأَتَيْتُهَا (١) فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ يُوضِعْ لِي شَيْءٌ أَجْلِسُ عَلَيْهِ فَتَنَاوَلْتُ وَسَادَةً كَانَتْ فِي رَحْلِهَا فَقَعَيْدْتُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْطَأْتَ السُّنَّةَ قَعَيْدْتُ عَلَى وَسَادَتِنَا فِي بَيْتِنَا بَغَيْرِ إِذْنِنَا فَقُلْتُ لَيْسَ هَذَا بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَقْرَى فِيهِ وَ لَوْ كَانَ بَيْتِكَ مَا قَعَيْدْتُ عَلَى وَسَادَتِكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ ثُمَّ قُلْتُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَأْمُرُكَ بِالرَّحِيلِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَتْ وَ أَيْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَاكَ عُمَرُ فَقُلْتُ عُمَرُ وَ عَلِيُّ قَالَتِ أَتَيْتُ قُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ أَبُوكَ إِلَّا قَصِيرَ الْمُدَّةِ عَظِيمَ الْمَشَقَّةِ قَلِيلَ الْمَنْفَعَةِ ظَاهِرَ الشُّؤْمِ بَيْنَ النَّكِدِ وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَبُوكَ وَاللَّهِ مَا كَانَ أَمْرُكَ إِلَّا كَحَلْبِ شَاهٍ حَتَّى صَرَّتْ لَا تَأْمُرِينَ وَ لَا تَنْهَيْنِ وَ لَا تَأْخُذِينَ وَ لَا تُعْطِينَ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ مَا زَالَ إِهْدَاءُ الصَّغَائِرِ بَيْنَنَا

قَالَ فَبَكَتْ حَتَّى سَمِعَ نَحِيْبَهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّي مُعْجَلَةٌ الرَّحِيلِ إِلَى بِلَادِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَ اللَّهُ مَا مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدٍ أَنْتُمْ فِيهِ قُلْتُ وَ لِمَ ذَاكَ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ جَعَلْنَاكَ لِلْمُؤْمِنِينَ أُمَّاً وَ جَعَلْنَا أَبَاكَ صِدِّيقاً قَالَتْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَ تَمُنُّ عَلَيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ قُلْتُ مَا لِي لَا أَمُنُّ عَلَيْكَ بِمَنْ لَوْ كَانَ مِنْكَ لَمَنْنْتُ بِهِ عَلَيَّ .

ثُمَّ أَتَيْتُ عَلِيّاً فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهَا وَ قَوْلِي فَسِرَّ بِحَدِّكَ وَ قَالَ لِي ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) وَ فِي رِوَايَةٍ أَنَا كُنْتُ أَعْلَمُ بِكَ حَيْثُ بَعَثْتُكَ

ص: ٢٢٩

١-١) ب «فلقيتها»، و ما أثبتته من ا.

٢-٢) البيتان في ثمار القلوب ٥٠٣، و نسبهما إلى حضرمي بن عامر، و هما أيضا في الحيوان ٣:٣١٥.

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ [عَنِ]

النِّعَمِ وَالنُّورُوعِ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتِبَ بَارِزُهُ الْعُذْرُ وَاضِحِهِ .

فسرع لفظ الزهاده و هى الزهد بثلاثه أمور و هى قصر الأمل و شكر النعمه و الورع عن المحارم فقال لا يسمى الزاهد زاهدا حتى يستكمل هذه الأمور الثلاثه ثم قال فإن عذب ذلك عنكم أى بعد فأمران من الثلاثه لا بدّ منهما و هما الورع و شكر النعم جعلهما آكد و أهم من قصر الأمل.

و اعلم أن الزهد فى العرف المشهور هو الإعراض عن متاع الدنيا و طيباتها لكنه لما كانت الأمور الثلاثه طريقا موطنه إلى ذلك أطلق ع لفظ الزهد عليها على وجه المجاز .

و قوله فقد أعذر الله إليكم أى بالغ يقال أعذر فلان فى الأمر أى بالغ فيه و يقال ضرب فلان فأعذر أى أشرف على الهلاك و أصل اللفظه من العذر يريد أنه

قد أوضح لكم بالحجج النيره المشرقه ما يجب اجتنابه و ما يجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبه فكان له فى تعذيبكم العذر

الآثار و الأخبار الوارده فى الزهد

و الآثار الوارده فى الزهد كثيره

١٢٦٦

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَفْلَحَ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا حَظِي بِعِزِّ الْعَاجِلِهِ وَ بِثَوَابِ الْآخِرِهِ.

١٢٦٧

وَقَالَ ص مَنْ أَصِيبَتْ الدُّنْيَا هَمُّهُ وَ سَدِمَهُ نَزَعُ اللَّهِ الْغِنَى مِنْ قَلْبِهِ وَ صَيَّرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَ لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَ مَنْ أَصِيبَتْ الْآخِرَةُ هَمُّهُ وَ سَدِمَهُ نَزَعُ اللَّهِ الْفَقْرَ عَنْ قَلْبِهِ وَ صَيَّرَ الْغِنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَ أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَ هِيَ رَاغِمَةٌ.

١٢٦٨

١٤- وَ قَالَعَ لِلضُّحَّاكِ بْنِ سُهَيْبَانَ مَا طَعَامُكَ قَالَ اللَّحْمُ وَ اللَّبَنُ قَالَ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَاذَا قَالَ إِلَى مَا عَلِمْتَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا .

١٢٦٩

وَ كَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ لِأَصِيحَابِهِ إِذَا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيكُمْ الدُّنْيَا فَيَجِيءُ بِهَمِّهِمْ إِلَى الْمَرْبَلَةِ فَيَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عَيْنَيْهِمْ وَ سَمْنِهِمْ وَ دَجَاجِهِمْ وَ بَطْنِهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ.

١٢٧٠

وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْمَسِيحِ ع الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَ لَا تَعْمُرُوهَا.

١٢٧١

١٤- سئل رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

ص: ٢٣١

(١)

فَقَالَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسِحَ فَذَلِكَ شَرْحُ الصَّدْرِ فَبَدَّلَكَ شَرْحُ الصَّدْرِ فَقِيلَ أ فَلِذَلِكَ عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا قَالَ نَعَمْ الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَ الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ .

١٢٧٢

قَالُوا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ اتَّخَذِ الدُّنْيَا ظَنْرًا وَ اتَّخَذِ الْآخِرَةَ أُمَّةً.

١٢٧٣

الشَّعْبِيُّ

مَا أَعْلَمَ لَنَا وَ لِلدُّنْيَا مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ كَثِيرٍ أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَ لَا مَقْلَبَةٌ إِلَّا تَقَلَّتْ (٢) .

١٢٧٤

بَعْضُ الصَّالِحِينَ الْمُسْتَعْنَى عَنِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا كَالْمُطْفِئِ النَّارَ بِالتَّيْنِ.

١٢٧٥

وَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الْإِلَهِيَّةِ قَالَ اللَّهُ لِلدُّنْيَا مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدِمِيهِ وَ مَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدِمِيهِ.

١٢٧٦

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ وَ عَلَيْهِ مِثْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ فَقَالَ مَا هِيَ فَبَدَّلَتْ فَاعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ فَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زُهْدًا فَأَرْكِي نَفْسِي أَوْ فَقْرًا فَأَشْكُو رَبِّي.

١٢٧٧

قِيلَ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ هُمَا كَضْرَبَتَيْنِ إِنْ أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطْتَ الْأُخْرَى.

١٢٧٨

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذُّونِ قَالَ إِنَّمَا رَضِيَ بِالذُّونِ مَنْ رَضِيَ بِالذُّنْيَا.

١٢٧٩

خَطَبَ أَعْرَابِيٌّ كَانَ عَامِلًا لِيَجْعَلَ بِنِ سُلَيْمَانَ عَلَى ضَرْبِهِ يَوْمَ جُمُعِهِ خُطْبَهُ لَمْ يُسْمِعْ أَوْجَرَ مِنْهَا وَلَا أَفْصَحَ فَقَالَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاغٍ وَ
إِنَّ الْمَآخِرَةَ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَسِيَّتَقَرُّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا
قُلُوبَكُمْ قَبِيلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَيْدَانُكُمْ فِيهَا جِنَّتُمْ وَ لِيُغَيِّرَهَا خُلُقَتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ
فَلِلَّهِ آثَارُكُمْ قَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ

ص: ٢٣٢

١-١) سورة الأنعام ١٢٥.

٢-٢) من قصيدته التائية المشهورة؛ في أمالي القالي ١٠٧:٢-١١٠.

وَلَا تُؤْخِرُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ الْمَدْعُوُّ لَهُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ الْأَمِيرُ جَعْفَرُ وَ نَزَلَ.

١٢٨٠

أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجِ

الدُّنْيَا كُلُّهَا غُمُومٌ فَمَا كَانَ فِيهَا سُرُورًا فَهُوَ رِبْحٌ.

١٢٨١

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ

مَنْ عَزَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا.

١٢٨٢

٤- قِيلَ لِإِلْيَاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَ مَنْ أَعْظَمَ النَّاسِ خَطَرًا قَالَ مَنْ لَمْ يَرَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطَرًا.

١٢٨٣

١٦- قَالَ الْمَسْرِيحِيُّ عَ لِأَصْحَابِهِ حُبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَ اقْتِنَاءُ الْمَالِ فِيهَا دَاءٌ عَظِيمٌ قَالُوا لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ الْبُغْيِ وَ الْكِبْرِ قِيلَ فَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمَا قَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ .

١٢٨٤

أَشْرَفَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ فَقَالَ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ تَبْنُونَ مَا لَا تَشِيءُونَ وَ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَ تَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَنَوْا شَدِيدًا وَ أَمَلُوا بَعِيدًا وَ جَمَعُوا كَثِيرًا فَأَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا وَ جَمَعَهُمْ بُورًا وَ أَمَلَهُمْ غُرُورًا.

١٢٨٥

قَالَ الْمَأْمُونُ لَوْ سَيَلَّتِ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِي هَا لَمْ تَسِيْطِعْ أَنْ تَصِفَ نَفْسِي هَا بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ (١).

١٢٨٦

١٤- وَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَمْرِي قَالَ إِذَا أَرَدْتَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَعَسِّرْ عَلَيْكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ بِخَيْرٍ وَ إِذَا أَرَدْتَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَيَسِّرْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ شَرٌّ لَكَ .

قَالَ رَجُلٌ لِيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ إِنَّ فُلَانًا يَعْمَلُ بِعَمَلِ الْحَسَنِ الْبَصِيرِيِّ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَقُولُ بِقَوْلِهِ فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ قِيلَ
فَصِفْهُ لَنَا قَالَ كَانَ إِذَا أَقْبَلَ

ص: ٢٣٣

١-١) لأبي نواس. ديوانه ١٩٢.

فَكَأَنَّهُ أُقْبِلَ مِنْ دَفْنِ حَبِيبٍ وَإِذَا جَلَسَ فَكَأَنَّهُ أُسِيرٌ أُجْلِسَ لِضَرْبِ عُنُقِهِ وَإِذَا ذُكِرَتِ النَّارُ فَكَأَنَّهُ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ.

١٢٨٨

وَ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لِرَجُلٍ يَا فُلَانُ هَلْ أَنْتَ عَلَى حَالٍ أَنْتَ فِيهَا مُسْتَعِدٌّ لِلْمَوْتِ قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ أَنْتَ عَالِمٌ بِأَنْتَ تَنْتَقِلُ إِلَى حَالٍ تَرْضَى بِهِ قَالَ لَا قَالَ أَفَتَعْلَمُ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارًا فِيهَا مُسْتَعْتَبٌ (١) قَالَ لَا قَالَ أَفَتَأْتِيكَ صَيْبًا حَا أَوْ مَسَاءً قَالَ لَا قَالَ أَفَيَرْضَى بِهَذِهِ الْحَالِ عَاقِلٌ.

١٢٨٩

وَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَضْحَكْتَنِي ثَلَاثٌ وَ أَبْكَتَنِي ثَلَاثٌ أَضْحَكْتَنِي مُؤْمَلُ الدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ عَاقِلٌ وَ لَيْسَ بِمَعْقُولٍ عَنْهُ وَ ضَاحِكٌ مَلءٌ فِيهِ لَا يَدْرِي أَرَا ضَعْفٌ عَنْهُ اللَّهُ أَمْ سَاحِطٌ وَ أَبْكَا نِي فِرَاقُ مُحَمَّدٍ وَ حَزْبِهِ وَ أَبْكَا نِي هَوْلُ الْمَوْتِ وَ أَبْكَا نِي هَوْلُ الْمَوْقِفِ يَوْمَ تَبْدُو السَّرَائِرَ حِينَ لَا أَدْرِي أَيْ يُوْخِذُ بِي إِلَى جَنَّةٍ أَمْ إِلَى نَارٍ.

١٢٩٠

وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَيْغِرٍ يَقُولُ أَتَضْحَكُ وَ لَعَلَّ أَكْفَانَكَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ الْقَصَارِ وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ أَتَى الذَّنْبَ ضَاحِكًا دَخَلَ النَّارَ بَاكِيًا.

١٢٩١

وَ كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ وَدِدْتُ أَنْ رَزَقِي فِي حَصَاهِ أَمْصُهَا حَتَّى أَبُولَ فَلَقَدْ اخْتَلَفْتُ إِلَى الْخَلَاءِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي.

١٢٩٢

وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَيْسَ بِهِ بِأَسْ حَذَرًا عَمَّا بِهِ الْبُأْسُ.

١٢٩٣

وَ قَالَ الْمَسِيحُ ع بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ طَلَبَ الْفِرْدَوْسَ فَحُبِزُ الشَّعِيرِ وَ النَّوْمُ عَلَى الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ لَهُ كَثِيرٌ.

١٢٩٤

وَ أَوْصَى ابْنُ مُحَرَّرٍ رَجُلًا فَقَالَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُعْرِفَ وَ لَا تُعْرِفَ وَ تَسْأَلَ وَ لَا تُسْأَلَ وَ تَمْشِيَ وَ لَا يُمَشَى إِلَيْكَ فَافْعَلْ.

ص: ٢٣٤

وَ قَالَ عَلِيٌّ ع

طُوبَى لِمَنْ عَرَفَ النَّاسَ وَ لَمْ يَعْرِفُوهُ تَعَجَّلَتْ لَهُ مَمِيَّتُهُ وَ قَلَّ تَرَاثُهُ وَ قُفِدَ بِأَكْيَاتِهِ .

وَ كَانَ يُقَالُ فِي الْجُوعِ ثَلَاثُ خِصَالٍ حَيَاةٍ لِلْقَلْبِ وَ مَذَلَّةٌ لِلنَّفْسِ وَ يُورِثُ الْعُقْلَ الدَّقِيقَ مِنَ الْمَعَانِي (١).

وَ قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمٍ أُرِيدُ أَنْ تَقْبِلَ مِنِّي دَرَاهِمَ قَالَ إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا قَبِلْتَهَا مِنْكَ وَ إِنْ كُنْتَ فَقِيرًا لَمْ أَقْبَلْهَا قَالَ فَإِنِّي غَنِيٌّ قَالَ كَمْ تَمْلِكُ قَالَ أَلْفِي دِرْهَمٍ قَالَ أَفَيْسُرُكَ أَنْ تَكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَسْتُ بِغَنِيٍّ وَ دَرَاهِمُكَ لَا أَقْبَلُهَا.

وَ كَانَ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَاكِهِهِ فِي السُّوقِ قَالَ مَوْعِدُكَ الْجَنَّةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَ مَرَّ أَبُو حَازِمٍ بِالْقَصَّابِينَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَا أَبَا حَازِمٍ هَذَا سَمِينٌ فَاشْتَرِ مِنْهُ قَالَ لَيْسَ عِنْدِي دَرَاهِمُ قَالَ أَنَا أَنْظِرُكَ قَالَ فَأَفْكَرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَنَا أَنْظِرُ نَفْسِي.

نَزَلَ الْحَجَّاجُ فِي يَوْمٍ حَارٍّ عَلَى بَعْضِ الْمِيَاهِ وَ دَعَا بِالْعَدَاءِ وَ قَالَ لِحَاجِبِهِ انظُرْ مَنْ يَتَعَدَّى مَعِيَ وَ اجْهَدْ أَلَّا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَرَأَى الْحَاجِبُ أَعْرَابِيًّا نَائِمًا عَلَيْهِ شَمْلَةٌ مِنْ شَعْرِ فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَ قَالَ أَجِبِ الْأَمِيرَ فَاتَاهُ فَدَعَاهُ الْحَجَّاجُ إِلَى الْأَكْلِ فَقَالَ دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَمِيرِ فَأَجَبْتُهُ قَالَ مَنْ هُوَ قَالَ اللَّهُ دَعَانِي إِلَى الصُّومِ فَصِيَمْتُ قَالَ أَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ قَالَ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا قَالَ أَفِطِرَ وَ تَصُومُ عَدَاً قَالَ إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى عَدِّ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ قَالَ فَكَيْفَ أَدْعُ عَاجِلًا لِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ قَالَ إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَ لَا الْحَبَّازُ وَ لَكِنَّ الْعَافِيَةَ طَيَّبَتْهُ لَكَ.

وَ قَالَ شَيْبٌ كُنَّا سَنَّهُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ

١-١) بالأصول غموض، ولعلّ الصواب ما أثبتته أو قريب منه.

وَمَعَهُ جَارِيَةٌ سَوْدَاءٌ وَصِيحِفَهُ فَقَالَ أَيْفِيكُمْ كَاتِبٌ قُلْنَا نَعَمْ وَحَضَرَ غَدَاؤُنَا فَقُلْنَا لَهُ لَوْ دَخَلْتَ فَأَصَبْتَ مِنْ طَعَامِنَا قَالَ إِنِّي صَائِمٌ قُلْنَا الْحُرُّ وَشِدَّتُهُ وَجَفَاءُ الْبَادِيَةِ فَقَالَ إِنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ وَلَمْ أَكُنْ فِيهَا وَسَيَتَكُونُ وَلَا أَكُونُ فِيهَا وَمَا أَحِبُّ أَنْ أُغْبِنَ أَمَامِي ثُمَّ نَبَذَ إِلَيْنَا الصَّحِيفَةَ فَقَالَ لِلْكَاتِبِ اكْتُبْ وَلَا تَزِدْ عَلَيَّ مَا أُمْلِيهِ عَلَيْكَ هَذَا مَا أَعْتَقَ عَبْدُ اللَّهِ بَنُ عَقِيلٍ الْكَلْبِيُّ أَعْتَقَ جَارِيَةَ لَهُ سَوْدَاءَ اسْمُهَا لَوْلُوهُ ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ وَجَوَّازِ الْعَقَبَةِ وَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا إِلَّا سَبِيلُ الْوَلَاءِ وَالْمِنَّةِ لِلَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهَا وَاحِدَةٌ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ الرَّشِيدُ فَأَمَرَ أَنْ يُعْتَقَ عَنْهُ أَلْفٌ نَسَمِهِ وَيُكْتَبَ لَهُمْ هَذَا الْكِتَابُ.

١٣٠٢

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَيْفَوَانَ بْتُ لَيْلَتِي هَذِهِ أَتَمَّنِي فَكَبَسْتُ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ بِالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ فَإِذَا الَّذِي يَلْقَانِي مِنْ ذَلِكَ رَغِيفَانِ وَكُوزَانِ وَطِمْرَانِ (١).

١٣٠٣

وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ وُلْدِ مُعَاوِيَةَ يَعْمَلُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ فَقَالَ هَذَا بَعْدَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ أَخِي مَا فَقَدْنَا إِلَّا الْفُضُولَ.

١٣٠٤

وَقَالَ الْحَسَنُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ.

١٣٠٥

قَالَ يُونُسُ الْكَاتِبُ لَوْ قِيلَ بَيْنَ دُرَيْدٍ فِي زَاهِدٍ كَانَ بِهِ جَدِيرًا قَلِيلُ الشَّكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ ذَاكِرٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٢).

١٣٠٦

وَقَالَ الْحَسَنُ مَا أَطَالَ عَبْدُ الْأَمَلِ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلِ.

١٣٠٧

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ مَا أَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ قَالَ قَلْبٌ عَرَفَ اللَّهَ ثُمَّ عَصَاهُ.

١٣٠٨

قَالَ وَكَيْعٌ مَا أَحْسَنْتُ قَطُّ إِلَى أَحَدٍ وَلَا أَسَأْتُ إِلَيْهِ قِيلَ كَيْفَ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٣).

١-١) الطمر: الثوب الخلق.

٢-٢) من كلمه له فى ديوان الحماسه ٢:٣٠٨ يرثى أخاه عبد الله.

٣-٣) سوره الإسراء ٧.

وَقَالَ الْحَسَنُ لِرَجُلٍ إِنْ اسْتِطَعْتَ أَلَّا تُسِيءَ إِلَى أَحَدٍ مِمَّنْ تُحِبُّهُ فَافْعَلْ قَالَ الرَّجُلُ يَا أَبَا سَعِيدٍ (١) أَوْ يُسِيءُ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ قَالَ نَعَمْ نَفْسُكَ أَحَبُّ النَّفْسِ إِلَيْكَ فَإِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ فَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ إِذَا مَعَ نَفْسَهُ شَيْئًا مِنَ الشَّهَوَاتِ قَالَ اصْبِرْ يَا فَوَّ اللَّهِ مَا مَنَعَكَ (٢) إِلَّا لِكِرَامَتِكَ عَلَيَّ.

١٤- قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَفْعَلُ هَذَا وَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا

وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ جِيفَةً لَيْلِهِ قُطِرَبَ (٣) نَهَارِهِ.

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ.

وَ كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ فِي قِصْبِهِ مَا أَشَدَّ فِطَامَ الْكِبَرِ وَ يُنْشِدُ أ تَرَوْضُ عُرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَ مِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ.

وَ قَالَ آخِرُ إِنَّ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ

١- (١) كنيه الحسن البصرى.

٢- (٢) ج: «ما منعتك».

٣- (٣) القطرب: دويبه لا تستريح نهارها سعيًا.

مَيَا أَصْفُ مِنْ دَارٍ أَوْلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَتَغَى فِيهَا فُتِنَ وَ مَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ وَ مَنِ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَ مَنِ قَعَدَ عَنْهَا وَآتَتْهُ وَ مَنِ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ وَ مَنِ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

[قال الرضى رحمه الله أقول و إذا تأمل المتأمل قوله ع و من أبصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره لا سيما إذا قرن إليه قوله و من أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيرا و عجيبا باهرا]

العناء التعب و ساعاها جاراها سعيها و واتته طاوعته .

و نظر الرضى إلى قوله أولها عناء و آخرها فناء فقال و أولنا العناء إذا طلعتنا إلى الدنيا و آخرنا الذهاب (١).

ص: ٢٣٨

و نظر إلى قوله ع في حلالها حساب و في حرامها عقاب بعض الشعراء فقال الدهر يومان فيوم مضى

و من المعنى أيضا قول بعضهم حلالها حسره تفضى إلى ندم و في المحارم منها الغنم منزور .

و نظر الحسن البصرى إلى قوله ع من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن فقال و قد جاءه إنسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أبا سعيد فقال بل الراجل ثم قال لا مرحبا بمن إن كان غنيا فتننى و إن كان فقيرا أحزننى و إن عاش كدنى و إن مات هدى ثم لا أرضى بسعيى له سعييا و لا بكدحى له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعد موتى و أنا فى حال لا ينالنى بمساءته حزن و لا بسروره جذل.

و نظر ابن المعتز إلى قوله ع من ساعاها فاتته و من قعد عنها واتته فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا .

و نظرت إلى قوله ع و من أبصر بها بصرتة و من أبصر إليها أعمته فقلت دنياك مثل الشمس تدنى إليك

فإن قلت المسموع أبصرت زيدا و لم يسمع أبصرت إلى زيد قلت يجوز أن يكون قوله ع و من أبصر إليها أى و من أبصر متوجها إليها كقوله فى تشع آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ (١) و لم يقل مرسلا و يجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر إليها لما كان مثله كما قالوا فى دخلت البيت و دخلت إلى البيت أجره مجرى ولجت إلى البيت لما كان نظيره

ص : ٢٤٠

١-١) سورة النمل ١٢.

و هي من الخطب العجيبه الحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا- بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ مَا زَجَّ كُدُّلٌ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٌ وَ كَاشِفٌ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٌ أَحْمَدُهُ
عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوْلَا- بَادِيًا وَ أَسِي- تَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا وَ أَسِي- تَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا وَ
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُنْدَرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذْرِهِ .

الحول القوّه و الطول الإفضال و المانح المعطى و الأزل بفتح الهمزة الضيق و الحبس و العواطف جمع عاطفه و هي ما يعطفك
على الغير و يدنيه من معروفك و السوابغ التوام الكوامل سبع الظل إذا عم و شمل .

و أولا هاهنا منصوب على الظرفيه كأنه قال قبل كل شيء و الأول نقيض الآخر أصله أوئل على أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزه
واوا و أدغم يدلّ على ذلك قولهم هذا أول منك و الإتيان بحرف الجر دليل على أنه أفعل كقولهم هذا أفضل منك و جمعه
على أوائل و أوال أيضا على القلب و قال قوم أصله وول على فوعل فقلبت الواو الأولى همزه و إنما لم يجمع على ووال
لاستئقالهم اجتماع الواوين و بينهما ألف الجمع.

و إذا جعلت الأول صفه لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع وزن الفعل و تقول ما رأيته مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفه لعام كأنه قال أول من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فإن قلت ابدأ بهذا أول ضمته على الغايه .

و الإنهاء الإبلاغ أنهيت إليه الخبر فانتهى أى بلغ و المعنى أن الله تعالى أعذر إلى خلقه و أنذرهم فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقليّه و السمعيه أنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم فى عقوبته إياهم على عصيانه و إنذاره لهم تخويله إياهم من عقابه و قد نظر البحترى إلى معنى قوله ع علا بحوله و دنا بطوله فقال دنوت تواضعا و علوت قدرا

و فى هذا الفصل ضروب من البديع فمنها أن دنا فى مقابله علا لفظا و معنى و كذلك حوله و طوله .

فإن قلت لا- ريب فى تقابل دنا و علا- من حيث المعنى و اللفظ و أمّا حوله و طوله فإنهما يتناسبان لفظا و ليسا متقابلين معنى لأنهما ليسا ضدّين كما فى العلو و الدنو.

قلت بل فيهما معنى التضاد لأن الحول هو القوّه و هى مشعره بالسطوه و القهر و منه منشأ الانتقام و الطول الإفضال و التكرم و هو نقيض الانتقام و البطش.

فإن قلت أنت و أصحابك لا تقولون إن الله تعالى قادر بقدره و هو عندكم قادر

لذاته فكيف تتأولون قوله ع الذى علا بحوله أ ليس فى هذا إثبات قدره له زائده على ذاته و هذا يخالف مذهبكم.

قلت إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم إن لله قوه و قدره و حولا و حاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك و لكنهم يطلقونه و يعنون به حقيقته العرفيه و هى كون الله تعالى قويا قادرا كما نقول نحن و المخالف إن لله وجودا و بقاء و قدما و لا نعنى بذلك أن وجوده أو بقاءه أو قدمه معان زائده على نفسه لكننا نعنى كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أو باقيا أو قديما و هذا هو العرف المستعمل فى قول الناس لا قوه لى على ذلك و لا قدره لى على فلان لا يعنون نفى المعنى بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك.

و منها أن مانحا فى وزن كاشف و غنيمه بإزاء عظيمه فى اللفظ و ضدها فى المعنى و كذلك فضل و أزل .

و منها أن عواطف بإزاء سوابغ و نعمه بإزاء كرمه .

و منها و هو أطف ما يستعمله أرباب هذا الصنائه أنه جعل قريبا هاديا مع قوله أستهديه لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح و لم يجعله مع قوله و أستعينه و جعل مع الاستعانه قاهرا قادرا لأن القادر القاهر يليق أن يستعان و يستنجد به و لم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه و جعل مع التوكل كافيا ناصرا لأن الكافى الناصر أهل لأن يتوكل عليه.

و هذه اللطائف و الدقائق من معجزاته ع التى فات بها البلغاء و أحرص الفصحاء

أَوْصِيَكُمْ عِيَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ وَالْبَسِيَّكُمْ الرِّيشَ وَأَرْفَعَكُمْ الْمَعِيشَ وَأَحْيَاكُمْ
[أَحَاطُكُمْ]

بِكُمْ الْإِحْصَاءَ وَأَرْصِدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ وَآتَرَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ وَالرَّفْدِ الرَّوَافِعِ وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحَجِجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عِيداً وَوَضَفَ
لَكُمْ مُدْداً فِي قَرَارِ خَيْرِهِ وَدَارِ عَيْبِهِ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا .

وقت

و أقت بمعنى أى جعل الأجال لوقت مقدر .

و الرياش و الريش واحد و هو اللباس قال تعالى [يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا \(١\)](#) .

و قرئ و رياشا و يقال الرياش الخصب و الغنى و منه ارتاش فلان حسنت حاله و يكون لفظ ألبسكم مجازا إن فسر بذلك .

و أرفع لكم المعاش أى جعله رفيغا أى واسعاً مخصباً يقال رفع بالضم عيشه رفاغه اتسع فهو رافع و رفيع و ترفع الرجل و هو فى
رفاغيه من العيش مخففاً مثل رفاهيه و ثمانيه .

و قوله و أحاط بكم الإحصاء يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه كقوله يعجبه السخون ثم
قال حبا (٢) و ليس

ص: ٢٤٤

١-١ (١) سورة الأعراف ٢٦.

٢-٢ (٢) أصله قول الراجز، و أورده صاحب اللسان فى (سخن): يعجبه السخين و العصيد و التمر حبا ما له مزيد..

دخول اللام بمانع من ذلك تقول ضربته الضربه كما تقول ضربته ضربا و يجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون ذلك على وجهين.

أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنه جعل الإحصاء و العد كالحائط المدار عليهم لأنهم لا يبعدون منه و لا يخرجون عنه.

و الثانى أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أى جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا و أضربته أى جعلته ذا ضرب فلذلك كأنه جعل ع الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثانى.

و يمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الإحصاء مفعولا- له و يكون فى الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للإحصاء و دخول اللام فى المفعول له كثير كقوله و الهول من تهول الهبور (١).

قوله و أرصد يعنى أعد و فى الحديث إلا أن أرصده لدين على .

و آثركم من الإيثار و أصله أن تقدم غيرك على نفسك فى منفعه أنت قادر على الاختصاص بها و هو فى هذا الموضع مجاز مستحسن .

و الرصد جمع رفده مثل كسره و كسر و فدره و فدر و الرفده و الرصد واحد و هى العطيه و الصله و رفدت فلانا رفدا بالفتح و المضارع أرفده بكسر الفاء و يجوز أرفدته بالهمزه.

و الروافع الواسعه و الحجج البوالغ الظاهره المبينه قال سبحانه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (٢).

ص: ٢٤٥

١- (١) للعجاج و قد ورد البيت محرفا فى الأصول، و صوابه من الديوان ٤٨.

٢- (٢) سورة الأنعام ١٤٩.

و وظف لكم مددا

أى قدر و منه وظيفه الطعام .

و قرار خبره بكسر الخاء أى دار بلاء و اختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبره بالضم فيهما و خبره بالكسر إذا بلوته و اختبرته و منه قولهم صغر الخبر الخبر .

و دار عبره

أى دار اعتبار و اتعاظ و الضمير فى فيها و عليها ليس واحدا فإنه فى فيها يرجع إلى الدار و فى عليها يرجع إلى النعم و الرفد و يجوز أن يكون الضمير فى عليها عائدا إلى الدار على حذف المضاف أى على سكانها فإن الدنيا رنق مشربها رديغ مشرعها يوبق منظرها و يوبق مخبرها غرور حائل و ضوء آفل و ظل زائل و ستاد مائل حتى إذا أنس نافرها و اطمأن ناكزها قمصت بأرجلها و قنصت بأخيلها [أجلبها]

و أقصدت بأشهمها و أغلقت المرء أوهاق الميته قائده له إلى ضنك المضجع و وحشه المرجع و معاينه المحل و ثواب العمل .

و كذلك الخلف بعقب السلف لا- تطلع الميته احتراماً و لا- يزعوى الياقون اجتراماً يختدون مثالا- و يمضون أرسالا- إلى غدايه الإنهاء و صيور الفناء .

يقال عيش رنق بكسر النون أى كدر و ماء رنق بالتسكين أى كدر و الرنق بفتح النون مصدر قولك رنق الماء بالكسر و رنقته أنا ترنيقا أى كدرته و الروايه

ص: ٢٤٦

المشهوره فى هذا الفصل رنق مشربها بالكسر أقامه مقام قولهم عيش رنق و من رواه رنق مشربها بالسكون و هم الأقلون أجرى اللفظ على حقيقته .

و يقال مشرع ردغ ذو طين و وحل روى الردغه بالتحريك و يجوز تسكين الدال و الجمع رداغ و ردغ (١) .

و يونق منظرها يعجب الناظر آنقى الشىء أعجبنى و يوبق مخبرها يهلك وبق الرجل يبق وبقا هلك و الموبق مفعل منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله سبحانه وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٢) و قد جاء وبق يبق بالكسر فيهما و هو نادر كورث يرث و جاء أيضا وبق يوبق وبقا .

و الغرور بضم الغين ما يغتر به من متاع الدنيا و الغرور بالفتح الشيطان و الحائل الزائل و الآفل الغائب أفل غاب يأفل و يأفلا أفولا .

و السناد دعامه يسند بها السقف و ناكرها فاعل من نكرت كذا أى أنكرته .

و قمصت بأرجلها قمص الفرس و غيره يقمص و يقمص قمصا و قماصا أى استن و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معا و يعجن برجليه و فى المثل المضروب لمن ذل بعد عزه ما لعير من قماص .

و جمع فقال بأرجلها و إنما للدابة رجلان إما لأن المثنى قد يطلق عليه صيغه الجمع كما فى قولهم امرأه ذات أوراك و مآكم و هما وركان و إما لأنه أجرى اليدين و الرجلين مجرى واحد فسامها كلها أرجلا و من رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقه .

و أقصدت

قتلت مكانها من غير تأخير.

ص: ٢٤٧

١- ١) و ردغ، كخدم أيضا.

٢- ٢) سورة الكهف ٥٢.

و الأوهاق جمع وهق بالتحريك و هو الحبل و قد يسكن مثل نهر و نهر و أعلقت المرء الأوهاق جعلت الأوهاق عالقه به و الضنك الضيق.

و المضجع المصدر أو المكان و الفعل ضجع الرجل جنبه بالأرض بالفتح يضحض ضجوعا و ضجعا فهو ضاجع و مثله أضجع .

و المرجع مصدر رجع و منه قوله تعالى ثُمَّ إِلَيَّ رَبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ (١) و هو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل بكسر العين إنما يكون بالفتح .

قوله و معاينه المحل أى الموضع الذى يحل به المكلف بعد الموت و لا بدّ لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره أما إلى جنبه و أمّا إلى نار .

و قوله ثواب العمل يريد جزاء العمل و مراده الجزاء الأعمّ الشامل للسعادة و الشقاوه لا الجزاء الأخص الذى هو جزاء الطاعه و سمى الأعمّ ثوابا على أصل الحقيقه اللغويه لأن الثواب فى اللغة الجزاء يقال قد أثناب فلان الشاعر لقصيده كذا أى جازاه .

و قوله و كذلك الخلف بعقب السلف المتأخرون و السلف المتقدمون و عقب هاهنا بالتسكين و هو بمعنى بعد جئت بعقب فلان أى بعده و أصله جرى الفرس بعد جريه يقال لهذا الفرس عقب حسن و قال ابن السكيت يقال جئت فى عقب شهر كذا بالضم إذا جئت بعد ما يمضى كله و جئت فى عقب بكسر القاف إذا جئت و قد بقيت منه بقيه و قد روى يعقب السلف أى يتبع .

و قوله لا تفلح المنيه أى لا تكف و الاخترام إذهاب الأنفس و استئصالها.

ص: ٢٤٨

و ارعوى كف عن الأمر و أمسك و أصل فعله الماضى رعى يرعو أى كف عن الأمر و فلان حسن الرعوه و الرعوه و الرعوه و الرعوى و الارعواء و الاجترام افتعال من الجرم و هو الذنب و مثله الجريمة يقال جرم و أجرم بمعنى .

قوله يحتذون مثالا أى يقتدون و أصله من حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحده على صاحبها .

قوله و يمضون أرسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين و هو القطيع من الإبل أو الغنم يقال جاءت الخيل أرسالا أى قطيعا قطيعا .

و صيور الأمر آخره و ما يثول إليه حتى إذا تصيرت الأمور و تقضت الدهور و أزف الشهور أخرجهم من ضرائح القبور و أوكار الطيور و أوجره السباع و مطارح المهالك ستراعا إلى أمره مهطعين إلى معاده رعيلا صموتا قياما صنفوا ينفذهم البصر و يسمعهم الداعى عليهم لبوس الإسيته و ضرع الإسيته لأم و الدله قد ضلت الحيل و انقطع الأمل و هوت الأفئدة كإظمه و خشعت الماصوات مهينيه و ألجم العرق و عظم الشفق و أرعدت الأسماع لزبره الداعى إلى فضيل الخطاب و مقايضه الجزاء و نكال العقاب و نوال الثواب .

تقطعت و مثله تقضت الدهور و أزف قرب و دنا يأزف أزفا و منه قوله تعالى أَرْزَقْتِ الْآرْزِقَ (١) أى القيامه الفاعل آزف .

و الضرائح جمع ضريح و هو الشق فى وسط القبر و اللحد ما كان فى جانب القبر و ضرحت ضرحا إذا حفرت الضريح .

و الأوكار جمع وكر يفتح الواو و هو عش الطائر و جمع الكثره و كور و كر الطائر يكر و كرا أى دخل و كره و الوكن بالفتح مثل الوكر أى العش .

و أوجره السباع

جمع و جار بكسر الواو و يجوز فتحها و هو بيت السبع و الضبع و نحوهما .

مهطعين

مسرعين و الرعيل القطعه من الخيل .

قوله ع ينفذهم البصر و يسمعهم الداعى أى هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن إدراك البارئ سبحانه و هم مع هذه الكثره أيضا لا يبقى منهم أحد إلا إذا دعا داعى الموت سمع دعاءه و نداءه .

و اللبوس بفتح اللام ما يلبس قال البس لكل حاله لبوسها إما نعيمها و إما بوسها (٢) .

و منه قوله تعالى وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَهُ لَبُوسٍ لَكُمْ (٣) يعنى الدروع .

و الاستكانه الخضوع و الضرع الخشوع و الضعف ضرع الرجل يضرع و أضرعه غيره .

و كاظمته ساكنه كظم يكظم كظوما أى سكت و قوم كظم أى ساكتون .

ص : ٢٥٠

١-١) سورة النجم ٥٧.

٢-٢) أنشده ابن السكيت لبهس الفزارى، فى خير ذكره صاحب اللسان فى ٨:٨٧.

٣-٣) سورة الأنبياء ٨١.

و مهينمه ذات هينمه و هى الصوت الخفى و ألجم العرق صار لجاما

١٣١٥

وَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّ الْعَرَقَ لَيَجْرِي مِنْهُمْ حَيْثُ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ صِدْرَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ وَ هُمْ أَعْظَمُهُمْ مَشَقَّةً.

و قال لى قائل ما أرى

١٣١٦

لِقَوْلِهِ عَ الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلَ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كثير فائده لأن طول العنق جدا ليس ممّا يرغب فى مثله فذكرت له الخبر الوارد فى العرق و قلت إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إلجام العرق أبعد فظهرت فائده الخبر.

و يروى و أنجم العرق أى كثر و دام .

و الشفق و الشفقه بمعنى و هو الاسم من الإشفاق و هو الخوف و الحذر قال الشاعر تهوى حياتى و أهوى موتها شفقا و الموت أكرم نزال على الحرم (١).

و أرعدت الأسماع عرتها الرعدة و زبره الداعى صدته و لا يقال الصوت زبره إلا إذا خالطه زجر و انتهار زبرته أزره بالضم .

و قوله إلى فصل الخطاب إلى هاهنا يتعلق بالداعى و فصل الخطاب بت الحكومه التى بين الله و بين عباده فى الموقف رزقنا الله المسامحة فيها بمنه و إنما خص الأسماع بالرعدة لأنها تحدث من صوت الملك الذى يدعو الناس إلى محاسبته .

و المقايضه المعاوضه قايضت زيدا بالمتاع و هما قيطان كما قالوا بيعان.

فإن قلت كيف يصحّ ما ذكره المسلمون من حشر الأجساد و كيف يمكن ما أشار إليه ع من جمع الأجزاء البدنيه من أوكار الطيور و أوجره السباع و معلوم أنه قد يأكل الإنسان سبع و يأكل ذلك السبع إنسان آخر و يأكل هذا الإنسان طائر ثم يأكل الطائر إنسان آخر و المأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل فإذا حشرت

ص: ٢٥١

الحيوانات كلها على ما تزعم المعتزله فتلك الأجزاء المفروضة إما أن تحشر أجزاء من بنيه الإنسان أو بنيه السبع أو منهما معا فإن كان الأول وجب إلا يحشر السبع وإن كان الثاني وجب ألا يحشر الإنسان و الثالث محال عقلا لأن الجزء الواحد لا يكون في موضعين.

قلت إن في بدن كل إنسان و كل حيوان أجزاء أصليه و أجزاء زائده فالأجزاء الزائده يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان إذا اغتذى بها و الأجزاء الأصليه لا يمكن ذلك فيها بل يحرسها الله تعالى من الاستحاله و التغيير و إذا كان كذلك أمكن الحشر بأن تعاد الأجزاء الأصليه إلى موضعها الأول و لا فساد في استحاله الأجزاء الزائده لأنه لا يجب حشرها لأنها ليست أصل بنيه المكلف فاندفع الأشكال و أميا من يقول بالنفس الناطقه من أهل المله فلا يلزمه الجواب عن السؤال لأنه يقول إن الأنفس إذا أزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غير الأبدان الأولى لأن المكلف المطيع و العاصي المستحق للثواب و العقاب عندهم هو النفس و أما البدن فآله لها نستعمله استعمال الكاتب للقلم و النجار للفأس عبادة مخلوقون اقتداراً و مزبؤون اقتساراً و مقبوضون اختصاراً و [مُضْمَنُونَ]

مُضْمَنُونَ أَجْدَاثًا وَ كَائِنُونَ رُفَاتًا وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا وَ مَيِّدِينَونَ جَزَاءً وَ مُمَيَّرُونَ حِسَابًا قَدْ أَهْلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ الْمُنْهَجِ وَ عُمِّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدْفُ الرَّيْبِ وَ حُلُّوا لِمُضْمَارِ الْجِيَادِ [الْخِيَارِ]

وَ رَوِيهِ الْإِزْتِيَادِ وَ أَنَاهِ الْمُقْتَبِسِ [الْمُقْتَبِسِينَ]

الْمُرْتَادِ [الْمُتَّقِينَ]

فِي مُدَّةِ الْأَجْلِ وَ مُضْطَرَبِ الْمَهْلِ .

مملوكون و الاقتسار الغلبه و القهر .

و الاحتضار حضور الملائكه عند الميت و هو حينئذ محتضر و كانت العرب تقول لبن محتضر أى فاسد ذو آفه يعنون أن الجن حضرته يقال اللبن محتضر فغظ إناء ك .

و الأجداث جمع جدث و هو القبر و اجتدث الرجل اتخذ جدثا و يقال جدف بالفاء .

و الرفات الحطام تقول منه رفت الشىء فهو مرفوت .

و مدينون أى مجزيون و الدين الجزاء و منه مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ (١) .

و مميزون حسابا من قوله تعالى وَ أُمَّتٌ أَرَأُوا الْيَوْمَ آيَّهَا الْمُجْرِمُونَ (٢) و من قوله تعالى وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٣) كما أن قوله و مبعوثون أفرادا مأخوذ من قوله تعالى وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى (٤) و أصل التمييز على الفصل و التبيين .

قوله قد أمهلوا فى طلب المخرج أى انظروا ليفيئوا إلى الطاعه و يخلصوا التوبه لأن إخلاص التوبه هو المخرج الذى من سلكه خرج من ربه المعصيه و مثله قوله و هدوا سبيل المنهج و المنهج الطريق الواضح .

و المستعتب المسترضى استعبت زيدا إذا استرضيته عنى فأنا مستعتب له و هو مستعتب و أعتبى أى أرضانى و إنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأن من يطلب رضاه فى مجرى العاده لا يرهق بالتماس الرضا منه و إنما يمهل ليرضى بقلبه لا بلسانه .

و السدف جمع سدفة هى القطعه من الليل المظلم هذا فى لغه أهل نجد و أمّا غيرهم

ص: ٢٥٣

١-١) سورة الفاتحه ٣.

٢-٢) سورة يس ٥٩.

٣-٣) سورة الواقعة ٧.

٤-٤) سورة الأنعام ٩٤.

فيجعل السدفة الضوء و هذا اللفظ من الأضداد و كذلك السدف بفتح السين و الدال.

و قد قيل السدفة اختلاط الضوء و الظلمه كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار و السدف الصبح و إقباله و أسدف الليل أظلم و أسدف الصبح أضاء يقال أسدف الباب أى افتحه حتى يضىء البيت و فى لغه هوازن أسدفا أى أسرجوا من السراج و الريب الشبهه جمع ريبه .

و المضممار الموضع الذى تضم فيه الخيل و المضممار أيضا المده التى تضم فيها.

و التضمير أن تغلف الفرس حتى يسمن ثم ترده إلى قوته الأولى و ذلك فى أربعين يوما و قد يطلق التضمير على نقيض ذلك و هو التجويع حتى يهزل و يخف لحمه ضم الفرس بالفتح يضم بالضم ضمورا و جاء ضم الفرس بالضم و أضمرته أنا و ضمرته فاضطر هو و لؤلؤ مضطر فى وسطه بعض الانضمام رجل لطيف الجسم ضمير البطن و ناقه ضامر و ضامره أيضا يقول مكنهم الحكيم سبحانه و خلاهم و أعمالهم كما تمكن الخيل التى تستبق فى المضممار ليعلم أيها أسبق .

و الرويه الفكره و الارتياح الطلب ارتاد فلان الكلاء يرتاده ارتيادا طلبه و مثله راد الكلاء يروده رودا و ريادا

١٣١٧

وَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرْتَدِّ لِبَوْلِهِ.

أى فليطلب مكانا لينا أو منحدرًا و الرائد الذى يرسله القوم فى طلب الكلاء و فى المثل الرائد لا يكذب أهله و الأناه التؤده و الانتظار مثل القناه.

و تأنى فى الأمر ترفق و استأنى فلان بفلان أى انتظر به و جاء الأناه بالفتح و المد على فعال قال الحطيئه و أكرت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بى الأناه (١).

و المقتبس متعلم العلم هاهنا و لا بد له من أناه و مهل ليلغ حاجته فضرِب مثلا و جاء

ص: ٢٥٤

(١ - ١) ديوانه ٢٥.

فى بعض الروايات و مقبوضون اختصارا بالخاء المعجمه و هو موت الشاب غضا أخضر أى مات شابا و كان فتیان يقولون لشيخ أ جززت يا أبا فلان فيقول أى بنى و تختضرون أجز الحشيش آن أن يجز و منه قيل للشيخ كاد يموت قد أجز و الروايه الأولى أحسن لأنها أعم.

و فى روايه لمضمار الخيار أى للمضمار الذى يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه: فَيَا لَهَا أَمْتَالًا صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعًا وَاعِيَةً وَ آرَاءَ عَازِمَةً وَ أَلْبَابًا حَازِمَةً فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَ وَجَلَ فَعَمِلَ وَ حَازَرَ فَبَادَرَ وَ أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَ عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ وَ حُذِرَ فَحَذَرَ وَ زُجِرَ فَازْدَجَرَ وَ أَجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ [رَجَعَ]

فَتَابَ وَ اقْتَدَى فَاخْتَدَى وَ أُرَى فَرَأَى فَاسْتَرَعَ طَالِبًا وَ نَجَا هَارِبًا فَافَادَ ذَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمَّرَ مَعَادًا وَ اسْتَظْهَرَ زَادًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَ وَجَّهَ سَبِيلَهُ وَ حَيَّالَ حَيَّاجَتِهِ وَ مَوْطِنَ فِصَالَتِهِ وَ قَدَّمَ أَمْرًا لِمَدَارِ مَقَامِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَيَّا خَلَقَكُمْ لَهُ وَ اخْتَدَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اسْتَحَقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنْجِزِ لِصِدْقِ مِعَادِهِ وَ الْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

صائبه

غير عادله عن الصواب صاب السهم يصبوب صوبه أى قصد و لم يجر

ص: ٢٥٥

و صاب السهم القرطاس يصيبه صيبا لغه فى أصابه و فى المثل مع الخواطئ سهم صائب .

و شافيه تبرئ من مرض الجهل و الهوى و القلوب الزاكيه الطاهره و الأسماع الواعيه الحافظه و الآراء العازمه ذات العزم و الألباب العقول و الحازمه ذات الحزم و الحزم ضبط الرجل أمره .

و خشع الرجل أى خضع و اقترف اكتسب و مثله قرف يقرف بالكسر يقال هو يقرف لعياله أى يكسب .

و وجل الرجل خاف وجلا بفتح الجيم و مستقبله يوجل و يأجل و ييجل و ييجل بكسر الياء المضارعه .

و بادر سارع و عبر أى أرى العبر مرارا كثيره لأن التشديد هاهنا دليل التكرير .

فاعتبر

أى فاتعظ و الزجر النهى و المنع زجر أى منع و ازدجر مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو و هذا غريب و إنما جاء مطاوع ازدجر فى زجر لأنهما كالشئ الواحد و فى بعض الروايات ازدجر فازدجر فلا يحتاج مع هذه الروايه إلى تأويل .

و أناب الرجل إلى الله أى أقبل و تاب و اقتدى بزيد فعل مثل فعله و احتذى مثله .

قوله ع فأفاد ذخيره أى فاستفاد و هو من الأضداد أفدت المال زيدا أعطيته إياه و أفدت أنا مالا أى استفدته و اكتسبته .

قوله ع فاتقوا الله عباد الله جهه ما خلقكم له نصب جهه بفعل مقدر تقديره و اقصدوا جهه ما خلقكم له يعنى العباده لأنه تعالى قال **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١)** فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله فاتقوا الله لأن التقوى

ص: ٢٥٦

ملازمه لقصد المكلف العباده فدلّت عليه و استغنى بها عن إظهاره .

و الكنه الغايه و النهايه تقول أعرفه كنه المعرفه أى نهايتها .

ثم قال ع و استحقوا منه ما أعد لكم أى اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذى أعدّه لكم إن أظعنتم.

و الباء فى بالتنجز متعلق باستحقوا و يقال فلان يتنجز الحاجه أى يستنجحها و يطلب تعجلها و الناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أى تعجيلا بتعجيل و التنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه و هو مواظبتهم على فعل الواجب و تجنب القبيح و و الحذر مجرور بالعطف على التنجز لا- على الصدق لأنه لا معنى له و مِنْهَا جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاءَ لَتَعْبَى مَا عَنَّاها وَ أَبْصَاراً لَتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلاءَ جَامِعَهُ لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَهُ لِأَخَائِهَا فِي تَرْكِيْبِ صُورِهَا وَ مُدِدِ عُمْرِهَا بِأَيْدَانِ قَائِمِهِ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبِ رَائِدِهِ [بَائِدِهِ]

لَأَرْزُقَهَا فِي مُجَلَّاتِ نِعْمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مَنِّهِ وَ حَوَاجِرِ [جَوَائِزِ]

عَافِيَتِهِ وَ قَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ وَ خَلَفَ لَكُمْ عِبراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِيَيْنَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسِيئَةٍ تَمْتَعِ خَلَاقِيهِمْ وَ مُسِيئَةٍ تَفْسَحِ خَنَاقِيهِمْ أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَايَا دُونَ الْأَمَالِ وَ شَدَّبَتْهُمْ عَنْهَا تَحَرُّمَ الْأَجَالِ لَمْ يَمْتَهِدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَ لَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ .

ص: ٢٥٧

وَ مِنْهُ الْأَثَرُ الْمَرْفُوعُ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ .

و لتجלו أى لتكشف.

و عن هاهنا زائده و يجوز أن تكون بمعنى بعد كما قال لقحت حرب وائل عن حيال (١) .

أى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و حذفه جائز لأنه فضله و يكون التقدير لتجلو الأذى بعد عشاها و العشى مقصور مصدر عشى بكسر الشين يعشى فهو عش إذا أبصر نهارا و لم يبصر ليلا .

و الأشلاء جمع شلو و هو العضو .

فإن قلت فأى معنى فى قوله أعضاء تجمع أعضاءها و كيف يجمع الشىء نفسه قلت أراد ع بالأشلاء هاهنا الأعضاء الظاهره و بالأعضاء الجوارح الباطنه و لا ريب أن الأعضاء الظاهره تجمع الأعضاء الباطنه و تضمها و الملاءمه الموافقه و الأحناء الجوانب و الجهات و وجه الموافقه و الملاءمه أن كون اليد فى الجانب أولى من كونها فى الرأس أو فى أسفل القدم لأنها إذا كانت فى الجانب كان البطش و تناول ما يراد و دفع ما يؤذى أسهل و كذلك القول فى جعل العين فى الموضع الذى جعلت به لأنها كديديبان السفينه البحريه و لو جعلت فى أم الرأس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الآن و إذا تأملت سائر أدوات الجسد و أعضائه وجدتها كذلك.

ص: ٢٥٨

(١- ١) للحارث بن عباد؛ و أوله: *قربا مربط النعامه منى* . .

ثم قال فى تركيب صورها كأنه قال مركبه أو مصوره فأتى بلفظه فى كما تقول ركب بسلاحه و فى سلاحه أى متسلحا .

و قوله بأرفاقها أى بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل و أحمال و أرفقت فلانا أى نفعته و المرفق من الأمر ما ارتفعت به و انتفعت و يروى بأرماقها و الرmq بقيه الروح .

و رائده طالبه و مجللات النعم تجلل الناس أى تعمهم من قولهم سحاب مجلل أى يطبق الأرض و هذا من باب إضافه الصفه إلى الموصوف كقولك أنا فى سابغ ظلك و عميم فضلك كأنه قال فى نعمه المجلله و كذلك القول فى موجبات منه أى فى منه التى توجب الشكر.

و فى هاهنا متعلقه بمحذوف و الموضع نصب على الحال .

ثم قال و حواجز عافيته الحواجز الموانع أى فى عافيه تحجز و تمنع عنكم المضار.

و يروى و حواجز بليته و قد فسر قوله حواجز عافيته على أن يراد به ما يحجز العافيه و يمنعها عن الزوال و العدم .

قوله ع من مستمتع خلاقهم الخلاق النصيب قال تعالى وَ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (١) و قال تعالى فَاسْتَيْمَنَّتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَيْمَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ (٢) و تقدير الكلام خلف لكم عبرا من القرون السالفه منها تمتعهم بنصيبيهم من الدنيا ثم فناؤهم و منها فسحه خناقهم (٣) و طول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكه .

و أرهقتهم المنايا أدركتهم مسرعه.

ص: ٢٥٩

١-١) سورة البقره ٢٠٠.

٢-٢) سورة التوبه ٦٩.

٣-٣) الخناق، بالفتح: جبل يخشق به.

و المرهق الذى أدرك ليقتل و شذبهه عنها قطعهم و فرقهه من تشذيب الشجره و هو تقشيرها.

و تحرمت زيدا المنيه استأصلته و اقتطعته .

ثم قال لم يمهدوا فى سلامه الأبدان أى لم يمهدوا لأنفسهم من تمهيد الأمور و هو تسويتها و إصلاحها .

و أنف الأنوان أوله يقال روضه أنف لم ترع قبل و كأس أنف لم يشرب بها قبل فهل ينتظر أهل بضاضه الشبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ
وَ أَهْلُ غَضَارِهِ الصَّحِّهِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ وَ أَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَهُ [أَوْبَهُ]

الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ [الزَّوَالِ]

وَ أُزُوفِ الْإِنْتِقَالِ وَ عَلَزِ الْقَلْقِ وَ أَلَمِ الْمَضَضِ وَ عُصِيصِ الْجَرَضِ وَ تَلْفُتِ الْإِسْتِغَاثَةِ بِنُصْرِهِ الْحَفْدَةِ وَ الْأَقْرِبَاءِ وَ الْأَعَزَّةِ وَ الْقُرْنَاءِ فَهَلْ
دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ وَ قَدْ غُوِدِرَ فِي مَحَلِّهِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا وَ فِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ وَ أَبْلَتِ
النَّوَاهِكُ جِلْدَتَهُ وَ عَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَ مَحَا الْحِدَاثَانَ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحْبَهُ بَعِيدَ بَضَّتِهَا وَ الْعِظَامُ نَخْرَهُ بَعِيدَ قُوَّتِهَا وَ
الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا وَ لَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَّلِهَا .

ص : ٢٦٠

البضاضة مصدر من بضضت يا رجل بضضت بالفتح و الكسر بضاضة و بضوضه و رجل بض أى ممتلىء البدن رقيق الجلد و امرأه بضه.

و حوانى الهرم جمع حانيه و هى العله التى تحنى شطاط (١) الجسد و تميله عن الاستقامه.

و الهرم الكبر و الغضاره طيب العيش و منه المثل أباد الله غضراءهم أى خيرهم و خصبهم .

و آونه الفناء جمع أوان و هو الحين كزمان و أزمنه و فلان يصنع ذلك الأمر آونه كقولك تارات أى يصنعه مرارا و يدعه مرارا .

و الزيال مصدر زايله مزايله و زيالا أى فارقه .

و الأزوف مصدر أذف أى دنا .

و العلز قلق و خفه و هلع يصيب الإنسان و قد علز بالكسر و بات علزا أى وجعا قلقا و المضض الوجع أمضنى الجرح و مضنى

لغتان و قد مضضت يا رجل بالكسر .

و الغصص جمع غصه و هى الشجا و الغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغصص بالطعام فأنت غاص و غصان و

أغصصته أنا.

و الجريض الريق يغص به جرض بريقه بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر و هو أن يبلع ريقه على هم و حزن بالجهد و

الجريض الغصه و فى المثل حال

ص: ٢٤١

١- ١) الشطاط، بالفتح و الكسر: الطول و اعتدال القوام.

الجريض دون القريض و فلان يجرض بنفسه إذا كان يموت و أجرضه الله بريقه أغصه .

و الحفده الأعوان و الخدم و قيل ولد الولد واحدهم حافد و الباء فى بنصره الحفده متعلق بالاستعانه يقول إن الميت عند نزول الأمر به يتلفت مستغيثا بنصره أهله و ولده أى يستنصر يستصرخ بهم .

و النواحب جمع ناحبه و هى الرفاعه صوتها بالبكاء و يروى النوادب .

و الهوام جمع هامه و هى ما يخاف ضرره من الأحناش كالعقارب و العناكب و نحوها و النواهك جمع ناهكه و هى ما ينهك البدن أى يبليه .

و عفت درست و يروى بالتشديد و شحبه هالكه و الشحب الهلاك شحب الرجل بالكسر يشحب و جاء شحب بالفتح يشحب بالضم أى هلك و شحبه الله يشحبه يتعدى و لا يتعدى .

و نخره باليه و الأعباء الأثقال واحدها عبء .

و قال موقنه بغيب أنبائها لأن الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنه أو نار .

ثم قال إنها لا تكلف بعد ذلك زياده فى العمل الصالح و لا يطلب منها التوبه من العمل القبيح لأن التكليف قد بطل أ و لَسِيْتُمْ
أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَ الْآبَاءَ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ الْأَقْرِبَاءَ تَحْتِدُونَ أَمْثَلْتَهُمْ وَ تَزَكَّبُونَ قِدْدَتَهُمْ وَ تَطْئُونَ جَادَّتَهُمْ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَاهِيَةٌ عَنْ
رُشْدِهَا

سَالِكُهُ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا .

القدّه بالدال المهمله و بكسر القاف الطريقه و يقال لكل فرقه من الناس إذا كانت ذات هوى على حده قدّه و منه قوله تعالى كُنَّا طَوَائِقَ قِدْدًا (١) و من رواه و يركبون قذتهم بالذال المعجمه و ضم القاف أراد الواحده من قذذ السهم و هى ريشه يقال حذو القذّه بالقده و يكون معنى و تركبون قذتهم تقتفون آثارهم و تشابهون بهم فى أفعالهم .

ثم قال و تطئون جادتهم و هذه لفظه فصيححه جدا .

ثم ذكر قساوه القلوب و ضلالها عن رشدها و قال كأن المعنى سواها

١٣١٩

هَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ ص كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَ كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ .

وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ [السَّرَاطِ]

وَ مَرَاتِلِ دَحْضِهِ وَ أَهْوِيلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَ أَنْصَبَ الْخَوْفُ يَدَنَهُ وَ أَسْبَهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَ أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَ ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ

ص: ٢٦٣

وَ أَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ [أَبَانُهُ]

وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَيْنَ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَيْلِكَ أَقْصِيدِ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَلَعَمَّ تَفْتِلُهُ فَاتِلَاتُ الْعُرُورِ وَلَمْ تَعَمَّ عَلَيْهِ
مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ظَافِرًا بِفَرْحِهِ الْبُشْرَى وَرَاحِهِ التُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنَ يَوْمِهِ قَدْ عَبَّرَ الْعَاجِلِ حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ [ذَاتَ]

الْأَجَلِ سَعِيدًا وَبَادَرَ عَنَ وَجَلٍ وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغَبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنَ هَرْبٍ وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَرُبَّمَا نَظَرَ قُدَمًا أَمَامَهُ
فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا.

وقال أصحابنا رحمهم الله تعالى الصراط الوارد ذكره في الكتاب العزيز هو الطريق لأهل الجنة إلى الجنة ولأهل النار إلى النار
بعد المحاسبه قالوا لأن أهل الجنة ممرهم على باب النار فمن كان من أهل النار عدل به إليها وقذف فيها و من كان من أهل
الجنة مر بالنار مرورا نجا منها إلى الجنة و هو معنى قوله تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا- وَآرِدُّهَا (١) لأن ورودها هو القرب منها و الدنو
إليها و قد دل القرآن على سور مضروب بين مكان النار و بين الموضع الذي يجتازون منه إلى الجنة في قوله فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ
لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (٢).

ص: ٢٦٤

١-١) سورة مريم ١٩.

٢-٢) سورة الحديد ١٣.

رُويَ فِي بَعْضِ الْأَخْيَارِ أَنَّ الصَّرَاطَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ وَ أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ وَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقْطَعُهُ كَمُرُورِ الرِّبْقِ الْخَاطِفِ وَ الْكَافِرَ يَمْشِي عَلَيْهِ حَبْوًا وَ أَنَّهُ يَنْتَفِضُ بِالَّذِينَ عَلَيْهِ حَتَّى تَتَرَايَلَ مَقَاصِدُهُمْ. قالوا لأن مثل ذلك لا يكون طريقا للماشى و لا يتمكن من المشى عليه و لو أمكن لم يصح التكليف فى الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد.

ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أى فائده فى عمل هذا السور و أى فائده فى كون الطريق الذى هو الصراط منتهيا إلى باب النار منفرجا منها إلى الجنة أ لستم تعلقون أفعال البارئ تعالى بالمصالح و الآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح.

و أجابوا بأن شعور المكلفين فى الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم و ألطاف فى الواجبات العقلية فإذا أعلم المكلفون بها وجب إيقاعها على حسب ما وعدوا و أخبروا به لأن الله صادق لا خلف فى إخباره.

و عندى أنه لا- يمتنع أن يكون الصراط على ما وردت به الأخبار و لا مانع من ذلك قولهم لا يكون طريقا للماشى و لا يتمكن من المشى عليه مسلم و لكن لم لا يجوز أن يكون فى جعله على هذا الوجه و الإخبار عن كفيته هذه مصلحة للمكلفين فى الدنيا و ليس عدم تمكن الإنسان من المشى عليه بمانع من إيقاعه على هذا الوجه لأن المراد من هذا و أمثاله هو التخويف و الزجر.

و أمّا قولهم الآخرة ليست دار تكليف فلقال أن يقول لهم لم قلت إنه تكليف و لم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين إلى سلوكه اضطرارا فالمؤمن يخلق الله فيه الثبات و السكينة و الحركة السريعة فينجو و يسلم و الكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهوى و يعطب و لا مانع من ذلك .

يقال مكان دحض و دحض بالتحريك أى زلق و أدحضته أنا أزلقته فدحض هو .

و الأهاويل الأمور المفزعه و تارات أهواله كقوله دفعات أهواله و إنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائله إذا استمرت لم تكن فى الإزعاج و الترويع كما تكون إذا طرأت تاره و سكنت تاره .

و انصب الخوف بدنه

أتعب و النصب التعب و التهجد هنا صلاه الليل و أصله السهر و قد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا و هو من الأضداد.

الغرار قله النوم و أصله قله لبن الناقه و يقال غارت الناقه تغار غرارا قل لبنها.

فإن قلت كيف توصف قله النوم بالسهر و إنما يوصف بالسهر الإنسان نفسه قلت هذا من مجازات كلامهم كقولهم ليل ساهر و ليل نائم .

و الهواجر جمع هاجر و هى نصف النهار عند اشتداد الحرّ يقال قد هجر النهار و أتينا أهلنا مهجرين أى سائرين فى الهاجر .

و ظلف منع و ظلفت نفس فلان بالكسر عن كذا أى كفت .

و أوجف أسرع كأنه جعل الذكر لشده تحريكه اللسان موجفا به كما توجف الناقه براكبها و الوجيف ضرب من السير .

ثم قال و قدم الخوف لأمانه اللام هاهنا لام التعليل أى قدم خوفه ليأمن و المخالجات الأمور المختلفه أى الجاذبه خلجه و اختلجه أى جذبته .

و أقصد المسالك أقومها و طريق قاصد أى مستقيم .

و فتله عن كذا أى رده و صرفه و هو قلب لفت .

و يروى قد عبر معبر العاجله حميدا و قدم زاد الآجله سعيدا .

وَأَكْمَشَ أَسْرَعَ وَ مِثْلُهُ انْكَمَشَ وَ رَجُلٌ كَمَشَ أَيْ سَرِيعٌ وَ قَدْ كَمَشَ بِالضَّمِّ كَمَا شَهِ فَهُوَ كَمَشٌ وَ كَمِيشٌ وَ كَمِشْتَهُ تَكْمِيشًا أَعْجَلْتَهُ .

قوله و رغب فى طلب و ذهب عن هرب أى و رغب فيما يطلب مثله و فر عما يهرب من مثله فأقام المصدر مقام ذى المصدر .

و نظر قدما أمامه أى و نظر ما بين يديه مقدما لم يثن و لم يعرج و الدال مضمومه هاهنا.

قال الشاعر يذم امرأه تمضى إذا زجرت عن سواه قدما كأنها هدم فى الجفر منقاض (١).

و من رواه بالتسكين جاز أن يعنى به هذا و يكون قد خفف كما قالوا حلم و حلم.

و جاز أن يجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح يقدم قدما أى تقدم قال الله تعالى يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢) أى يتقدمهم إلى ورودها كأنه قال و نظر بين يديه متقدما لغيره و سابقا إياه إلى ذلك و الباء فى بالجنه و بالنار و بالله و بالكتاب زائده و التقدير كفى الله و كفى الكتاب

ص: ٢٦٧

١- ١) الهدم بالتحريك: ما تهدم من نواحى البئر فسقط فى جوفها. و الجفر: البئر الواسعه لم تطو. و البيت أنشده ابن السيرافى عن ابن دريد مع أبيات هى: قد رابنى منك يا أسماء إعراض فدام منّا لكم مقت و إبغاض إن تبغضينى فما أحببت غانيه يروضها من لئام الناس رَوَّاض تمضى إذا زجرت عن سواه قدما كأنها هدم فى الجفر منقاض قل للغوانى أ ما فيكنّ فاتكه تعلقو اللئيم بضرب فيه إمحاض و انظر اللسان ١٥:٣٧٠.

٢- ٢) سورة هود ٩٨.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أُعِيدَ بِمَا أُنذِرَ وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَذَرَ كُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا فَأَظْلَمَ وَ
أَرْدَى وَوَعَدَ فَمَنِّي وَزَيْنَ سَيِّئَاتِ [الْبَيَاتِ]

الْجَرَائِمِ وَهُوَ مَوْبِقَاتِ الْعَظَائِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِيْنَتَهُ وَاسْتَعْلَقَ رَهِيْنَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيْنَ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَرَ مَا أَمَّنَ .

أعذر بما أنذر

ما هاهنا مصدرية أى أعذر بإنذاره و يجوز أن تكون بمعنى الذى .

و العدو المذكور الشيطان .

و قوله نفذ فى الصدور و نفث فى الأذان كلام صحيح بديع و فى قوله نفذ فى الصدور مناسبة

١٣٢١

لِقَوْلِهِ ص

الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ بَيْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ.

و النجى الذى يساره و الجمع الأنجيه قال إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه (١).

و قد يكون النجى جماعه مثل الصديق قال الله تعالى خَلَصُوا نَجِيًّا (٢) أى متناجين .

القرينه هاهنا الإنسان الذى قارنه الشيطان و لفظه لفظ التأنيث و هو مذكر أراد القرين قال تعالى فَبَسَّ الْقُرَيْنُ (٣) و يجوز أن
يكون أراد بالقرينه النفس و يكون

ص: ٢٦٨

١- ١) بعده: و اضطرب القوم اضطراب الأرشيه هناك أوصينى و لا توصى بيه و الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعى. اللسان ١٧٩: ٢٠.

٢- ٢) سورة يوسف ٨٠.

٣- ٣) سورة الزخرف ٣٨.

الضمير عائداً إلى غير المذكور لفظاً لما دل المعنى عليه لأن قوله فأضل و أردى و وعد فمضى معناه أضل الإنسان و أردى و وعده فمضى فالمفعول محذوف لفظاً و إليه رجع الضمير على هذا الوجه و يقال غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن فى الوقت المشروط فاستحقه المرتهن.

و هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ الْآيَه (١) وَ مِنْهَا فِي صِفِهِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ شُغِفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا [دِفَاقًا دِهَاقًا]

وَ عَلَقَهُ مِحَاقًا وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسَانًا لَافِظًا وَ بَصِيرًا لَاحِظًا لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَ حَبَطَ سَادِرًا مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحًا سَعِيًّا لِدُنْيَاهُ فِي لَدَاتِ طَرِيهِ وَ بَدَوَاتِ أَرِيهِ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لَا يَحْشَعُ تَقِيَّةً فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا [أَسِيرًا]

لَمْ يُفِدْ عَوْضًا [غَرَضًا]

وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا دَهْمَتُهُ فَجَعَلَتْ الْمَيِّتَةَ فِي عُجْبِهِ [عُجْبَهُ]

جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ فَظَلَّ سَادِرًا وَ بَاتَ سَاهِرًا فِي غَمَرَاتِ الْأَلَامِ وَ طَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَ الْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخِ شَقِيقٍ وَ وَالِدِ شَفِيقٍ

ص: ٢٦٩

وَدَاعِيهِ بِالْوَيْلِ جَزَعًا وَ لَادِمَهُ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَ الْمَرْءُ فِي سَيِّئِهِ مُلْهَثٌ وَ غَمْرُهُ كَارِثٌ وَ أَنَّهُ مُوجِعٌ وَ حَيْدُ بِهِ مُكْرِبٌ وَ سَوْقُهُ مُتْعَبٌ ثُمَّ
أُدرَجَ فِي أَكْفَانِهِ مُنْبَسًا [مُنْبَسًا]

وَ جِيذِبَ مُنْتَدَاً سَيْلِسًا ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْمَاعُودِ رَجِيعٌ وَ صَبٌّ وَ نِضْوٌ سَيِّمٌ تَحْمِلُهُ حَفْصَةٌ الْوَلَدَانِ وَ حَشْدُهُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَ
مُنْقَطِعٌ زُورَتِهِ وَ مُفْرَدٌ وَ حَشْتِهِ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُسَيِّعُ وَ رَجَعَ الْمُنْفَجِعُ [مُنْفَجِعٌ]

أَفْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتِهِ السُّوَالِ وَ عَيْثُهِ الْإِمْتِحَانِ وَ أَعْظَمَ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نَزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَضْيِئُهُ الْجَحِيمِ وَ فُورَاتُ السَّعِيرِ وَ
سُورَاتُ الزَّفِيرِ [السَّعِيرِ]

لَا- فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لَا- دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لَا- قُوَّةٌ حَاكِزَةٌ وَ لَا- مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لَا- سَيِّئَةٌ مُسْلِيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عِيَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللَّهِ
عَائِدُونَ .

أم

هنا إما استفهاميه على حقيقتها كأنه قال أعظكم و أذكركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان منذ ابتداء وجوده إلى حين
مماته و إما أن تكون منقطعه بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركا لما وعظهم به بل أتلو عليكم نبأ هذا الإنسان الذي حاله كذا .

الشغف بالغين المعجمه جمع شغاف بفتح الشين و أصله غلاف القلب يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه و قرئ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا (١) .
و الدهاق المملوءه و يروى دفاقا من دفقت الماء أى صببته .

قال و علقه محاقا المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر و سميت محاقا لأن القمر يمتحق فيهن أى يخفى و تبطل صورته و إنما جعل
العلقه محاقا هاهنا لأنها لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعد فكانت ممحوه ممحوه ممحوقه.

ص : ٢٧٠

و اليافع الغلام المرتفع أيفع و هو يافع و هذا من النوادر و غلام يفع و يفعه و غلمان أيفاع و يفعه أيضا .

قوله و خبط سادرا خبط البعير إذا ضرب بيديه إلى الأرض و مشى لا يتوقى شيئا .

و السادر المتحير و السادر أيضا الذى لا يهتم و لا يبالى ما صنع و الموضوع يحتمل كلا التفسيرين .

و الماتح الذى يستقى الماء من البئر و هو على رأسها و المائح الذى نزل البئر إذا قل مأؤها فيملاً الدلاء و سئل بعض أئمه اللغه عن الفرق بين الماتح و المائح فقال اعتبر نقطتى الإعجام فالأعلى للأعلى و الأدنى للأدنى و الغرب الدلو العظيمه و الكدح شده السعى و الحركة قال تعالى يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا (١) .

قوله و بدوات أى ما يخطر له من آرائه التى تختلف فيها دواعيه فتقدم و تحجم و مات غريرا أى شابا و يمكن أن يراد به أنه غير مجرب للأمر .

و الهفوه الزله هفا يهفو لم يفد عوضا أى لم يكتسب .

و غبر جماحه بقاياه قال أبو كبير الهذلى و مبرا من كل غبر حيضه و فساد مرضعه و داء مغيل (٢) .

و الجماح الشره و ارتكاب الهوى و سنن مراحه السنن الطريقه و المراح شده الفرج و النشاط .

قوله فضل سادرا السادر هاهنا غير السادر الأول لأنه هاهنا المغمى عليه كأنه

ص: ٢٧١

١-١ (١) سورة الانشقاق ٦.

٢-٢ (٢) ديوان الحماسه- بشرح التبريزى ١:٨٤ و المغيل، من الغيل؛ و هو أن تغشى المرأة و هى ترضع؛ فذلك اللبن الغيل.

سكران و أصله من صدر البعير من شدة الحرّ و كثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لا يحس و مراده ع هاهنا أنّه بدأ به المرض و لادمه للصدر ضاربه له و التدام النساء ضربهن الصدور عند النياحة سكره ملهته تجعل الإنسان لاهثا لشدتها لهث يلهث لهثانا و لهثا و يروى ملهيه بالياء أى تلهى الإنسان و تشغله.

و الكارثة فاعله من كثره الغم يكرثه بالضم أى اشتد عليه و بلغ منه غايه المشقه .

الجدبه جذب الملك الروح من الجسد أو جذب الإنسان إذا احتضر ليسجى .

و السوقه من سياق الروح عند الموت و المبلس الذى يئس من رحمه الله و منه سمى إبليس و الإبلاس أيضا الانكسار و الحزن و السلس السهل المقاده و الأعواد خشب الجنازه و رجيع و صب الرجيع المعنى الكال و الوصب الوجع و صب الرجل يوصب فهو و اصب و أوصبه الله فهو موصب و الموصب بالتشديد الكثير الأوجاع و النضو الهزيل و حشده الإخوان جمع حاشد و هو المتأهب المستعد و دار غربته قبره و كذلك منقطع زورته لأن الزيارة تنقطع عنده.

و مفرد وحشته نحو ذلك لانفراده بعمله و استيحاش الناس منه حتى إذا انصرف المشيع و هو الخارج مع جنازته أقعد فى حفرة هذا تصريح بعذاب القبر و سنذكر ما يصلح ذكره فى هذا الموضع .

و النجى المناجى و نزول الحميم و تصليه الجحيم من الألفاظ الشريفه القرآنيه (١).

ثم نفى ع أن يكون فى العذاب فتور يجد الإنسان معه راحه أو سكون يزيح عنه الألم أى يزيله أو أن الإنسان يجد فى نفسه قوه تحجز بينه و بين الألم أى تمنع و يموت موتا ناجزا معجلا فيستريح أو ينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الألم فى اليقظه كما فى دار الدنيا.

ص: ٢٧٢

١- ١) و هو قوله تعالى فى سورة الواقعة: فَتُنَزَّلُ مِنْ حَمِيمٍ* وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ..

ثم قال بين أطوار الموتات و هذا فى ظاهره متناقض لأنه نفى الموت مطلقا ثم قال بين أطوار الموتات و الجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسامها موتات لأن العرب تسمى المشقه العظيمة موتا كما قال إنما الميت ميت الأحياء (١).

و يقولون الفقر الموت الأحمر و استعمالهم مثل ذلك كثير جدا .

ثم قال إنا بالله عائذون عذت بفلان و استعذت به أى التجأت إليه

فصل فى ذكر القبر و سؤال منكر و نكير

و اعلم أن لقاضى القضاة فى كتاب طبقات المعتزله فى باب القبر و سؤال منكر و نكير كلاما أنا أورد هاهنا بعضه قال رحمه الله تعالى إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو و لما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزله و ليس الأمر كذلك بل المعتزله رجلان أحدهما يجوز عذاب القبر و لا يقطع به و هم الأقلون و الآخر يقطع على ذلك و هم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه و إنما تنكر المعتزله قول طائفه من الجهله إنهم يعذبون و هم موتى لأن العقل يمنع من ذلك و إذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته و لما يدفن يعلمون أنه لا يسمع و لا يبصر و لا يدرك و لا يألم و لا يلتذ فكيف يجوز عليه ذلك و هو ميت فى قبره و ما روى من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم و قوى حاسه سمعهم فسمعوا و هم أحياء.

ص: ٢٧٣

١ - ١) صدره: *ليس من مات فاستراح بميت* من أبيات قالها ابن الرعلاء الضبابى فى يوم عين أباغ.الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٦:١.

قال رحمه الله تعالى و أنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما في كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك في الجملة فالذى يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه و لذلك لسنا نوقت في التعذيب وقتا و إن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقارنه للدفن و إن كان لا نعينها بأعيانها.

هكذا قال قاضى القضاة و الذى أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضى القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين.

ثم إن قاضى القضاة سأل نفسه فقال إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة فكيف يعذب في القبر في أيام الدنيا.

و أجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح كما فعل في تعجيل إقامه الحدود على من يستحقها فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار .

ثم سأل نفسه فقال إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه.

و أجاب أننا لم نقل إن ذلك من مصالحه و هو ميت و إنما نقول إنه مصلحة أن نعلم في الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصى و قد يجوز أن يكون ذلك لطفًا للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب.

فأما القول في منكر و نكير فإنه سأل نفسه رحمه الله تعالى و قال كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم و عندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء.

و أجاب فقال إن التسميه إذا كانت لقباً لم يقع بها ذم لأن الذم إنما يقع لفائده الاسم والألقاب كالأشارات لا فائده تحتها و لذا يلقب الرجل المسلم بظالم و كلب و نحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب و يجوز أن يسميا بذلك من حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره و يرتاع منه فسميا منكرًا و نكيرًا .

قال و قد روى في المساءله في القبر أخبار كثيره و كل ذلك مما لا قبح فيه بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصح المنع عنه.

و جملة الأمر أن كل ما ثبت من ذلك بالتواتر و الإجماع و ليس بمستحيل في القدره و لا قبيح في الحكمه يجب القول به و ما عداه مما وردت به آثار و أخبار آحاد يجب أن يجوز و يقال إنه مظنون ليس بمعلوم إذا لم يمنع منه الدليل عباد الله أين الذين عَمَرُوا فَنَعِمُوا وَ عَلَّمُوا فَفَهَّمُوا وَ أَنْظَرُوا فَلَهَوْا وَ سَلَّمُوا فَنَسُوا أُمَّهُلُوا طَوِيلًا وَ مَنَحُوا جَمِيلًا وَ حُدِّدُوا أَلِيمًا وَ وَعِدُوا جَسِيمًا اخذروا الدُّنُوبَ الْمُؤَرَّطَةَ وَ الْعُيُوبَ الْمُسِيخَةَ أُولَى الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْعَافِيَةِ وَ الْمَتَاعِ هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَعْتَبُونَ وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَ الْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّهِ [مُنْعَفِرًا]

مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْئِهِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحِهِ

الْأَجْسَادِ وَبَاحِهِ الْإِحْتِشَادِ وَ مَهْلِ الْبَقِيَّةِ وَ أَنْفِ الْمَشِيَّةِ وَ إِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَ الْمَضِيْقِ وَ الرَّوْعِ وَ الرَّهْوَقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُتَنْظَرِ وَ إِخْذِهِ الْعَزِيْزِ الْمُقْتَدِرِ.

[قال الرضى رحمه الله و فى الخبر أنه ع لما خطب بهذه الخطبه اقشعرت لها الجلود و بكت العيون و رجفت القلوب و من الناس من يسمى هذه الخطبه الغراء]

نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس و جاء شاذاً نعم ينعم بالكسر و أنظروا أمهلوا و الذنوب المورطه التى تلقى أصحابها فى الورطه و هى الهلاك قال رؤبه (١) فأصبحوا فى ورطه الأوراط (٢).

و أصله أرض مطمئنه لا طريق فيها و قد أورطت زيذا و ورطته توريطا فتورط ثم قال ع أولى الأبصار و الأسماع ناداهم نداء ثانيا بعد النداء الذى فى أول الفصل و هو قوله عباد الله فقال يا من منحهم الله أبصارا و أسماعا و أعطاهم عافيه و متعهم متاعا هل من مناص و هو الملجأ و المفر يقال ناص عن قرنه مناصا أى فر و راوغ قال سبحانه وَ لَاتِ حِينَ مَنَاصٍ (٣).

ص: ٢٧٦

١-١) قبله: *نحن جمعنا الناس بالملطاط*.

٢-٢) اللسان ١٠:٣٠٤.

٣-٣) سوره ص ٣.

و المحار المرجع من حار يحور أى رجح قال تعالى إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١).

و يؤفكون يقلبون أفكه يافكه عن كذا قلبه عنه إلى غيره و مثله يصرفون .

و قيد قده مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح و قاد رمح و المراد هاهنا هو القبر لأنه بمقدار قامه الإنسان .

و المنعفر الذى قد لامس العفر و هو التراب .

ثم قال ع الآن و الخناق مهمل تقديره اعملوا الآن و أنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل فى أعناقكم و لم تقبض أرواحكم .

و الروح يذكر و يؤنث و الفينه الوقت و يروى و فينه الارتياح و هو الطلب .

و أنف المشيه أول أوقات الإراده و الاختيار .

قوله و انفساح الحوبه أى سعه وقت الحاجه و الحوبه الحاجه و الأرب قال الفرزدق فهب لى خنيسا و اتخذ فيه منه لحوبه أم ما يسوغ شرابها (٢) .

و الغائب المنتظر هو الموت.

قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى حدّثنى ثمامه قال سمعت جعفر بن يحيى و كان من أبلغ الناس و أفصحهم يقول الكتابه (٣) ضم اللفظه إلى أختها أ لم تسمعوا قول شاعر لشاعر و قد تفاخرا أنا أشعر منك لأننى أقول البيت و أخاه و أنت تقول البيت و ابن عمه ثم قال و ناهيك حسنا بقول على بن أبى طالب ع هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار .

ص: ٢٧٧

١-١) سورة الانشقاق ١٤.

٢-٢) ديوانه ٩٤:١. الحوبه: الحاجه، و خنيس: فتى كان بالجيش فى السند، مجمر-و التجمير: أن ينزل فى البعث و لا يرد-و كانت أمه امرأه من الشام؛ تشفعت بالفرزدق فى شأنه، فكتب إلى العامل أبياتا، و منها هذا البيت؛ و الخبر مذكور فى الديوان.

٣-٣) ب: «بضم»، و ما أثبتته من ا.

قال أبو عثمان و كان جعفر يعجب أيضا بقول علي ع أين من جد و اجتهد و جمع و احتشد و بني فشيده و فرش فمهده (١) و زخرف فنجد قال أ لا- ترى أن كل لفظه منها آخذة بعنق قرينتها جاذبه إياها إلى نفسها داله عليها بذاتها قال أبو عثمان فكان جعفر يسميه فصيح قريش . و اعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه ع أفصح من كل ناطق بلغه العرب من الأولين و الآخرين إلا من كلام الله سبحانه و كلام رسول الله ص و ذلك لأن فضيله الخطيب و الكاتب في خطابته و كتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ و مركباتها.

أما المفردات فأن تكون سهله سلسه غير وحشيه و لا- معقده و ألفاظه ع كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى و سرعه وصوله إلى الأفهام و اشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض و تلك الصفات هي الصناعات التي سماها المتأخرون البديع من المقابله و المطابقه و حسن التقسيم و ردّ آخر الكلام على صدره و الترصيع و التسهيم و التوشيح و المماثله و الاستعاره و لطفه استعمال المجاز و الموازنه و التكافؤ و التسميط و المشاكله.

و لا شبهه أن هذه الصفات كلها موجوده في خطبه و كتبه مبثوثة متفرقه في فرش كلامه ع و ليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره فإن كان قد عملها و أفكر فيها و أعمل رويته في رصفها (٢) و نشرها فلقد أتى بالعجب العجاب و وجب

ص: ٢٧٨

١- ١) ب: «و مهده».

٢- ٢) ب: «في صناعتها».

أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك لأنه ابتكره و لم يعرف من قبله و إن كان اقتضبها ابتداء و فاضت على لسانه مرتجله و جاش بها طبعه بديهه من غير رويه و لا اعتمال فأعجب و أعجب.

و على كلا- الأمرين فلقد جاء مجليا و الفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره و بحق ما قال معاويه لمحقن الضبي لما قال له جئتكم من عند أعيان الناس يا ابن اللخناء أ لعلى (١) تقول هذا و هل سن الفصاحه لقريش غيره.

و اعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئه يتعب و صاحبه منسوب إلى السفه و ليس جاحد الأمور المعلومه علما ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدله النظرية عليها

ص: ٢٧٩

١-١) ب لعلى: (١).

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَايِهِ وَ أَنِّي أَمْرُؤُ تَلْعَابُهُ أَعَافِسُ وَ أَمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِمًا أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ
الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ وَ يُسْأَلُ فَيُخَلِّ وَ يُسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ
زَاجِرٍ وَ أَمِيرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا خِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرَ [أَكْبَرَ]

مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ [الْقَوْمَ]

الْقَوْمَ [الْقَوْمَ]

سَبَّتُهُ أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ وَ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ
يُؤْتِيَهُ أَيْتَهُ وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَهُ .

الدعابه المزاح دعب الرجل بالفتح و رجل تلعبه بكسر التاء كثير اللعب و التلعب بالفتح مصدر لعب .

و المعافسه المعالجه و المصارعه و منه الحديث عافسنا النساء (١) و الممارسه نحوه .

يقول ع إن عمرا يقده فَي عند أهل الشام بالدعابه و اللعب و أنى كثير

ص : ٢٨٠

الممازحه حتى أنى ألاعب النساء و أغزلهن فعل المترف الفارغ القلب الذى تتقضى (١) أوقاته بملاذ نفسه .

و يلحف يلح فى السؤال قال تعالى لا يسئلون الناس الخافاً (٢) و منه المثل ليس للملحف مثل الرد .

و الإل العهد و لما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما و إن كان المعنى واحدا .

و معنى قوله ما لم تأخذ السيوف مأخذها أى ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرءوس أى هو ملء بالتحريض و الإغراء قبل أن تلتحم الحرب فإذا التحمت و اشتدت فلا يمكث و فعل فعلته التى فعل .

و السبه الاست و سبه يسبه طعنه فى السبه.

و يجوز رفع أكبر و نصبه فإن رفعت فهو الاسم و إن نصبت فهو الخبر .

و الأتية العطيه و الإيتاء الإعطاء و رضخ له رضخا أعطاه عطاء بالكثير و هى الرضيخه لما يعطى

نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره

و نحن نذكر طرفا من نسب عمرو بن العاص و أخباره إلى حين وفاته إن شاء الله.

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله و يقال أبو محمد .

ص: ٢٨١

١- ١) ب: «تنقضى».

٢- ٢) سورة البقره ٢٧٣.

أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ص والمكاشفين له بالعداوه والأذى وفيه وفي أصحابه أنزل قوله تعالى إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١).

و يلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره يعني رسول الله ص لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه فأنزل الله سبحانه إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٢).

١٣٢٢

١٤- وَ كَانَ عَمْرُو أَحَدَ مَنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ وَ يَشْتِمُهُ وَ يَضَعُ فِي طَرِيقِهِ الْحِجَارَةَ لِأَنَّهُ كَانَ ص يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ لَيْلًا فَيَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَ كَانَ عَمْرُو يَجْعَلُ لَهُ الْحِجَارَةَ فِي مَسِيلِكِهِ لِيُعْتَرِبَهَا وَ هُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى زَيْنَبَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص لَمَّا خَرَجَتْ مُهَاجِرَةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَوْعُوهَا وَ قَرَعُوا هُودَجَهَا بِكُعُوبِ الرِّمَاحِ حَتَّى أَجْهَضَتْ جَنِينًا مِيتًا مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بَعْلِهَا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ص نَالَ مِنْهُ وَ شَقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً وَ لَعَنَهُمْ رَوَى ذَلِكَ الْوَاقِدِيُّ .

١٣٢٣

١٤- وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا وَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ هَجَا رَسُولَ اللَّهِ ص هِجَاءً كَثِيرًا كَانَ يُعَلِّمُهُ صَبِيَانِ مَكَّةَ فَيُنْشِدُونَهُ وَ يَصْتَبِحُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِذَلِكَ الْهِجَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ هُوَ يُصَيِّمُنِي بِالْحَجْرِ اللَّهُمَّ إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ هَجَانِي وَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ فَالْعَنَهُ بِعَدَدِ مَا هَجَانِي .

١٣٢٤

١٤،١٥- وَ رَوَى أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ وَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَاهَدُوا إِلَى سَيْلَى (٣) جَمَلٍ فَرَفَعُوهُ بَيْنَهُمْ وَ وَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُوَ سَاجِدٌ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ فَسَالَ عَلَيْهِ فَصَبَّرَ وَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَ بَكَى فِي سُجُودِهِ وَ دَعَا عَلَيْهِمْ

ص: ٢٨٢

١- (١) سورة الحجر ٩٥.

٢- (٢) سورة الكوثر ٣.

٣- (٣) السَّيْلَى: جلده فيها الولد من الناس و المواشى.

فَجَاءَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ع وَ هِيَ بِيَاكِيهِ فَاحْتَضَتْ نَتَ ذَلِكَ السَّلَا فَرَفَعَتْهُ عَنْهُ فَأَلْقَتْهُ وَ قَامَتْ عَلَى رَأْسِهِ تَبْكِي فَرَفَعَ رَأْسَهُ ص وَ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ قَالَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ رَافِعًا صَوْتَهُ إِنِّي مَظْلُومٌ فَانْتَصِرْ قَالَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَ ذَلِكَ بَعِيدٌ وَفَاهِ عَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ بِشَهْرَيْنِ .

و لشده عداوه عمرو بن العاص لرسول الله ص أرسله أهل مكه إلى النجاشي ليزهده في الدين و ليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشه و ليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذکور مشهور في السير و سند ذكر بعضه .

فأما النابغه

١٣٢٥

فَقَدْ ذَكَرَ الرَّمَحْشَرِيُّ فِي كِتَابِ رِبِيعِ الْأَبْرَارِ قَالَ كَانَتْ النَّابِغَةُ أُمُّ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أُمُّ لِرَجُلٍ مِنْ عَنَزَةَ فَسَبِيَتْ فَاشْتَرَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُرَيْدَانَ التَّمِيمِيُّ بِمَكَّةَ فَكَانَتْ بَغِيًّا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ وَ هِشَامُ بْنُ الْمُعِيرَةِ الْمُخَزُومِيُّ وَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيُّ فِي طَهْرٍ وَاحِدٍ فَوَلَدَتْ عَمْرًا فَادَّعَاهُ كُلُّهُمْ فَحُكِّمَتْ أُمُّهُ فِيهِ فَقَالَتْ هُوَ مِنْ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَ ذَاكَ لِأَنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا كَثِيرًا قَالُوا وَ كَانَ أَشْبَهَ بِأَبِي سُفْيَانَ وَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَبُو كَأَبِ سُفْيَانَ لَا شَكَّ قَدْ بَدَتْ لَنَا فِيكَ مِنْهُ بَيِّنَاتُ السَّمَائِلِ .

١٣٢٦

وَ قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ

(١)

كَانَ اسْمُهَا سَلْمَى وَ تَلَقَّبَتْ بِالنَّابِغَةِ بِنْتُ حَزْمَلَةَ (٢) مِنْ بَنِي جِلَانَ بْنِ عَنَزَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ

ص: ٢٨٣

١-١ (١) الاستيعاب ص ٤٣٤.

٢-٢ (٢) الاستيعاب: «سبية بنى جلان».

أَصَابَهَا سَبَاءٌ فَصَارَتْ إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ بَعْدَ جَمَاعِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَوْلَدَهَا عَمْرًا. قَالَ أَبُو عَمَرَ يُقَالُ إِنَّهُ جُعِلَ لِرَجُلٍ أَلْفٌ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يَسِيَّأَلَ عَمْرًا وَهُوَ عَلَى الْمَنِيرِ مِنْ أُمِّهِ فَسَيَّأَلَهُ فَقَالَ أُمِّي سَيَلَّمِي بِنْتُ حَزْمَلَةَ تَلَقَّبَ بِالنَّابِغَةِ مِنْ بِنْتِي عَنَزَةَ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي جِلَّانَ وَ أَصَابَتْهَا رَاحٌ (١) الْعَرَبِ فَبِعَتْ بِعُكَاظَ فَاشْتَرَاهَا الْفَاكَةُ بْنُ الْمُغِيرَةَ ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهُ عَزِيدُ اللَّهِ بْنُ حُيَيْدَعَانَ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ فَوَلَدَتْ فَأَنْجَبَتْ فَإِنْ كَانَ جُعِلَ لَكَ شَيْءٌ فَخُذْ.

١٣٢٧

وَ قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ

(٢)

اسْمُهَا لَيْلَى وَ ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ وَ قَالَ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي مَوْضِعٍ مَوْضِعِي قَالَ الْمُبَرِّدُ وَ قَالَ الْمُنْدِرُ بْنُ الْجَارُودِ مَرَّةً لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْ لَا أَنَّ أُمَّكَ أُمَّكَ فَقَالَ إِنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ لَقَدْ فَكَّرْتُ الْبَارِحَةَ (٣) فِيهَا فَأَقْبَلْتُ أَنْقَلُهَا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ (٤) مِمَّنْ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ (٥) مِنْهَا فَمَا حَطَّرْتُ لِي عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى بَالٍ.

وَ قَالَ الْمُبَرِّدُ وَ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَكَّةَ فَرَأَى قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ جَلَسُوا حَلَقَةً فَلَمَّا رَأَوْهُ رَمَقُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ فَعَرِدَلِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَحْسَبُكُمْ كُنْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِي قَالُوا أَجَلٌ كُنَّا نَمْتَلُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ أَخِيكَ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ أَيُّكُمْ أَفْضَلُ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ هِشَامِ عَلَى أَرْبَعَةِ أُمَّةٍ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةَ وَ أُمِّي مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنِّْي وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَعْرِفَةَ الْوَالِدِ بَوْلَدِهِ وَ أَسْلَمَ قَبِيْلِي وَ اسْتَشْهَدَ وَ بَقِيَتْ.

١٣٢٨

وَ رَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ أَنَّ عَمْرًا اخْتَصَمَ فِيهِ يَوْمَ

ص: ٢٨٤

١-١) الاستيعاب (رماع).

٢-٢) الكامل ٧٩: ٤.

٣-٣) الكامل: (في هذا).

٤-٤-٤) ليس في نسخة الكامل المطبوعه.

٥-٤-٤) ليس في نسخة الكامل المطبوعه.

وَلَا دَتِيهِ رَجُلَانِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ فَقِيلَ لِتَحْكُمَ أُمُّهُ فَقَالَتْ أُمُّهُ إِنَّهُ مِنَ الْعَاصِمِ بْنِ وَائِلٍ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَمَا إِنِّي لَا أَشْكُ أَنِّي وَضَعْتُهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ فَأَبَتْ إِلَّا الْعَاصِمَ. فَقِيلَ لَهَا أَبُو سُفْيَانَ أَشْرَفُ نَسَبًا فَقَالَتْ إِنَّ الْعَاصِمَ بْنَ وَائِلٍ كَثِيرُ النَّفَقَةِ عَلَيَّ وَ أَبُو سُفْيَانَ شَحِيحٌ.

فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِمِ حَيْثُ هَجَاهُ مُكَافِنًا لَهُ عَنْ هَجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صِ أَبُوكَ أَبُو سُفْيَانَ لَا شَكَّ قَدْ بَدَتْ

مفاخره بين الحسن بن علي و رجالات من قريش

١٣٢٩

٢،١٤،١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي كِتَابِ الْمَفَاخِرَاتِ قَالَ اجْتَمَعَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِمِ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَ قَدْ كَانَ بَلَّغُهُمْ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عِ قَوَارِصٍ وَ بَلَّغَهُ عَنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْحَسَنَ قَدْ أَحْيَا أَبَاهُ وَ ذَكَرَهُ وَ قَالَ فَصَدَّقَ وَ أَمَرَ فَأُطِيعَ وَ خَفَقَتْ لَهُ النَّعَالُ وَ إِنَّ ذَلِكَ لِرَافِعِهِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَ لَا يَزَالُ يَبْلُغُنَا عَنْهُ مَا يَسُوءُنَا.

قَالَ مُعَاوِيَةَ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا ابْعَثْ عَلَيْهِ فليَحْضُرْ لِنَسْبِهِ وَ نَسَبَ أَبَاهُ وَ نُعْيِرُهُ وَ نُوبِّحَهُ وَ نُخْبِرَهُ أَنْ أَبَاهُ قَتَلَ عُثْمَانَ وَ نُقَرَّرُهُ بِذَلِكَ وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّرَ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

ص: ٢٨٥

قَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّي لَأَرَى ذَلِكَ وَلَا أَفْعَلُهُ قَالُوا عَزَمْنَا عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَتَفْعَلَنَّ فَقَالَ وَيْحَكُمْ لَا تَفْعَلُوا فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُهُ قَطَّ جَالِسًا عِنْدِي إِلَّا خِفْتُ مَقَامَهُ وَعَيْبُهُ لِي قَالُوا ابْعَثْ إِلَيْهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَالَ إِنْ بَعَثْتُ إِلَيْهِ لَأُنْصِفَنَّهُ مِنْكُمْ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَتَخَشَى أَنْ يَأْتِيَ بَاطِلُهُ عَلَى حَقِّنَا أَوْ يُرَبِّيَ قَوْلُهُ عَلَى قَوْلِنَا قَالَ مُعَاوِيَةُ أَمَا إِنِّي إِنْ بَعَثْتُ إِلَيْهِ لَأَمُرَّنَّهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ كُلِّهِ قَالُوا مُرَّهُ بِذَلِكَ.

قَالَ أَمَا إِذْ عَصَيْتُمُونِي وَبَعَثْتُمْ إِلَيْهِ وَابْتَيْتُمْ إِلَّا ذَلِكَ فَلَا تُمْرُضُوا (١) لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَعِيْبُهُمُ الْعَائِبُ وَلَا يَلْصِقُ بِهِمُ الْعَارُ وَ لَكِنْ افْذُقُوهُ بِحَجْرِهِ تَقُولُونَ لَهُ إِنْ أَبَاكَ قَتَلَ عُثْمَانَ وَ كَرِهَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ فَجَاءَهُ رَسُولُهُ فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ.

قَالَ مَنْ عِنْدَهُ فَسَيَمَاهُمُ لَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ ع مَا لَهُمْ خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ الْعَيْذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ قَالَ يَا جَارِيَةَ ابْنِعِينِي (٢) ثِيَابِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُرُورِهِمْ وَ أَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ وَ أَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهِمْ فَكَفَيْتُهُمْ كَيْفَ شِئْتَ وَ أَنَّى شِئْتَ بِحَوْلٍ مِنْكَ وَ قُوَّةٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ثُمَّ قَامَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَعْظَمَهُ وَ أَكْرَمَهُ وَ أَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَ قَدِ ارْتَادَ الْقَوْمُ وَ حَطَرُوا حَطْرَانَ الْفُحُولِ بَغِيًّا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَلَوْا ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنْ هَؤُلَاءِ بَعَثُوا إِلَيْكَ وَ عَصَوْنِي.

فَقَالَ الْحَسَنُ ع سُبْحَانَ اللَّهِ الدَّارُ دَارُكَ وَ الْبَادِنُ فِيهَا إِلَيْكَ وَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَجَبْتَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا وَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي لَكَ مِنَ الْفُحْشِ وَ إِنْ كَانُوا غَلَبُوكَ عَلَى رَأْيِكَ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي لَكَ مِنَ الضَّعْفِ فَأَيُّهُمَا تُقَرِّرُ وَ أَيُّهُمَا تُنْكِرُ أَمَا إِنِّي

ص: ٢٨٦

١- ١) فلا تمرضوا له؛ أي لا تجعلوا قولكم مريضا.

٢- ٢) ابغيني ثيابي، أي أعينني على إحضارها.

لَوْ عَلِمْتُ بِمَكَانِهِمْ جِئْتُ مَعِيَ بِمِثْلِهِمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَا لِي أَنْ أَكُونَ مُسْتَوْحِشًا مِنْكَ وَلَا مِنْهُمْ إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ ... وَهُوَ
يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ .

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا هَذَا إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَدْعُوكَ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ حَمَلُونِي عَلَى ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِي لَهُ وَإِنَّ لَكَ مِنْهُمْ النَّصْفَ وَمِنِّي وَ
إِنَّمَا دَعَوْنَاكَ لِنُقَرَّرَكَ أَنْ عُنْتِمَا أَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا وَأَنَّ أَبَاكَ قَتَلَهُ فَاسْتَمِعَ مِنْهُمْ ثُمَّ أَجَبَهُمْ وَلَا تَمْنَعُكَ وَخِدْتُكَ وَاجْتِمَاعَهُمْ أَنْ
تَتَكَلَّمَ بِكُلِّ لِسَانِكَ.

فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ ذَكَرَ عَلِيًّا عَ فَلَمْ يَثْرُكْ شَيْئًا يَعِيبُهُ بِهِ إِلَّا قَالَهُ وَقَالَ إِنَّهُ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَكَرِهَ
خِلَافَتَهُ وَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعَتِهِ ثُمَّ بَايَعَهُ مُكْرَهًا وَشَرِكَ فِي دَمِ عَمَرَ وَقَتَلَ عُثْمَانَ ظُلْمًا وَادَّعَى مِنَ الْخِلَافَةِ مَا لَيْسَ لَهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ يُعَيِّرُهُ بِهَا وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَسَاوِيَّ وَقَالَ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْطِيكُمْ الْمُلْكَ عَلَى قَتْلِكُمُ الْخُلَفَاءَ وَ
اسْتِحْلَالَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الدِّمَاءِ وَحِزْمِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ وَإِنِّي إِنَّاكُمْ مَا لَا يَحِلُّ ثُمَّ إِنَّكَ يَا حَسَنُ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ
صَائِرَةٌ إِلَيْكَ وَلَيْسَ عِنْدَكَ عَقْلٌ ذَلِكَ وَلَا لُبُّهُ كَيْفَ تَرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَلَبَكَ عَقْلَكَ وَتَرَكَكَ أَحْمَقَ قُرَيْشٍ يُسَخِّرُ مِنْكَ وَيَهْزَأُ
بِكَ وَذَلِكَ لِسُوءِ عَمَلِ أَبِيكَ وَإِنَّمَا دَعَوْنَاكَ لِنَسِيبِكَ وَأَبَاكَ فَأَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِهِ وَكَفَانَا أَمْرَهُ وَأَمَّا أَنْتَ فَإِنَّكَ فِي
أَيْدِينَا نَحْتَارُ فِيكَ الْخِصْيَالَ وَ لَوْ قَتَلْنَاكَ مَا كَانَ عَلَيْنَا إِثْمٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا عَيْبٌ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تَسِدُ تَطِيعُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا وَتَكْذِبْنَا فَإِنْ
كُنْتَ تَرَى أَنَا كَذِبْنَا فِي شَيْءٍ فَارْذُدْهُ عَلَيْنَا فِيمَا قُلْنَا وَإِلَّا فاعْلَمْ أَنَّكَ وَأَبَاكَ ظَالِمَانِ ثُمَّ تَكَلَّمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَقَالَ يَا
بَنِي هَاشِمٍ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَحْوَالُ عُثْمَانَ فَنِعَمَ الْوَلَدُ كَانَ لَكُمْ فَعَرَفَ حَقَّكُمْ وَكُنْتُمْ أَصْهَارَهُ فَنِعَمَ الصُّهْرُ كَانَ لَكُمْ يُكْرِمُكُمْ فَكُنْتُمْ

أَوَّلَ مَنْ حَسَدَهُ فَقَتَلَهُ أَبُوكَ ظُلْمًا لَا عُذْرَ لَهُ وَلَا حُجَّةَ فَكَيْفَ تَرَوْنَ اللَّهَ طَلَبَ بِدَمِهِ وَ أَنْزَلَ كُمْ مَنْزِلَتَكُمْ وَاللَّهُ إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ خَيْرٌ لِيَنِي هَاشِمٍ مِّنْ بَنِي هَاشِمٍ لِيَنِي أُمِّيَّةَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ نَفْسِكَ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سُوَيْبَانَ فَقَالَ يَا حَسَنُ كَذَانَ أَبُوكَ شَرُّ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ أَسِيفُكَهَا لِإِدْمَانِهَا وَأَقْطَعَهَا لِأَرْحَامِهَا طَوِيلَ السَّيْفِ وَاللَّسِيَانِ يَقْتُلُ الْحَيَّ وَيَعِيبُ الْمَيِّتَ وَإِنَّكَ مِمَّنْ قَتَلَ عُثْمَانَ وَ نَحْنُ قَاتِلُوكَ بِهِ وَ أَمَا رَجَاؤُكَ الْخِلَافَةَ فَلَسْتَ فِي زَنْدِهَا قَادِحًا وَلَا فِي مِيزَانِهَا رَاجِحًا وَإِنَّكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ قَتَلْتُمْ عُثْمَانَ وَإِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نَقْتُلَكَ وَأَخَاكَ بِهِ فَأَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَقَادَ مِنْهُ وَ أَمَا أَنْتَ فَوَ اللَّهُ مَا عَلَيْنَا لَوْ قَتَلْنَاكَ بِعُثْمَانَ إِيْتِمًا وَلَا عُذْوًا.

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَشَتَمَ عَلِيًّا وَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَعْيَبُهُ فِي قَضِيَّتِهِ يَحُونُ وَلَا فِي حُكْمِ يَمِيلُ وَ لَكِنَّهُ قَتَلَ عُثْمَانَ ثُمَّ سَكَتُوا.

فَتَكَلَّمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَحَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ص ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعِيدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَمَا هُوَ لِأَيِّ شَتْمُونِي وَ لَكِنَّكَ شَتَمْتَنِي فُحْشًا أَلْفَتْهُ وَ سُوءَ رَأْيٍ عَرَفْتَ بِهِ وَ خُلُقًا سَيِّئًا ثَبَّتَ عَلَيْهِ وَ بَغِيًّا عَلَيْنَا عِدَاوَةً مِنْكَ لِمُحَمَّدٍ وَ أَهْلِهِ وَ لَكِنْ أَسْمَعُ يَا مُعَاوِيَةُ وَ أَسْمَعُوا فَلَمَّا قَوْلَنَ فِيكَ وَ فِيهِمْ مَا هُوَ دُونَ مَا فِيكُمْ أَنْشَدُكُمْ اللَّهَ أَيُّهَا الرَّهْطُ أ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي شَتَمْتُمُوهُ مُنْذُ الْيَوْمِ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا وَ أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةُ بِهِمَا كَافِرٌ تَرَاهَا ضَالَّةً وَ تَعْبِيدُ اللَّاتِ وَ الْعُزَّى غَوَايَةَ وَ أَنْشَدُكُمْ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا بَيْعَةَ الْفَتْحِ وَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَ أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةُ يَا حِدَاهُمَا كَافِرٌ وَ بِالْأُخْرَى نَاكِثٌ وَ أَنْشَدُكُمْ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَوَّلَ النَّاسِ إِيمَانًا وَ أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةَ وَ أَبَاكَ

مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ تَسْتَزُونَ الْكُفْرَ وَ تَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ وَ تَسْتَمَالُونَ بِالْأَمْوَالِ وَ أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ أَلَسِيْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ رَأْيِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ يَذُرُ وَ أَنَّ رَأْيَهُ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَ مَعَ أَبِيهِ ثُمَّ لَقِيْتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَ يَوْمَ الْأَخْزَابِ وَ مَعَهُ رَأْيُهُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مَعَكُمْ وَ مَعَ أَبِيكَ رَأْيُهُ الشُّرُكِ وَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ وَ يُفْلِحُ حُجَّتُهُ وَ يَنْصُرُ دَعْوَتَهُ وَ يُصَدِّقُ حَدِيثَهُ وَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا عَنْهُ رَاضٍ وَ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَبِيكَ سَاخِطٌ وَ أَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةَ أَ تَذْكُرُ يَوْمًا جَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ وَ أَنْتَ تَسُوقُهُ وَ أَحْوَاكَ عَثْبُهُ هَذَا يَقُودُهُ فَزَاكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّاَكِبِ وَ الْقَائِمِ وَ السَّائِقِ أَ تَنْسِي يَا مُعَاوِيَةَ الشُّعْرَ الَّذِي كَتَبْتَهُ إِلَى أَبِيكَ لَمَّا هَمَّ أَنْ يُسَلِّمَ تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ يَا صِخْرُ لَا تُسَلِّمَنَّ يَوْمًا فَتَفْضَحَنَا وَ اللَّهُ لَمَّا أَخْفَيْتُ مِنْ أَمْرِكَ أَكْبَرُ مِمَّا أَبْدَيْتُ وَ أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الرَّهِيطُ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَّمَ الشَّهَوَاتِ عَلَى نَفْسِهِ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَنْزَلَ فِيهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ (١) وَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَعَثَ أَكْبَابِرَ أَصْحَابِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَنَزَلُوا مِنْ حِصِّيهِمْ فَهَزَمُوا فَبَعَثَ عَلِيًّا بِالرَّأْيِ فَاسْتَنْزَلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَ حُكْمِ رَسُولِهِ وَ فَعَلَ فِي خَيْبَرَ مِثْلَهَا

ص: ٢٨٩

(١-١) فرق، كفرح: فزع و اضطرب.

ثُمَّ قَالَ يَا مَعَاوِيَةَ أَظُنُّكَ لَا تَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ مَا دَعَا بِهِ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا إِلَى بَنِي خُزَيْمَةَ فَبِعَثَ إِلَيْكَ
 ابْنَ عَبَّاسٍ فَوَحَّدَكَ تَأْكُلُ ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى فَوَجَدَكَ تَأْكُلُ فَدَعَا عَلَيْكَ الرَّسُولُ بِجُوعِكَ (١) وَ نَهَمَكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَ
 أَنْتُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ نَشَدْتُمْ اللَّهَ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَعَنَ أَبَا سَيْفِيَانَ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ لَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا أَوْلَاهَا يَوْمَ لَقِيَ
 رَسُولَ اللَّهِ ص خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ يَدْعُو ثَقِيفًا إِلَى الدِّينِ فَوَقَعَ بِهِ وَ سَبَّهُ وَ سَفَّهَهُ وَ شَتَّمَهُ وَ كَذَّبَهُ وَ تَوَعَّدَهُ وَ هَمَّ أَنْ
 يَبْطِشَ بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدْرِفَ عَنْهُ وَ الثَّانِيَةَ يَوْمَ الْعَبْرِ إِذْ عَرَضَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَ هِيَ جَائِيَةٌ مِنَ الشَّامِ فَطَرَدَهَا أَبُو سَيْفِيَانَ
 وَ سَاحَلَ بِهَا فَلَمْ يَطْفِرِ الْمُسْلِمُونَ بِهَا وَ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ دَعَا عَلَيْهِ فَكَانَتْ وَقَعَهُ بَدْرٍ لِأَجْلِهَا وَ الثَّلَاثَةَ يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ وَقَفَ تَحْتَ
 الْجَبَلِ وَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي أَعْلَاهُ وَ هُوَ يُنَادِي اءَلُّ هُبْلُ مَرَارًا فَلَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عَشْرَ مَرَّاتٍ وَ لَعَنَهُ الْمُسْلِمُونَ وَ الرَّابِعَةَ يَوْمَ جَاءَ
 بِالْأَحْزَابِ وَ غَطَفَانَ وَ الْيَهُودِ فَلَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ ابْتَهَلَ وَ الْخَامِسَةَ يَوْمَ جَاءَ أَبُو سَيْفِيَانَ فِي قُرَيْشٍ فَصَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ص عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا سَيْفِيَانَ وَ لَعَنَ الْقَادَةَ وَ الْأَتْبَاعَ وَ قَالَ مَلْعُونُونَ
 كُلُّهُمْ وَ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَمَا يُرْجَى الْإِسْلَامُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِاللَّعْنَةِ فَقَالَ لَا تُصِيبُ اللَّعْنَةُ أَحَدًا مِنَ
 الْأَتْبَاعِ وَ أَمَّا الْقَادَةُ فَلَا يُفْلِحُ مِنْهُمْ أَحَدٌ

ص : ٢٩٠

(١- ١) زياده يقتضيها السياق، أخذت عن قصه جاءت في ترجمه معاويه في أسد الغابه ٤:٣٨٦ نقلها عن صحيح مسلم.

وَالسَّادِسَةُ يَوْمَ الْجَمَلِ الْمَأْخَمِ وَالسَّابِعَةُ يَوْمَ وَقَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْعَقَبَةِ لَيْسَ تَنْفَرُوا نَاقَتَهُ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فَهَذَا لَكَ يَا مُعَاوِيَةَ وَ أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ الْعَاصِ فَإِنَّ أَمْرَكَ مُشْتَرِكٌ وَضَعْتِكَ أُمَّكَ مَجْهُولًا مِنْ عَهْرٍ وَ سَفَاحَ فِيكَ أَرْبَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ فَغَلَبَ عَلَيْكَ جَزَارُهَا أَلَأُمُّهُمْ حَسَبًا وَ أَخْبَثُهُمْ مَنْصِبًا ثُمَّ قَامَ أَبُوكَ فَقَالَ أَنَا شَانِيءٌ مُحَمَّدٍ الْأَبْتَرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مَا أَنْزَلَ وَ قَاتَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي جَمِيعِ الْمَشَاهِدِ وَ هَجَوْتَهُ وَ آذَيْتَهُ بِمَكَّةَ وَ كِدَيْتَهُ كَيْدَكَ كُلَّهُ وَ كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لَهُ تَكْذِيبًا وَ عِدَاوَةً ثُمَّ خَرَجْتَ تُرِيدُ النَّجَاشِيَّ مَعَ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ لِتَأْتِيَ بِجَعْفَرٍ وَ أَصْحَابِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّا أَخْطَأَكَ مَا رَجَوْتَ وَ رَجَعَكَ اللَّهُ خَائِبًا وَ أَكْذَبَكَ وَ اِشْتِيَاءً جَعَلْتَ حَدَّكَ عَلَى صَاحِبِكَ عَمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ فَوَشِيَتْ بِهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ حَسَدًا لِمَا ارْتَكَبَ مَعَ حَلِيلَتِكَ فَفَضَحَكَ اللَّهُ وَ فَضَحَ صَاحِبَكَ فَأَنْتَ عَدُوٌّ بَيْنِي وَ بَيْنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ هَجَوْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِسَبْعِينَ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَقُولُ الشُّعْرَ وَ لَا يَتَّبِعُنِي لِي اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَلْفَ لَعْنَةٍ فَعَلَيْكَ إِذَا مِنَ اللَّهِ مَا لَا يُحْصِي مِنَ اللَّعْنِ وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ فَأَنْتَ سِعْرَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا نَارًا ثُمَّ لِحَقَّتْ بِفِلَسْطِينَ فَلَمَّا أَتَاكَ فَتَلَّهُ قُلْتَ أَنَا أَبُو عَدِيٍّ اللَّهُ إِذَا نَكَأْتُ قَرْحَهُ أَذْمَيْتُهَا ثُمَّ حَبَسْتَ نَفْسَكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ بَعْتَ دِينَكَ بِجَدُنِيَاءَ فَلَسْنَا نَلُومُكَ عَلَى بُغْضٍ وَ لَا نُعَاتِبُكَ عَلَى وُدٍّ وَ بِاللَّهِ

مَا نَصِرْتَ عُثْمَانَ حَيًّا وَلَا غَضَبْتَ لَهُ مَقْتُولًا وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ أَلَسْتَ الْقَائِلَ فِي بَنِي هَاشِمٍ لَمَّا خَرَجْتَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى النَّجَاشِيِّ
تَقُولُ ابْنَتِي أَبْنُ هَذَا الرَّحِيلِ فَهَذَا جَوَابُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ وَ أَمَا أَنْتَ يَا وَلِيدُ فَوَ اللَّهُ مَا أَلَوْمُكَ عَلَيَّ بَغْضِ عَلِيٍّ وَقَدْ جَلَدَكَ ثَمَانِينَ فِي
الْخَمْرِ وَقَتَلَ أَبَاكَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَبْرًا وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ الْفَاسِقَ وَ سَمَّيَ عَلِيًّا الْمُؤْمِنَ حَيْثُ تَفَاخَرْتُمَا فَقُلْتَ لَهُ اسْكُتْ
يَا عَلِيُّ فَأَنَا أَشْجَعُ مِنْكَ جَنَانًا وَأَطْوَلُ مِنْكَ لِسَانًا فَقَالَ لَكَ عَلِيُّ أَسِيكَتْ يَا وَلِيدُ فَأَنَا مُؤْمِنٌ وَأَنْتَ فَاسِقٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
مُؤَافَقِهِ قَوْلَهُ أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١) ثُمَّ أَنْزَلَ فِيكَ عَلَيَّ مُؤَافَقَهُ قَوْلَهُ أَيْضًا إِنَّ لِي لَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًا فَتَبَيَّنُوا
(٢) وَيْحَكَ يَا وَلِيدُ مَهْمَا نَسِيتَ فَلَا تَنْسَ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِيكَ وَ فِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ وَ الْكِتَابُ عَزِيزٌ فِي عَلِيٍّ وَ فِي الْوَلِيدِ قُرْآنًا

ص: ٢٩٢

١-١) سورة السجده ١٨.

٢-٢) سورة الحجرات ٦.

وَمَا أَنْتَ وَقُرَيْشٌ إِلَّا مَا أَنْتَ عَلِمْتَ مِنْ أَهْلِ صَيْفُورِيَّةَ وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَنْتَ أَكْبَرُ فِي الْمِيلَادِ وَأَسْنُ مِمَّنْ تُدْعَى إِلَيْهِ وَ أَمَا أَنْتَ يَا عُتْبَةَ
 فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِحَصِيْفٍ فَأُجِيبُكَ وَلَا عَاقِلٍ فَأُجِيبُكَ وَأَعَابِيكَ وَ مَا عِنْدَكَ خَيْرٌ يُرْجَى وَلَا شَرٌّ يُتَّقَى وَ مَا عَقْلُكَ وَ عَقْلُ
 أَمِيكَ إِلَّا سَوَاءٌ وَ مَا يَضُرُّ عَلِيًّا لَوْ سَبَّيْتَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَ أَمَا وَعِيدُكَ إِيَّايَ بِالْقَتْلِ فَهَلَّا قَتَلْتَ اللَّحْيَانِيَّ إِذَا وَجَدْتَهُ عَلَى
 فِرَاشِكَ أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ قَوْلِ نَضِيرِ بْنِ حَجَّاجٍ فِيكَ يَا لَلرَّجَالِ وَ حَادِثِ الْأَزْمَانِ وَ بَعْدَ هَذَا مَا أَرْبَأُ بِنَفْسِي عَنْ ذِكْرِهِ لِفُحْشِهِ فَكَيْفَ
 يَخَافُ أَحَدٌ سَيْفِكَ وَ لَمْ تُقْتَلْ فَاضْحَكَ وَ كَيْفَ أَلَوْمُكَ عَلَى بَعْضِ عَلِيٍّ وَ قَدْ قَتَلَ خَالَكَ الْوَلِيدَ مُبَارَزَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَ شَرِكَ حَمْزَةَ
 فِي قَتْلِ حَيْدِكَ عُتْبَةَ وَ أَوْحَدَكَ مِنْ أَخِيكَ حَنْظَلَةَ فِي مَقَامِ وَاحِدٍ وَ أَمَا أَنْتَ يَا مُغِيرَةَ فَلَمْ تَكُنْ بِخَلِيقٍ أَنْ تَقَعَ فِي هَذَا وَ شَبَّهَهُ وَ
 إِلَّا مَثَلُكَ مَثَلُ الْبُعُوضِ إِذْ قَالَتْ لِلنَّحْلَةِ اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي طَائِرَةٌ عَنْكَ فَقَالَتِ النَّحْلَةُ وَ هَلْ عَلِمْتُ بِكَ وَاقِعَهُ عَلَيَّ فَأَعْلَمَ بِكَ طَائِرَةٌ
 عَنِّي

وَاللَّهُ مَا نَشْعُرُ بِعَدَاوَتِكَ إِيَّانَا وَلَا اِعْتَمَمْنَا إِذْ عَلِمْنَا بِهَا وَلَا يَشُقُّ عَلَيْنَا كَلَامُكَ وَإِنَّ حَدَّ اللَّهِ فِي الزَّانَا لَثَابِتٌ عَلَيْكَ وَ لَقَدْ دَرَأَ عُمَرُ عَنْكَ حَقًّا اللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ وَ لَقَدْ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص هَلْ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا فَقَالَ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا مُغِيرَةَ مَا لَمْ يَنْوِ الزَّانَا لِعِلْمِهِ بِمَأْنِكَ زَانٍ وَ أَمَّا فَخْرُكُمْ عَلَيْنَا بِالْإِمَارَةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١).

ثُمَّ قَامَ الْحَسَنُ فَنَفَضَ ثَوْبَهُ وَ انصَبَ رَفَ فَتَعَلَّقَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِثَوْبِهِ وَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَهِدْتَ قَوْلَهُ فِي وَ قَذَفَهُ أُمِّي بِالزَّانَا وَ أَنَا مُطَالِبٌ لَهُ بِحِدِّ الْقَذْفِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ خَلَّ عَنْهُ لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَتَرَكَهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ قَدْ أَتَبَأْتُكُمْ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا تُطَاقُ عَارِضَتُهُ وَ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَسِيَّبُوهُ فَعَصَيْتُمُونِي وَ اللَّهُ بِمَا قَامَ حَيْتِي أَظْلَمَ عَلَيَّ الْعَبِيَّتِ قَوْمِيُوا عَنِّي فَلَقَدْ فَضَحَكُمْ اللَّهُ وَ أَخْرَاكُمْ بِعِتْرِكُمْ الْحَزَمَ وَ عُدُولِكُمْ عَنِ رَأْيِ النَّاصِحِ الْمُشْفِقِ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

عمرو بن العاص و معاوية

١٣٣٠

وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ قَالَ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُهُ حَاجَةً وَ قَدْ كَانَ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ عَنْهُ مَا كَرِهَهُ فَكَرِهَ قَضَاءَهَا وَ تَشَاغَلَ فَقَالَ عَمْرُو يَا مُعَاوِيَةَ إِنَّ السَّخَاءَ فِطْنَةٌ وَ اللُّؤْمُ تَغَافُلٌ وَ الْجَفَاءُ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا عَمْرُو بِمَاذَا تَسْتَحِقُّ مِنَّا قَضَاءَ الْحَوَائِجِ الْعِظَامِ فَغَضِبَ عَمْرُو وَ قَالَ بِأَعْظَمِ حَقٍّ وَ أَوْجِبِهِ إِذْ كُنْتُ فِي بَحْرِ عَجَاجٍ فَلَوْ لَا عَمْرُو لَعَرَفْتُ فِي أَقْلٍ مَائِهِ وَ أَرْقِهِ وَ لَكِنِّي دَفَعْتُكَ فِيهِ دَفْعَةً فَصِرْتُ فِي وَسْطِهِ ثُمَّ دَفَعْتُكَ فِيهِ أُخْرَى فَصِرْتُ فِي أَعْلَى الْمَوَاضِعِ مِنْهُ فَمَضَى حُكْمُكَ وَ نَفَذَ أَمْرُكَ وَ انطَلَقَ

ص: ٢٩٤

لِسَانِكَ بَعْدَ تَلَجُّجِهِ وَ أَضَاءَ وَجْهِكَ بَعْدَ ظُلْمَتِهِ وَ طَمَسَتْ لَكَ الشَّمْسُ بِالْعَيْنِ الْمَنفُوشِ وَ أَظْلَمَتْ لَكَ الْقَمَرُ بِاللَّيْلِ الْمُدْلِهِمِهِ.

فَتَنَازَمَ مُعَاوِيَةَ وَ أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ مَلِيًّا فَخَرَجَ عَمْرُو فَاسْتَوَى مُعَاوِيَةَ جَالِسًا وَ قَالَ لِجُلَسَائِهِ أَرَأَيْتُمْ مَا خَرَجَ مِنْ فَمِ ذَلِكَ الرَّجُلِ مَا عَلَيْهِ لَوْ عَرَّضَ فِيهِ التَّعْرِيفُ مَا يَكْفِي وَ لَكِنَّهُ جَبَّهْنِي (١) بِكَلَامِهِ وَ رَمَانِي بِسُمُومِ سَهَامِهِ.

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْحَوَائِجَ لَتَقْضَى عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ مُسْتَحَقًّا فَتُقْضَى لَهُ بِحَقِّهِ وَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ لثِيْمًا فَيُضَوِّ الشَّرِيفُ نَفْسَهُ عَنِ لِسَانِهِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ وَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَسْئُولُ كَرِيمًا فَيَقْضِيهَا لِكَرَمِهِ صَغُرَتْ أَوْ كَبُرَتْ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلَّهِ أَبُوكَ مَا أَحْسَنَ مَا نَطَقْتَ وَ بَعَثَ إِلَى عَمْرُو فَأَخْبَرَهُ وَ قَضَى حَاجَتَهُ وَ وَصَلَهُ بِصَلَةِ جَلِيلِهِ فَلَمَّا أَخَذَهَا وَلَّى مُنْصَرِفًا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٢) فَسَجِعَهَا عَمْرُو فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مُغْضَبًا وَ قَالَ وَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةُ لَا أَزَالُ أَخْذُ مِنْكَ قَهْرًا وَ لَا أُطِيعُ لَكَ أَمْرًا وَ أَخْفِرُ لَكَ بُرًّا عَمِيقًا إِذَا وَقَعْتَ فِيهِ لَمْ تُدْرِكْ إِلَّا رَمِيمًا (٣) فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ مَا أُرِيدُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ وَ إِنَّمَا كَانَتْ آيَةٌ تَلَوْتَهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَرَضْتُ بِقَلْبِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاوية

١٣٣١

وَ رَوَى التَّمِيمِيُّ قَالَ بَيْنَمَا مُعَاوِيَةُ يَوْمًا جَالِسًا عِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِذْ قَالَ الْآذِنُ قَدْ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ عَمْرُو وَ اللَّهُ لَأَسْوَأُهُ الْيَوْمَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَا تَفْعَلْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّكَ لَا تُنْصِفُ مِنْهُ وَ لَعَلَّكَ أَنْ تُظْهِرَ لَنَا مِنْ مَنْقَبَتِهِ مَا هُوَ خَفِيٌّ عَنَّا وَ مَا لَا نُحِبُّ أَنْ نَعْلَمَهُ مِنْهُ.

ص: ٢٩٥

(١-١) جبهه: لقيه بما يكره من الكلام.

(٢-٢) سورة التوبة ٥٨.

(٣-٣) الرميم: البالي من العظام.

وَ غَشِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَأَذَنَاهُ مُعَاوِيَةَ وَ قَرَّبَهُ فَمَالَ عَمْرُو إِلَى بَعْضِ جُلَسَاءِ مُعَاوِيَةَ فَنَالَ مِنْ عَلِيٍّ عِ جَهَارًا غَيْرَ سَاتِرٍ لَهُ وَ ثَلَبَهُ ثَلْبًا قَبِيحًا.

فَالْتَمَعَ لَوْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَ اعْتَرَاهُ أَفْكَلٌ حَتَّى أُرْعِدَتْ حَصَائِلُهُ (١) ثُمَّ نَزَلَ عَنِ السَّرِيرِ كَالْفَنِيْقِ (٢) فَقَالَ عَمْرُو مَهْ يَا أَبَا جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ مَهْ لَا أُمَّ لَكَ ثُمَّ قَالَ أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَ قَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٣).

ثُمَّ حَسِرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ وَ قَالَ يَا مُعَاوِيَةُ حَتَّامٌ نَتَجَرَّعُ غَيْظَكَ وَ إِلَى كَمِ الصَّبْرِ عَلَى مَكْرُوهِ قَوْلِكَ وَ سَيِّئِ أَدْبِكَ وَ ذَمِيمِ أَخْلَاقِكَ هَبْلَثَكَ الْهَبُولُ (٤) أَمَا يَزْجُرُكَ ذِمَامُ الْمُجَالَسَةِ عَنِ الْقُدْعِ لِجَلِيسِكَ إِذَا لَمْ تُكُنْ لَكَ حُرْمَةٌ مِنْ دِينِكَ تَنْهَاكَ عَمَّا لَا يَجُوزُ لَكَ أَمِيًا وَ اللَّهُ لَوْ عَطَفْتِكَ أَوَاصِرُ الْأَرْحَامِ أَوْ حَيَامِيَّتِ عَلَى سَهْمِكَ مِنَ الْأَسِيْلَامِ مِيَا أُرْعِيَتْ بَنِي الْإِمَاءِ الْمُتَثِّكَ (٥) وَ الْعَبِيدِ الصُّكِّ أَعْرَاضَ قَوْمِكَ.

وَ مِيَا يَجْهَلُ مَوْضِعَ الصَّفْوَةِ (٦) إِلَّا أَهْلَ الْجَفْوَةِ وَ إِنَّكَ لَتَعْرِفُ وَ شَائِظَ (٧) قُرَيْشٍ وَ صِدْبُوهُ غَرَائِزَهَا فَلَا يَدْعُونَكَ تَصْوِيبُ مَا فَرَطَ مِنْ خَطِيئِكَ فِي سَفْكَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ مُحَارَبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّمَادِي فِيْمَا قَدْ وَضَحَ لَكَ الصَّوَابُ فِي خِلَافِهِ فَاقْصِدْ لِمَنْهَجِ الْحَقِّ فَقَدْ طَالَ عَمَّهَكَ (٨) عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ وَ خَبَطَكَ فِي بُحُورِ ظُلْمِهِ الْغَيِّ.

ص: ٢٩٦

١- ١) الأفكل: الرعدة، و الخصائل: كل لحمه فيها عصب.

٢- ٢) الفنيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته.

٣- ٣) من أبيات لقيس بن زهير، و قوله: «يستجهل الرجل الحليم» أي إذا أخرج الحليم، فقد يتكلف ما لا يكون معهودا في طبعه.

٤- ٤) الهبول، بالفتح: المرأة الشكول.

٥- ٥) المتك: جمع متكئا؛ و هي الجارية البظراء و هو مما يسب به. و الرجل الأصك: المضطرب الرجلين، و جمع الأصك صك.

٦- ٦) صفوه القوم: خيارهم.

٧- ٧) يقال: هو وشيظه في قومه، و جمعه وشائظ، أي حشو فيهم.

٨- ٨) ب: «عماك».

فَإِنْ أَيْبَتِ أَلَّا تُتَابِعَنَا فِي فُتُوحِ اخْتِيَارِكَ لِنَفْسِكَ فَأَعْفِنَا مِنْ سُوءِ الْقَالِهِ فِينَا إِذَا ضَمَّنَا وَإِيَّاكَ النَّدِيَّ وَشَانِكَ وَ مَا تُرِيدُ إِذَا خَلَوْتَ وَ
اللَّهُ حَسِيْبُكَ فَوَ اللَّهُ لَوْ لَا مَا جَعَلَ اللَّهُ لَنَا فِي يَدَيْكَ لَمَّا أَتَيْتَاكَ.

ثُمَّ قَالَ إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقِي.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَفَسَمِئْتَ عَلَيْنِكَ لِتَجْلِسَنَّ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَخْرَجَ صَدْرِكَ مِنْ وَجَارِهِ مَحْمُولٌ لَكَ مَا قُلْتَ وَ لَكَ عِنْدَنَا مَا
أَمَلْتَ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَحْمَـدُكَ وَ مَنْصِبُكَ لَكَ إِنْ خُلِقْتَكَ وَ خَلَقْتِكَ شَافِعِينَ لَكَ إِلَيْنَا وَ أَنْتَ ابْنُ ذِي الْجَنَاحِينَ وَ سَيِّدُ بَنِي هَاشِمٍ
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَلَّا بَلْ سَيِّدُ بَنِي هَاشِمٍ حَسَنٌ وَ حَسِينٌ لَا يَنَازِعُهُمَا فِي ذَلِكَ أَحَدٌ.

فَقَالَ أَيُّ جَعْفَرٍ أَقْسَمْتَ عَلَيْنِكَ لَمَّا ذَكَرْتَ حَاجَةَ لَكَ إِلَّا قَضَيْتَهَا كَأَنَّهُ مَا كَانَتْ وَ لَوْ ذَهَبَتْ بِجَمِيعِ مَا أَمْلَكَ فَقَالَ أَمَّا فِي هَذَا
الْمَجْلِسِ فَلَا تُنْصِرَفَ.

فَاتَّبَعَهُ مُعَاوِيَةُ بِصَرِّهِ وَ قَالَ وَ اللَّهُ لَكَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مَشِيئُهُ وَ خُلُقُهُ وَ خَلَقَهُ وَ إِنَّهُ لَمِنْ مَشْكَاةِهِ وَ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ أَخِي بِنَفْسِ مَا أَمْلَكَ.

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ مَا تَرَاهُ مَنَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَعَكَ قَالَ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَنكَ قَالَ أَظُنُّكَ تَقُولُ إِنَّهُ هَابَ جَوَابِكَ لَا
وَ اللَّهُ وَ لَكِنَّهُ أزدْرَاكَ وَ اسْتَحْقَرَكَ وَ لَمْ يَرَكَ لِلْكَلَامِ أَهْلًا أَمَا رَأَيْتَ إِقْبَالَهُ عَلَيَّ دُونَكَ ذَاهِبًا بِنَفْسِهِ عَنكَ.

فَقَالَ عَمْرٍو فَهَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا أَعَدَدْتُهُ لِحَوَابِهِ قَالَ مُعَاوِيَةُ أَذْهَبَ إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَلَا تَحِينَ جَوَابِ سَائِرِ الْيَوْمِ.

وَ نَهَضَ مُعَاوِيَةُ وَ تَفَرَّقَ النَّاسُ.

١،٢،٣- وَرَوَى الْمَدَائِنِيُّ أَيْضًا قَالَ وَفَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَرَّةً فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَ لِزِيَادِ بْنِ سُرَيْمَةَ وَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَ سَعِيدِ بْنَ الْعَاصِ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أُمِّ الْحَكَمِ إِنَّهُ قَدْ طَالَ الْعَهْدُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَ مَا كَانَ شَجَرَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ وَ لَقَدْ كَانَ نَصَبَهُ لِلتَّحْكِيمِ فَدَفِعَ عَنْهُ فَحَرَّكَوهُ عَلَى الْكَلَامِ لِنَبْلُغَ حَقِيقَةَ صِفَتِهِ وَ نَقِفَ عَلَى كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَ نَعْرِفَ مَيَا صِيرِفَ عَنَّا مِنْ شَبَابِ حَدِّهِ وَ زُؤَى عَنَّا مِنْ دَهَاءِ رَأْيِهِ فَرُبَّمَا وَصِفَ الْمَرْءُ بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ وَ أُعْطِيَ مِنَ النَّعْتِ وَ الْإِسْمِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَلَمَّا دَخَلَ وَ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ ابْتَدَأَهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا مَنَعَ عَلَيْنَا أَنْ يُوجَّهَ بِكَ حَكَمًا فَقَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ فَعَلَ لَقَرَنَ عَمْرًا بِصِيغِهِ مِنَ الْإِبِلِ يُوجَعُ كَفَّهُ (١) مُرَاسِيهَا وَ لَأَذْهَلْتُ عَقْلَهُ وَ أَجْرَضْتُهُ بِرِيقِهِ وَ قَدَحْتُ فِي سُؤْيِدَائِهِ قَلْبَهُ فَلَمْ يُبْرَمْ أَمْرًا وَ لَمْ يَنْفُضْ تَرَابًا إِلَّا- كُنْتُ مِنْهُ بِمَرَأَى وَ مَسْمِعَ فَيَأْنِ أَنْكَأَهُ أَدْمِيَّتُ قُوَاهُ وَ إِنْ أَدَمِهِ فَصِيْمَتْ عُرَاهُ بِغَرْبِ مَقُولٍ لَا يُفِيْلُ حَدُّهُ وَ أَصَالِهِ رَأْيٍ كَمُتَاحِ الْأَجْلِ لَا وَرَرَ مِنْهُ أَصْدَعُ بِهِ أَدِيمَهُ وَ أَفْلُ بِهِ شَبَابِ حَدِّهِ وَ أَشْحَذُ بِهِ عَزَائِمَ الْمُتَّقِينَ وَ أُرِيحُ بِهِ شَبَةَ الشَّاكِينَ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ هَذَا وَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نُجُومُ أَوَّلِ الشَّرِّ وَ أَقُولُ آخِرِ الْخَيْرِ وَ فِي حَسْمِهِ قَطْعُ مَا دَتِهِ فَبَادِرُهُ بِالْحَمَلِ وَ انْتِهَزُ مِنْهُ الْفُرْصَةَ وَ ارْدَعُ بِالتَّنْكِيلِ بِهِ غَيْرَهُ وَ شَرَّدُ بِهِ مَنْ خَلَفَهُ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا ابْنَ النَّبَاغِهِ ضَلَّ وَ اللَّهُ عَقْلُكَ وَ سِيفَهُ حِلْمُكَ وَ نَطَقَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ هَلَّا تَوَلَّيْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ يَوْمَ صِفِّينَ حِينَ دُعِيَتْ نَزَالِ (٢) وَ تَكَافَحَ الْأَبْطَالُ

ص: ٢٩٨

١- ١) ا: «كفيه».

٢- ٢) نزال هنا بمعنى المنازلة.

وَكَثُرَتِ الْجِرَاحُ وَتَقَصَّفَتِ الرِّمَاحُ وَبَرَزَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُصَاوِلًا. فَانْكَفَأَ نَحْوَكَ بِالسَّيْفِ حَامِلًا. فَلَمَّا رَأَيْتَ الْكُوشَرَ مِنَ الْمَوْتِ أَعِيدَتْ حِيلَهُ السَّلَامَةَ فَبِيلَ لِقَائِهِ وَالْإِنْكَفَاءَ عَنْهُ بَعْدَ إِجَابَةِ دُعَائِهِ فَمَنْحَتْهُ رَجَاءَ النَّجَاهِ عَوْرَتَكَ وَكَشَفَتْ لَهُ خَوْفَ بَأْسِهِ سَوَاتِكَ حَيْدَرًا أَنْ يَضِيَّ طَلِمَكَ بِسَيْطَوْتِهِ وَيَلْتَهِمَكَ بِحَمَلِهِ ثُمَّ أَشْرَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ كَالنَّاصِحِ لَهُ بِمِيَارِزَتِهِ وَحَسَّنَتْ لَهُ التَّعَرُّضَ لِمُكَافَحَتِهِ رَجَاءً أَنْ تَكْتَفِي مَثُونَتَهُ وَتَعْدَمَ صُورَتَهُ فَعَلِمَ غَلَّ صَدْرِكَ وَ مَا انْحَنَتْ عَلَيْهِ مِنَ النَّفَاقِ أَضْلَعَكَ وَعَرَفَ مَقَرَّ سَهْمِكَ فِي غَرَضِكَ.

فَمَا كُفِّ غَرَبَ لِسَانِكَ وَاقْمَعَ عَوْرَاءَ لَفْظِكَ فَإِنَّكَ لَمِنْ أَسِيدِ خَادِرٍ (١) وَبَحْرِ زَاخِرٍ إِنْ تَبَرَّزْتَ لِلْأَسِيدِ افْتَرَسَكَ وَإِنْ عُمْتَ فِي الْبَحْرِ قَمَسَكَ (٢).

فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّكَ لَتَضِيرُفُ أُنْيَابِكَ وَتُورِي نَارَكَ كَأَنَّكَ تَرْجُو الْعَلْبَةَ وَتُؤْمَلُ الْعَافِيَةَ وَ لَوْلَا حِلْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكُمْ لَتَنَاوَلَكُمُ بِأَقْصَرِ أُنَامِلِهِ فَأُورِدَكُمُ مِنْهَا بَعِيدًا صَدْرُهُ وَ لَعَمْرِي لَئِنْ سَطَا بِكُمْ لَيَأْخُذَنَّ بَعْضَ حَقِّهِ مِنْكُمْ وَ لَئِنْ عَفَا عَنْ جَرَائِرِكُمْ فَقَدِيمًا مَا نُسِبَ إِلَيَّ ذَلِكَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ يَا عِدُوَّ اللَّهِ وَ طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ وَ الْمُبَاحِ دَمُهُ وَ الدَّاحِلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَ رَعِيَّتِهِ بِمَا حَمَلَهُمْ عَلَى قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَ رُكُوبِ أُنْبَاجِهِ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ طَلَبَ مُعَاوِيَةُ نَارَهُ لَأَخَذَكَ بِهِ وَ لَوْ نَظَرَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ لَوَجَدَكَ أَوْلَاهُ وَ آخِرَهُ.

وَ أَمَا قَوْلُكَ لِي إِنَّكَ لَتَضِيرُفُ أُنْيَابِكَ وَ تُورِي نَارَكَ فَسَلْ مُعَاوِيَةَ وَ عَمْرًا يُخْبِرَاكَ لَيْلَهُ الْهَرِيرِ كَيْفَ ثَبَاتْنَا لِلْمَثَلَاتِ وَ اسْتِخْفَافُنَا بِالْمُعْضَلَاتِ وَ صِدْقُ جِلَادِنَا عِنْدَ الْمُصَاوِلَةِ وَ صَبْرُنَا

ص: ٢٩٩

١-١) أسد خادر: مقيم في خدره.

٢-٢) قمسك: غمسك، و في (١): «غمسك».

عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالْمُطَاوَلَةِ وَ مُصَافِحَتِنَا بِجِبَاهِنَا السُّيُوفَ الْمُرْهَفَةَ وَ مُبَاشَرَتِنَا بِنُحُورِنَا حَدَّ الْأَسِنَّةِ هَلْ خِمْنَا (١) عَنْ كَرَائِمِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ
أَمْ لَمْ نَبْدُلْ مُهَجَّنَا لِلْمَتَالِفِ وَ لَيْسَ لَكَ إِذْ ذَاكَ فِيهَا مَقَامٌ مَحْمُودٌ وَ لَا يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَ لَا أَثَرٌ مَعْدُودٌ وَ إِنَّهُمَا شَهِدَا مَا لَوْ شَهِدْتَ
لَأَقْلَقَكَ فَارْبِعَ عَلَى ظَلْعِكَ وَ لَا تَتَعَرَّضُ لِمَا لَيْسَ لَكَ فَإِنَّكَ كَالْمَغْرُورِ فِي صَفْدٍ لَا يَهْبِطُ بِرَجُلٍ وَ لَا يَرْقَى بِيَدٍ.

فَقَالَ زِيَادُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا مَنَعَ حَسَيْنًا وَ حَسَيْنًا مِنَ الْوُفُودِ مَعَكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَا سَوَّلَتْ لَهُمَا أَنْفُسُهُمَا وَ غَرَّهُمَا
بِهِ مَنْ هُوَ عِنْدَ النَّبَأِ سَلَّمَهُمَا وَ أَيَّمُ اللَّهُ لَوْ وَلِيْتُهُمَا لَأَدَّابَا فِي الرَّحْلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمَا وَ لَقَلَّ بِمَكَانِهِمَا لَبْتُهُمَا.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَنْ وَ اللَّهُ يَقْضِي دُونَهُمَا بَاعُكَ وَ يَضِيقُ بِهِمَا ذِرَاعُكَ وَ لَوْ رُمْتَ ذَلِكَ لَوَجَدْتَ مِنْ دُونِهِمَا فِتْنَةً صُدْقًا صُبْرًا عَلَى
الْبَلَاءِ لَا يَخِيْمُونَ عَنِ اللَّقَاءِ فَلَعَرَّكَوْكَ بِكَلَاكِلِهِمْ وَ وَطَّوْكَ بِمَنَاسِكِهِمْ وَ أَوْجَرُوْكَ مَشَقَّ رِمَاحِهِمْ وَ شَفَارَ سِيُوفِهِمْ وَ وَخَزَ أَسِنَّتِهِمْ
حَتَّى تَشْهَدَ بِسُوءٍ مَا أَتَيْتَ وَ تَتَبَّيْنَ ضَمِيْعَ الْحَزْمِ فِيمَا جَنَيْتَ فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنْ سُوءِ النَّيِّهِ فَتُكَافَأُ بِزَدِ الْأُمِّيَّةِ وَ تَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ هَذَيْنِ
الْحَيَيْنِ بَعْدَ صَلَاحِهِمَا وَ سَعِيًّا فِي اخْتِلَافِهِمَا بَعْدَ ائْتِلَافِهِمَا حَيْثُ لَا يَضُرُّهُمَا إِبْسَاسُكَ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمَا إِبْنَاسُكَ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِلَّهِ دَرُّ ابْنِ مُلْجَمٍ فَقَدْ بَلَغَ الْأَمَلَ وَ أَمِنَ الْوَجَلَ وَ أَحَدَ الشَّفْرَةَ وَ أَلَانَ الْمُهْرَةَ وَ أَدْرَكَ النَّارَ وَ نَفَى
الْعَارَ وَ فَازَ بِالْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا وَ رَقِيَ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ كَرَعَ كَأْسَ حَنْفِهِ بِيَدِهِ وَ عَجَلَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ بِرُوحِهِ

ص: ٣٠٠

(١ - ١) خمننا: ضعفنا.

وَلَوْ أَبَدَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَفْحَتَهُ لَخَالَطَهُ الْفَحْلُ الْقَطْمُ (١) وَالسَّيْفُ الْخِذْمُ (٢) وَاللَّعَقَةُ صَابًا وَسَقَاهُ سَمًّا وَالْحَقَّةُ بِالْوَلِيدِ وَعُتْبَةُ
وَخَنْظَلَةُ فَكُلُّهُمْ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ شَكِيمَةً وَأَمْضَى عَزِيمَةً فَفَرَى بِالسَّيْفِ هَامَهُمْ وَرَمَلَهُمْ (٣) بِدِمَائِهِمْ وَقَرَى الذَّنَابَ أَشْلَاءَهُمْ وَفَرَّقَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ أَوْلِيَتِكَ حَصَبُ جَهَنَّمَ هُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٤) وَهَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٥) وَلَا غَزْوًا إِنْ
خِتِلَ وَلَا وَصْمَةً إِنْ قُتِلَ فَإِنَّا [فَإِنَّمَا]

لَكَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَمِ فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرُ مُكْرَهٍ

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَمِيًّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالنَّصِيحَةِ يَحِيحُ فَمَا تَرَى رَأْيَهُ وَمَضَى عَلَى غُلُوَائِهِ فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ وَإِنِّي
لَأُحْسِبُ أَنَّ خَلْقَهُ يَفْتَدُونَ بِمَنْهَجِهِ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَعْلَمَ بِوُجُوهِ الرَّأْيِ وَمَعَاقِدِ الْحَزْمِ وَتَضْرِيْفِ الْأُمُورِ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ مَشُورَتَكَ فِيمَا نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَّفَ عَلَيْهِ قَالَ سُبْحَانَهُ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٦) وَلَقَدْ وَفَّفَكَ عَلَى ذِكْرِ
مُبِينٍ وَآيِهِ مَثَلُوهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

ص: ٣٠١

١-١) القطم: الفحل الصئول.

٢-٢) الخدم: القاطم.

٣-٣) رملهم: لطنهم.

٤-٤) سورة الأنبياء ٩٨.

٥-٥) سورة مريم ٩٨.

٦-٦) من كلمه له فى الأغانى ٥: ١٠ (طبعه الدار)، و فى الأغانى: *غير نكيره... و نلحمه حينا* و لحمه: أى أطعمه اللحم.

وَ هَيْلٌ كَانَ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يُحَكِّمَ فِي دِمَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ وَ فَيْءِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ عِنْدَهُ وَ لَا مُؤْتَوِقٍ بِهِ فِي نَفْسِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ هُوَ أَعْلَمُ بِفَرْضِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ أَنْ يُبْطِنَ خِلَافَ مَا يُظْهَرُ إِلَّا لِلتَّقِيهِ وَ لَا تَ حِينَ تَقِيهِ مَعَ وَضُوحِ الْحَقِّ وَ ثُبُوتِ الْجِنَانِ وَ كَثْرَةِ الْأَنْصَارِ يَمْضِي كَالسَّيْفِ الْمُصَلَّتِ فِي أَمْرِ اللَّهِ مُؤْتِرًا لِعِطَاعِهِ رَبِّهِ وَ التَّقْوَى عَلَى آرَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّكَ لَتَنْطِقُ بِلِسَانِ طَلِقٍ يُنْبِئُ عَن مَكُونِ قَلْبٍ حَرِقٍ فَاطُوا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ كَشْحًا فَقَدْ مَحَا ضَوْءَ حَقِّنَا ظُلْمَهُ بِاطِّبِكُمْ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَهْلًا يَزِيدُ فَوَ اللَّهُ مَا صَفَتِ الْقُلُوبُ لَكُمْ مُنْذُ تَكَدَّرَتْ بِالْعِدَاوَةِ (٢) عَلَيْكُمْ وَ لَا- دَنْتَ بِالمَحَبَّةِ إِلَيْكُمْ مُنْذُ نَأَتْ بِالْبَغْضَاءِ عَنْكُمْ لَا رَضِيْتُ الْيَوْمَ مِنْكُمْ مَا سَخَطْتُ بِالْأَمْسِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ إِنْ تَدَلَّ (٣) الْأَيَّامُ نَسْتَفْضِ مَا سَدَّ عَنَّا وَ نَسْتَرْجِعُ مَا ابْتَرَزْنَا مِنَّا كَيْلًا بِكَيْلٍ وَ وَزْنَا بِوَزْنٍ وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا لَنَا وَ وَكَيْلًا عَلَى الْمُعْتَدِينَ عَلَيْنَا.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ فِي نَفْسِي مِنْكُمْ لِحَزَازَاتٍ يَا بَنِي هَاشِمٍ وَ إِنِّي لَخَلِيقٌ أَنْ أُدْرِكَ فِيكُمْ النَّارَ وَ أَنْفِي الْعَارَ فَإِنَّ دِمَاءَنَا قَبْلَكُمْ وَ ظَلَامَتَنَا فِيكُمْ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اللَّهُ إِنْ رُمْتَ ذَلِكَ يَا مُعَاوِيَةُ لَتَشِيرَنَّ عَلَيْكَ أُسْدًا مُخْدِرَةً (٤) وَ أَفَاعِي مُطْرِقَةً لَا يَفْتَوُّهَا كَثْرَةُ السَّلَاحِ وَ لَا يَعْضُهَا نَكَايَةُ الْجِرَاحِ يَضَعُونَ أَسْيَافَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ يَضْرِبُونَ قُدَمَا قُدَمَا مَنْ نَاوَأَهُمْ يَهُونُ عَلَيْهِمْ نُبَاحُ الْكِلَابِ وَ عَوَاءُ الذُّنَابِ

١-١ (١) سورة الكهف ٥١.

٢-٢ (٢) ساقطه من ب.

٣-٣ (٣) يقال: دالت الأيام، أي درت، و هو من قوله تعالى: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..

٤-٤ (٤) الأسد الخادر و المخدر: المقيم في الخدر؛ و هو العرين.

لَا يُفَاتُونَ بَوْتِرٍ وَلَا يُسَبِّقُونَ إِلَى كَرِيمٍ ذَكَرٍ قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ وَ سَمَتْ بِهِمْ إِلَى الْعَلْيَاءِ هَمُّهُمْ كَمَا قَالَتِ الْأَزْدِيَّةُ قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْهَيْبَاجَ فَلَا

فَلَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ بِحَيْثُ أَعْدَدَتْ لَيْلَهُ الْهَرِيرِ لِلْهَرَبِ فَرَسِيكَ وَ كَدَانَ أَكْبَرُ هَمِّكَ سَيَلَامَهُ حُشَّاشِهِ نَفْسِكَ وَ لَوْ لَا طَعَامٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَ قَوْكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَ يَذَلُّوا دُونَكَ مُهَجَّهُمْ حَتَّى إِذَا ذَاقُوا وَخَزَ الشُّفَارِ وَ أَيْقَنُوا بِحُلُولِ الدَّمَارِ رَفَعُوا الْمَصِيحَةَ حِفْ مُسِيحِينَ بِهَا وَ عَائِدِينَ بَعْضَتَهَا لَكُنْتَ شَلُوءًا (١) مَطْرُوحًا بِالْعَرَاءِ تَسْفِي عَلَيْكَ رِيَاحَهَا وَ يَعْتَوِرُكَ ذُبَابُهَا.

وَ مَا أَقُولُ هَذَا أُرِيدُ صِرْفَكَ عَنْ عَزِيمَتِكَ وَ لَا إِزَالَتَكَ عَنْ مَعْقُودِ بَيْتِكَ لَكِنَّ الرَّحِمَ الَّتِي تَعَطَّفَ عَلَيْكَ وَ الْأَمْرَ الَّتِي تُوجِبُ صِرْفَ النَّصِيحَةِ إِلَيْكَ.

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِلَّهِ دُرُكُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَكْشِفُ الْأَيَّامُ مِنْكَ إِلَّا عَنْ سَيْفِ صَيْقِيلٍ وَ رَأْيِ أَصْبِيلٍ وَ بِاللَّهِ لَوْ لَمْ يَلِدْ هَاشِمٌ غَيْرَكَ لَمَا نَقَصَ عَدَدُهُمْ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِكَ سِوَاكَ لَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَثَّرَهُمْ.

ثُمَّ نَهَضَ فَقَامَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ انْصَرَفَ

١٣٣٣

وَ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ فِي أَمَالِيهِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ أَمَا تَرَى ابْنَ عَبَّاسٍ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ نَشَرَ أذُنَيْهِ وَ لَوْ قَدَرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِمَا فَعَلَ وَ إِنَّ غَفْلَةَ أَصْحَابِهِ لَمَجْبُورَةٌ بِفِطْنَتِهِ وَ هِيَ سَاعَتُنَا الطُّولَى فَكَفِينِيهِ.

قَالَ عُتْبَةُ بِجُهْدِي.

ص: ٣٠٣

(١ - ١) الغينه: الأشجار الملتفة في الجبال و في السهول بلا ماء؛ فإذا كانت بماء فهي الغيضة. و الغينه أيضا: موضع باليمن.

قَالَ فَقُمْتُ فَقَعَيْدْتُ إِلَى جَانِبِهِ فَلَمَّا أَخَذَ الْقَوْمُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِالْحَدِيثِ فَفَرَعَ يَدَيَّ وَقَالَ لَيْسَتْ سَاعَهُ حَدِيثٍ قَالَ فَأَظْهَرْتُ غَضَبًا وَقُلْتُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ ثِقَتِكَ بِأَحْلَامِنَا أَسِيرَعَتْ بِحُكِّكَ إِلَى أَعْرَاضِنَا وَقَدْ وَاللَّهِ تَقَدَّمَ مِنْ قَبْلِ الْعُذْرُ وَكَثُرَ مِنَّا الصَّبْرُ ثُمَّ أَقْدَعْتُهُ فِحَاشَ لِي مِرْجَلُهُ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَخَذُوا بِأَيْدِينَا فَنَحَّوهُ عَنِّي وَنَحَوْنِي عَنْهُ فَجِئْتُ فَقُرْبْتُ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَرَمَانِي بِمُؤَخَّرِ عَيْنَيْهِ وَقَالَ مَا صَنَعْتَ فَقُلْتُ كَفَيْتُكَ التَّقْوَالَهَ فَحَمَحَمَ كَمَا يُحَمِّحُمُ الْفَرَسُ لِلشَّعِيرِ قَالَ وَفَاتِ ابْنَ عَبَّاسٍ أَوَّلُ الْكَلَامِ فَكَرِهَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي آخِرِهِ.

و قد ذكرنا نحن هذا الخبر فيما تقدم في أخبار صنفين على وجه آخر غير هذا الوجه

عمارہ بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشه

فأما خبر عماره بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد

١٣٣٤

١٤- ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْمَعَارِي قَالَ كَانَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ بَعْدَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَ خَرَجَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ عَلَى شِرْكِهِمَا وَ كِلَاهُمَا كَانَ شَاعِرًا عَارِمًا فَاتِكَأ.

وَ كَانَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا جَمِيلًا وَسِيمًا تَهَوَّاهُ النِّسَاءُ صَاحِبَ مُحَادَثَةٍ لَهْنٍ فَرَكِبَا الْبَحْرَ وَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ امْرَأَتُهُ حَتَّى إِذَا صَارُوا فِي الْبَحْرِ لِيَالِي أَصَابَا مِنْ حَمْرٍ مَعَهُمَا فَلَمَّا انْتَشَى عُمَارَةُ قَالَ لِامْرَأَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَبْلِي فَقَالَ لَهَا عَمْرُو قَبْلِي ابْنَ عَمِّكَ فَقَبَّلَتْهُ فَهَوِيهَا عُمَارَةُ وَ جَعَلَ يَرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاَمْتَنَعَتْ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا جَلَسَ عَلَى مِنْجَافٍ (١)

ص: ٣٠٤

(١-١) المنجاف: سكان السفينه.

السَّفِينَةَ يُبُولُ فَدَفَعَهُ عُمَارَةُ فِي الْبَحْرِ فَلَمَّا وَقَعَ عَمْرُو سَبَّحَ حَتَّى أَخَذَ بِمِنْجَافِ السَّفِينَةِ فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ سَابِحٌ مَا طَرَحْتُكَ وَ لَكِنِّي كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ السَّبَّاحَةَ فَضَعِنَ عَمْرُو عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ أَرَادَ قَتْلَهُ وَ مَضَى عَلَى وَجْهِهِمَا ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَلَمَّا نَزَلَاهُمَا كَتَبَ عَمْرُو إِلَى أَبِيهِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ أَنْ اخْلَعْنِي وَ تَبَرَّأْ مِنْ جَرِيرَتِي إِلَى بَنِي الْمُغِيرَةَ وَ سَيَائِرِ بَنِي مَخْرُومٍ وَ خَشِيَ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يُتَّبَعَ بِجَرِيرَتِهِ فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ مَشَى إِلَى رِجَالِ بَنِي الْمُغِيرَةَ وَ بَنِي مَخْرُومٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَدْ خَرَجَا حَيْثُ عَلِمْتُمْ وَ كِلَاهُمَا فَاتَكَ صَاحِبُ شَرِّ غَيْرِ مَأْمُونِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَ لَا أَدْرِي مَا يَكُونُ مِنْهُمَا وَ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ مِنْ عَمْرُو وَ جَرِيرَتِهِ فَقَدْ خَلَعْتُهُ فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو الْمُغِيرَةَ وَ بَنُو مَخْرُومٍ وَ أَنْتَ تَخَافُ عَمْرًا عَلَى عُمَارَةَ وَ نَحْنُ فَقَدْ خَلَعْنَا عُمَارَةَ وَ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مِنْ جَرِيرَتِهِ فَخَلَّ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ فَخَلَعُوهُمَا وَ بَرِّئُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَ مَا يَجْرِي مِنْهُ.

قَالَ فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ لَمْ يَلْبَثْ عُمَارَةُ بَنُ الْوَلِيدِ أَنْ دَبَّ لِامْرَأَةِ النَّجَاشِيِّ وَ كَانَ جَمِيلًا صَبِيحًا وَسِيمًا فَأَدْخَلَتْهُ فَاخْتَلَفَ إِلَيْهَا وَ جَعَلَ إِذَا رَجَعَ مِنْ مِدْخَلِهِ ذَلِكَ يُخْبِرُ عَمْرًا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَيَقُولُ عَمْرُو لَا أَصِدِّقُكَ أَنَّكَ قَدَرْتَ عَلَى هَذَا إِنْ شَأْنُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَرْفَعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ عُمَارَةُ بِمَا كَانَ يُخْبِرُهُ وَ كَانَ عَمْرُو قَدْ عَلِمَ صِدْقَهُ وَ عَرَفَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَ رَأَى مِنْ حَالِهَا وَ هَيْئَتِهَا وَ مَا تَصْنَعُ الْمَرْأَةُ بِهِ إِذَا كَانَ مَعَهَا وَ بَيَّنَّتْهُ عِنْدَهَا حَتَّى يَأْتِيَ إِلَيْهِ مَعَ السَّحْرِ مَا عُرِفَ بِهِ ذَلِكَ وَ كَانَا فِي مَنْزِلٍ وَاحِدٍ وَ لَكِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِشَيْءٍ لَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ إِنْ هُوَ رَفَعَ شَأْنَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَالَ لَهُ فِي بَعْضِ

مَا يَتَذَكَّرَانِ مِنْ أَمْرَهَا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَقُلْ لَهَا فَلْتِيذْهْنُكَ بِدُهْنِ النَّجَاشِيِّ الَّذِي لَا يَدُهْنُ بِهِ غَيْرُهُ فَإِنِّي أَعْرِفُهُ وَائْتِنِي بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَصَدِّقَكَ قَالَ أَفْعَلُ.

فَجَاءَ فِي بَعْضِ مَا يَدْخُلُ إِلَيْهَا فَسَأَلَهَا ذَلِكَ فَدَهَنَتْهُ مِنْهُ وَ أَعْطَتْهُ شَيْئًا فِي قَارُورِهِ فَلَمَّا شَمَّهُ عَمَرُو عَرَفَهُ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ لَقَدْ أَصَبْتَ شَيْئًا مَا أَصَابَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ مِثْلَهُ قَطُّ وَ نَلْتَ مِنْ (١) امْرَأَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا (٢) مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا وَ كَانُوا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَ شُبَّانًا وَ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَضَلُّ لِمَنْ أَصَابَهُ وَ قَدَرَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ حَتَّى اطمأنَّ وَ دَخَلَ عَلَى النَّجَاشِيِّ (٣) فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنْ مَعِيَ سَيْفِيهَا مِنْ سَيْفِيهَا فُرَيْشٍ وَ قَدْ حَشَيْتُ أَنْ يَعْرِضَنِي (٤) عِنْدَكَ أَمْرُهُ وَ أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَكَ بِشَأْنِهِ وَ أَلَّا أَرْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْكَ حَتَّى أَشْتَبِتَ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِكَ فَأَكْثَرَ وَ هَذَا دُهْنُكَ قَدْ أَعْطَتْهُ وَ أَدَهَنَ بِهِ.

فَلَمَّا شَمَّ النَّجَاشِيُّ الدُّهْنَ قَالَ صَدَقْتَ هَذَا دُهْنِي الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ نِسَائِي فَلَمَّا أَثْبَتَ أَمْرُهُ دَعَا بِعُمَارَةَ وَ دَعَا نِسْوَةَ أُخْرَ فَجَرَّدُوهُ مِنْ ثِيَابِهِ ثُمَّ أَمَرَهُنَّ أَنْ يَنْفُخْنَ فِي إِخْلِيلِهِ ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ.

فَخَرَجَ هَارِبًا فِي الْوَحْشِ فَلَمْ يَزَلْ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى كَانَتْ خِلَافَةُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ وَ كَانَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ بُجَيْرًا فَلَمَّا أَسْلِمَ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدَ اللَّهِ فَصَدَّوهُ عَلَى مِيَاءٍ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ كَمَا يَرِدُهُ مَعَ الْوَحْشِ فَزَعَمُوا أَنَّهُ أَقْبَلَ فِي حُمْرٍ مِنْ حُمْرِ الْوَحْشِ لِيَرِدَ مَعَهَا فَلَمَّا وَجَدَ رِيحَ الْإِنْسِ هَرَبَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ وَرَدَّ فَشَرِبَ حَتَّى تَمَلَّأَ وَ خَرَجُوا فِي طَلَبِهِ.

ص: ٣٠٦

١-١) تكمله من الأغانى.

٢-٢-٢) الأغانى: «حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي».

٢-٢-٣) الأغانى: «حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي».

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَسَبَقْتُ إِلَيْهِ فَالْتَرَمْتُهُ فَجَعَلَ يَقُولُ أُرْسِلْنِي إِنْ أَمُوتُ إِنْ أَمْسَيْتَنِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَضَبَطْتُهُ (١) فَمَاتَ فِي يَدِي مَكَانَهُ فَوَارَوْهُ ثُمَّ انْصَرَفُوا.

وَ كَانَ شَعْرُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ قَدْ غَطَّى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَذُكُرُ مَا كَانَ صَيَّنَعَ بِهِ وَ مَا أَرَادَ مِنْ امْرَأَتِهِ تَعَلَّمَ عُمَارَ أَنَّ مِنْ شَرِّ سُنَّهِ

(٢)

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشه

و أما خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشه ليكيد جعفر بن أبي طالب و المهاجرين من المؤمنين عند النجاشي (٣) فقد رواه كل من صنف في السيره

١٣٣٥

١٤- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابِ الرَّهْرِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ الْمَخْزُومِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيَّةِ زَوْجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَتْ لَمَّا نَزَلْنَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارِ النَّجَاشِيِّ أَمِنَّا (٤) عَلَى دِينِنَا وَ عَبْدَنَا اللَّهُ لَا نُؤْذِي كَمَا كُنَّا نُؤْذِي بِمَكَّةَ وَ لَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا اتَّمَرُوا

ص: ٣٠٧

١- (١) في الأغاني: «فضغطته».

٢- (٢) الخبر و الشعر في الأغاني ٥٧:٩-٥٩ (طبعة الدار).

٣- (٣) النجاشي، و بتخفيفها.

٤- (٤) في الأصول «أمننا» و ما أثبتته من السيره.

بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِي أَمْرِنَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هِدَايَا مِمَّا يُسْتَرْفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ الْأَدَمُ فَجَمَعُوا أَدَمًا كَثِيرًا وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدُوا إِلَيْهِ هِدَايَةً ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمُخْزُومِيَّ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا اذْفَعَا إِلَيَّ كُلَّ بِطْرِيقٍ هِدَايَتَهُ قَبْلَ أَنْ تَكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ.

ثُمَّ قَدِمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فِي خَيْرِ دَارٍ عِنْدَ خَيْرِ حِارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هِدَايَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ثُمَّ قَالَ لِلْبَطَارِقَةِ إِنَّهُ قَدْ فَرَّ (١) إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مَنَا غِلْمَانٌ سِيْفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِنُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَبَا (٢) هِدَايَا الْمَلِكِ إِلَيْهِ فَقَبِلَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ فَرَّ إِلَى بِلَادِكَ مَنَا غِلْمَانٌ سِيْفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ حِيَاءُوا بِدِينِ ابْتِدَاعِهِمْ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ وَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِمْ إِلَيْكَ أَشْرَافَ قَوْمِنَا مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِنُرَدَّهُمْ عَلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَايَنُوهُ مِنْهُمْ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ.

فَقَالَتْ بَطَارِقَةُ الْمَلِكِ وَحَوَاصُّهُ حَوْلَهُ صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ

ص: ٣٠٨

١-١) السيرة: «ضوى»، أي أوى.

٢-٢) السيرة: «؟؟؟».

بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْلِمْهُمْ الْمَلِكُ إِلَيْهِمَا لِيُرِدَّاهُمْ (١) إِلَى بِلَادِهِمْ وَ قَوْمِهِمْ.

فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَقَالَ لَا هَا اللَّهُ إِذَا لَا أُسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أُخْفِرُ (٢) قَوْمًا جَاوَرُونِي وَ نَزَلُوا بِلَادِي وَ اخْتَارُونِي عَلَى سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَ أُسْلِمَهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَا فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُونَ أُسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَ رَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ وَ إِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمْ وَ أَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

فَالْتَمَّ أَرْسِلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِمَّا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا نَقُولُ وَ اللَّهُ مِمَّا عَلِمْنَاهُ وَ مَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِينًا ص كَانْنَا فِي ذَلِكَ (٣) مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَ قَدْ دَعَا النَّجَاشِيَّ أَسَاقِفْتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَ لَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَ لَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ قَالَتْ أُمُّ سَيْلَمَةَ وَ كَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّا كُنَّا قَوْمًا فِي جَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَ نَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَ نَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَ نَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَ نُسِيءُ الْجَوَارَ وَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْنَا رَسُولًا مِمَّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَ صِدْقَهُ وَ أَمَانَتَهُ وَ عِفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَ نَعْبُدَهُ وَ نَخْلَعَ مَا كُنَّا عَلَيْهِ نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْجِبَارَةِ وَ الْأَوْثَانِ وَ أَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَ آدَاءِ الْأَمَانَةِ وَ صِلَةِ الرَّحِمِ وَ حُسْنِ التَّجَاوُرِ وَ الْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الدَّمَاءِ وَ نَهَانَا عَنِ سَائِرِ الْفَوَاحِشِ وَ قَوْلِ الزُّورِ وَ أَكْلِ مَيْالِ الْيَتِيمِ وَ قَدْفِ الْمُحْضَيْنِ وَ أَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَ بِالصَّلَاةِ وَ بِالزَّكَاةِ وَ الصِّيَامِ.

ص: ٣٠٩

١-١) السيرة: «فليرداهم».

٢-٢) في السيرة: «و لا يكاد قوم».

٣-٣) من السيرة.

قَالَتْ (١) فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا فَصَدَّقْنَاهُ وَ آمَنَّا بِهِ وَ اتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحَدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَ حَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَ أَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمًا فَعَدَّ بُونَا وَ فَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرُدُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَ أَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ فَلَمَّا قَهَرُونَا وَ ظَلَمُونَا وَ ضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَ حَالُوا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَ اخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَ رَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَ رَجَوْنَا أَلَّا نُظَلَّمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ فَهَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ صَاحِبُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْءٌ فَقَالَ جَعْفَرٌ نَعَمْ فَقَالَ اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كَهَيْعِصِ فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ وَ بَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى اخْضَلُّوا لِحَاهُمْ (٢) ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ وَ اللَّهُ إِنَّ هَذَا وَ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مَشْكَاهِ وَاحِدَةٍ وَ اللَّهُ لَا أَسْلِمُكُمْ إِلَيْهِمْ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَلَمَّا خَرَجَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (٣) وَ اللَّهُ لَأَعْيِبُهُمْ غَدًا عِنْدَهُ بِمَا يَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءُ هُمْ (٤) فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَ كَانَ أَنْتَقَى الرَّجُلَيْنِ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَ إِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُوا قَالَ وَ اللَّهُ لَأُخْبِرَنَّكَ غَدًا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ عَبْدٌ ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَرِدِ فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهِمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَمَا نَزَلَ بِنَا مِثْلَهَا وَ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَقُولُ فِيهِ وَ اللَّهُ مَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّنَا عَ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَقَالَ جَعْفَرُ نَقُولُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ

ص: ٣١٠

١-١) في الأصول: «قال»، و ما أثبتته من السيره.

٢-٢) السيره: «أخضلوا مصاحفهم».

٣-٣-٣) السيره: «و الله لآتينه غدا عنه بما أستأصل به خضراءهم، أى جماعتهم».

٣-٣-٤) السيره: «و الله لآتينه غدا عنه بما أستأصل به خضراءهم، أى جماعتهم».

وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ وَ أَخَذَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ مَا عَدَا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ مَا قَالَ هَذَا الْعُودُ.

قَالَتْ فَقَدْ كَانَتْ بَطَارِقَتُهُ تَنَاحَرَتْ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ جَعْفَرٌ مَا قَالَ فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ وَإِنْ تَنَاحَرْتُمْ.

ثُمَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيُومٌ بِأَرْضِي أَيْ آمِنُونَ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ مَا أُحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا (١) ذَهَبًا وَأَنْ لِي آذِيَتْ رَجُلًا مِنْكُمْ وَالِدَبْرٌ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ رُدُّوا عَلَيْهِمَا هِدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حَتَّى رَدَدَنِي إِلَى مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِييَ أَفْطِيعُهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ فَخَرَجَ الرَّجُلَانِ مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحِينَ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ (٢) دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَوَاللَّهِ مَا أَصَابْنَا خَوْفٌ وَحُزْنٌ قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ خَوْفٍ وَحُزْنٍ نَزَلَ بِنَا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقَّنَا مَا كَانَ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ وَسَارَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النَّبْلِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَ مِنْ رَجُلٍ يَخْرُجُ حَتَّى يَخْضُرَ وَقَعَهُ الْقَوْمُ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبْرِ فَقَالَ الرَّبِيزِيُّ بْنُ الْعَوَّامِ أَنَا وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْمُسْلِمِينَ (٣) سِنًا فَفَخُورًا لَهُ قَرْبَهُ فَجَعَلْنَاهَا تَحْتَ صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَّحَ

ص: ٣١١

١- ١) في الأصول: «دينا»، و الصواب من السيره.

٢- ٢) السيره: «بخير».

٣- ٣) السيره: «القوم».

عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّبِيلِ الَّتِي بِهَا يَلْتَقَى الْقَوْمُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ قَالَتْ وَ دَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَ التَّمَكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ فَوَ اللَّهُ إِنَّا لَعَلَى ذَلِكِ مُتَوَقِّعُونَ لِمَا هُوَ كَائِنٌ إِذْ طَلَعَ الزُّبَيْرُ يَسْعَى وَ يُلَوِّحُ بِثَوْبِهِ وَ يَقُولُ أَلَا أَبْشَرُوا فَقَدْ ظَهَرَ النَّجَاشِيُّ وَ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ.

قَالَتْ فَوَ اللَّهُ مَا أَعْلَمْنَا فَرِحْنَا فَرِحَهُ مِثْلَهَا قَطُّ وَ رَجَعَ النَّجَاشِيُّ وَ قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ وَ تَمَكَّنَ وَ مَكَّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ وَ اسْتَيْتَوَقَّ لَهُ أَمْرَ الْحَبَشَةِ فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ وَ دَارٍ إِلَى أَنْ رَجَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ (١)

١٣٣٦

وَ رُوِيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ لَقَدْ كَادَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَمَّنَا جَعْفَرًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ وَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ بِأَنْوَاعِ الْكَيْدِ رَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِلُطْفِهِ رَمَاهُ بِالْقَتْلِ وَ السَّرْقِ وَ الزُّنَا فَلَمْ يَلْصِقْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْعُيُوبِ لِمَا شَاهَدَهُ الْقَوْمُ مِنْ طَهَارَتِهِ وَ عِبَادَتِهِ وَ نُسْبِكِهِ وَ سَيِّمَاتِهِ عَلَيْهِ فَلَمَّا نَبَا مَعُوذُ عَنْ صِفَاتِهِ هَيَّا لَهُ سَمًا قَدَفَهُ إِلَيْهِ فِي طَعَامٍ فَأَرْسَلَ اللَّهُ هِرًا كَفَأَ تِلْكَ الصَّحْفَةَ وَ قَدَّمَ يَدَهُ نَحْوَهُ ثُمَّ مَاتَ لَوْفَتِهِ وَ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا فَتَبَيَّنَ لِجَعْفَرٍ كَيْدُهُ وَ عَائِلَتُهُ فَلَمْ يَأْكُلْ بَعْدَهَا عِنْدَهُ وَ مَا زَالَ ابْنُ الْجَزَّارِ عَدُوًّا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

أمر عمرو بن العاص في صفين

و أما خبر عمرو في صفين و اتقائه حمله على ع بطرحه نفسه على الأرض و إبداء سواته فقد ذكره كل من صنف في السير كتابا و خصوصا الكتب الموضوعه لصفين .

ص: ٣١٢

(١-١) الخبر في سيره بن هشام ٢١١:١-٢١٣ (على هامش الروض الأنف).

١- قَالَ نَصِيرُ بْنُ مُزَاهِمٍ فِي كِتَابِ صَفِينٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ (١) كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِدُوًّا لِلْحَارِثِ بْنِ نَضْرٍ الْخَنْعَمِيِّ (٢) وَكَانَ مِنْ أَصِحَابِ عَلِيٍّ ع وَكَانَ عَلِيٌّ ع قَدْ تَهَيَّبَتْهُ فُؤْسَانُ الشَّامِ وَملَأَ قُلُوبَهُمْ بِشَجَاعَتِهِ وَامْتَنَعَ كُلُّ مِنْهُمْ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ وَكَانَ عَمْرُو قَلَمًا جَلَسَ مَجْلِسًا إِلَّا ذَكَرَ فِيهِ الْحَارِثُ بْنُ نَضْرٍ الْخَنْعَمِيِّ وَعَابَهُ فَقَالَ الْحَارِثُ لَيْسَ عَمْرُو بِتَارِكٍ ذَكَرَهُ الْحَارِثُ

فَشَاعَتْ هَذِهِ الْأُيُيَاتُ حَتَّى بَلَغَتْ عَمْرًا فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لِيَلْقَيْنَ عَلِيًّا وَ لَوْ مَاتَ أَلْفَ مَوْتَةٍ فَلَمَّا اخْتَلَطَتِ الصُّفُوفُ لَقِيَهُ فَحَمَلَ عَلَيْهِ بِرُمْحِهِ فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ ع وَهُوَ مُخْتَرِطٌ سَيْفًا

ص: ٣١٣

١-١) صفين ٤٨١ و ما بعدها.

٢-٢) صفين: «الجشمي».

مُعْتَقِلٌ رُمْحًا فَلَمَّا رَهَقَهُ هَمَزَ فَرَسَهُ لِيُغْلِقَ عَلَيْهِ فَأَلْقَى عَمْرُو نَفْسَهُ عَنْ فَرَسِهِ إِلَى الْأَرْضِ شَاغِرًا بِرِجْلَيْهِ كَاشِفًا عَوْرَتَهُ فَانصَرَفَ عَنْهُ لَا فِتْنًا
وَجْهَهُ مُسْتَدْبِرًا لَهُ فَعَدَّ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِهِ وَ سُوْدَدِهِ وَ ضَرَبَ بِهَا الْمَثْلُ

١٣٣٨

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ اجْتَمَعَ (١) عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ لَيَالِي صَفِينِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
وَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّامٍ وَ ابْنُ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ الْخُزَاعِيُّ فَقَالَ عُتْبَةُ إِنَّ أَمْرَنَا وَ أَمْرَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ لَعَجَبٌ مَا فِينَا إِلَّا مَوْتُورٌ مُجْتَاخٌ (٢).

أَمَّا أَنَا فَقَتَلَ جَدِّي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَ أَخِي حَنْظَلَةَ وَ شَرِكَ فِي دَمِ عَمِّي شَيْبَةَ يَوْمَ بَدْرٍ. وَ أَمَّا أَنْتَ يَا وَلِيدُ فَقَتَلَ أَبَاكَ صَبْرًا وَ أَمَّا أَنْتَ
يَا ابْنَ عَامِرٍ فَصَرَخَ أَبَاكَ وَ سَلَبَ عَمَّكَ.

وَ أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ طَلْحَةَ فَقَتَلَ أَبَاكَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ أَيَّتَمَّ إِخْوَتَكَ وَ أَمَّا أَنْتَ يَا مَرْوَانَ فَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ وَ أَفْلَتَهُنَّ عَلِبَاءُ جَرِيضًا وَ لَوْ
أَدْرَكْنَهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ (٣).

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذَا الْإِقْرَارُ فَأَيَّنَ الْغَيْرُ (٤) قَالَ مَرْوَانَ وَ أَيُّ غَيْرٍ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَنْ تَشْجُرُوهُ بِالرَّمَاكِ قَالَ وَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةُ مَا أَرَاكَ إِلَّا
هَازِيًا أَوْ هَازِنًا وَ مَا أَرَانَا إِلَّا ثَقُلْنَا عَلَيْكَ فَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ يَقُولُ لَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ

ص: ٣١٤

١-١) صفين ٤٧٥ و ما بعدها.

٢-٢) صفين: «محتاج».

٣-٣) لامرئ القيس، ديوانه ١٣٨، و علباء قاتل والد امرئ القيس، و الجريض: الذي يؤخذ بريقه. و صفر و طابه، كناية عن القتل.

٤-٤) الغير: جمع غيور، و الغيره: المحبه.

فِيهِتِكَ مَجْمَعُ اللَّبَاتِ مِنْهُ

فَعَضِبَ عَمْرُو وَ قَالَ إِ نْ كَانَ الْوَلِيدُ صَادِقًا فَلْيَلْقَ عَلِيًّا أَوْ فَلْيَتَقِفْ حَيْثُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ.

وَ قَالَ عَمْرُو يُدْكِرْنِي الْوَلِيدُ دُعَا عَلِيٍّ

ص: ٣١٥

وَلَوْ لَافَيْتَهُ شُقَّتْ جُيُوبٌ

عَلَيْكَ وَ لَطِمْتَ فِيكَ الْخُدُودُ

١٣٣٩

١- وَ ذَكَرَ أَبُو عَمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيْعَابِ فِي بَابِ بُشَيْرِ بْنِ أَرْطَاهَ (١) قَالَ كَانَ بُشَيْرٌ مِنَ الْأَبْطَالِ الطُّغَاهِ وَ كَانَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِصِفَتَيْنِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَلْقَى عَلِيًّا فِي الْقِتَالِ وَ قَالَ لَهُ إِنِّي سَمِعْتُكَ تَتَمَنَّى لِقَاءَهُ فَلَوْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَ صَيَّرَعْتَهُ حَصَلَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ (٢) وَ لَمْ يَزَلْ يُشَجِّعُهُ وَ يُمْنِيهِ حَتَّى رَأَى عَلِيًّا فِي الْحَرْبِ فَقَصَدَهُ وَ التَّقِيَا فَصَيَّرَعَهُ عَلِيٌّ ع (٣) وَ عَرِضَ لَهُ مَعَهُ مِثْلُ مَا عَرِضَ لَهُ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي كَشْفِ السَّوَاهِ

(٤)

١٣٤٠

١- قَالَ أَبُو عَمَرَ وَ ذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْيَاءِ صِفَتَيْنِ أَنَّ بُشَيْرَ بْنَ أَرْطَاهَةَ يَبَارِزُ عَلِيًّا يَوْمَ صِفَتَيْنِ فَطَعَنَهُ عَلِيٌّ عَ فَصَيَّرَعَهُ فَانْكَشَفَ لَهُ فَكَفَّ عَنْهُ كَمَا عَرِضَ لَهُ مِثْلُ (٥) ذَلِكَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ .

قال و للشعراء فيهما أشعار مذكوره في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبي و المدائني قول الحارث بن نصر الخنعمي (٦) و كان عدوا لعمر بن العاص و بسر بن أرتاه أ في كل يوم فارس لك ينتهي

ص: ٣١٦

١- (١) الاستيعاب ١٦٤ و ما بعدها.

٢- (٢) الاستيعاب: «دنيا و آخره».

٣- (٣) الاستيعاب: «و عرض على كرم الله وجهه مثل ما عرض فيما ذكر مع عمرو بن العاص».

٤- (٣) الاستيعاب: «و عرض على كرم الله وجهه مثل ما عرض فيما ذكر مع عمرو بن العاص».

٥- (٥) الاستيعاب: «السهمي».

١- وَ رَوَى الْوَائِدِيُّ قَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا بَعِيدًا اسْتَيْقَرَّ الْخِلَافَةَ لَهُ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ لَا أَرَاكَ إِلَّا وَ يَغْلِبُنِي الضَّحِكُ
 قَالَ بِمَاذَا قَالَ أَذْكَرُ يَوْمَ حَمَلٍ عَلَيْكَ أَبُو تُرَابٍ فِي صِفِّينَ فَأَزْرَيْتَ نَفْسَكَ فَرَقًا مِنْ شَبَا سِنَانِهِ وَ كَشَفْتَ سَوَاتِكَ لَهُ فَقَالَ عَمْرُو أَنَا
 مِنْكَ أَشَدُّ ضَحِكًا إِنِّي لَمَأْذُكُرُ يَوْمَ دَعَاكَ إِلَى الْبِرَازِ فَانْتَفَخَ سَيْحْرُكَ وَ رَبَا لِسَانُكَ فِي فَمِّكَ وَ غَصَصَتْ بِرَيْقِكَ وَ ارْتَعِدَتْ
 فَرَائِصُكَ وَ يَدَا مِنْكَ مَا أَكْرَهُ ذِكْرَهُ لَكَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَمْ يَكُنْ هَذَا كُفُّهُ وَ كَيْفَ يَكُونُ وَ دُونِي عَكَ وَ الْأَشْعَرِيُّونَ قَالَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ
 أَنَّ الَّذِي وَصَفْتُ دُونَ مَا أَصَابَكَ وَ قَدْ نَزَلَ ذَلِكَ بِكَ وَ دُونَكَ عَكَ وَ الْأَشْعَرِيُّونَ فَكَيْفَ كَانَتْ حَالُكَ لَوْ جَمَعَكُمَا مَا أُقِطَ (١)

الْحَرْبِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ خُضْ بِنَا الْهَزْلَ إِلَى الْجِدِّ إِنَّ الْجُبْنَ وَ الْفِرَارَ مِنْ عَلِيٍّ لَا عَارَ عَلَيْهِ أَحَدٍ فِيهِمَا

١٤- ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْمَعَاذِي قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ رَاشِدِ مَوْلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ التَّفَيْيِّ عَنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ قَالَ لَمَّا انصَبَرْنَا مَعَ الْأَخْزَابِ (١) مِنَ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي وَيَسْتَمْعُونَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَغْلُو الْأُمُورَ عَلُوًّا مُنْكَرًا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ فَقَالُوا مَا رَأَيْتَ فَقُلْتُ أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنُكُونَ عِنْدَهُ فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِهِ أَقَمْنَا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَإِنْ نَكُونُ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ فَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مِنْ قَدِ عَرَفُوا فَلَنْ يَأْتِنَا [يَأْتِينَا]

مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ (٢) قَالُوا إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ فَقُلْتُ فَاجْمَعُوا مَا نُهَيْدِي لَهُ وَكَانَ أَحَبُّ (٣) مَا يَأْتِيهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمِ (٤) فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَبَّحَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ.

قَالَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ فإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْرَأْتُ (٥) عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَبَّحْتُ لَهُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِصَدِيقِي

١-١) من سيره ابن هشام.

١-٢) من سيره ابن هشام.

٣-٣) الأدم: الجلود، جمع أديم.

٤-٤) أجزاء عنها: قمت مقامها.

أَهْدَيْتِ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا قُلْتُ نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيْتِ لِمَكَ أَدَمًا كَثِيرًا ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا فَأَعْطِينِيهِ لِأَقْتُلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا.

فَغَضِبَ الْمَلِكُ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَّرَهُ فَلَوْ انشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فِرْقًا مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ فَقَالَ أَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ فَقُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمْ كَذَلِكَ هُوَ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ أَطْعِنِي وَيَحْكُ وَاتَّبِعُهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى حَقٍّ وَلِيُظْهِرَنَّ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ قُلْتُ فَبَايَعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَخَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَ فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَقَدْ أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَدْ كَانَ صَدِّيقِي فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَايَعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ أَذْكَرْ مَا تَأَخَّرَ فَقَالَ بَايِعْ يَا عَمْرُو فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُّ مَا قَبْلَهَا فَبَايَعْتُهُ وَاسْلَمْتُ

(١)

١٣٤٣

١٤- وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ فِي الْأَسْتِيعَابِ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ سَنَةَ ثَمَانَ وَأَنَّهُ قَدِمَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْمَدِينَةَ فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَازٍ كَبِيدِهَا .

قال وقد قيل إنه أسلم بين الحديبية و خبير و القول الأول أصح (٢)

بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل

١٣٤٤

١٤- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ عَمْرًا إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ مِنْ بِلَادِ قُضَاعَةَ فِي ثَلَاثَةِ إِثْنَيْ عَشَرَ وَكَانَتْ أُمُّ الْعِيَاصِ بِنْتُ وَائِلٍ مِنْ بَيْلِي فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَمْرًا إِلَى أَرْضِ بَيْلِي

ص: ٣١٩

١- (١) سيره ابن هشام ٣:٣١٧ (مطبعة حجازي).

٢- (٢) الاستيعاب ١١٨٥ و ما بعدها.

وَعُذْرَهُ يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى مَاءِ أَرْضِ جُدَامٍ يُقَالُ لَهُ السَّلَاسِلُ وَقَدْ سُمِّيَتْ تِلْكَ الْغَزَاهُ ذَاتَ السَّلَاسِلِ خَافَ فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يَسْتَتَجِدُ فَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ فِيهِ مَائَتَا فَارِسٍ فِيهِ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عَمْرٍو قَالَ عَمْرٍو أَنَا أَمِيرُكُمْ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدِي فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَلْ أَنَا أَمِيرٌ مِنْ مَعِيَ وَأَنْتَ أَمِيرٌ مِنْ مَعَكَ فَأَبَى عَمْرٍو ذَلِكَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص عَهْدَ إِلَيَّ إِذَا قَدِمْتَ إِلَى عَمْرٍو فَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا فَإِنْ خَالَفتِنِي أَطَعْتُكَ قَالَ عَمْرٍو فَإِنِّي أَخَالِفُكَ فَسَلِّمْ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَصَلَّى خَلْفَهُ فِي الْجَيْشِ كُلِّهِ وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ وَكَانُوا خَمْسِمِائَةً

ولایات عمرو فی عهد الرسول و الخلفاء

۱۳۴۵

۱۴- قَالَ أَبُو عُمَرَ ثُمَّ وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عُمَانَ فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَمِلَ لِعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَمُعَاوِيَةَ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَلَّاهُ بَعِيدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَلَسَّ طِبْنَ وَالْأُرْدُنَّ وَوَلَّى مُعَاوِيَةَ دِمَشْقَ وَبَغْلَبَكَّ وَالْبَلْقَاءَ وَوَلَّى سَعِيدَ بْنَ عَمْرِئِ بْنِ خُذَيْمٍ حِمَصَ ثُمَّ جَمَعَ الشَّامَ كُلَّهَا لِمُعَاوِيَةَ وَكَتَبَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مِصْرَ فَسَارَ إِلَيْهَا فَافْتَتَحَهَا فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا وَالْيَا حَتَّى مَاتَ عُمَرُ فَأَمَرَهُ عُثْمَانُ عَلَيْهَا أَرْبَعَ سِنِينَ وَنَحْوَهَا ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا وَوَلَّاهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدٍ الْعَامِرِيَّ. قَالَ أَبُو عُمَرَ ثُمَّ إِنَّ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ادَّعَى عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِنْدَرِيَّةَ أَنْهُمْ قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ عَاهَدَهُمْ فَعَمَدَ إِلَيْهَا فَحَارَبَ أَهْلَهَا وَافْتَتَحَهَا وَ قَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَ سَبَى الدَّرِّيَّةَ فَنَقَمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ وَ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ نَقْضُهُمْ الْعَهْدَ فَأَمَرَ بِرَدِّ السَّبْيِ الَّذِي سُبُوا مِنَ الْقُرَى إِلَى مَوَاضِعِهِمْ وَعَزَلَ عَمْرًا عَنْ مِصْرَ وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْعَامِرِيَّ

ص: ۳۲۰

مِصْرَ يَدْلُهُ فَكَانَ ذَلِكَ يَدَوِ الشَّرِّ بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَلَمَّا يَدَا بَيْنَهُمَا مِنَ الشَّرِّ مَا يَدَا اعْتَرَلَ عَمْرٍو فِي نَاحِيهِ
فَلَسَّ طِينَ بَاهِلِهِ وَ كَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ أَحْيَانًا فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ بِالسَّامِ بَعَثَهُ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمِينَ فَافْتَتَحَهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهَا
إِلَى أَنْ مَاتَ أَمِيرًا عَلَيْهَا فِي سِنِهِ ثَلَاثٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ اثْنَتَيْنِ وَ أَرْبَعِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ ثَمَانٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ إِحْدَى وَ خَمْسِينَ

قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَاتَ فِي سِنِهِ ثَلَاثٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ مَاتَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَ عُمُرُهُ تِسْعُونَ سَنَةً وَ دُفِنَ بِالْمَقَطَمِ
مِنْ نَاحِيَةِ السَّفْحِ وَ صِيَلَى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ رَجَعَ فَصِيَلَى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ فَوَلَّاهُ مُعَاوِيَةَ مَكَانَهُ ثُمَّ عَزَلَهُ وَ وَلَّى مَكَانَهُ أَخَاهُ عُتْبَةَ
بْنَ أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَ كَانَ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ مِنْ فُزَّانِ قُرَيْشٍ وَ أَبْطَالِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَذْكُورًا فِيهِمْ بِحَدِّكَ وَ كَانَ شَاعِرًا
حَسَنَ الشُّعْرِ وَ أَحَدَ الدَّهَاهِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الرَّأْيِ وَ الذِّكَاةِ وَ كَانَ عَمْرٍو بِنِ الْخَطَّابِ إِذَا اسْتَضَعَفَ رَجُلًا فِي رَأْيِهِ وَ عَقْلِهِ قَالَ أَشْهَدُ
أَنَّ خَالِقَكَ وَ خَالِقَ عَمْرٍو وَاحِدٌ يُرِيدُ خَالِقَ الْأَضْدَادِ

(١)

نبد من كلام عمرو بن العاص

و نقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكميه تنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها و أوردتها لأنني لا أجد لفاضل فضله و إن
كان دينه عندي غير مرضى.

فمن كلامه

١٣٤٦

ثَلَاثٌ لَا أَمْلَهُنَّ جَلِيسِي مَا فَهَمَ عَنِّي وَ ثَوْبِي مَا سَتَرَنِي وَ دَائِبِي مَا حَمَلَتْ رَحْلِي.

ص: ٣٢١

١- (١) انظر أخبار عمرو بن العاص في الاستيعاب ص ١١٨٤ و ما بعدها.

وَقَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِصَفِينٍ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ وَ أَنْتُمْ (١) فِيهِ لَيْسَ بِأَوَّلِ أَمْرِ قَادَهُ الْبَلَاءُ وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا تَرَى وَمَا أَبْقَتْ لَنَا هَذِهِ الْحَرْبُ حَيَاءً وَلَا صَبْرًا وَلَسْنَا نَقُولُ لَيْتَ الْحَرْبُ عَادَتْ وَ لَكِنَّا (٢) نَقُولُ لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ كَانَتْ فَافْعَلْ فِيمَا بَقِيَ بِغَيْرِ مَا مَضَى فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ عَلِيٍّ وَ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مُطَاعٌ وَ مَأْمُورٌ مُطِيعٌ وَ مُبَارَزٌ مَأْمُونٌ وَ أَنْتَ هُوَ.

وَ لَمَّا نَصَبَ مَعَاوِيَةَ قَمِيصَ عَثْمَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ بَكَى أَهْلُ الشَّامِ حَوْلَهُ قَالَ قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدْعَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو إِنَّهُ لَيْسَ بِقَمِيصِ يُوْسُفَ إِنَّهُ إِنْ طَالَ نَظَرُهُمْ إِلَيْهِ وَ بَحَثُوا عَنِ السَّبَبِ وَقَفُوا عَلَى مَا لَا- تُحِبُّ أَنْ يَقِفُوا عَلَيْهِ وَ لَكِنْ لَدَعُّهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فِي الْأَوْقَاتِ.

وَ قَالَ مَا وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ فَأَفْشَاهُ فَلَمَّمْتُهُ لِأَنِّي أَحَقُّ بِاللَّوْمِ مِنْهُ إِذْ كُنْتُ أَضْيَقَ بِهِ صَدْرًا مِنْهُ.

وَ قَالَ لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ لَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينِ.

وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ لِجَلَسَائِهِ يَوْمًا وَ عَمْرُو فِيهِمْ مَا أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ فَقَالَ كُفُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا عَمْرُو فَقَالَ الْعَمْرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَا (٣).

وَ قَالَ لِعِيسَى لَوَدِدْتُ أَنَّكَ قُتِلْتَ يَوْمَ الْجَمَلِ قَالَتْ وَ لِمَ لَا- أَبَا لَكَ قَالَ كُنْتَ تَمُوتِينَ بِأَجْلِكَ وَ تَدْخِلِينَ الْجَنَّةَ وَ نَجْعَلُكَ أَكْبَرَ التَّشْنِيعِ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع.

وَ قَالَ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ اطْلُبُوا الْعِلْمَ فَإِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ كَانَ جَمَالًا وَ إِنْ افْتَقَرْتُمْ كَانَ مَالًا.

وَ مِنْ كَلَامِهِ أَمِيرٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَ ابِلٍ وَ أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظُلُومٍ وَ سُلْطَانٌ ظُلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ وَ زَلَّةُ الرَّجُلِ عَظْمٌ يُجْبِرُ وَ زَلَّةُ اللِّسَانِ لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ وَ اسْتِرَاحَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

١-١-١) ساقط من ب، ج، و أثبتته من ا.

١-١-٢) ساقط من ب، ج، و أثبتته من ا.

-٣

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْبَحْرِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ يَزَكُّهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ.

دُودٌ عَلَى عُودٍ بَيْنَ عَرَقٍ وَ نَزَقٍ.

وَ قَالَ لِعُثْمَانَ وَ هُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِثْبَرِ يَا عُثْمَانُ إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ نَهَايَةَ مِنَ الْأَمْرِ وَ زِعْتَ فَرَاغُوا فَاغْتَدِلْ أَوْ اغْتَرِلْ.

وَ مِنْ كَلَامِهِ اسْتَوْحِشْ مِنَ الْكَرِيمِ الْجَائِعِ وَ مِنَ اللَّئِيمِ الشَّبَعَانِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ يَصُولُ إِذَا جَاعَ وَ اللَّئِيمَ يَصُولُ إِذَا شَبِعَ.

وَ قَالَ جُمَعَ الْعَجْزُ إِلَى التَّوَانِي فَفُتِّحَ بَيْنَهُمَا النَّدَامَةُ وَ جُمِعَ الْجُبْنُ إِلَى الْكَسَلِ فَفُتِّحَ بَيْنَهُمَا الْحِزْمَانُ.

وَ رَوَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَ قَدِ احْتَضَرَ فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كُنْتَ تَقُولُ أَشْتَهِي أَنْيَ أَرَى عَاقِلًا يَمُوتُ حَتَّى أَسْأَلَهُ كَيْفَ تَجِدُ فَمَاذَا تَجِدُ قَالَ أَجِدُ السَّمَاءَ كَأَنَّهَا مُطْبِقَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَ أَنَا بَيْنَهُمَا وَ أَرَانِي كَأَنَّمَا أَتَنَفَّسُ مِنْ خَرَقٍ إِبْرَةٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَمَرْتُ فَعَصَيْتُنَا وَ نَهَيْتُ فَرَكَبْنَا فَلَا بَرِيءَ فَاغْتَدِرْ وَ لَا قَوِيٌّ فَاَنْتَصِرْ وَ لَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى فَاضَ.

وَ قَدْ رَوَى أَبُو عَمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ هَذَا الْخَبَرَ فِي كِتَابِ الْأِسْتِيعَابِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْوَفَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ أَمَرْتَنِي فَلَمْ آتِمِرْ وَ زَجَرْتَنِي فَلَمْ أَنْزَجِرْ وَ وَضَعْتَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُلِّ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ لَا قَوِيٌّ فَاَنْتَصِرْ وَ لَا بَرِيءَ فَاغْتَدِرْ وَ لَا مُسْتَكْبِرٌ بَلْ مُسْتَعْفِرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى مَاتَ.

قَالَ أَبُو عَمَرَ وَ حَدَّثَنِي خَلْفُ بْنُ قَاسِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ رَشِيْقٍ قَالَ حَدَّثَنَا الطَّحَاوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُزْنِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي مَرَضِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَصْبَحْتُ وَ قَدْ أَصْلَحْتُ مِنْ دُنْيَايَ قَلِيلًا وَ أَفْسَدْتُ مِنْ دِينِي كَثِيرًا فَلَوْ كَانَ الَّذِي أَصْلَحْتُ هُوَ الَّذِي

أَفْسَدْتُ وَ الَّذِي أَفْسَدْتُ هُوَ الَّذِي أَصْلَحْتُ لَفَزْتُ وَ لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي أَنْ أَطْلُبَ طَلَبْتُ وَ لَوْ كَانَ يُنَجِّنِي أَنْ أَهْرُبَ هَرَبْتُ فَقَدْ صِرْتُ كَالْمُنْخَنِقِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا أَرْقَى بِيَدَيْنِ وَلَا أَهْبِطُ بِرِجْلَيْنِ فِعْظُنِي بِعِظِهِ أَنْتَفِعَ بِهَا يَا ابْنَ أَحِي فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَيْهَاتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَارَ ابْنُ أَخِيكَ أَخَاكَ وَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَبْلَى إِلَّا بَلِيَّتٌ (١) كَيْفَ يُؤَمَّرُ بِرَحِيلٍ مَنْ هُوَ مُقِيمٌ فَقَالَ عَمْرُو عَلَى حِينِهَا مِنْ حِينِ ابْنِ بَضْعٍ وَ ثَمَانِينَ تُقْنِطُنِي مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي اللَّهُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يُقْنِطُنِي مِنْ رَحْمَتِكَ فَخُذْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَيْهَاتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخَذْتَ جَدِيداً وَ تُعْطِي خَلْقاً قَالَ عَمْرُو مَا لِي وَ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا أُرْسِلُ كَلِمَةً إِلَّا أُرْسَلَتْ نَقِيضَهَا (٢) .

١٣٦٢

١٤- وَ رَوَى أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْأِسْتِيعَابِ أَيْضاً عَنْ رِجَالٍ قَدْ ذَكَرَهُمْ وَ عَدَدَهُمْ أَنَّ عَمراً لَمَّا حَضَرَ تَهَ الْوَفَاءَ قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ قَدْ رَأَاهُ يَبْكِي لِمَ تَبْكِي أَمْ جَزَعاً مِنَ الْمَوْتِ قَالَ لَا وَ اللَّهُ وَ لَكِنْ لِمَا بَعْدَهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى خَيْرٍ فَجَعَلَ يَذْكُرُهُ صَاحِبَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ فُتُوْحَهُ بِالشَّامِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو وَ تَرَكْتَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنْ كُنْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ لَيْسَ مِنْهَا طَبَقٌ إِلَّا عَرَفْتُ نَفْسِي فِيهِ كُنْتُ أَوَّلَ أَمْرِي كَافِراً فَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمَّ مِتُّ حِينِيذٍ وَ جَبْتُ لِي النَّارَ فَلَمَّا يَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْهُ فَمَا مَلَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي قَطُّ فَلَمَّ مِتُّ يَوْمَئِذٍ قَالَ النَّاسُ هَيْئاً لِعَمْرُو أَسْلِمَ وَ كَانَ عَلَى خَيْرٍ وَ مَاتَ عَلَى خَيْرٍ أَحْوَالِهِ فَسَرَّحُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ تَلَبَّثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ وَ بِأَشْيَاءَ فَلَا أُدْرِي

ص: ٣٢٤

١- (١) الاستيعاب: «أن تبكي إلا بكيت».

٢- (٢) الاستيعاب ١١٨٩.

أَعَلَىٰ أُمِّ لِي فَمَاذَا مِتُّ فَلَا تَبْكِينَ عَلَيَّ بِأَكْبَهُ وَلَا يَتَّبِعْنِي نَارِحٌ وَلَا تُقَرَّبُوا مِنِّي قَبْرِ نَارًا وَشُدُّوا عَلَيَّ إِزَارِي فَإِنِّي مُخَاصِمٌ وَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا فَإِنَّ جَنبِي الْمَأْمُونُ لَيْسَ بِأَحَقَّ مِنْ جَنبِي الْأَيْسَرِ وَلَا تَجْعَلُوا فِي قَبْرِي خَشَبَةً وَلَا حَجْرًا وَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَاقْعُدُوا عِنْدِي قَدْرَ نَحْرٍ جُزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ (١)

فإن قلت فما الذى يقوله أصحابك المعتزله فى عمرو بن العاص قلت إنهم يحكمون على كل من شهد صفين بما يحكم به على الباغى الخارج على الإمام العادل و مذهبهم فى صاحب الكبيره إذا لم يتب معلوم.

فإن قلت أليس فى هذه الأخبار ما يدل على توبته نحو قوله و لا مستكبر بل مستغفر و قوله اللهم خذ منى حتى ترضى و قوله أمرت فعصيت و نهيت فركبت.

و هذا اعتراف و ندم و هو معنى التوبه قلت إن قوله تعالى وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ (٢) يمنع من كون هذا توبه و شروط التوبه و أركانها معلومه و ليس هذا الاعتراف و التأسف منها فى شىء.

و قال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالإرجاء المحض معاويه و عمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصيه و لذلك قال معاويه لمن قال له حاربت من تعلم و ارتكبت ما تعلم فقال وثقت بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (٣)

ص: ٣٢٥

١-١ (١) الاستيعاب ١١٩٠.

٢-٢ (٢) سورة النساء ١٨.

٣-٣ (٣) سورة الزمر ٥٣.

و إلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله

فصل في شرح ما نسب إلى علي من الدعابه

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص في علي ع لأهل الشام إن فيه دعابه يروم أن يعيبه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمه قالها عمر فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له و طعنا عليه.

١٣٦٣

١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ فِي كِتَابِ الْأَمَالِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ عُمَرَ فَتَنَّفَسَ عُمَرُ نَفْسًا عَالِيًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ أَضْلَاعَهُ قَدْ انْفَرَجَتْ فَقُلْتُ لَهُ مَا أَخْرَجَ هَذَا النَّفْسَ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا هَمٌّ شَدِيدٌ.

قَالَ إِي وَ اللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي فَكَّرْتُ فَلَمْ أَذِرْ فِيمَنْ أَجْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ بَعْدِي ثُمَّ قَالَ لَعَلَّكَ تَرَى صَاحِبَكَ لَهَا أَهْلًا قُلْتُ وَ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ جَهَادِهِ وَ سَابِقَتِهِ وَ قَرَابَتِهِ وَ عِلْمِهِ قَالِ صِدَقَتْ وَ لَكِنَّهُ أَمْرٌ فِيهِ دُعَايَاهُ قُلْتُ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ طَلْحَةَ قَالَ هُوَ ذُو الْبَأْوِ (١) بِأَضْيَعِهِ الْمَقْطُوعَةِ قُلْتُ فَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ لَوْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَوَضَعَ خَاتَمَهُ فِي يَدِ امْرَأَتِهِ قُلْتُ فَالزُّبَيْرُ قَالَ شَكِسٌ لِقِسِّ (٢) يَلَاطِمُ فِي الْبَقِيعِ فِي صَاعٍ مِنْ بُرٍّ قُلْتُ فَسَدَّ بَنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ صَاحِبُ مِقْنَبٍ (٣) وَ سِلَاحٌ قُلْتُ فَعُتْمَانُ قَالَ أَوْهٌ أَوْهٌ مَرَارًا ثُمَّ قَالَ وَ اللَّهِ لَئِنْ وَلِيَهَا لَيَحْمِلَنَّ بَيْنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ثُمَّ لَتَنْهَضَنَّ إِلَيْهِ الْعَرَبُ فَتَقْتُلُهُ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّهُ لَا يَصِلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا حَصِيفُ الْعُقْدَةِ قَلِيلُ الْعَرَّةِ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّهُمْ شَدِيدًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ لَيْنًا مِنْ

ص: ٣٢٦

١- (١) البأو: الكبر و الفخر؛ و في اللسان: روى الفقهاء: «في طلحه بأواء».

٢- (٢) الشكس: الصعب الخلق، و اللقس العسر.

٣- (٣) المقنب: جماعه الخيل.

غَيْرِ ضَعْفٍ حَيَّوَادًا مِنْ غَيْرِ سِرْفٍ مُمَسِّكًا مِنْ غَيْرٍ وَكَفٍ (١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّ هَيْدَةَ صَفَاتٍ عُمَرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ إِنَّ أَحْرَاهُمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَيَّ كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ لِصَاحِبِكَ وَاللَّهِ لَئِنْ وَلِيَهَا لَيَحْمِلَنَّاهُمْ عَلَيَّ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

و اعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى الفضيله إلا في ذلك الخلق ألا ترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيله في الإمساك و البخيل يعيب أهل السماح و الجود و ينسبهم إلى التبذير و إضاعه الحزم و كذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء و ينسبهم إلى ضيق النفس و سوء الظنّ و حبّ المال و الجبان يعتقد أن الفضيله في الجبن و يعيب الشجاعه و يعتقد كونها خرقا و تغريرا بالنفس كما قال المتنبي يرى الجبناء أن الجبن حزم (٢) و الشجاع يعيب الجبان و ينسبه إلى الضعف و يعتقد أن الجبن ذلّ و مهانه و هكذا القول في جميع الأخلاق و السجاياء المقتسمه بين نوع الإنسان و لما كان عمر شديد الغلظه و عر الجانب خشن الملمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيله و أن خلافه نقص و لو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشه و سماحه الخلق لكان يعتقد أن ذاك هو الفضيله و أن خلافه نقص حتّى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلي ع و خلق علي حاصل له لقال في علي لو لا شراره فيه.

فهو غير ملوم عندي فيما قاله و لا منسوب إلى أنه أراد الغض من علي و القدح

ص: ٣٢٧

١-١) الوكف: العيب.

٢-٢) ديوانه ٢٣٩ و بقيته: *و تلك خديعه الطبع اللئيم*..

فيه و لكنه أخبر عن خلقه ظانا أن الخلافه لا تصلح إلا لشديد الشكيمه العظيم الوعوره و بمقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تتم خلافه أبى بكر بمشاركته إياه فى جميع تدابيراته و سياسته و سائر أحواله لرفق و سهوله كانت فى أخلاق أبى بكر و بمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده كان يشير على رسول الله ص فى مقامات كثيره و خطوب متعدده بقتل قوم كان يرى قتلهم و كان النبى ص يرى استبئاهم و استصلاحهم فلم يقبل ع مشورته على هذا الخلق.

و أمّا إشارته عليه يوم بدر بقتل الأسرى حيث أشار أبو بكر بالفداء فكان الصواب مع عمر و نزل القرآن بموافقته فلما كان فى اليوم الثانى و هو يوم الحديبيه أشار بالحرب و كره الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف و لا كل وقت يصلح إغماده و السياسه لا تجرى على منهاج واحد و لا تلزم نظاما واحدا.

و جمله الأمر أنه رضى الله عنه لم يقصد عيب على ع و لا- كان عنده معييا و لا- منقوصا أ لا- ترى أنه قال فى آخر الخبر أن أحرهم إن وليها أن يحملهم على كتاب الله و سنه رسوله لصاحبك ثم أكد ذلك بأن قال إن وليهم ليحملنهم على المحجه (١) البيضاء و الصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظه و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل فى خاتمه كلامه ما قاله.

و أنت إذا تأملت حال على ع فى أيام رسول الله ص وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابه و المزاح لأنه لم ينقل عنه شىء من ذلك أصلا لا فى كتب الشيعة و لا فى كتب المحدثين و كذلك إذا تأملت حاله (٢) فى أيام الخليفين أبى بكر و عمر لم تجد فى كتب السير حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق فى دعابته و مزاحه فكيف يظن

ص: ٣٢٨

١- ١) المحجه: الطريق؛ و الطريق تذكر و تؤنث.

٢- ٢) ج: «حالته».

بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل ولا ندد به صديق و عدو وإنما أراد سهوله خلقه لا غير و ظن أن ذلك مما يفضى به إلى ضعف إن ولي أمر الأمة لاعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعوره بناء على ما قد ألفته نفسه و طبعت عليه سجيته و الحال في أيام عثمان و أيام ولايته ع الأمر كالحال فيما تقدم في أنه لم يظهر منه دعايه و لا مزاح يسمى الإنسان لأجله ذا دعايه و لعب و من تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول و عرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمه عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيبا و زاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء و يمارسهن و أنه صاحب هزل.

و لعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك و أى وقت كان يتسع لعلى ع حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها فى العباده و الصلاه و الذكر و الفتاوى و العلم و اختلاف الناس إليه فى الأحكام و تفسير القرآن و نهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم و ليله كله أو معظمه مشغول بالصلاه هذا فى أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير و السنان الطير (1) و ركوب الخيل و قود الجيش و مباشره الحروب.

و لقد

١٣٦٤

صَدَقَ عَ فِي قَوْلِهِ

إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ

و لكن الرجل الشريف النبيل الذى لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه و صمه لا بد أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم فى تحصيل أمر ما و إن ضعف يجعلونه عذرا لأنفسهم فى ذمه و يتوسلون به إلى أتباعهم فى تحسينهم لهم مفارقتة و الانحراف عنه و ما زال المشركون و المنافقون يصنعون لرسول الله ص الموضوعات ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب و المطاعن فى حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا و ما يزيده الله سبحانه إلا رفعه و علوا فغير منكر أن يعيب عليا ع عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه و تعلقهم به قد اجتهدوا

ص: ٣٢٩

(١-١) سنان طير: أى محدد.

فى مدحه و الثناء عليه لأنهم لو وجدوا عيبا غير ذلك لذكروه و لو بالغ أمير المؤمنين و بذل جهده فى أن يثنى أعداؤه و شائوه عليه من حيث لا يعلمون لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التى أسلكهم الله تعالى فيها و هداهم إلى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه و إنما أعلوا شأنه و يضعون من قدره و إنما رفعوا منزلته و مكانه

أقوال و حكايات فى المزاح

و نحن نذكر من بعد ما جاء فى الأحاديث الصحاح و الآثار المستفيضه المتفق على نقلها مزاح رسول الله ص و مزاح الأشراف و الأفاضل و الأكابر من أصحابه و التابعين له ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعده الشرعيه لم يكن قبيحا.

فأول ذلك ما

١٣٦٥

رَوَاهُ النَّاسُ قَاطِبَةً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ إِنِّي أَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا.

١٣٦٦

١٤- وَقِيلَ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ الْمِرَاحُ هُجْنَةٌ فَقَالَ بَلْ هُوَ سُنَّةٌ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنِّي أَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ .

١٣٦٧

١٤- وَ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ الْحَقِي زَوْجَكَ فَإِنَّ فِي عَيْنِهِ بَيَاضًا فَسَعَتْ نَحْوَهُ مَرْعُوبَةً فَقَالَ لَهَا مَا دَهَاكِ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ فِي عَيْنِي بَيَاضًا لَا لِسُوءٍ فَخَفَضِي عَلَيْكَ فَهَذَا مِنْ مِرَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ص .

١٣٦٨

١٤- وَ أَتَتْ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَيْهِ ع فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا بِالْجَنَّةِ فَقَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا الْعُجْرُ فَصَاحَتْ فَتَبَسَّمَ ع فَقَالَ
إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا

(١)

ص : ٣٣٠

١٤- وَ فِي الْخَبْرِ أَيْضاً أَنَّ امْرَأَةً اسْتَحْمَلَتْهُ فَقَالَ إِنَّا حَيَامِلُوكِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ فَجَعَلْتُ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ وَ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَنِي وَ هُوَ يَبْتَسِمُ وَ يَقُولُ لَا أَحْمِلُكَ إِلَّا عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهَا أَخيراً وَ هَلْ يَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقُ

١٤- وَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ عَمَّرَ بِلَالاً وَ هُوَ نَائِمٌ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَ قَالَ أُنَائِمُهُ أُمَّ عَمْرٍو فَقَامَ بِلَالٌ مَرُوعِباً فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى مَذَاكِرِهِ فَقَالَ لَهُ مَا بِالْكَ قَالَتْ ظَنَنْتُ أَنِّي تَحَوَّلْتُ امْرَأَةً قِيلَ فَلَمْ يَمْرُخْ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ هَذِهِ

١٤- وَ فِي الْخَبْرِ أَيْضاً أَنَّ نَعْرًا (١) كَانَ لَصَبِيٍّ مِنْ صَبِيَّانِ الْأَنْصَارِ فَطَارَ مِنْ يَدِهِ فَبَكَى الْغَلَامُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَمُرُّ بِهِ فَيَقُولُ يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ وَ الْغَلَامُ يَبْكِي .

١٤,٣- وَ كَانَ يَمِازُحُ ابْنِي بِنْتِهِ مُزَاحاً مَسْهُوراً وَ كَانَ يَأْخُذُ الْحُسَيْنَ عَ فَيَجْعَلُهُ عَلَى بَطْنِهِ وَ هُوَ ع نَائِمٌ عَلَى ظَهْرِهِ وَ يَقُولُ لَهُ حُرْقَةُ حُرْقَةُ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَصْحَابِ الدَّرَكَلِ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ وَ يَرْقُصُونَ فَقَالَ جِدُّوا يَا بَنِي أَرْفَدَةَ حَتَّى يَعْلَمَ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً .

قال أهل اللغة الدركله بكسر الدال و الكاف لعبه للحبش فيها ترقص و بنو أرفده جنس من الحبش يرقصون.

١٤- وَ جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ سَابَقَ عَائِشَةَ فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا فَسَبَقَهَا فَقَالَ هَذِهِ بَيْتُكَ .

١٤- وَفِي الْخَبْرِ أَيْضاً أَنَّ أَصْحَابَ الرَّفَافَةِ وَهُمْ الرَّاقِصُونَ كَانُوا يَقْمَعُونَ (٣) بَابِ حُجْرِهِ عَائِشَةَ فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مُسْتَمِعَةً وَ مُبْصِرَةً فَيَخْرُجُ هُوَ مِنْ وَرَائِهَا مُسْتَتِراً بِهَا .

١٤- وَ كَانَ نُعَيْمَانُ (٤) وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ أَوْلَعَ النَّاسِ بِالْمَزَاحِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص

ص: ٣٣١

١- (١) النَّعْرُ: صغار العصافير. و انظر اللسان.

٢- (٢) الحزقه: الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف. و عين بقه كناية عن صغر العين و انظر اللسان ١١:٣٣٠.

٣- (٣) يقمعون: يضربون.

٤- (٤) هو نعيمان بن عمرو بن رفاعه بن الحارث؛ كذا نسبه و ترجم له و ذكر طائفه من أخباره فى الإصابه ٤:٥٤٠.

وَ كَانَ يُكْتَبُ الضَّحِكُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَ هُوَ يَضْحَكُ .

١٣٧٧

١٤- وَ خَرَجَ نُعَيْمَانُ هُوَ وَ سُؤْبِطُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى (١) وَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي تَحِيَّارِهِ قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِعَامَيْنِ وَ كَانَ سُؤْبِطُ عَلَى الزَّادِ فَكَانَ نُعَيْمَانُ يَسْتَطْعِمُهُ فَيَقُولُ حَتَّى يَجِيءَ أَبُو بَكْرٍ فَمَرَّ بِرُكْبٍ مِنْ نَجْرَانَ فَبَاعَهُ نُعَيْمَانُ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ عَبْدٌ لَهُ بِعَشْرِ قَلَانِصَ وَ قَالَ لَهُمْ إِنَّهُ ذُو لِسَانٍ وَ لَهْجَةٍ وَ عَسَاهُ يَقُولُ لَكُمْ أَنَا حُرٌّ فَقَالُوا لَا عَلَيْكَ .

وَ حَيَّاءُ وَإِلَيْهِ فَوَضَعُوا عِمَامَتَهُ فِي عُنُقِهِ وَ ذَهَبُوا بِهِ فَلَمَّا جَاءَ أَبُو بَكْرٍ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَرَدَّهُ وَ أَعَادَ الْقَلَانِصَ إِلَيْهِمْ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَصْحَابُهُ مِنْ ذَلِكَ سَنَةً

(٢)

١٣٧٨

١٤- وَ رَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَاعَ نُعَيْمَانَ عُنُقَهُ (٣) عَسَلًا فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ فَجَاءَ بِهَا إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ فِي يَوْمِهَا وَ قَالَ خُذُوهَا فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَّهُ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ وَ مَضَى نُعَيْمَانُ فَنَزَلَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا طَالَ فُعُودُهُ نَادَى يَا هَوْلَاءِ إِمَّا أَنْ تُعْطُونَا ثَمَنَ الْعَسَلِ أَوْ تَرُدُّوهُ عَلَيْنَا فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْفِصْهِ وَ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ الثَّمَنَ وَ قَالَ لِنُعَيْمَانَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُحِبُّ الْعَسَلَ وَ رَأَيْتُ الْعُكَّةَ مَعَ الْأَعْرَابِيِّ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ

١٣٧٩

وَ سُئِلَ النَّخَعِيُّ هَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ يَضْحَكُونَ وَ يَهْمَزُونَ فَقَالَ نَعَمْ وَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ مِثْلُ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي .

١٣٨٠

وَ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ يَحْيَى ع لَقِيَ عِيسَى ع وَ عِيسَى مُتَّبِسٌ فَقَالَ يَحْيَى ع مَا لِي أَرَاكَ لَاهِيًّا كَأَنَّكَ آمِنٌ فَقَالَ ع مَا لِي أَرَاكَ عَابِسًا

ص: ٣٣٢

١- (١) في الإصابه ٩٧، ٩٦: ٢. «سوبيط بن حرمله، قال: ذكره موسى بن عقبه و ابن إسحاق و عروه فيمن هاجر إلى الحبشه».

٢- (٢) الخبر في الإصابه ٩٧: ٢.

٣- (٣) العكه: زق السمن أو العسل.

كَأَنَّكَ آيِسٌ فَقَالَ لَا نَبْرُحَ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْنَا الْوَحْيُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَحْبَبَكَمَا إِلَيَّ الطَّلُقُ الْبَسَامُ أَحْسَنُكَمَا ظَنَّا بِي.

و روى عن كبراء الصحابه رضى الله تعالى عنهم أنهم كانوا يتمازحون و يتناشدون الأشعار فإذا خاضوا فى الدين انقلبت حماليقهم و صاروا فى صور أخرى.

١٣٨١

وَ رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ لِجَارِيَّتِهِ خَلَقَنِي خَالِقُ الْخَيْرِ وَ خَلَقَكَ خَالِقُ الشَّرِّ فَبَكَتْ فَقَالَ لَا عَلَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْخَيْرِ وَ هُوَ خَالِقُ الشَّرِّ.

قلت يعنى بالشر المرض و الغلاء و نحوهما.

١٣٨٢

وَ كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يُنْشِدُ

نُبِّئْتُ أَنَّ فَتَاهُ كُنْتُ أَحْطَبُهَا

عُزُوبُهَا مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ (١).

ثُمَّ يَضْحَكُ حَتَّى يَسِيلَ لُعَابُهُ.

١٣٨٣

وَ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِلَى بِيَابِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى مِرْفَقِهِ لَهُ رَافِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى مُنْشِدًا بِصَوْتٍ عَالٍ وَ كَيْفَ ثَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَيْ وَ طَرَأَ مِنْهَا جَمِيلٌ بِنُ مَعْمَرٍ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ جَلَسَ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا قُلْنَا كَمَا يَقُولُ النَّاسُ .

١٣٨٤

وَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُنْشِدُ

لَقَدْ أَضْبَحَتْ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ جَامِحًا

وَ لَوْ رَضِيَتْ رُمَحَ اسْتِهِ لَأَسْتَقَرَّتْ (٢)

وَ يَضْحَكُ حَتَّى يَسْتَعْرِقَ .

و كان يقال لا بأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حدّ العبوس.

ص: ٣٣٣

١-١) زهر الآداب، ١٦٥، من غير نسبه.

٢-٢) لجرير ديوانه، ٨٨.

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ فَإِنَّ عُقْمَدَةَ الْأَسْدِيَّامِ فِي قُلُوبِنَا صِيحِيحَةٌ وَأَوَاحِيهُ عِنْدَنَا ثَابِتَةٌ وَقَدْ اجْتَهَدَ قَوْمٌ أَنْ يُدْخِلُوا قُلُوبَنَا مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ وَأَنْ يَشُوبُوا يَتَقِنْنَا بِشَكِّهِمْ فَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَحَالَ تَوْفِيقُهُ دُونَهُمْ وَلَنَا بَعْدُ مِذْهَبٌ فِي الدُّعَابَةِ جَمِيلٌ لَا يَشُوبُهُ أَذَى وَلَا قَهْدٌ يَخْرُجُ بِنَا إِلَى الْمَأْنَسِ مِنَ الْعُبُوسِ وَإِلَى الْإِسْتِزْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ وَيَلْحَقُنَا بِأَخْرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لُبْسِهِ الرِّيَاءِ وَأَنْفُوا مِنَ التَّشَوُّفِ بِالتَّصَنُّعِ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ سَأَلْتُ عَطَاءَ عَنِ الْقِرَاءَةِ عَلَى أَلْحَانِ الْغِنَاءِ وَالْحِدَائِ فَقَالَ لِي لَا بَأْسَ بِذَلِكَ حَيْدَثْنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ اللَّيْثِيُّ أَنَّهُ كَانَ لِدَاوُدَ النَّبِيِّ عِ مِعْزَفَةً قَدْ يَضْرِبُ بِهَا إِذَا قَرَأَ الرَّبُّورَ فَتَجَمَّعَ إِلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ فَيَبْكِي وَيُبْكِي مِنْ حَوْلِهِ.

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُعْفِيُّ رَأَيْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ لِخَيْاطٍ يَمَازِحُهُ عِنْدَنَا حَبٌّ مَكْسُورٌ وَأَحْبُّ أَنْ تَخِيْطَهُ فَقَالَ الْخَيْاطُ أَحْضِرْ لِي خَيْوطًا مِنْ رِيحٍ لِأَخِيْطَهُ لَكَ.

وَسُئِلَ الشَّعْبِيُّ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَكَلَ الْجِنِّيُّ لَوْ ظَفِرَ بِهِ فَقَالَ لَيْتَنَّا نَخْرُجُ مِنْهُ كَفَافًا (١) لَا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا.

وَسَأَلَ إِنْسَانٌ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ عَنِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ فَقَالَ تُؤَفِّي الْبَارِحَةَ أَمَا شَعَرَتْ فَخَرَجَ يَسْتَرْجِعُ فَلَمَّا رَأَى ابْنَ سِيرِينَ جَزَعَهُ قَرَأَ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا (٢).

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ فِي بَيْتِهِ وَأَرْفَتِهِمْ وَقَدْ أَيَّاحَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّفْثَ إِلَى النِّسَاءِ فَقَالَ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ

١- (١) الكفاف: المثل.

٢- (٢) سورة الزمر ٤٢.

. و قال أهل اللغة الرث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع.

١٣٩١

وَ مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ حَمَّالٌ عَلَى ظَهْرِهِ دَنْ حَلٌّ فَوَضَعَ الدَّنَّ وَ قَالَ لَهُ مَا كَانَ اسْمُ امْرَأَةٍ إِبْلِيسَ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ ذَلِكَ نِكَاحٌ مَا شَهِدْنَاهُ.

١٣٩٢

وَ قَالَ عِكْرِمَةُ خَتَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَيْنَهُ فَأَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ اللَّعَّابِينَ فَلَعِبُوا فَأَعْطَاهُمْ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ.

١٣٩٣

وَ تَقَدَّمَ رَجُلَانِ إِلَى شُرَيْحٍ فِي خُصُومَةٍ فَأَقْرَأَ أَحَدُهُمَا بِمَا ادَّعَى عَلَيْهِ وَ هُوَ لَا يَدْرِي فَقَضَى شُرَيْحٌ عَلَيْهِ فَقَالَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَ تَقْضِي عَلَيَّ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ قَالَ بَلَى شَهِدَ عِنْدِي ثِقَةً قَالَ وَ مَنْ هُوَ قَالَ ابْنُ أُخْتِ خَالَتِكَ.

١٣٩٤

١٤- وَ جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِصُهَيْبٍ وَ هُوَ أَرْمَدٌ يَأْكُلُ تَمْرًا فَفَنَهَاهُ فَقَالَ إِنَّمَا أَكَلُهُ عَنْ جَانِبِ الْعَيْنِ الصَّحِيحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَضَحِكَ مِنْهُ وَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ

١٣٩٥

١٤- وَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَ قَدْ رَسَّ (٢) أَطْمَارَهُ وَ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ تُغْنِيهِ هَلْ عَلَيَّ وَيَحْكُمَا إِنْ لَعَوْتُ مِنْ حَرْجٍ فَقَالَ ص لَا حَرْجَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٣٩٦

وَ قِيلَ إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ لَوْ غَنَّتْكَ فُلَانَةٌ جَارِيَتِي صَوْتٌ كَذَا لَمْ تُدْرِكْ رِكَابَكَ فَقَالَ يَا أَبَا جَعْفَرَ فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٣).

- ١-١) سورة البقره ١٨٧.
- ٢-٢) رش أطماره: غسلها.
- ٣-٣) سورة الحج.

وَقَالَ أُسَيْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَرَّ بِبِي عُمَرَ وَ أَنَا وَ عَاصِمٌ نُغْنِي غِنَاءَ النَّصَبِ (١) فَوَقَفَ وَ قَالَ أَعِيدَا عَلَيَّ فَأَعَدْنَا عَلَيْهِ وَ قُلْنَا أَيُّنَا أَحْسَنُ صَدَّقَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مَتْلُكُمَا كَحِمَارِي الْعِبَادِي قِيلَ لَهُ أَيُّ حِمَارِيكَ شَرٌّ فَقَالَ هَذَا ثُمَّ هَذَا فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْأَوَّلُ مِنَ الْحِمَارِينَ فَقَالَ أَنْتَ الثَّانِي مِنْهُمَا.

وَ مَرَّ نُعَيْمَانُ وَ هُوَ بَدْرِيُّ بِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فِي خِلَافِهِ عُثْمَانَ وَ قَدْ كُفَّ بَصِيرُهُ فَقَالَ أَلَا يَقُودُنِي رَجُلٌ حَتَّى أَبُولَ فَأَخَذَ نُعَيْمَانُ بِيَدِهِ حَتَّى صَارَ بِهِ إِلَى مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ وَ قَالَ هَاهُنَا قَبْلُ فَبَالَ فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ فَقَالَ مَنْ قَادَنِي قِيلَ نُعَيْمَانُ قَالَ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَيْدِهِ فَبَلَغَ نُعَيْمَانُ أَنْ فَاتَاهُ فَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّكَ أَقْسَمْتَ لَتَضْرِبَنَّ نُعَيْمَانَ فَهَلْ لَكَ فِيهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ قُمْ فَاقَامَ مَعَهُ حَتَّى وَافَى بِهِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَ هُوَ يُصَيِّلِي فَقَالَ دُونَكَ الرَّجُلَ فَجَمَعَ مَخْرَمَةَ يَدِيهِ فِي الْعَصَا وَ ضَرَبَهُ بِهَا فَصَاحَ النَّاسُ وَ يَلِكُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ مَنْ قَادَنِي قَالُوا نُعَيْمَانُ قَالَ وَ مَا لِي وَ لِنُعَيْمَانَ لَا أَعْرِضُ لَهُ أَبَدًا.

وَ كَانَ طُؤَيْسٌ يَتَغَنَّى فِي عُرْسٍ فَدَخَلَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْعُرْسَ وَ طُؤَيْسٌ يُغْنِيهِمْ أَجَدَّ بِعَمْرَةٍ هَجْرَانُهَا وَ تَسِيخُ أُمِّ شَانُئَا شَانُئَا (٢).

فَأَشَارُوا إِلَيْهِ بِالسُّكُوتِ فَقَالَ النُّعْمَانُ دَعُوهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِأَسَاءَ إِنَّمَا قَالَ وَ عَمْرَهُ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ تَنْفَحُ بِالْمِسْكِ أَرْدَانُهَا. وَ عَمْرَهُ هَذِهِ أُمُّ النُّعْمَانِ وَ فِيهَا قِيلَ هَذَا النَّسِيبُ.

وَ قَدْ رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ اللَّعْبَ بِالنَّزْدِ وَ الشُّطْرَنْجِ وَ مِنْهُمْ مَنْ رَوَى عَنْهُمْ شَرْبَ النَّبِيذِ وَ سَمَاعَ الْغِنَاءِ الْمَطْرَبِ.

١- (١) النصب: غناء يشبه الحداء؛ إلا أنه أرق.

٢- (٢) البيتان لقيس بن الخطيم، ديوانه ٧٨.

فأما أمير المؤمنين على ع فإذا نظرت إلى كتب الحديث و السير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا و لا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن لا- قولاً- و لا- فعلاً- و لم يكن جد أعظم من جده و لا- وقار أتم من وقاره و ما هزل قط و لا لعب و لا فارق الحق و الناموس الدينى سرا و لا جهرا و كيف يكون هازلا

١٤٠٠

وَ مِنْ كَلَامِهِ الْمَشْهُورِ عَنْهُ

مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَهُ إِلَّا وَ مَجَّ مَعَهَا مِنْ عَقْلِهِ مَجَّهً .

و لكنه خلق على سجيته لطيفه و أخلاق سهله و وجه طلق و قول حسن و بشر ظاهر و ذلك من فضائله ع و خصائصه التى منحه الله بشرفها و اختصه بمزيتها و إنما كانت غلظته و فظاظته فعلا لا قولاً و ضرباً بالسيف لا جبهاً بالقول و طعناً باللسان لا عضها باللسان (١) كما قال الشاعر و تسفه أيدينا و يحلم رأينا و نشتم بالأفعال لا بالتكلم

نبدو أقوال فى حسن الخلق و مدحه

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجايه

١٤٠١

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص خَصَلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَ سُوءُ الْخُلُقِ .

و قال الله تعالى لنبىه ص وَ إِنَّكَ لَعَالِي خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢) و قال أيضا وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ (٣) .

١٤٠٢

١- وَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص مَا الشُّؤْمُ فَقَالَ سُوءُ الْخُلُقِ .

١٤٠٣

وَ صَحِبَ جَابِرٌ رَجُلًا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَذَاهُ سُوءُ خُلُقِهِ فَقَالَ جَابِرٌ إِنَّى لَأَرْحَمُهُ نَحْنُ نَفَارِقُهُ وَ يَبْقَى مَعَهُ سُوءُ خُلُقِهِ .

ص: ٣٣٧

١- (١) يقال: جبهت فلاناً؛ إذا خاطبته بما يكره. و العضة: الرمى بالكذب و البهتان.

٢- (٢) سورة القلم ٤.

٣- (٣) سورة آل عمران ١٥٩.

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ كَيْفَ تُجَاوِرُ بَنِي زُهْرَةَ وَفِي أَخْلَاقِهِمْ زَعَارَةٌ (١) قَالَ لَا يَكُونُ لِي قَبْلَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا تَرَكَتُهُ وَلَا يَطْلُبُونَ مِنِّي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ.

١٤- وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّهُ ص قَالَ أَلَا أُبْتِكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ نَزَلَ وَخِيَدَهُ وَمَعَ رِفْدَهُ وَضَرَبَ عِبْدَهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُبْتِكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ قَالُوا بَلَى قَالَ مَنْ لَمْ يُقِلْ عَثْرَةَ وَلَا يَقْبَلْ مَعْدِرَةً .

١٤- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ لَوْ وُزِنَتْ كَلِمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَحَاسِنِ الْخُلُقِ كُلِّهَا لَرَجَحَتْ قَوْلُهُ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا (٢) النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ .

وَفِي الْخَيْرِ الْمَرْفُوعِ حُسْنُ الْخُلُقِ زِمَامٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي أَنْفِ صَاحِبِهِ وَ الزِّمَامُ بِيَدِ الْمَلِكِ وَ الْمَلِكُ يَجْرُهُ إِلَى الْخَيْرِ وَ الْخَيْرُ يَجْرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ سُوءُ الْخُلُقِ زِمَامٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي أَنْفِ صَاحِبِهِ وَ الزِّمَامُ بِيَدِ الشَّيْطَانِ وَ الشَّيْطَانُ يَجْرُهُ إِلَى الشَّرِّ وَ الشَّرُّ يَجْرُهُ إِلَى النَّارِ .

وَ رَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّ الرَّجُلَ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَ إِنَّهُ لَيُكْتَبُ جَبَّارًا وَ لَا- يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلُهُ.

١٤- وَ رَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ بَيَّنَّا رَسُولَ اللَّهِ ص يَمْشِي وَ امْرَأَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ الطَّرِيقَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَتْ الطَّرِيقُ مُعَرَّضٌ إِنْ شَاءَ أَخَذَ يَمِينًا وَ إِنْ شَاءَ أَخَذَ شِمَالًا فَقَالَ ص دَعُوهَا فَإِنَّهَا جَبَّارَةٌ

وَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الْحَسَنُ الْخُلُقِ ذُو قَرَابَةٍ عِنْدَ الْأَجَانِبِ وَ السَّيِّئُ الْخُلُقِ أَجْنَبِيٌّ عِنْدَ أَهْلِهِ.

وَمِنْ كَلَامِ الْأَخْنَفِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمَحْمَدِ بِلَا مَيْدَمِهِ الْخُلُقُ السَّجِيحُ وَالْكَفُّ عَنِ الْقِيحِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَاءِ الْخُلُقِ الدَّنِيِّ وَاللِّسَانِ الْبُذِيِّ.

ص: ٣٣٨

١-١) الزعارة، و تشدد الرءاء: شراسه الخلق.

٢-٢) فى الأصول: «لن تشبعوا» تصحيف؛ و لفظ الحديث فى الجامع الصغير ١:١٧٥: «إنكم لا- تسعون الناس بأموالكم، و لكن ليسعهم منكم بسط الوجه و حسن الخلق».

٣-٣) جباره، أى مستكبره عاتيه. و انظر النهايه ١:١٤٢.

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ.

وَ جَاءَ مَرْفُوعاً أَيْضاً الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيْنٌ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ (١) إِنْ قِيدَ انْقَادَ وَ إِنْ أُيخِ عَلَى صَخْرِهِ اسْتَنَاحَ.

١٤- وَ حِيَاءٌ مَرْفُوعاً أَيْضاً أَلَا- أُخْبِرُكُمْ بِأَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسِدُنُكُمْ أَخْلَاقاً الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَ يُؤْلَفُونَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَ أَبْعَدِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَمَفِّهَةُونَ .

أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً حَقّاً فَلْيَكُنْ أَذَلَّ مِنْ قَعُودِ كُلِّ مَنْ مَرَّ بِهِ ادَّعَاهُ.

فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ

لَأَنَّ يَضِيحَنِي فَاجِرٌ حَسَنُ الْخُلُقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَضْحَبَنِي عَابِدٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ لِأَنَّ الْفَاسِقَ إِذَا حَسَنَ خُلُقَهُ خَفَّ عَلَى النَّاسِ وَ أَحْبَبُوهُ وَ الْعَابِدَ إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ ثَقَلَ عَلَى النَّاسِ وَ مَقْتُوهُ.

١٤- دَخَلَ فَرْقَدٌ وَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَلَى رَجُلٍ يَعُودَانِهِ فَجَزَى ذِكْرَ الْعُنْفِ وَ الرَّفْقِ فَرَوَى فَرْقَدٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قِيلَ لَهُ عَلَى مَنْ حَرَمَتِ النَّارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَلَى الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ السَّهْلِ الْقَرِيبِ فَلَمْ يَجِدْ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ بِيَاضاً يَكْتُبُ ذَلِكَ فِيهِ فَكَتَبَهُ عَلَى سَاقِهِ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدَّارَانِيِّ

مَا ضَرَبَ عَبْدٌ بِعُقُوبِهِ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ.

عَائِشَةُ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ بَابَ رَفْقٍ.

وَعَنْهَا عَنْهُ صَلَّى مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١ - ١) يريد سهل المقاده؛ وأصله أن البعير إذا اشتكى من البره توضع في أنفه يقال له: بعير أنف.

١٤٢١

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ رَفَعَهُ أَنَّ اللَّهَ لِيُعْطِيَ عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْخُرْقِ فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ.

١٤٢٢

وَكَانَ يُقَالُ مَا دَخَلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ.

١٤٢٣

أَبُو عَوْنٍ الْأَنْصَارِيُّ

مَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ بِكَلِمَةٍ عَنَيْهِ إِلَّا وَ إِلَى جَانِبِهَا كَلِمَةٌ أَلْتِنُ مِنْهَا تَجْرِي مَجْرَاهَا.

١٤٢٤

١٤- سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ خَذِ الْعَفْوَ وَ أَمْرَ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

(١)

١٤٢٥

وَ سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ بَسْطُ الْوَجْهِ وَ كَفُّ الْأَذَى وَ بَدْلُ النَّدَى.

١٤٢٦

ابْنُ عَبَّاسٍ

إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ يَذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ وَ إِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ.

١٤٢٧

عَلِيُّ ع

مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ .

١٤٢٨

وَ عَنَّهُ ع

عُنْوَانٌ صَحِيْفِهِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ خُلُقِهِ .

١٤٢٩

وَ عَنَّهُ ع مَرْفُوعاً

عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ سُوءَ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ فِي النَّارِ .

١٤٣٠

قَالَ الْمَنْصُورُ لِأَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي بَنِي حَسَنِ لَمَّا أَرْمَعُوا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ أَنْبَسِيهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِحْسَانِ فَإِنْ اسْتَوْحَشُوا فَالْشَّرُّ يُصِلِحُ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْخَيْرُ وَ لَا تَدْعُ مُحَمَّدًا يَمْرُحُ فِي أَعْنَةِ الْعُقُوقِ فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَا أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّهُ مِنْ شُدِّدِ نَفْرٍ وَ مَنْ لَانَ أَلْفٌ وَ التَّعَافُلُ مِنْ سَجَايَا الْكِرَامِ .

فصل في ذكر أسباب الغلظة و الفظاظة

و نحن نذكر بعد كلاما كلياً في سبب الغلظة و الفظاظة و هو الخلق المنافي للخلق الذي كان عليه أمير المؤمنين فنقول

ص : ٣٤٠

إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسماني وقد يكون لأمر راجع إلى النفس فأما الأول فإنما يكون من غلبه الأخلاط السوداوية و ترمدها و عدم صفاء الدم و كثره كدرته و عكره فإذا غلظ الدم و ثخن غلظ الروح النفساني و ثخن أيضا لأنه متولد من الدم فيحدث منه نوع مميًا يحدث لأصحاب الفطره من الاستيحاش و النبوه عن الناس و عدم الاستئناس و البشاشه و صار صاحبه ذا جفاء و أخلاق غليظه و يشبهه أن يكون هذا سببا ماديا فإن الذي يقوى فى نفسى أن النفوس إن صحت و ثبتت مختلفه بالذات.

و أما الراجع إلى النفس فإن يجتمع عندها أسقاط و أنصباء من قوى مختلفه مذمومه نحو أن تكون القوه الغضبيه عندها متوافره و ينضاف إليها تصور الكمال فى ذاتها و توهم النقصان فى غيرها فيعتقد أن حركات غيره واقع على غير الصواب و أن الصواب ما توهمه.

و ينضاف إلى ذلك قله أدب النفس و عدم الضبط لها و استحقارها للغير و يقل التوقير له و ينضاف إلى ذلك لجاج و ضيق فى النفس و حده و استشاطه و قله صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الأمور خلق دنى و هو الغلظه و الفظاظه و الوعوره و البادره المكروهه و عدم حبه الناس و لقاءهم بالأذى و قله المراقبه لهم و استعمال القهر فى جميع الأمور و تناول الأمر من السماء و هو قادر على أن يتناوله من الأرض.

و هذا الخلق خارج عن الاعتدال و داخل فى حيز الجور و لا ينبغي أن يسمى بأسماء المدح و أعنى بذلك أن قوما يسمون هذا النوع من العنف و الخلق الوعر رجوليه و شده و شكيمه و يذهبون به مذهب قوه النفس و شجاعته الذى هو بالحقيقه مدح و شتان بين الخلقين فإن صاحب هذا الخلق الذى ذمناه تصدر عنه أفعال كثيره يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهى إلى عبيده و حرمه فيكون عليهم سوط عذاب لا يقلهم عشره و لا يرحم لهم عبره و إن كانوا برآء الذنوب غير مجرمين و لا مكتسبى سوء بل يتجرم عليهم و يهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم

حتى يبسط يده و لسانه و هم لا يمتنعون منه و لا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له و يقرون بذنوب لم يقترفوها
استكفاً لعاديته و تسكيناً لغضبه و هو فى ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا و لا لسانا.

و أصل هذا الخلق الذى ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفه من شدة القوه الغضبيه فهى الحامله لصاحب هذا الخلق على ما يصدر
عنه من البادره المكروهه و الجبهه و القحه و قد رأينا و شاهدنا من تشدد القوه الغضبيه فيه فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى
البهائم التى لا- تعقل و إلى الأوانى التى لا- تحس و ربما قام إلى الحمار و إلى البرذون فضربهما و لكمهما و ربما كسر الآنيه
لشده غضبه و ربما عض القفل إذا تعسر عليه و ربما كسر القلم إذا تعلق به شعره من الدواه و اجتهد فى إزالتها فلم تزل.

و يحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كان يغضب على البحر إذا هاج و اضطرب و تأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم
بمعبوده ليظمنه و ليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضاً و يقف بنفسه على البحر و يهدده بذلك و يزجره زجراً عنيفاً حتى تدر
أوداجه و يشتد احمرار وجهه و منهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول و لهذا ورد فى الشريعة الأمر
لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاه و يصلى.

١٤٣١

وَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا غَضِبَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهِ لَا يَسْكُنُ غَضَبُهُ حَتَّى يَعْضَّ يَدَهُ عَضًّا شَدِيدًا حَتَّى يُدْمِيَهَا.

١٤٣٢

وَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ أَنَّ سُرِّيَّةً جَاءَتْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ لِعَبِيدِ اللَّهِ

ص: ٣٤٢

بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ تَشَكُّوهُ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تُعَذِّرُنِي مِنْ أَبِي عَيْسَى قَالَ وَمَنْ أَبُو عَيْسَى قَالَ ابْنُكَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ وَيَحْكُ وَ قَدْ تَكُنِّي بِأَبِي عَيْسَى ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ إِيهَا أَكْتَنَيْتَ بِأَبِي عَيْسَى فَحِيدِرَ وَ فِرْعَ وَ أَخَذَ يَدَهُ فَعَضَّهَا ثُمَّ ضَرَبَهُ وَ قَالَ وَيَلِكُ وَ هَلْ لِعَيْسَى أَبٌ أَ تَدْرِي مَا كُنِّي الْعَرَبُ أَبُو سَلَمَةَ أَبُو حَنْظَلَةَ أَبُو عُرْفُطَةَ أَبُو مُرَّةَ .

قَالَ الزُّبَيْرُ وَ كَانَ عُمَرُ إِذَا غَضِبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ لَمْ يَسْكُنْ غَضَبُهُ حَتَّى يَعْضَّ يَدَهُ عَضًّا شَدِيدًا وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَذَلِكَ وَ لِقَوِّهِ هَذَا الْخُلُقِ عِنْدَهُ أَضْمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي خِلَافَتِهِ إِبْطَالَ الْقَوْلِ بِالْعَوْلِ (١) وَ أَظْهَرَ بَعْدَهُ فَقِيلَ لَهُ هَلَّا قُلْتَ هَذَا فِي أَيَّامِ عُمَرَ فَقَالَ هَيْبَتُهُ وَ كَانَ أَمِيرًا مَهِيئًا.

وَ لِذَلِكَ قَالَ أَيْضًا أَبُو سَيْفِيَانٍ فِي اسْتِئْذَانِ زِيَادٍ أَخَافُ مِنْ هَذَا الْعَيْرِ الْجَالِسِ أَنْ يَخْرِقَ عَلَيَّ إِهَابِي. فَإِذَا هَابَهُ أَبُو سَفِيَانٍ وَ هُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَعْلَمُ وَ حَوْلَهُ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ وَ هُمْ جَمْرَةُ قَرِيشٍ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ هُوَ دُونَهُ.

وَ قَدْ عَلِمْتَ حَالَ جَبَلِهِ بَنِ الْأَيْهَمِ وَ ارْتِدَادَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ لِتَهْدِئِهِ لَهُ وَ وَعِيدِهِ إِيَّاهُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِالْدَرَةِ وَ فِسَادِ الْحَالِ بَيْنَهُ وَ بَيْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بَعْدَ أَنْ كَانَ وَلِيًّا مَصَافِيَا وَ مَنْحَرَفَا عَنْ غَيْرِهِ قَالِيَا وَ الشَّأْنِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ طَلْحَةَ حَتَّى هُمْ أَنْ يَوْقِعَ بِهِ وَ حَتَّى هُمْ طَلْحَةَ أَنْ يَجَاهِرَهُ وَ طَلْحَةَ هُوَ الَّذِي قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ عِنْدَ مَوْتِهِ مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ وَ قَدْ وَلِيَتْ فِينَا فِظًا غَلِيظًا وَ هُوَ الْقَائِلُ لَهُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا لَا نَحْتَمِلُ شِرَاسْتَهُ وَ أَنْتَ حَى تَأْخُذُ عَلَيَّ يَدِيهِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُنَا مَعَهُ وَ أَنْتَ مَيِّتٌ وَ هُوَ الْخَلِيفَةُ.

وَ اعْلَمْ أَنَا لَا نَرِيدُ بِهَذَا الْقَوْلِ ذَمَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ كَيْفَ نَذَمَهُ وَ هُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَدْحِ

ص: ٣٤٣

والتعظيم ليمن نقيته و بركه خلافته و كثره الفتوح فى أيامه و انتظام أمور الإسلام على يده و لكننا أردنا أن نشرح حال العنف و الرفق و حال سعه الخلق و ضيقه و حال البشاشه و العيوس و حال الطلاقه و الوعوره فنذكر كل واحد منها ذكرا كليا لا نخص به إنسانا بعينه فأما عمر فإنه و إن كان وعرا شديدا خشنا فقد رزق من التوفيق و العناية الإلهيه و نجاح المساعى و طاعه الرعيه و نفوذ الحكم و قوه الدين و حسن النيه و صحه الرأى ما يربى محاسنه و محامده على ما فى ذلك الخلق من نقص و ليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحده.

فأما حديث الرضيخه و ما جعل معاويه لعمر بن العاص من جعله على مبايعته و نصرته فقد تقدم ذكره فى أخبار صفيين المشروحه فى هذا الكتاب من قبل

ص: ٣٤٤

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفِهِ وَ لَا تُعَقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ وَ لَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَ التَّبَعِيضُ وَ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ .

فى هذا الفصل على قصره ثمانى مسائل من مسائل التوحيد.

الأولى أنه لا ثانى له سبحانه فى الإلهية .

و الثانى أنه قديم لا أول له فإن قلت ليس يدلّ كلامه على القدم لأنه قال الأول لا شىء قبله فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثا و ليس قبله شىء لأنه محدث عن عدم و العدم ليس بشىء قلت إذا كان محدثا كان له محدث فكان ذلك المحدث قبله فثبت أنه متى صدق أنه ليس شىء قبله صدق كونه قديما .

و الثالثه أنه أبدى لا انتهاء و لا انقضاء لذاته .

و الرابعه نفى الصفات عنه أعنى المعانى .

و الخامسه نفى كونه مكيفا لأن كيف إنما يسأل بها عن ذوى الهيئات و الأشكال و هو منزّه عنها .

و السادسه أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم و لا عرض .

و السابعه أنه لا يرى ولا يدرك.

و الثامنه أن ماهيته غير معلومه و هو مذهب الحكماء و كثير من المتكلمين من أصحابنا و غيرهم.

و أدله هذه المسائل مشروحه في كتبنا الكلاميه .

و اعلم أن التوحيد و العدل و المباحث الشريفه الإلهيه ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل و أن كلام غيره من أكابر الصحابه لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً و لا كانوا يتصورونه و لو تصوروه لذكروه و هذه الفضيله عندي أعظم فضائله ع و منها فَاتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ وَ اعْتَبَرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ وَ ازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وَ اتْتَفِعُوا بِالذُّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ فَكَأَنَّ (١) قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَيِّتِهِ وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمِّيَّتِهِ وَ دَهَمَتْكُمْ مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ وَ السِّيَاقَهُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ فَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

العبر

جمع عبره و هى ما يعتبر به أى يتعظ و الآى جمع آيه و يجوز أن يريد

ص: ٣٤٦

(١-١) مخطوطه النهج «و كأن».

بها آى القرآن و يجوز أن يريد بها آيات الله فى خلقه و فى غرائب الحوادث فى العالم.

و السواطع المشرقه المنيره .

و النذر جمع نذير و هو المخوف و الأحسن أن يكون النذر هاهنا هى الإنذارات نفسها لأنه قد وصف ذلك بالبوالغ و فواعل لا تكون فى الأكثر إلا صفه المؤنث .

و مفضعات الأمور شدائدها الشنيعه أفضع الأمر فهو مفضع و يجوز فضع الأمر بالضم فظاعه فهو فظيع و أفضع الرجل على ما لم يسم فاعله أى نزل به ذلك .

و قوله و السياقه إلى الورد المورود يعنى الموت و قوله **سَاتِقٌ وَ شَهِيدٌ** و قد فسر ذلك و قال سائق يسوقها إلى محشرها و شاهد يشهد عليها بعملها و قد قال بعض المفسرين إن الآيه لا تقتضى كونهما اثنين بل من الجائر أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين كأنه قال و جاءت كل نفس معها ملك يسوقها و يشهد عليها و كلام أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضا لأنه لم يقل أحدهما لكن الأظهر فى الأخبار و الآثار أنهما ملكان.

فإن قلت إذا كان تعالى عالما بكل شىء فأى حاجه إلى الملائكه التى تكتب الأعمال كما قال سبحانه **بَلَىٰ وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** (١) و إذا كان تعالى أعدل العادلين فأى حاجه إلى ملك يشهد على المكلف يوم القيامة و إذا كان قادرا لذاته فأى حاجه إلى ملك يسوق المكلف إلى المحشر قلت يجوز أن يكون فى تقرير مثل ذلك فى أنفس المكلفين فى الدنيا أطفاف و مصالح لهم فى أديانهم فيخاطبهم الله تعالى به

ص: ٣٤٧

لوجوب اللطف فى حكمته و إذا خاطبهم به و جب فعله فى الآخره لأن خبره سبحانه لا يجوز الخلف عليه و منها فى صفة الجنة درجات متفاضلات و منازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها و لا يظعن مقيمها و لا يهرم خالدها و لا يبأس [يبأس] ساكنها .

الدرجات جمع درجه و هى الطبقات و المراتب و يقال لها درجات فى الجنة و درجات فى النار و إنما تفاضلت و تفاوتت بحسب الأعمال و لا يجوز أن يقع ذلك تفضلا لأن التفضل بالثواب قبيح .

فإن قلت فما قولك فى الحور و الولدان و الأطفال و المجانين قلت يكون الواصل إليهم نعيما و لذه لا شبهه فى ذلك و لكن لا ثواب لهم و لا- ينالونه و الثواب أمر أخص من المنافع و النعيم لأنه منافع يقترن بها التعظيم و التبجيل و هذا الأمر الأخص لا يحسن إيصاله إلا إلى أرباب العمل .

و قوله لا- ينقطع نعيمها و لا- يظعن مقيمها قول متفق عليه بين أهل الملة إلا- ما يحكى عن أبى الهذيل أن حركات أهل الجنة تنتهى إلى سكون دائم و قد نزهه قوم من أصحابنا عن هذا القول و أكذبوا رواته و من أثبته منهم عنه زعم أنه لم يقل بانقطاع النعيم لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم و إنما حملة على ذلك أنه لما استدل على أن

الحركة الماضيه يستحيل ألا يكون لها أول عورض بالحركات المستقبلة لأهل الجنه و النار فالترم أنها متناهيه و إنما استبعد هذا عنه لأنه كان أجل قدرا من أن يذهب عليه الفرق بين الصورتين .

و ييأس مضارع بيأس و جاء فيه يبيأس بالكسر و هو شاذ كشدوذ يحسب و ينعم و معنى ييأس يصيبه البؤس و هو الشقاء

ص: ٣٤٩

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَ خَيْرَ الضَّمَائِرِ لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْعَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ وَ فِي فَرَاعِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ وَ فِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤَخَّذَ بِكَظْمِهِ وَ لِيَمْهَدَ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ [أَحْفَظْتُكُمْ]

مِنْ كِتَابِهِ وَ اسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُقُوقِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ لَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَنَّمَ وَ لَا عَمَى قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ وَ عَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آخِرَ الْكُفْمِ وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ عَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

السرائر

جمع سريره و هو ما يكتن من السر .

و خبر الضمائر بفتح الباء امتحنها و ابتلاها و من رواه بكسر الباء أراد علم و الاسم

الخبر بضم الخاء و هو العلم و الضمائر جمع ضمير و هو ما تضمنه و تكنه فى نفسك .

و فى قوله له الإحاطه بكل شىء و قد بينها ثلاث مسائل فى التوحيد إحداهن أنه تعالى عالم بكل المعلومات.

و الثانیه أنه لا شريك له و إذا ثبت كونه عالما بكل شىء كان فى ضمن ذلك نفي الشريك لأن الشريك لا يكون مغلوبا.

و الثالثه أنه قادر على كل ما يصح تعلق قادرته تعالى به.

و أدله هذه المسائل المذكوره فى الكتب الكلاميه .

و قوله فليعمل العامل منكم إلى قوله و ليتزود من دار طعنه لدار إقامته مأخوذ من

١٤٣٣

قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي حُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَ هِيَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَاثْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَ إِنَّ لَكُمْ غَايَةَ فَاثْتَهُوا إِلَى غَايَتِكُمْ
إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ وَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ
نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَ مِنَ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْهَرَمِ وَ مِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَيُوتِ فَمَوِّدِ نَفْسِ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ
مُسْتَعْتَبٍ وَ مَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ .

و المهل المهله و التؤده و الإرهاق مصدر أرهاق تقول أرهاقه قرنه فى الحرب إرهاقا إذا غشيه ليقته و زيد مرهق قال الشاعر تندی
أكفهم و فى أبياتهم ثقه المجاور و المضاف المرهق (١).

و فى متنفسه

أى فى سعه وقته يقال أنت فى نفس من أمرك أى فى سعه.

ص: ٣٥١

و الكظم بفتحهما مخرج النفس و الجمع أكظام و يجوز ظعنه و ظعنه بتحريك العين و تسكينها و قرئ بهما يَوْمَ ظَعْنِكُمْ (١) و ظعنكم و نصب الله الله على الإغراء و هو أن تقدر فعلا- ينصب المفعول به أى اتقوا الله و جعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر و دليلا عليه.

استحفظكم من كتابه

جعلكم حفظه له جمع حافظ .

السدى المهمل و يجوز سدى بالفتح أسديت الإبل أهملتها و قوله قد سمي آثاركم يفسر بتفسيرين أحدهما قد بين لكم أعمالكم خيرا و شرها كقوله تعالى وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (٢) و الثانى قد أعلى ما تركم أى رفع منازلكم إن أطعتم و يكون سمي بمعنى أسمى كما كان فى الوجه الأول بمعنى أبان و أوضح .

و التبيان بكسر التاء مصدر و هو شاذ لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بفتحها مثل التذكار و التكرار و لم يأت بالكسر إلا حرفان و هما التبيان و التلقاء .

و قوله حتى أكمل له و لكم دينه من قوله تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (٣) .

و قوله الذى رضى لنفسه من قوله تعالى وَ لِيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ (٤) لأنه إذا ارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه أى ارتضى أن ينسب إليه فيقال هذا دين الحق و أنهى إليكم عرفكم و أعلمكم .

و محابه جمع محبه و مكارهه جمع مكرهه و هى ما تكرهه و فى هذا دلالة أن الله تعالى يحب الطاعة و يكره المعصية و هو خلاف قول المجبره .

ص: ٣٥٢

١-١) سورة النحل ٨٠.

٢-٢) سورة البلد ١٠.

٣-٣) سورة المائدة ٣.

٤-٤) سورة النور ٥٥.

و الأوامر جمع أمر و أنكره قوم و قالوا هاهنا جمع أمر كالأحوص جمع أحوص و الأحامر جمع أحمر يعنى الكلام الأمر لهم بالطاعات و هو القرآن . و النواهي جمع ناهيه كالسوارى جمع ساريه و الغوادى جمع غاديه يعنى الآيات الناهيه لهم عن المعاصى و يضعف أن يكون الأوامر و النواهي جمع أمر و نهى لأن فعلا- لا يجمع على أفاعل و فواعل و إن كان قال ذلك بعض الشواذ من أهل الأدب .

و قوله و ألقى إليكم المعذره كلام فصيح و هو من قوله تعالى أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ (١) .

و قدم إليكم بالوعيد و أنذركم

بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ - أى أمامه و قبله مأخوذ أيضا من القرآن و معنى قوله بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ أى أمامه و قبله لأن ما بين يديك متقدم لك فاستدركوا بقيته أيامكم و اصبروا لها أنفسكم فإنها قليل فى كثير الأيام التى تكون منكم فيها الغفله و التساغل عن المواعظه و لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمه و لا تدهنوا فيهم بكم الإذهان على المعصيه عبادة الله إن أنصح الناس لأنفسه أطوعهم لربه و إن أغشهم لأنفسه أعصاهم لربه و المغبون من عب نفسه و المغبوط من سيلم له دينه و السعيد من وعظ بغيره و الشقي من انخدع لهواه و غروره

ص: ٣٥٣

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ وَ مُجَالَسَهُ أَهْلَ الْهَوَى مَنَسَاهُ لِلْإِيمَانِ وَ مَحْضَرَهُ لِلشَّيْطَانِ جَانِبُوا الْكُذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاهِ وَ كَرَامِهِ وَ الْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاهِ وَ مَهَانِهِ وَ لَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ وَ لَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِى الْعَقْلَ وَ يُنْسِي الذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَعْرُورٌ .

قوله فاستدركوا بقيه أيامكم يقال استدركت ما فات و تداركت ما فات بمعنى و اصبروا لها أنفسكم مأخوذ من قوله تعالى وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعِشِيِّ (١) يقال صبر فلان نفسه على كذا أى حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنتره فصبرت عارفه لذلك حره ترسو إذا نفس الجبان تطلع (٢) .

أى حبست نفسا عارفه

١٤٣٤

وَ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيُّ فِي رَجُلٍ أَمْسَكَ رَجُلًا وَ قَتَلَهُ الْآخِرُ فَقَالَ عِ اقْتُلُوا الْقَاتِلَ وَ اصْبِرُوا الصَّابِرَ .

أى احبسوا الذى أمسكه حتى يموت .

و الضمير فى فإنها قليل عائد إلى الأيام التى أمرهم باستدراكها يقول إن هذه الأيام التى قد بقيت من أعماركم قليلة بالنسبه و الإضافة إلى الأيام التى تغفلون فيها عن الموعظه .

ص: ٣٥٤

١- (١) سورة الأنعام ٥٢.

٢- (٢) يذكر حربا كان فيها اللسان ١٠٧:٦.

و قوله فإنها قليل فأخبر عن المؤنث بصيغه المذكور إنما معناه فإنها شيء قليل بحذف الموصوف كقوله وَ حَسَنٌ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا (١)

أى قبيلا رفيقا .

ثم قال و لا ترخصوا نهى عن الأخذ برخص المذاهب و ذلك لأنه لا يجوز للواحد من العامه أن يقلد كلا من أئمه الاجتهاد فيما خف و سهل من الأحكام الشرعيه أو لا تساهلوا أنفسكم فى ترك تشديد المعصيه و لا تسامحوها و ترخصوا إليها فى ارتكاب الصغائر و المحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لأن من مرن على أمر تدرج من صغيره إلى كبيره .

و المداهنه النفاق و المصانعه و الادهان مثله قال تعالى وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٢) .

قوله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه لأنه قد صانها عن العقاب و أوجب لها الثواب و ذلك غايه ما يمكن من نصيحتها و نفعها .

قوله و إن أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه لأنه ألقاها فى الهلاك الدائم و ذلك أقصى ما يمكن من غشها و الإضرار بها .

ثم قال و المغبون من غبن نفسه أى أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته فى البيع غبنا بالتسكين أى خدعته و قد غبن فهو مغبون و غبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أى ضعيف الرأى و فيه غبانه و لفظ الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع و الشراء لأنه قال و المغبون و لم يقل و الغبين .

و المغبوط

الذى يتمنى مثل حاله و الذى يتمنى زوال حاله و انتقالها هو الحاسد

ص: ٣٥٥

١-١) سورة النساء ٦٩.

٢-٢) سورة القلم ٩.

و الحسد مذموم و الغبطه غير مذمومه يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا و غبطه فاغبط هو كقولك منعته فامتنع و حبسته فاحتبس قال الشاعر و بينما المرء فى الأحياء مغتبط إذ صار فى الرسم تعفوه الأعاصير (١).

هكذا أنشدوه بكسر الباء و قالوا فيه مغتبط أى مغبوط .

قوله و السعيد من وعظ بغيره مثل من الأمثال النبويّه .

و قد ذكرنا فيما تقدم ما جاء فى ذمّ الرياء و تفسير كونه شركا .

و قوله ع منسأ للإيمان أى داعيه إلى نسيان الإيمان و إهماله و الإيمان الاعتقاد و العمل .

و محضره للشيطان

موضع حضوره كقولك مسبعه أى موضع السباع و مفعاه أى موضع الأفاعى .

ثمّ نهى عن الكذب و قال إنّه بجانب للإيمان و كذا ورد فى الخبر المرفوع .

و شفا منجاه أى حرف نجاه و خلاص و شفا الشىء حرفه قال تعالى وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ (٢) و أشفى على الشىء و أشرف عليه بمعنى و أكثر ما يقال ذلك فى المكروه يقال أشفى المريض على الموت و قد استعمله هاهنا فى غير المكروه .

و الشرف المكان العالى بفتح الشين و أشرفت عليه أى اطلعت من فوق.

و المهواه موضع السقوط و المهانه الحقاره .

ثمّ نهى عن الحسد و قال إنّه يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب و قد ورد هذا الكلام فى الأخبار المرفوعه و قد تقدم منا كلام فى الحسد و ذكرنا كثيرا ممّا جاء فيه.

ص: ٣٥٦

١-١) من أبيات فى اللسان(دهر)،و نسبها إلى عثير بن لبيد العذرى،و انظر نزه الأبناء ص ٢٧.

٢-٢) سورة آل عمران ١٠٣.

ثم نهى عن المباغضة و قال إنها الحالقه أى المستأصله التى تأتى على القوم كالحلق للشعر .

ثم نهى عن الأمل و طوله و قال إنه يورث العقل سهوا و ينسى الذكر ثم أمر بكذاب الأمل و نهى عن الاعتماد عليه و السكون إليه فإنه من باب الغرور .

و قد ذكرنا فى الأمل و طوله نكتا نافعه فيما تقدم و يجب أن نذكر ما جاء فى النهى عن الكذب

فصل فى ذم الكذب و حقاره الكذابين

١٤٣٥

جاء فى الخبر عن رسول الله ص إذا كذب العبد كذبه تباعد الملك منه مسيره ميل من تن ما جاء به .

١٤٣٦

و عنه ع إياكم و الكذب فإن الكذب يهذى إلى الفجور و الفجور يهذى إلى النار و إن الرجل ليكذب و يتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا و عليكم بالصدق فإن الصدق يهذى إلى البر و إن البر ليهذى إلى الجنة و إن الرجل ليصدق و يتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا .

١٤٣٧

١٤- و روى أن رجلا قال للنبي ص أنا يا رسول الله أستسرى بخلال أربع الزنا و شرب الخمر و السرقة و الكذب فأيتها شئت تركتها لك قال دع الكذب فلما ولى همم بالزنا فقال يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له و إن أقررت حدثت ثم همم بالسرقة ثم يشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إليه فقال قد أخذت على السبيل كله فقد تركتهن أجمع .

١٤٣٨

قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله يا بني أنت أفقه مني و أنا أعقل منك

ص: ٣٥٧

وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُدْنِيكَ يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا وَلَا يَطَّلِعَنَّ مِنْكَ عَلَيَّ
كَذِبِهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الثَّلَاثُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ بَدْرَاتٍ يَأْقُوتَانِ.

١٤٣٩

قَالَ الْوَائِقُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا أَنَّ ابْنَ الزِّيَّاتِ عِنْدِي فَذَكَرَكَ بِكُلِّ قَبِيحٍ قَالَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْوَجُهُ إِلَى
الْكَذِبِ عَلَيَّ وَنَزَّهَنِي عَنِ الصَّدْقِ فِي أَمْرِهِ.

١٤٤٠

وَكَانَ يُقَالُ أَمْرَانِ لَا يَكَادُ أَحَدُهُمَا يَنْفُكُ مِنَ الْكَذِبِ كَثْرَةُ الْمَوَاعِيدِ وَشِدَّةُ الْإِعْتِدَارِ.

١٤٤١

وَمِنَ الْحِكْمِ الْقَدِيمَةِ إِنَّمَا فَضُلُ النَّاطِقِ عَلَى الْأَخْرَسِ بِالنُّطْقِ وَزَيْنُ الْمُنْطِقِ الصَّدْقُ فَالْكَاذِبُ شَرٌّ مِنَ الْأَخْرَسِ.

١٤٤٢

قَالَ الرَّشِيدُ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي كَلَامٍ جَرَى بَيْنَهُمَا كَذَبَتْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجْهَ الْكَذُوبِ لَا يُقَابِلُكَ وَلسَانُهُ لَا يُحَاوِرُكَ.

١٤٤٣

قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١) هِيَ فِي الْكَذَّابِينَ فَالْوَيْلُ لِكُلِّ كَاذِبٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

١٤٤٤

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ لَوْ لَمْ أَتْرُكِ الْكَذِبَ تَأْتِمًا لَتَرَكْتُهُ تَكْرُمًا.

١٤٤٥

أَبُو حَيَّانَ

الْكَذِبُ شِعَارُ خَلْقٍ وَ مُورِدُ رَنْقٍ (٢) وَ أَدَبٌ سَيِّئٌ وَ عِيَادَةٌ فَاحِشَةٌ وَ قَلٌّ مَنِ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ إِلَّا أَلْفَهُ وَ قَلٌّ مَنِ أَلْفَهُ إِلَّا أَتْلَفَهُ وَ الصَّدْقُ
مَلْبَسٌ بِهِئِي وَ مَنْهَلٌ غَذِيٌّ وَ شُعَاعٌ مُبْتَبٌ وَ قَلٌّ مَنِ اعْتَادَهُ وَ مَرَنٌ عَلَيْهِ إِلَّا صَحْبَتُهُ السَّكِينَةُ وَ أَيْدُهُ التَّوْفِيقُ وَ خَدَمَتُهُ الْقُلُوبُ بِالْمَحَبَّةِ وَ
لَحَظَّتْهُ الْعُيُونُ بِالْمَهَابَةِ.

ص: ٣٥٨

١-١) سورة الأنبياء ١٨.

٢-٢) الرنق، بفتح النون و إسكانها و كسرهما: الكدر.

ابن السَّمَاكِ

لَا أَدْرِي أَوْجُرُّ عَلَى تَرْكِ الْكُذِبِ أَمْ لَا لِأَنِّي أَتْرُكُهُ أَنْفَهُ.

يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

رَأَيْتُ شَرِيبَ خَمْرِ نَزَعَ وَ لَصًّا أَقْلَعَ وَ صَاحِبَ فَوَاحِشٍ اِزْتَدَعَ وَ لَمْ أَرَ كَاذِبًا رَجَعَ.

قَالُوا فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا إِنَّ الْمَوْلَعَ بِالْكَذِبِ لَا- يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْهُ فَقَدْ عُوْتِبَ إِنْسِيَانٌ عَلَيْهِ فَقَالَ لِمُعَاتِبِهِ يَا ابْنَ أَخِي لَوْ تَغْرَعَتْ بِهِ لَمَا صَبَرْتُ عَنْهُ.

وَ قِيلَ لِكَاذِبٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ أَ صَدَقْتَ قَطُّ قَالَ لَوْ لَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَصْدُقَ لَقُلْتُ لَا.

١٤- وَ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمَرْفُوعَةِ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا قَالَ نَعَمْ قِيلَ أَيْكُونُ بَخِيلًا قَالَ نَعَمْ قِيلَ أَيْكُونُ كَاذِبًا قَالَ لَا.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ حَدَّثَ مِنْ فَيْكَ وَ حَدَّثَ مِنْ فَوْجِكَ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ وَ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَ بِالْبَاطِلِ (١).

وَ كَانَ يُقَالُ خُذُوا عَنْ أَهْلِ الشَّرَفِ فَإِنَّهُمْ قَلَّمَا يَكْذِبُونَ.

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لَوْ صَحِبَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي اشْتَرِطْ عَلَيَّ خَصْلَهُ وَاحِدَةً لَا تَزِيدُ عَلَيَّهَا لَقُلْتُ لَا تَكْذِبْ.

١٤٥٤

وَكَانَ يُقَالُ حَصَلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ الْكُذْبُ وَالْمُرُوءَةُ.

١٤٥٥

كَانَ يُقَالُ مِنْ شَرَفِ الصِّدْقِ أَنَّ صَاحِبَهُ يُصَدِّقُ عَلَى عَدُوِّهِ وَمِنْ دَنَاءَةِ الْكُذِبِ أَنَّ صَاحِبَهُ يُكَذِّبُ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا.

ص: ٣٥٩

١-١) العقد ٢:٤٤٤ من غير نسبه، وبعده: مقاله السوء إلى أهلها أسرع من منحدر إلى سائل..

وَ مِثْلُ هَذَا قَوْلُهُمْ مَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ جَارَ كَذِبُهُ وَ مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَجُزْ صِدْقُهُ.

وَ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمُنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ.

وَ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ ظَرِيفٌ.

وَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ (١) لَمْ يَنْسَ وَ لَكِنَّهُ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ وَ كَذَلِكَ قَالُوا فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ إِنِّي سَيِّئٌ (٢).

وَ قَالَ الْعُتْبِيُّ إِنِّي لَأَصْدُقُ فِي صِغَارٍ مَا يَضُرُّنِي فَكَيْفَ لَا أَصْدُقُ فِي كِبَارٍ مَا يَنْفَعُنِي.

وَ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ

شَهِدَ أَعْرَابِيُّ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بِشَهَادَةٍ فَقَالَ لَهُ كَذَبْتَ فَقَالَ الْكَاذِبُ وَ اللَّهُ الْمُتَرَمِّلُ فِي ثِيَابِكَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَجَلَ.

وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا لِلْأَخْنَفِ وَ حَدَّثَهُ حَدِيثًا أَ تَكْذِبُ فَقَالَ لَهُ الْأَخْنَفُ وَ اللَّهُ مَا كَذَبْتُ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ يَشِينُ أَهْلَهُ.

وَ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ اسْمِعْ أَيْبَاتًا قُلْتَهَا وَ كَانَ وَاجِدًا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ هَاتِ فَأَنْشَدَهُ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَقَدْ شَعَرْتُ بَعْدَنَا يَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ مُعَاوِيَةُ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَعْنُ

ص: ٣٦٠

١-١) سورة الكهف ٧٣.

٢-٢) سورة الصافات ٨٩.

بْنِ أَوْسِ الْمُرَيْطِيِّ فَقَالَ أَقُلْتَ بَعْدَنَا شَيْئًا قَالَ نَعَمْ وَ أَنْشَدَهُ لَعْمُرِكَ لَا أُدْرِي وَ إِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَيْتَهُ أَوَّلُ (١).

حَتَّى صَارَ إِلَى الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَنْشَدَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَمَا ذَكَرْتَ آتِفًا أَنَّ هَذَا الشُّعْرَ لَكَ فَقَالَ أَنَا أَضِلَّحْتُ الْمَعَانِي وَ هُوَ أَلْفُ الشُّعْرِ (٢) وَ بَعْدَ فَهُوَ ظَنِّي (٣) وَ مَا قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لِي.

وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضِعًا فِي مُرَيْنَةَ (٤).

١٤٤٥

وَ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ فِي الْكَامِلِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ فِي إِشْحَاصِ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُرَيْطِيِّ وَ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاهِ الْفَزَارِيِّ أَمِيرِ الْبَصْرَةِ وَ قَاضِيهَا إِلَيْهِ فَصَارَ عَدِيُّ إِلَى إِيَّاسٍ وَ قَدَّرَ أَنَّهُ يَمُرُّهُ (٥) عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ يُثْنِي عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا وَائِلَةَ إِنَّ لَنَا حَقًّا وَ رَحِمًا فَقَالَ إِيَّاسٌ أَعَلَى الْكَذِبِ تُرِيدُنِي وَ اللَّهُ مَا يَسْرِئُنِي أَنْ كَذَبْتُ كَذِبَهُ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لِي وَ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا هَذَا وَ أَوْمَأَ إِلَى ابْنِهِ وَ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ (٦).

١٤٤٦

وَ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا أَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدِيكَرِبِ الزُّبَيْدِيِّ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْكَذِبِ.

وَ قِيلَ لِخَلْفِ الْأَحْمَرِ وَ كَانَ مَوْلَى لَهُمْ وَ شَدِيدِ التَّعَصُّبِ لِلْيَمَنِ أ كَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبِ يَكْذِبُ قَالَ يَكْذِبُ فِي الْمَقَالِ وَ يَصْدُقُ فِي الْفِعَالِ (٧).

ص: ٣٤١

١- (١) ديوانه ٥٧.

٢- (٢) من الكامل.

٣- (٣) الكامل «و هو بعد ظنري».

٤- (٤) الخبر في الكامل ٢١٢، ٢١١: ٢.

٥- (٥) في الأصول: «يقرظه»، و ما أثبتته من الكامل. و في زيادات أبي الحسن الأخفش: التميزين. المدح، و لم أسمع هذه اللفظة إلا من أبي العباس، و هي عندي مشتقة من المازن. و هو بيض النمل؛ و بهذا سميت مازن؛ كأنه أراد منه أن يكبره. و يروى: «يكثره». و في زيادات الكامل أيضا: قال الشيخ: قوله: «أن يمزنه عند الخليفة؛ أي كأنه يجعله سيد مزينه؛ لأنه كان مزينيا».

٦- (٦) الكامل ٢١٢: ٢.

٧- (٧) الكامل ٢٠٨: ٢.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَرَوَى لَنَا أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ الْأَشْرَافَ كَانُوا يَظْهَرُونَ بِالْكَنَاسَةِ (١) فَيَزُكُّونَ عَلَى دَوَابِّهِمْ حَتَّى تَطْرُدَهُمُ (٢) الشَّمْسُ فَوَقَفَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ وَخَالِدُ بْنُ الصَّقْعَبِ النَّهْدِيُّ وَ عَمْرُو لَا يَعْرِفُهُ إِنَّمَا يَسْمَعُ بِاسْمِهِ فَأَقْبَلَ عَمْرُو يُحَدِّثُهُ فَقَالَ أَغْرَنَا مَرَّةً عَلَى بَنِي نَهْدٍ فَخَرَجُوا مُسْتَرْعِفِينَ بِخَالِدِ بْنِ الصَّقْعَبِ فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ فَطَعَنَتْهُ فَأَذْرَيْتُهُ (٣) ثُمَّ مَلَتْ عَلَيْهِ بِالصَّمَصَةِ امه (٤) فَأَخَذَتْ رَأْسَهُ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الصَّقْعَبِ حَلًّا أَبَا ثَوْرٍ إِنَّ قَتِيلَكَ هُوَ الْمُحَدِّثُ فَقَالَ عَمْرُو يَا هَذَا إِذَا حُدِّثْتَ فَاسْتَمِعْ فَإِنَّمَا نَتَحَدَّثُ بِمِثْلِ مَا تَسْتَمِعُ لِنُزْهِبَ بِهِ هَذِهِ الْمَعْدِيَّةَ.

قوله مسترعفين أى مقدمين له و قوله حلا أبا ثور أى استثنى يقال حلف و لم يتحلل أى لم يستثنى و المعديه مضر و ربيعه و أياذ بنو معد بن عدنان و هم أعداء اليمن فى المفاخره و التكاثر

ص: ٣٦٢

١- (١) الكناسه: محله بالكوفه.

٢- (٢) الكامل: «إلى أن يطردهم حر الشمس».

٣- (٣) أذريته: صرعته و ألقيته عن فرسه.

٤- (٤) الصمصامه: السيف الصارم لا يثنى؛ و هو اسم عمرو بن معديكرب.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبُعِيدَ وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ [فَأَقْصَرَ]

وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ وَ ارْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ سُهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدِّدًا قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى عَنِ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صَهْفِهِ الْعَمَى وَ مُشَارَكِهِ أَهْلِ الْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غَمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَ مِنَ الْحَبَالِ بِأَمْتِنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِضْيَادِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَضْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصِيلِهِ مِصْبَاحِ ظُلَمَاتٍ كَشَّافٍ عَشَوَاتٍ [عَشَوَاتٍ]

مِفْتَاحِ مُبْهَمَاتٍ دَفَّاعِ مُعْضِلاتٍ دَلِيلِ فُلُواتٍ يَقُولُ فِيهِمْ وَ يَسِيْرُ فَيَسِيْلُهُمْ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ

نَفْسُهُ الْعَيْدَلُ فَكَانَ أَوَّلَ عَيْدِلِهِ نَفْسُ الْهَوَى عَنِ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لِأَنَّ يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أُمَّهَا وَ لَا مَطْنَهُ إِلَّا قَصِيدَهَا قَدْ
أَمَكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يُحَلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقُلَهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ .

استشعر الحزن

جعله كالشعار و هو ما يلي الجسد من الشيا و تجلبب الخوف جعله جلبابا أى ثوبا .

زهر مصباح الهدى

أضواء و أعد القرى ليومه أى أعد ما قدمه من الطاعات قرى لضيء الموت النازل به و الفرات العذب .

و قوله فشرب نهلا- يجوز أن يكون أراد بقوله نهلا- المصدر من نهل ينهل نهلا- أى شرب حتى روى و يجوز أن يريد بالنهل
الشرب الأول خاصه و يريد أنه اكتفى بما شربه أولا فلم يحتج إلى العلل .

و طريق جدد لا- عشار فيه لقوه أرضه و قطع غماره يقال بحر غمر أى كثير الماء و بحار غمار و استمسك من العرى بأوثقها أى
من العقود الوثيقه قال تعالى فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (١) .

و نصب نفسه لله أى أقامها .

كشاف عشوات

جمع عشوه و عشوه و عشوه بالحركات الثلاث و هى الأمر الملبس يقال أوطأنى عشوه.

ص: ٣٦٤

١-١) سورة البقره ٢٥٦.

والمعضلات جمع معضله و هي الشدائد و الأمور التي لا يهتدى لوجهها .

دليل فلوات

أى يهتدى به كما يهتدى الركب فى الفلاة بدليلهم .

أمها قصدها و مظنه الشيء حيث يظن وجوده و الثقل متاع المسافر و حشمه

فصل فى العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم

و اعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقه و الحقيقه علمهم و هو تصريح بحال العارف و مكانته من الله تعالى.

و العرفان درجه حال رفيعه شريفه جدا مناسبه للنبوه و يختص الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه.

و الأولياء على طبقات ثلاث الطبقة الأولى حال العابد و هو صاحب الصلاه الكثيره و الصوم الدائم و الحجج و الصدقه.

و الطبقة الثانيه حال الزاهد و هو المعرض عن ملاذ الدنيا و طبياتها تقنعه الكسره و تستره الخرقه لا مال و لا زوجه و لا ولد.

و الطبقة الثالثه حال العارف و هو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه و البارئ سبحانه متمثل فى نفسه تمثل المعشوق فى ذات العاشق و هو أرفع الطبقات و بعده الزاهد.

و أما العابد فهو أدونها و ذلك لأن العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب و يتعب نفسه ليرتاح فهو يعطى من نفسه شيئاً و يطلب ثمنه و عوضه و قد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال و الولد فليست حاله من أحوال الكمال.

و أما الزاهد فإنه احتقر الدنيا و عروضها و قيناتها فخلصت نفسه من دناءه المطامع

ص: ٣٦٥

و صار عزيزا ملكا لا سلطان عليه لنفسه و لا لغيره فاستراح من الذل و الهوان و لم يبق لنفسه شىء تشتاق إليه بعد الموت فكان أقرب إلى السلامه و النجاه من العابد الغنى الموسر.

و أما العارف فإنه بالحال التى وصفناها و يستلزم مع وجودها أن يكون زاهدا لأنه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا و شهواتها نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا و لكنهم لا يكونون كاملين فى أحوالهم و إنما تحصل حاله الكامله لمن رفض الدنيا و تخلى عنها و تستلزم حاله المذكوره أيضا أن يكون عابدا عباده ما و ليس يشترط فى حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمه من العباده بل الإكثار من العباده حجاب كما قيل و لكن لا بدّ من القيام بالفرائض و شىء يسير من النوافل.

و اعلم أن العارف هو العارف بالله تعالى و صفاته و ملائكته و رسله و كتبه و بالحكمه المودعه فى نظام العالم لا سيما الأفلاك و الكواكب و تركيب طبقات العناصر و الأحكام و فى تركيب الأبدان الإنسانيه.

فمن حصل له ذلك فهو العارف و إن (1) لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان و إن انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى و عظمته و رياضه النفس و المجاهده و الصبر و الرضا و التوكل فقد ارتفع طبقه أخرى فإن حصل له بعد ذلك الحب و الوجد فقد ارتفع طبقه أخرى فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شىء سوى الله و أن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر إلا بنفسه و بالله تعالى فقد ارتفع طبقه أخرى و هى أرفع طبقات.

ص: ٣٦٦

و هناك طبقه أخرى يذكرونها و هى أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بها أصلا و إنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لا غير و هذه درجه الاتّحاد بأن تصير الذاتان ذاتا واحده.

و هذا قول قوم من الأوائل و من المتأخرين أيضا و هو مقام صعب لا تثبت العقول لتصوره و اكتناؤه.

و اعلم أن هذه الصفات و الشروط و النعوت التى ذكرها فى شرح حال العارف إنّما يعنى بها نفسه ع و هو من الكلام الذى له ظاهر و باطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق و باطنه أن يشرح حال عارف معين و هو نفسه ع و سيأتى فى آخر الخطبه ما يدلّ على ذلك .

و نحن نذكر الصفات التى أشار ع إليها واحده واحده فأولها أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه و معنى ذلك أن يخصه بالطف و يختار عندها الحسن و يتجنب القبيح فكأنه أقام النفس فى مقام العدو و أقام الألفاف مقام المعونه التى يمدّه الله سبحانه بها فيكسر عاديه العدو المذكور و بهذا الاعتبار سمي قوم من المتكلمين اللطف عونا.

و ثانيها أن يستشعر الحزن أى يحزن على الأيام الماضيه إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه.

و ثالثها أن يتجلبب الخوف أى يخاف من الإعراض عنه بأن يصدر عنه ما يمحوه من جريده المخلصين.

و رابعها أن يعد القرى لضعيف المنيه و ذلك بإقامه وظائف العباده.

و خامسها أن يقرب على نفسه البعيد و ذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا و مساء و ألا يطيل الأمل .

و سادسها أن يهون عليه الشدائد و ذلك باحتمال كلف المجاهده و رياضه النفس على عمل المشاق .

و سابعها أن يكون قد نظر فأبصر و ذلك بترتيب المقدمات المطابقه لمتعلقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقيني .

و ثامنها أن يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره لأن ذكره سبحانه و الإكثار منه يقتضى سكون النفس و طمأنينتها كما قال تعالى
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

و تاسعها أن يرتوى من حبّ الله تعالى و هو العذب الفرات الذى سهل مواده على من انتخبه الله و جعله أهلا- للوصول إليه فشرب منه و نهل و سلك طريقا لا عثار فيه و لا و عث .

و عاشرها أن يخلع سراويل الشهوات لأن الشهوات تصدئ مرآه العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغى و كذلك الغضب .

و حادى عشرها أن يتخلى من الهموم كلها لأنها تزيدات و قواطع عن المطلوب إلا هما واحدا و هو همه بمولاه الذى لذته و سروره الاهتمام به و التفرد بمناجاته و مطالعه أنوار عزته فحينئذ يخرج عن صفه أهل العمى و من شاركه أهل الهوى لأنه قد امتاز عنهم بهذه المرتبه و الخاصيه التى حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى- و مغلاقا لباب الضلال و الردى قد أبصر طريق الهدى و سلك سبيله و عرف مناره و قطع غماره .

ص: ٣٦٨

و ثانی عشرها أن ینصب نفسه لله فی أرفع الأمور و هو الخلو به و مقابله أنوار جلاله بمرآه فکره حتى تتکيف نفسه بتلك کیفیه العظیمه الإشراق فهذا أرفع الأمور و أجلها و أعظمها و قد رمز فی هذا الفصل و مزجه بكلام خرج به إلى أمر آخر و هو فقه النفس فی الدين و الأمور الشرعیه النافعه للناس فی دنياهم و أخرهم أما فی دنياهم فلردع المفسد و كف الظالم و أما فی أخرهم فللفوز بالسعاده باعتبار امثال الأوامر الإلهیه فقال فی إصدار كل وارد علیه أى فی فتيا كل مستفت له و هدايه كل مسترشد له فی الدين ثم قال و تصيير كل فرع إلى أصله و يمكن أن یحتج بهذا من قال بالقياس و يمكن أن یقال إنه لم یرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلیه و ردها إلى أصولها كما يتكلف أصحابنا القول فی بیان حکمه القديم تعالی فی الآلام و ذبح الحيوانات ردا له إلى أصل العدل و هو كونه تعالی لا یفعل القبیح .

و ثالث عشرها أن ینكون مصباحا لظلمات الضلال كشفا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهمات الشكوك المستغلقة دفاعا لمعضلات الاحتجاجات العقلیه الدقیقه الغامضه دلیلا فی فلوات الأنظار الصعبه المشتبهه و لم یکن فی أصحاب محمد ص أحد بهذه الصفه إلا هو .

و رابع عشرها أن یقول مخاطبا لغيره فیفهمه ما خاطبه به و أن یسكت فیسلم و ذلك لأنه لیس كل قائل مفهما و لا كل ساكت سالما .

و خامس عشرها أن ینكون قد أخلص لله فاستخلصه الله و الإخلاص لله مقام عظیم جدا و هو ینزه الأفعال عن الریاء و ألا یمازج العباده أمر لا ینكون لله سبحانه و لهذا كان بعض الصالحین یصبح من طول العباده نصبا قشفا فيکتحل و یدهن لیذهب بذلك أثر العباده عنه .

و قوله فهو من معادن دينه و أوتاد أرضه معادن دينه الذين يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب و الفضة و هى الأرضون التى يلتقط ذلك منها و أوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الأرض و ارتجت بأهلها و هذا من باب الاستعاره الفصيحه و أهل هذا العلم يقولون أوتاد الأرض جماعه من الصالحين و لهم فى الأوتاد و الأبدال و الأقطاب كلام مشهور فى كتبهم .

و سادس عشرها أن يكون قد أزم نفسه العدل و العداله ملكه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضله خلقا لا تخلقا.

و أقسام العداله ثلاثه هى الأصول و ما عداها من الفضائل فروع عليها الأولى الشجاعه و يدخل فيها السخاء لأنه شجاعه و تهوين للمال كما أن الشجاعه الأصلية تهوين للنفس فالشجاع فى الحرب جواد بنفسه و الجواد بالمال شجاع فى إنفاقه و لهذا قال الطائى أيقنت أن من السماح شجاعه تدمى و أن من الشجاعه جودا (١).

و الثانيه الفقه و يدخل فيها القناعه و الزهد و العزله.

و الثالثه الحكمه و هى أشرفها.

و لم تحصل العداله الكامله لأحد من البشر بعد رسول الله ص إلا لهذا الرجل و من أنصف علم صحه ذلك فإن شجاعته و جوده و عفته و قناعته و زهده يضرب بها الأمثال.

و أمّا الحكمه و البحث فى الأمور الإلهيه فلم يكن من فن أحد من العرب و لا- نقل فى جهاد أكابرههم و أصاغرهم شىء من ذلك أصلا و هذا فن كانت اليونان و أوائل الحكماء و أساطين الحكمه ينفردون به و أول من خاض فيه من العرب على ع و لهذا

ص : ٣٧٠

تجدد المباحث الدقيقه فى التوحيد و العدل مبثوثه عنه فى فرش كلامه و خطبه و لا تجد فى كلام أحد من الصحابه و التابعين كلمه واحده من ذلك و لا يتصورونه و لو فهموه لم يفهموه و أنى للعرب ذلك.

و لهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا فى بحار المعقولات إليه خاصه دون غيره و سموه أستاذهم و رئيسهم و اجتذبه كل فرقه من الفرق إلى نفسها ألا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء و واصل تلميذ أبى هاشم بن محمد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبىه محمد و محمد تلميذ أبىه على ع . فأما الشيعة من الإماميه و الزيديه و الكيسانيه فانتماؤهم إليه ظاهر .

و أما الأشعريه فإنهم بأخره ينتمون إليه أيضا لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبى على رحمه الله تعالى و أبو على تلميذ أبى يعقوب الشحام و أبو يعقوب تلميذ أبى الهذيل و أبو الهذيل تلميذ أبى عثمان الطويل و أبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعريه إلى على ع . و أما الكراميه فإن ابن الهيصم ذكر فى كتاب المقالات أن أصل مقالتهم و عقيدتهم تنتهى إلى على ع من طريقين أحدهما بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ إلى أن ينتهى إلى سفيان الثورى ثم قال و سفيان الثورى من الزيديه ثم سأل نفسه فقال إذا كان شيخكم الأكبر الذى تنتمون إليه كان زيدا فما بالكم لا تكونون زيديه و أجاب بأن سفيان الثورى رحمه الله تعالى و أن أشهر عنه الزيديه إلا أن تزیده إنما كان عباره عن مواله أهل البيت و إنكار ما كان بنو أميه عليه من الظلم و إجلال زيد بن على و تعظيمه و تصوينه فى أحكامه و أحواله و لم ينقل عن سفيان الثورى أنه طعن فى أحد من الصحابه .

الطريق الثانى أنه عد مشايخهم واحدا فواحدا حتّى انتهى إلى علماء الكوفه من أصحاب على كسلمه بن كهيل و حبه العرنى و سالم بن الجعد و الفضل بن دكين و شعبه و الأعمش و علقمه و هبیره بن مریم و أبى إسحاق الشعبى و غيرهم ثم قال و هؤلاء أخذوا العلم من على بن أبى طالب ع فهو رئيس الجماعه يعنى أصحابه و أقوالهم منقوله عنه و مأخوذه منه.

و أما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لأنهم كانوا أصحابه و عنه مرقوا بعد أن تعلموا عنه و اقتبسوا منه و هم شيعته و أنصاره بالجمل و صفين و لكن الشيطان ران على قلوبهم و أعمى بصائرهم .

ثم إنه ع ذكر حال هذا العارف العادل فقال أول عدله نفى الهوى عن نفسه و ذلك لأن من يأمر و لا يأتمر و ينهى و لا ينتهى لا تؤثر عظته و لا ينفع إرشاده ثم شرح ذلك فقال يصف الحق و يعمل به ثم قال لا يدع للخير غايه إلا أمها و لا مظنه إلا قصدها و ذلك لأن الخير لذته و سروره و راحتته فمتى وجد إليه طريقا سلكها ثم قال قد أمكن الكتاب يعنى القرآن من زمامه أى قد أطلع الأوامر الإلهيه فالقرآن قائده و إمامه يحل حيث حل و ينزل حيث نزل و آخر قد تسمى عالما و ليس به فاقتبس جهائل من جهال و أضاليل من ضلال و نصب للناس أشراكا من حبايل [حبال]

غُزُورٍ وَ قَوْلٍ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ [رَأْيِهِ]

وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَطَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقِعْ وَ يَقُولُ أَعْتَرِلْ الْبِدَعَ وَ بَيْنَهَا اضْطَجَعَ فَالْصُّورَةُ

صُورَهُ إِنْسَانٍ وَ الْقَلْبُ قَلْبٌ حَيَوَانٍ لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَ الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يَتَّاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيُّكُمْ وَ هُمْ أَرْمَهُ الْحَقُّ وَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَ أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَ رُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ أَيُّهَا النَّاسُ خُذُواهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَيَاتٍ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مِنْ بِلَى مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَاءٍ لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ وَ اعْيِدُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَ أَتْرُكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ أَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَذَابِي وَ فَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فَعَلِي وَ أَرَيْتُكُمْ كِرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يَدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَ لَا تَتَغَلَّغُلْ إِلَيْهِ الْفِكْرُ .

الجهائل جمع جهاله كما قالوا علاقه و علائق و الأضاليل الضلال جمع لا واحد له من لفظه .

و قوله و قد حمل الكتاب على آرائه يعنى قد فسر الكتاب و تأوله على مقتضى هواه و قد أوضح ذلك بقوله و عطف الحق على أهوائه .

ص: ٣٧٣

وقوله يؤمن الناس من العظائم فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد و تضعيف لمذهب المرجئه الذين يؤمنون الناس من عظائم الذنوب و يمنونهم العفو مع الإصرار و ترك التوبه

١٤٦٧

وَ جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ الْمَشْهُورِ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَ عَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَ الْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ .

و قوله يقول أقف عند الشبهات يعنى أن هذا المدعى للعلم يقول لنفسه و للناس أنا واقف عند أدنى شبهه تخرجا و تورعا

١٤٦٨

كَمَا قَالَ ص دَعَّ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ .

ثم قال و فى الشبهات وقع أى بجهله لأن من لا يعلم الشبهه ما هى كيف يقف عندها و يتخرج من الورطه فيها و هو لا يأمن من كونها غير شبهه على الحقيقه .

و قوله أعتزل البدع و بينها اضطجع إشاره إلى تضعيف مذاهب العامه و الحشويه الذين رفضوا النظر العقلى و قالوا نعتزل البدع .

و قوله فالصوره صورته إنسان و ما بعده فمراده بالحيوان هاهنا الحيوان الأخرس كالحمار و الثور و ليس يريد العموم لأن الإنسان داخل فى الحيوان و هذا مثل قوله تعالى إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (١) .

و قال الشاعر و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم (٢) لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق إلا صورته اللحم و الدم.

ص: ٣٧٤

١-١) سورة الفرقان ٤٤.

٢-٢) البيتان ينسبان إلى زهير، ملحق ديوانه ص ١٩٢ (من مجموعه العقد الثمين).

قوله و ذلك ميت الأحياء كلمه فصيحہ و قد أخذها شاعر فقال ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء (١).

إلا أن أمير المؤمنين ع أراد لجهله و الشاعر أراد لبؤسه .

و تؤفكون تقلبون و تصرفون .

و الأعلام المعجزات هاهنا جمع علم و أصله الجبل أو الرايه و المناره تنصب فى الفلاه ليتهدى بها .

و قوله فأين يتاه بكم أى أين يذهب بكم فى التيه و يقال أرض تيهاء يتحير سالكها و تعمهون تتحiron و تضلون .

و عتره رسول الله ص

أهله الأذنون و نسله و ليس بصحيح قول من قال إنهم رهطه و إن بعدوا و إنما قال أبو بكر يوم السقيفه أو بعده نحن عتره رسول الله ص و بيضته التى فقئت عنه على طريق المجاز لأنهم بالنسبه إلى الأمصار عتره له لا فى الحقيقه ألا ترى أن العدنانى يفاخر القحطانى فيقول له أنا ابن عم رسول الله ص ليس يعنى أنه ابن عمه على الحقيقه بل هو بالإضافه إلى القحطانى كأنه ابن عمه و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازا فإن قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات أى ابن عم أب الأب إلى عدد كثير فى البنين و الآباء فكذلك أراد أبو بكر أنهم عتره أجداده على طريق حذف المضاف و قد بين رسول الله ص عترته من هى

١٤٦٩

لَمَّا قَالَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ فَقَالَ عِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

و بين فى مقام آخر من أهل بيته حيث

١٤٧٠

١٤- طَرَحَ عَلَيْهِمْ كِسَاءً وَقَالَ حِينَ نَزَلَتْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

ص: ٣٧٥

لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

(١)

اللَّهُمَّ هُوَ لِأَهْلِ بَيْتِي فَأَذْهَبِ الرَّجْسَ عَنْهُمْ .

فإن قلت فمن هي العتره التي عناها أمير المؤمنين ع بهذا الكلام.

قلت نفسه و ٣، ولدها والأصل في الحقيقة نفسه لأن ٢، ولديه تابعان له و نسبتها إليه مع وجوده كنسبه الكواكب المضئية مع طلوع الشمس المشرقه-

١٤٧١

وَ قَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ص عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَ أَبُو كُما خَيْرٌ مِنْكُمْ .

و قوله و هم أزمه الحق جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا و ذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقه طوع زمامها

١٤٧٢

وَ قَدْ نَبَّهَ الرَّسُولُ ص عَلَى صِدْقِ هَذِهِ الْقُضِيَّةِ بِقَوْلِهِ وَ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ .

و قوله و ألسنه الصدق من الألفاظ الشريفه القرآنيه قال الله تعالى وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٢) لما كان يصدر عنهم حكم و لا قول إلا و هو موافق للحق و الصواب جعلهم كأنهم ألسنه صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلا بل هي كالمطبوعه على الصدق .

و قوله فأنزلوهم منازل القرآن تحته سر عظيم و ذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العتره في إجلالها و إعظامها و الانقياد لها و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن . فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العتره معصومه فما قول أصحابكم في ذلك.

قلت نص أبو محمّد بن متويه رحمه الله تعالى في كتاب الكفايه على أن عليا ع معصوم و إن لم يكن واجب العصمه و لا العصمه شرط في الإمامه لكن أدله النصوص قد دلت على عصمته و القطع على باطنه و مغيبه و أن ذلك أمر اختص

ص: ٣٧٦

١- (١) سورة الأحزاب ٣٣.

٢- (٢) سورة الشعراء ٨٤.

هو به دون غيره من الصحابه و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمه لأنه إمام و من شرط الإمام أن يكون معصوما فالاعتبار الأول مذهبا و الاعتبار الثاني مذهب الإماميه . ثم قال و ردوهم ورود الهيم العطاش أى كونوا ذوى حرص و انكماش على أخذ العلم و الدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء .

ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين إلى قوله و ليس ببال هذا الموضوع يحتاج إلى تلمظ في الشرح لأن لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض لأنه قال يموت من مات منا و ليس بميت و هذا كما تقول يتحرك المتحرك و ليس بمتحرك و كذلك قوله و يبلى من بلى منا و ليس ببال أ لا ترى أنه سلب و إيجاب لشيء واحد فإن قلت أريد بقاء النفس بعد موت الجسد كما قاله الأوائل و قوم من المتكلمين قيل لكم فلا اختصاص للنبي و لا لعلى بذلك بل هذه قضيه عامه في جميع البشر و الكلام خرج مخرج التمدح و الفخر.

فنقول في الجواب إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون النبي ص و على و من يتلوها من أطائب العتره أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته و على هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الأجدات الطاهره عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض

١٤٧٣

وَ قَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ ص مِثْلُ ذَلِكَ وَ هُوَ قَوْلُهُ إِنَّ الْأَرْضَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ وَ إِنَّهَا لَا تَأْكُلُ لِي لَحْمًا وَ لَا تَشْرَبُ لِي دَمًا.

نعم يبقى الإشكال في قوله و يبلى من بلى منا و ليس ببال فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول و هو قوله يموت

ص: ٣٧٧

فليس يصح في القضية الثانيه و هى حديث البلاء لأنها تقتضى أن الأبدان تبلى و ذاك الإنسان لم يبلى فأحوج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام يموت من مات حال موته و ليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال و الأوقات و يبلى كفن من بلى منا و ليس هو ببال فحذف المضاف كقوله وَإِلَى مَدِينٍ (١) أى و إلى أهل مدين و لما كان الكفن كالجزم من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاوره و الاشتمال كما عبروا عن المطر بالسماء و عن الخارج المخصوص بالغائط و عن الخمر بالكأس و يجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٢) و فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٣) و قول حاتم إذا حشرجت (٤) و حذف الفاعل كثير.

و الوجه الثانى أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحىّ الفعال أجزاء أصلية فى هذه البنيه المشاهده و هى أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنيه التى معها يصح كون الحىّ حيا و جعلوا الخطاب متوجها نحوها و التكليف واردا عليها و ما عداها من الأجزاء فهى فاضله ليست داخله فى حقيقه الإنسان و إذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء و الأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضله عنها نظير ما كان لها فى الدار الأولى كما قاله من ذهب إلى قيامه الأنفس و الأبدان معا فتنعم عنده و تلتذ بضروب اللذات الجسمانيه و يكون هذا مخصوصا بهذه الشجره

ص: ٣٧٨

١-١) سورة الأعراف ٨٥.

٢-٢) سورة ص ٣٢.

٣-٣) سورة الواقعة ٨٣.

٤-٤) من قول حاتم: لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصّيدر ديوانه ١١٨ (من مجموعته خمسّه دواوين).

المباركة دون غيرها ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١).

و على الوجه الأول لو أن محتفرا احتفر أجدانهم لوجد الأبدان فيها و إن لم يعلم أن أصول تلك البنى قد انتزعت منها و نقلت إلى الرفيق الأعلى و هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف لأن الجسد يبلى في القبر إلا قدر ما انتزع منه و نقل إلى محل القدس و كذلك أيضا يصدق على الجسد أنه ميت و إن كان أصل بنيته لم يمت

١٤٧٤

وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَدُورُ فِي أَفْنَاءِ الْجَنَانِ وَ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ .

فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء و ساداتهم.

فإن قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه فيقال لعله أراد بقاء الذكر و الصيت.

قلت إنه لبعيد لأن غيرهم يشركهم في ذلك و لأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له.

فإن قلت فهل يمكن أن يقال إن الضمير يعود إلى النبي ص لأنه قد ذكره في قوله خاتم النبيين فيكون التقدير أنه يموت من مات منا و النبي ص ليس بميت و يبلى من بلى منا و النبي ليس ببالي.

قلت هذا أبعد من الأول لأنه لو أراد ذلك لقال إن رسول الله ص لا تبليه الأرض و أنه الآن حي و لم يأت بهذا الكلام الموهوم و لأنه في سياق تعظيم العترة و تبجيل أمرها و فخره بنفسه و تمدحه بخصائصه و مزاياه فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه.

ص: ٣٧٩

فإن قلت فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعا قلت بل ذكره مرفوعا ألا تراه قال خذوها عن خاتم النبيين ثم نعود إلى التفسير فنقول إنه لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً و ذكر أمراً غريباً و علم أنهم ينكرون ذلك و يعجبون منه فقال لهم فلا تقولوا ما لا تعرفون أى لا تكذبوا إخبارى و لا تكذبوا إخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته ثم قال فإن أكثر الحق فى الأمور العجيبه التى تنكرونها كإحياء الموتى فى القيامة و كالصراط و الميزان و النار و الجنة و سائر أحوال الآخرة هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعنى بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئه و مشبهه و مجبره و من يعتقد أفضله غيره عليه و من يعتقد أنه شرك فى دم عثمان و من يعتقد أن معاوية صاحب حجه فى حربه أو شبهه يمكن أن يتعلق بها متعلق و من يعتقد أنه أخطأ فى التحكيم إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التى كان أكثرهم عليها .

ثم قال و اعدروا من لا حجه لكم عليه و هو أنا يقول قد عدلت فيكم و أحسنت السيره و أقمتكم على المحجه البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجه يحتج بها على ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الأكبر يعنى الكتاب و خلفت فيكم الأصغر يعنى ولديه لأنهما بقيه الثقل الأصغر فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر و إنما سمي النبي ص الكتاب و العتره الثقيلين لأن الثقل فى اللغة متاع المسافر و حشمه فكأنه ص لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذى ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العتره كمتاعه و حشمه لأنهما أخص الأشياء به .

قوله و ركزت فيكم رايه الإيمان أى غرزتها و أثبتها و هذا من باب الاستعاره .

و كذلك قوله و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار و هى الجهات الفاصله بينها و بين غيرها .

قوله و ألبستكم العافيه من عدلى استعاره فصيحه و أفصح منها قوله و فرشتكم المعروف من قولى و فعلى أى جعلته لكم فراشا و فرش هاهنا متعد إلى مفعولين يقال فرشته كذا أى أوسعته إياه .

ثم نهاهم أن يستعملوا الرأى فيما ذكره لهم من خصائص العتره و عجائب ما منحها الله تعالى فقال إن أمرنا أمر صعب لا تهتدى إليه العقول و لا تدرك الأبصار قعره و لا تتغلغل الأفكار إليه و التغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذا تخللها و دخل بين أصولها و منها حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنَى أُمِّيَّةٍ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَ تُورِدُهُمْ صَيْفُوهَا وَ لَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ لَا سَيْفُهَا وَ كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَدِيدِ العَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

معقوله

محبوسه بعقال كما تعقل الناقه و تمنحهم تعطيهم و المنح العطاء منح يمنح بالفتح و الاسم المنحه بالكسر و استمنحت زيدا طلبت منحته.

و الدر فى الأصل اللبن جعل الدنيا كناقه معقوله عليهم تمنحهم لبنا ثم استعمل

ص: ٣٨١

الدر في كل خير و نفع فقيل لا در دره أى لا كثر خيره و يقال فى المدح لله دره أى عمله .

و مجة من لذيذ العيش مصدر مج الشراب من فيه أى رمى به و قذفه و يقال انمجت نقطه من القلم أى ترششت و شيخ ماج أى كبير يمج الريق و لا يستطيع حبسه لكبره.

و يتطعمونها أى يذوقونها و برهه أى مده من الزمان فيها طول و لفظت الشىء من فمى ألفظه لفظا رميته و ذلك الشىء اللفاظه و اللفاظ أى يلفظونها كلها لا يبقى منها شىء معهم.

و هذه الخطبه طويله و قد حذف الرضى رحمه الله تعالى منها كثيرا

١٤٧٥

وَ مِنْ جُمَلَتِهَا

أَمَّا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِيمَةَ لَا يَرُونَ الَّذِي يَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَهْلِكَ الْمُتَمُنُّونَ وَ يَضْمَحِلَّ الْمُحِلُّونَ وَ يَنْتَبِتَ الْمُؤْمِنُونَ وَ قَلِيلٌ مَا يَكُونُ وَ اللَّهُ وَ اللَّهُ لَا- تَرُونَ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى لَا- تَدْعُونَ اللَّهَ إِلَّا- إِشَارَةً بِأَيْدِيكُمْ وَ إِيمَانًا بِحَوَاجِبِكُمْ وَ حَتَّى لَا تَمْلِكُونَ مِنْ الْمَارِضِ إِلَّا مَوَاضِعَ أَفْئَامِكُمْ وَ حَتَّى يَكُونَ مَوْضِعَ سِتْلِحِكُمْ عَلَى ظُهُورِكُمْ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنصِرُنِي إِلَّا اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ وَ مَنْ كَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَ الَّذِي نَفْسٌ عَلَى يَدِهِ لَا تَقُومُ عِصَابَهُ تَطْلُبُ لِي أَوْ لِغَيْرِي حَقًّا أَوْ تَدْفَعُ عَنَّا ضَيْمًا إِلَّا صَرَعَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ حَتَّى تَقُومَ عِصَابَهُ شَهِدَتْ مَعَ مُحَمَّدٍ ص بَدْرًا لَا يُودَى قَتِيلُهُمْ وَ لَا يُدَاوَى جَرِيحُهُمْ وَ لَا يُنْعَشُ صَرِيْعُهُمْ .

قال المفسرون هم الملائكة.

و منها:

١٤٧٦

لَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ تَوَلَّيْتُمْ وَ صَرَبْتُكُمْ بِالْدَّرِّهِ فَمَا اسْتَقَمْتُمْ وَ سَتَلِيكُمْ

ص: ٣٨٢

بَعْدِي وَلَاهٌ يُعَذِّبُونَكُمْ بِالسَّيَاطِ وَالْحَدِيدِ وَ سَيَأْتِيكُمْ غُلَامًا ثَقِيفٌ أَخْفَشُ وَ جُعْبُوبٌ يُقْتَلَانِ وَ يُظْلَمَانِ وَ قَلِيلٌ مَا يُمَكِّنَانِ .

قلت الأـخفش الضعيف البصر خلقه و الجعبوب القصير الذميم و هما الحجاج و يوسف بن عمر و فى كتاب عبد الملك إلى الحجاج قاتلك الله أخفش العينين أصك الجاعرين (١).

١٤٧٧

وَ مِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَذُكُرُ فِيهِ الْحَجَّاجَ أَتَانَا أُعَيْمِشُ أُخَيْمِشُ يَمُدُّ بِيَدِ قَصَبٍ يَرَهُ الْبَنَانِ مَا عَرِقُ فِيهَا عَنَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

و كان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر و كان يغضب إذا قيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فأبقى منه فضله كثيره فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الأمير فضربه مائه سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب و يأخذون الباقي لأنفسهم

ص: ٣٨٣

(١ - ١) الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان عن الفخذين. و الأصك: الذى تصك ركبته و عرقوبه عن المشى.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمِ [يَقْصِمِ]

جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعِيدَ تَمْهِيلٍ وَ رِخَاءٍ وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ إِلَّا بَعِيدَ أَرْزُلٍ وَ بَلَاءٍ وَ فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَنَبٍ وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ وَ مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ وَ لَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَ لَا كُلُّ ذِي نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَا عَجَبًا وَ مَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَايَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَفْتُصُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَ لَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلٍ وَ صِيٍّ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَ لَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَ الْمُنْكَرِ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَنْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهَيَّمَاتِ [الْمُبْهَمَاتِ]

عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرئٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بَعْرَى ثِقَاتٍ [وَوَثِيقَاتٍ وَ مَوْتَقَاتٍ]

وَ أَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

القصم بالقاف و الصاد المهملة الكسر قصمته فانقصم و قصمته فتقصم و رجل أفصم الثنيه أى مكسورها بين القصم بفتح الصاد .

و التمهيل التأخير و يروى رجاء و هو التأخير أيضا و الروايه المشهوره و رخاء أى بعد إعطائهم من سعه العيش و خصب الحال ما اقتضته المصلحه .

و الأزل بفتح الهمزة الضيق و يقتصون يتبعون قال سبحانه و تعالى وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (١).

و يعفون بكسر العين عفتت عن كذا أعف عفا و عفه و عفا فأنما عفا و عفيف و امرأه عفه و عفيفه و قد أعفه الله و استعف عن المسألة أى عفا.

و تعفف الرجل أى تكلف العفه و يروى و لا يعفون عن عيب أى لا يصفحون .

و مفزعهم ملجؤهم و فيما يرى أى فيما يظن و يرى بفتح الياء أى فيما يراه هو و روى بعرا وثقات .

يقول إن عاده الله تعالى ألا يقصم الجبابره إلا بعد الإمهال و الاستدراج بإضافه النعم عليهم و ألا يجير أولياءه و ينصرهم إلا بعد بؤس و بلاء يمتحنهم به ثم قال لأصحابه إن فى دون ما استقبلتم من عتب لمعتبر أى من مشقه (٢) يعنى بما استقبلوه ما لاقوه (٣) فى مستقبل زمانهم من الشيب و ولاء السوء و تنكر الوقت و سمى المشقه عتبا لأن العتب مصدر عتب عليه أى وجد عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم فى إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذى الموجد يعتب على صاحبه و روى من عتب بفتح التاء جمع عتبه يقال لقد حمل فلان على عتبه أى أمر كرية من البلاء و فى المثل ما فى هذا الأمر رتب و لا عتب أى شده و روى أيضا من عنت و هو الأمر الشاق و ما استدبروه من خطب يعنى به ما تصرم عنهم من الحروب و الوقائع التى قضوها و نضوها و استدبروها و يروى و استدبرتم من خصب و هو رخاء العيش و هذا يقتضى المعنى الأول أى و ما خلفتم وراءكم من الشباب و الصحه و صفو العيشه .

ثم قال ما كل ذى قلب بلييب الكلام إلى آخره و هو مأخوذ من قول الله

ص: ٣٨٥

١-١) سورة القصص ١١.

٢-٢-٢) ج: «يعنى ما استقبلوه، أى ما لاقوه».

٣-٢-٢) ج: «يعنى ما استقبلوه، أى ما لاقوه».

تعالى لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا (١).

ثمّ تعجب من اختلاف حجج الفرق فى الدين و خطئهم و كونهم لا- يتبعون أقوال الأنبياء و لا- أقوال الأوصياء ثمّ نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال إنهم لا يؤمنون بالغيب أى لا يصدقون بما لم يشاهدوه و لا يكفون عن الأمور القبيحة لكنهم يعملون فى الشبهات أى يعملون أعمالا- داخله فى الشبهات متوسطة لها و يسرون فى الشهوات جعل الشهوات كالطريق التى يسير فيها الإنسان .

ثمّ قال المعروف فيهم ما عرفوه أى ليس المعروف عندهم ما دل الدليل على كونه معروفا و صوابا و حقا بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حقّ سواء كان حقا فى نفس الأمر أو لم يكن و المنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه فى المعروف .

ثمّ قال إنهم لا يستشيرون بعالم و لا يستفتون فقيها فاضلا بل مفزعهم فى الأمور المشكله إلى أنفسهم و آرائهم و لقد صدق ع فإن هذه صفات من يدعى العلم و الفضل فى زماننا و قبله بدهر طويل و ذلك أنهم يأنفون من التعلم و الاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد فى نفسه أنه أفضل من البارع المنتهى و متى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم و حملة شرع فى التدريس و التصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء و أنف من سؤالهم عن الأمور المشكله فدام جهله إلى أن يموت.

ثمّ قال كأن كل واحد منهم إمام نفسه و يروى بحذف كان و إسقاطها و هو أحسن

ص: ٣٨٦

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجَعِهِ مِنَ الْأَمَمِ وَ اعْتِرَامِ (١) مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَظُّ مِنَ الْحُرُوبِ وَ الدُّنْيَا كَاسِفَهُ النُّورِ ظَاهِرَهُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ [إِغْوَارٍ]

(٢) إِغْوَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهَّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا الْجِيفَةُ وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِنَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا تَيْبِكَ الَّتِي آيَأُوكُمْ وَ إِخْوَانِكُمْ بِهَا مُزْتَهِنُونَ وَ عَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ وَ لَعْمَرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لَا بِهِمُ الْعُهُودُ وَ لَا خَلَّتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَ الْقُرُونُ وَ مَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَضْلَابِهِمْ بَعِيدٍ.

وَ اللَّهُ مَا أَسَمِعَكُمْ الرَّسُولَ شَيْئًا إِلَّا - وَ هَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسَمِعُكُمْ وَ مَا أَسَمِعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسَمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ وَ لَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ وَ لَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْتِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ وَ وَاللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ وَ لَا أَصَيْفِيَّتُمْ بِهِ وَ حُرْمُوهُ وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا رِخْوًا بَطَانُهَا فَلَا يُعَزِّنُكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ.

ص: ٣٨٧

١- ١) مخطوطه النهج: «و اعترام».

٢- ٢) مخطوطه النهج: «و إغوار».

الفترة بين الرسل انقطاع الرساله و الوحى و كذلك كان إرسال محمد ص لأن بين محمد و بين عهد المسيح ع عهدا طويلا أكثر الناس على أنه ستمائه سنه و لم يرسل فى تلك المده رسول اللّهم إلا ما يقال عن خالد بن سنان العيسى و لم يكن نبيا و لا مشهورا .

و الهجعه النومه ليلا و الهجوع مثله و كذلك التهجاج بفتح التاء فأما الهجعه بكسر الهاء فهى الهيئه كالجلسه من الجلوس .

قوله و اعتزام من الفتن كأنه جعل الفتن معتزمه أى مريده مصممه للشغب و الهرج و يروى و اعتراض و يروى و اعترام بالراء المهمله من العرام و هى الشره و التلظى التلهب.

و كاسفه النور قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس ثم وصفها بالتغير و ذبول الحال فجعلها كالشجره التى اصفر ورقها و يبس ثمرها و أعور مأوها و الإيعوار ذهاب الماء فلاه عوراء لا ماء بها و من رواه و إغوار من مائها بالغين المعجمه جعله من غار الماء أى ذهب و منه قوله تعالى أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا (١).

و متجهمه لأهلها كالحه فى وجوههم .

ثم قال ثمرها الفتنه أى نتيجتها و ما يتولد عنها و طعامها الجيفه يعنى أكل الجاهليه الميتة أو يكون على وجه الاستعاره أى أكلها خبيث و يروى الخيفه أى الخوف ثم جعل الخوف و السيف شعارها و دثارها فالشعار ما يلى الجسد و الدثار فوق

ص: ٣٨٨

١-١) سورة الملك ٣٠.

الشعار و هذا من بديع الكلام و من جيد الصناعه لأنه لما كان الخوف يتقدم السيف و السيف يتلوه جعل الخوف شعارا لأنه الأقرب إلى الجسد و جعل الدثار تاليا له .

ثم قال و اذكروا تيك كلمه إشاره إلى المؤنثه الغائبه فيمكن أن يعنى بها الدنيا التى تقدم ذكرها و قد جعل آباءهم و إخوانهم مرتهين بها و محاسبين عليها و الارتهان الاحتباس و يمكن أن يعنى بها الأمانه التى عرضت على الإنسان فحملها و المراد بالأمانه الطاعه و العباده و فعل الواجب و تجنب القبيح و قال تيك و لم يجر ذكرها كما قال تعالى الم ذَلِكَ الْكِتَابُ (١) و لم يجر ذكره لأن الإشاره إلى مثل هذا أعظم و أهيب و أشد روعه فى صدر المخاطب من التصريح .

قوله و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب أى لم يطل العهد و الأحقاب المدد المتطاوله و القرون الأمم من الناس .

و قوله من يوم كنتم يروى بفتح الميم من يوم على أنه مبنى إذ هو مضاف إليه الفعل المبنى و يروى بجرها بالإضافه على اختلاف القولين فى علم العربيه .

ثم اختلفت الروايه فى قوله و الله ما أسمعكم فروى بالكاف و روى أسمعهم و كذلك اختلفت الروايه فى قوله و ما أسمعكم اليوم بدون أسمعكم بالأمس فروى هكذا و روى بدون أسمعهم فمن رواه بهاء الغيبه فى الموضوعين فالكلام منتظم لا يحتاج إلى تأويل و من رواه بكاف الخطاب قال إنه خاطب به من صحب النبى ص و شاهده و سمع خطابه لأن أصحاب على ع كانوا فريقين صحابه و تابعين و يعضد الروايه الأولى سياق الكلام .

و قوله و لا شقت لهم الأبصار ... إلا و قد أعطيتم مثلها (٢) .

ص: ٣٨٩

١-١) سورة البقره ١،٢ .

٢-٢) كذا فى الأصول .

و أصفيتم به منحتموه من الصفا و هو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمه يقال صفى و صفيه.

و خلاصه هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله ص قاله لأصحابه قد قلت مثله لكم فأطاع أولئك و عصيتم أنتم و حالكم مساويه لحالهم.

قلت لو أن مجيبا منهم يجيبه لأمكن أن يقول له المخاطبون و إن كانوا نوعا واحدا متساويا إلا أن المخاطب مختلف الحال و ذلك لأنك و إن كنت ابن عمه فى النسب و أخاه و لحمه و دمه و فضائلك مشتقه من فضائله و أنت قبس من نوره و ثانيه على الحقيقه و لا- ثالث لكما إلا- أنك لم ترزق القبول الذى رزقه و لا انفعت نفوس الناس لك حسب انفعالها له و تلك خاصيه النبوه التى امتاز بها عنك فإنه كان لا يسمع أحد كلامه إلا أحبه و مال إليه و لذلك كانت قريش تسمى المسلمين قبل الهجره الصبا و يقولون نخاف أن يصبو الوليد بن المغيره إلى دين محمد ص و لئن صبا الوليد و هو ريحانه قريش لتصبون قريش بأجمعها و قالوا فيه ما كلامه إلا السحر و إنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر و نهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه و شمائله و كان إذا صلى فى الحجر و جهر يجعلون أصابعهم فى آذانهم خوفا أن يسحروهم و يستميلهم بقراءته و بوعظه و تذكيره هذا هو معنى قوله تعالى جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا بِبَابِهِمْ (١).

و معنى قوله وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحِيدَهُ وَ لَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً (٢) لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفا أن يغير عقائدهم فى أصنامهم و لهذا

ص : ٣٩٠

١- ١) سورة نوح.

٢- ٢) سورة الإسراء ٤٦.

أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه و رؤيته و مشاهدته و روايته و منظره و ما ذاقوه من حلاوه لفظه و سرى كلامه فى آذانهم و ملك قلوبهم و عقولهم حتى بذلوا المهج فى نصرته و هذا من أعظم معجزاته ع و هو القبول الذى منحه الله تعالى و الطاعه التى جعلها فى قلوب الناس له و ذلك على الحقيقه سر النبوه الذى تفرد به ص فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم و إخوانهم مع النبى ص مع اختلاف حال الرئيسين و تساوى الأثرين كما يعتبر فى تحققه تساوى حال المحليين يعتبر فى حقيقته أيضا تساوى حال العلتين .

ثم نعود إلى التفسير قال و لقد نزلت بكم البليه أى المحنه العظيمه يعنى فتنه معاويه و بنى أميه . و قال جائلا خطامها لأن الناقه إذا اضطرب زمامها استصعبت على راجبها و يسمى الزمام خطاماً لكونه فى مقدم الأنف و الخطم من كل دابه مقدم أنفها و فمها (١) و إنما جعلها رخوا بطانها لتكون أصعب على راجبها لأنه إذا استرخى البطن كان الراكب فى معرض السقوط عنها و بطان القتب هو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير .

ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا و متاعها و قال إنها ظل ممدود إلى أجل معدود و إنما جعلها كالظل لأنه ساكن فى رأى العين و هو متحرك فى الحقيقه لا يزال يتقلص كما قال تعالى **ثُمَّ قَبْضُنَا إِلَيْهَا قَبْضًا يَسِيرًا** (٢) و هو أشبه شىء بأحوال الدنيا.

و قال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب سير بهم و هم نيام

ص: ٣٩١

١- ١) ج: «أنفه و فمه».

٢- ٢) سورة الفرقان ٥٦.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِهِ وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَلَا حُجُبَ ذَاتُ إِزْتَاجٍ وَلَا لَيْلَ دَاجٍ وَلَا بَحْرَ سَاجٍ وَلَا جِبِلَّ ذُو فِجَاجٍ وَلَا فَجَّحٌ ذُو اعْوِجَاجٍ وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مَهَادٍ وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ وَذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ .

الرويه الفكره و أصلها الهمز روات في الأمر و قد جاء مثلها كلمات يسيره شاذه نحو البريه من برأ أى خلق و الذريه من ذرأ أى خلق أيضا و الدريره و هى ما يستتر به الصائد أصله من درأت أى دفعت و فلان برى أصله برىء و صف الله تعالى بأنه يعرف من غير أن تتعلق الأبصار بذاته و يخلق من غير تفكر و ترو فيما يخلقه .

لم يزل قائما

القائم و القيوم بمعنى و هو الثابت الذى لا يزول و يعبر عنه فى الاصطلاح النظرى بالواجب الوجود و قد يفسر القائم على معنى قولهم فلان قائم بأمر كذا أى وال و ممسك له أن يضطرب.

ثم قال هو موصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم و هذا يؤكد التفسير

الأول لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوه لا بالفعل كما يصدق عليه أنه سميع بصير في الأزل أي إذا وجدت المسموعات والمبصرات سمعها وأبصرها ولو سمي قبل خلق الكلام متكلمًا على هذا التفسير لم أستبعده وإن كان أصحابنا يابونه .

و الأبراج الأركان في اللغة العربية.

فإن قلت فهل يطابق هذا التفسير ما يعتقد أصحاب الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين أن السماء كره لا زاويه فيها ولا ضلع.

قلت نعم لا- منافاه بين القولين لأن الفلك وإن كان كره لكن فيه من المتممات ما يجري مجرى أركان الحصن أو السور فصح إطلاق لفظه الأبراج عليه و المتممات أجسام في حشو الفلك تخف في موضع والناس كلهم أثبتوها.

فإن قلت فهل يجوز أن يحمل لفظ الأبراج على ما يعتقد المنجمون وأهل الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين من كون الفلك مقسوما باثني عشر قسما كل قسم منها يسمى برجاً.

قلت لا مانع من ذلك لأن هذا المسمى كان معلوماً متصوراً قبل نزول القرآن وكان أهل الاصطلاح قد وضعوا هذا اللفظ بإزائه فجاز أن ينزل القرآن بموجبه قال تعالى وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وأخذها على ع منه فقال إذ لا سماء ذات أبراج و ارتفع سماء لأنه مبتدأ وخبره محذوف وتقديره في الوجود .

ثم قال ولا- حجب ذات إرتاج والإرتاج مصدر أرتج أي أغلق أي ذات إغلاق و من رواه ذات رتاج على فعال فالرتاج الباب المغلق و يبعد روايه من رواه

ص: ٣٩٣

ذات أرتاج لأن فعلا- قل أن يجمع على أفعال و يعنى بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبه بين عرشه العظيم و بين ملائكته و يجوز أن يريد بالحجب السماوات أنفسها لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكه فيه .

و الليل الداجى المظلم و البحر الساجى الساكن و الفجاج جمع فج و هو الطريق الواسع بين جبلين و المهاد الفراش .

قوله و لا خلق ذو اعتماد أى و لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما و يجوز أن يريد بالاعتماد هنا البطش و التصرف مبتدع الخلق مخرجه من العدم المحض كقوله تعالى بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (١) و دائبان تشنيه دائب و هو الجاد المجتهد المتعب دأب فى عمله أى جد و تعب دأبا و دءوبا فهو دءيب و دأبته أنا و سمي الشمس و القمر دائبين لتعاقبهما على حال واحده دائما لا يفتران و لا يسكنان و روى دائبين بالنصب على الحال و يكون خبر المبتدأ بيليان و هذه من الألفاظ القرآنيه (٢) قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْعَايَاتُ .

آثارهم

يمكن أن يعنى به آثار وطنهم فى الأرض إيدانا بأنه تعالى عالم بكل معلوم

ص: ٣٩٤

١-١) سورة الأنعام ١٠١.

٢-٢) من من قوله تعالى فى سورة إبراهيم: وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ .

كما آذن قوله سبحانه وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا (١) بذلك و يمكن أن يعنى به حركاتهم و تصرفاتهم .

و روى و عدد أنفاسهم على الإضافة .

و خائنه الأعين ما يومئ به مسارقه و خفيه و مستقرهم أى فى الأرحام و مستودعهم أى فى الأصلاب و قد فسر ذلك فتكون من متعلقه بمستودعهم و مستقرهم على إرادته تكررهما و يمكن أن يقال أراد مستقرهم و مأواهم على ظهر الأرض و مستودعهم فى بطنها بعد الموت و تكون من هاهنا بمعنى مذ أى مذ زمان كونهم فى الأرحام و الظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات أى إلى أن يحشروا فى القيامة و على التأويل الأول يكون تنهى الغايات بهم عبارة عن كونهم أحياء فى الدنيا هو الذى اشتدَّت نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَبْعَةِ رَحْمَتِهِ وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ فَاهْرُ مِنْ عَازِهِ وَ مُدْمِرٌ مِنْ شَاقِّهِ وَ مُدِلٌّ مِنْ نَاوَاهُ وَ غَالِبٌ مِنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أُعْطَاهُ وَ مَنْ أَفْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبِيْبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسِبُوا وَ تَنْفَسُوا قَبْلَ ضَبِيقِ الْخِنَاقِ وَ انْفَادُوا قَبْلَ غُنْفِ السِّيَاقِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعْنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَآ زَاجِرٌ وَ لَآ وَاعِظٌ.

ص: ٣٩٥

يجوز نغمه و نغمه مثل كلمه و كلمه و لبنه و لبنه و معنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمه فى نفس الأمر و أنه أرحم الراحمين فإنه شديد النغمه على أعدائه و مع كونه عظيم النغمه فى نفس الأمر و كونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمه لأولياءه و عازه أى غالبه و عزه أى غلبه و منه وَ عَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ (١) و فى المثل من عزّ بز أى من غلب سلب و المدمر المهلك دمره و دمر عليه بمعنى أى أهلكه و شاقه عاداه قيل إن أصله من الشق و هو النصف لأن المعادى يأخذ فى شق و المعادى فى شق يقابله و ناواه أى عاداه و اللفظه مهموزه و إنما لينها لأجل القرينه السجعيه و أصلها ناوأت الرجل مناوؤه و نواء و يقال فى المثل إذا ناوأت الرجل فاصبر .

قوله زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا من الكلام الفصيح النادر اللطيف يقول اعتبروا أعمالكم و أنتم مختارون قادرين على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم و أنتم لا- تقتدرون على استدراك الفارط و مثله قوله و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا .

ثم قال و تنفسوا قبل ضيق الخناق أى انتهزوا الفرصه و اعملوا قبل أن يفوتكم الأمر و يجد بكم الرحيل و يقع الندم قال الشاعر
اختم و طينك رطب إن قدرت فكم قد أمكن الختم أقواما فما ختموا .

ثم قال و انقادوا قبل عنف السياق هو العنف بالضم و هو ضد الرفق يقال عنف عليه و عنف به أيضا و العنيف الذى لا رفق له
بركوب الخيل و الجمع عنف و اعتنت الأمر أى أخذته بعنف يقول انقادوا أنتم من أنفسكم قبل أن تقادوا و تساقوا

ص: ٣٩٦

بغير اختياركم سوقا عنيفا ثم قال من لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظا و زاجرا لم ينفعه الزجر و الوعظ من غيرها
أخذ هذا المعنى شاعر فقال و أقصرت عما تعهدين و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل.

فإن قلت أ ليس فى هذا الكلام إشعار ما بالجبر.

قلت إنه لا- خلاف بين أصحابنا فى أن لله تعالى أظافا يفعلها بعباده فيقربهم من الواجب و يبعدهم من القبيح و من يعلم الله
تعالى من حاله أنه لا لطف له لأن كل ما يعرض لظفا له فإنه لا يؤثر فى حاله و لا يزداد به إلا إصرارا على القبيح و الباطل فهو
الذى عناه أمير المؤمنين ع بقوله من لم يعن على نفسه لأنه ما قبل المعونه و لا انقاد إلى مقتضاها و قد روى و اعلموا أنه من لم
يعن على نفسه بكسر العين أى من لم يعن الواعظين له و المنذرين على نفسه و لم يكن معهم إلبا عليها و قاهرا لها لم ينتفع
بالوعظ و الزجر لأن هوى نفسه يغلب و عظ كل واعظ و زجر كل زاجر

ص: ٣٩٧

رَوَى مَسِيْعَدَةُ بْنُ صَيْدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا (١) مِثْلَ مَا نَرَاهُ عَيْنًا (٢) لِنَزِدَادَ لَهُ حُبًّا وَ بِهِ مَعْرِفَهُ فَعَضِبَ وَ نَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسِيْعِدُ بِأَهْلِهِ فَصَيَّرَ عِدَّ الْمَسْبَرِ وَ هُوَ مُغَضِبٌ مُتَعَيِّرُ اللَّوْنِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ص ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقَسَمِ عِيَالَهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَيَّا لَدَيْهِ وَ لَيْسَ بِمَيَّا سَيْئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَ الْأَخِيرُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ (٣) بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ وَ الرَّادِعُ أَنَا صَيَّرَ ارِ عَنَ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَيَّا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَيَالُ وَ لَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ .

الأشباح الأشخاص و المراد بهم هاهنا الملائكة لأن الخطبه تتضمن ذكر الملائكة.

١-١-١) ساقط من مخطوطه النهج.

١-١-٢) ساقط من مخطوطه النهج.

و قوله الصلاة جامعه منصوب بفعل مقدر أى احضروا الصلاة و أقيموا الصلاة و جامعه منصوب على الحال من الصلاة .

و غص المسجد بفتح الغين أى امتلأ و المسجد غاص بأهله و يقال رجل مغضب بفتح الضاد أى قد أغضب أى فعل به ما يوجب غضبه .

و يفره المنع يزيد فى ماله و الموفور التام وفرت الشىء وفرا و وفر الشىء نفسه وفورا يتعدى و لا يتعدى و فى أمثالهم يوفرو و يحمد هو من قولك وفرتة عرضه و وفرتة ماله .

و قوله و لا يكديه الإعطاء أى لا يفقره و لا ينفد خزائنه يقال كدت الأرض تكد و فهى كاديه إذا أبطأ نباتها و قل خيرها فهذا لازم فإذا عديته أتيت بالهمزه فقلت أكديت الأرض أى جعلتها كاديه و تقول أكدي الرجل إذا قل خيره و قوله تعالى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى (١) أى قطع القليل يقول إنه سبحانه قادر على المقدورات و ليس كالمملوك من البشر الذين إذا أعطوا نقصت خزائنها و إن منعوا زادت و قد شرح ذلك و قال إذ كل معط منتقص أى منقوص و يجىء انتقص لازما و متعديا تقول انتقص الشىء نفسه و انتقصت الشىء أى نقصته و كذلك نقص يجىء لازما و متعديا .

ثم قال و كل مانع مذموم غيره و ذلك لأنه تعالى إنما يمنع من تقتضى الحكمة و المصلحه منعه و ليس كما يمنع البشر

١٤٧٨

٨- وَ سَيَّأَلَ رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرَّضَا عَنِ الْجَوَادِ فَقَالَ إِنَّ لِكَلَامِكَ وَجْهَيْنِ فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ الْجَوَادَ هُوَ الَّذِي يُؤَدَّى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ الْبُخِيلَ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ إِنْ كُنْتَ تَعْنِي الْخَالِقَ

ص: ٣٩٩

فَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ أُعْطِيَ وَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ مَنَعَ لِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ عَبْدًا أُعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ وَإِنْ مَنَعَهُ مَنَعَهُ مَا لَيْسَ لَهُ .

قوله و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل فيه معنى لطيف و ذاك لأن هذا المعنى ممّا يختص بالبشر لأنهم يتحركون بالسؤال و تهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم إياه و أمّا البارئ سبحانه فإن جوده ليس على هذا المنهاج لأن جوده عام فى جميع الأحوال .

ثمّ ذكر أن وجوده تعالى ليس بزمانى فلا يطلق عليه البعديه و القبليه كما يطلق على الزمانيات و إنّما لم يكن وجوده زمانيا لأنه لا يقبل الحركة و الزمان من لواحق الحركة و إنّما لم تطلق عليه البعديه و القبليه إذ لم يكن زمانيا لأن قولنا فى الشىء أنّه بعد الشىء الفلانى أى الموجود فى زمان حضر بعد تقضى زمان ذلك الشىء الفلانى و قولنا فى الشىء أنّه قبل الشىء الفلانى أى أنّه موجود فى زمان حضر و لم يحضر زمان ذلك الشىء الفلانى بعد فما ليس فى الزمان ليس يصدق عليه القبل و البعد الزمانيان فيكون تقدير الكلام على هذا الأول الذى لا يصدق عليه القبليه الزمانيه ليتمكن أن يكون شىء ما قبله و الآخر الذى لا يصدق عليه البعديه الزمانيه ليتمكن أن يكون شىء ما بعده.

و قد يحمل الكلام على وجه آخر أقرب متناولا من هذا الوجه و هو أن يكون أراد الذى لم يكن محدثا أى موجودا قد سبقه عدم فيقال إنّ مسبق شىء من الأشياء إمّا المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه و أنّه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لا يزال فيقال إنّه ينقضى و ينصرم و يكون بعده شىء من الأشياء إمّا الزمان أو غيره و الوجه الأول أدق و أطف و يؤكد كونه مرادا قوله عقيب ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال و ذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر و الزمان فنسبه ذاته إلى الدهر و الزمان بجملته و تفصيل أجزائه نسبه متحده.

فإن قلت إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان ولا بعدها بالزمان فهو معها بالزمان لأنه لا يبقى بعد نفى القبليه و البعديه إلا المعيه.

قلت إنما يلزم ذلك فيما وجوده زمانى و أمّا ما ليس زمانيا لا يلزم من نفى القبليه و البعديه إثبات المعيه كما أنه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفى كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان .

ثم قال الرادع أناسى الأبصار عن أن تناله أو تدركه الأناسى جمع إنسان و هو المثل الذى يرى فى السواد و هذا اللفظ بظاهره يشعر بمذهب الأشعريه و هو قولهم إن الله تعالى خلق فى الأبصار مانعا عن إدراكه إلا أن الأدله العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ كما تأول شيوخنا قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (١) فقالوا إلى جنبه ربها فنقول تقديره الرادع أناسى الأبصار أن تنال أنوار جلالته.

فإن قلت أ تثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار و هل هذا إلا قول بالتجسيم.

قلت كلا- لا تجسيم فى ذلك فكما أن له عرشا و كرسيا و ليس بجسم فكذلك أنوار عظيمه فوق العرش و ليس بجسم فكيف تنكر الأنوار و قد نطق الكتاب العزيز بها فى غير موضع كقوله وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا (٢) و كقوله مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

ص: ٤٠١

١-١) سورة القيامة ٧٥.

٢-٢) سورة الزمر ٦٩.

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللَّجِينِ وَ الْعَقِيَانِ وَ نُثَارِهِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَ لَا أَنْفَدَ سَيْعَهُ مَا عِنْدَهُ وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنْامِ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ (١) سُؤَالَ السَّائِلِينَ وَ لَا [يُبْخِلُهُ]

يُبْخِلُهُ إِيحَاءُ الْمَلِيحِينَ.

هذا الكلام من تتمه الكلام الأول و هو قوله لا يفره المنع و لا يكديه الإعطاء و الجود و تنفست عنه المعادن استعاره كأنها لما أخرجته و ولدته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره و رثته الهواء .

و ضحكت عنه الأصداف أى تفتحت عنه و انشقت يقال للطلع حين ينشق الضحك بفتح الضاد و إنما سمي الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه و الفلز اسم الأجسام الذائبة كالذهب و الفضة و الرصاص و نحوها و اللجين اسم الفضة جاء مصغرا كالكميت و الثريا و العقيان الذهب الخالص و يقال هو ما ينبت نباتا و ليس ممّا يحصل من الحجارة و نثاره الدر ما تناثر منه كالسقاطه و النخاله و تأتي فعالة تاره للجدد المختار و تاره للساقط المتروك فالأول نحو الخلاصه و الثانى نحو القلامه .

و حصيد المرجان كأنه أراد المتبدد منه كما يتبدد الحب المحصود و يجوز أن يعنى به الصلب المحكم من قولهم شىء مستحصد أى مستحصف مستحكم يعنى أنه ليس برخو و لا هش و يروى و حصباء المرجان و الحصباء الحصى و أرض حصبه و محصبه

ص: ٤٠٢

بافتح ذات حصباء و المرجان صغار اللؤلؤ و قد قيل إنه هذا الحجر و استعمله بعض المتأخرين فقال آدمى لها المرجان صفحه خده و بكى عليها اللؤلؤ المكنون .

و تنفده تفنيه نفذ الشيء أى فنى و أنفدته أنا و مطالب الأنام جمع مطلب و هو المصدر من طلبت الشيء طلبا و مطلبا .

و يعيضة بفتح حرف المضارعه ينقصه و يقال غاض الماء فهذا لازم و غاض الله الماء فهذا متعد و جاء أفاض الله الماء .

و الإلحاح مصدر ألح على الأمر أى أقام عليه دائما من ألح السحاب إذا دام مطره و ألح البعير حرن كما تقول خلأت الناقه و روى و لا يبخله بالتخفيف تقول أبخلت زيدا أى صادفته بخيلا و أجبنته وجدته جبانا.

و فى هذا الفصل من حسن الاستعاره و بديع الصنعه ما لا خفاء به فأنظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفة فأتتم به و استنضجى بنور هدايته و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فوضه و لا فى سنه النبي ص و أئمه الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإن ذلك منتهى حيق الله عليك و اعلم أن الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبه دون الغيوب الأقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله

اعْتَرَفْتُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا وَ سَمِيَ تَزَكَّهُمُ التَّعَمُّقَ فِيهَا لَمْ يُكَلِّفْهُمْ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ . تقول ائتم فلان بفلان أى جعله إماما و اقتدى به فكل علمه من وكله إلى كذا وكلا و وكولا و وهذا الأمر موكول إلى رأيك و الاقتحام الهجوم و الدخول مغالبه و السدد المضروبه جمع سده و هى الرتاج.

و اعلم أن هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشويه المانعون من تأويل الآيات الواردة فى الصفات القائلين بالجمود على الظواهر و يمكن أيضا أن يتعلق به من نفى النظر و حرمة أصلا و نحن قبل أن نحققه و نتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ (١) فنقول إن من الناس من وقف على قوله إِلَّا اللَّهُ و منهم من لم يقف على ذلك و هذا القول أقوى من الأول لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إِلَّا اللَّهُ لم يكن فى إنزاله و مخاطبه المكلفين به فائده بل يكون كخطاب العربى بالزنجيه و معلوم أن ذلك عيب قبيح .

فإن قلت فما الذى يكون موضع يَقُولُونَ من الإعراب.

قلت يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين و يمكن أن يكون كلاما مستأنفا أى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به.

ص: ٤٠٤

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَأَوَّلَ آيَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَأَنَا مِنْ جُمْلَةِ الرَّاسِخِينَ.

ثمَّ نعود إلى تفسير كلام أمير المؤمنين ع فنقول إنه غضب و تغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل ما نراه عيانا و إذا هذا المعنى ينصرف وصيه له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن و السنه و ذلك لأن العلم الحاصل من رؤيه الشىء عيانا علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تعلم من حيث هي هي كما تعلم المحسوسات أ لا ترى أنا إذا علمنا أنه صانع العالم و أنه قادر عالم حى سميع بصير مرید و أنه ليس بجسم و لا جوهر و لا عرض و علمنا جميع الأمور السلبيه و الإيجابيه المتعلقة به فإنما علمنا سلوبا و إضافات و لا شك أن ماهيه الموصوف مغايره لماهيه الصفات و الذوات المحسوسه بخلاف ذلك لأننا إذا رأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقه السواد لا صفه من صفات السواد و أيضا فإننا لو قدرنا أن العلم بوجوده و صفاته السلبيه و الإيجابيه يستلزم العلم بذاته من حيث هي هي لم يكن عالما بذاته علما جزئيا لأنه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين على سبيل البدل و إذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البدل ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع و العلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع و لا على سبيل البدل فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشىء المرئى عيانا فأمر المؤمنين ع أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بنى إسرائيل لما طلبوا الرؤيه قال تعالى وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ (١).

ص: ٤٠٥

ثم قال للسائل بعد غضبه و استحاله لونه و ظهور أثر الإنكار عليه ما ذلك القرآن عليه من صفته فخذ به فإن لم تجده في الكتاب فأطلبه من السنه و من مذاهب أئمه الحق فإن لم تجد ذلك فاعلم أن الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه و هذا حق لأن الكتاب و السنه قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا و نطقا أيضا بتنزيهه عن سمات الحدوث كالجسميه و الحلول و الجبهه و ما استلزم كالرؤيه فلا إنكار على من طلب في مدارك العقول وجوها تعضد ما جاء به القرآن و السنه و توفق بين بعض الآيات و بعض و تحمل أحد اللفظين على الآخر إذا تناقضا في الظاهر صيانه لكلام الحكيم عن التهافت و التعارض و أميا ما لم يأت الكتاب و السنه فيه بشيء فهو الذي حرم و حظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام في الماهيه التي يذهب ضرار المتكلم إليها و كإثبات صفات زائده على الصفات المعقوله لذات البارئ سبحانه و هي على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كإثبات طائفه تعرف بالماتريديه صفه سموها التكوين زائده على القدره و الإراده.

و الثاني ما ورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر فأثبت لأجل ذلك اللفظه صفه غير معقوله للبارئ سبحانه نحو قول الأشعريين إن اليدين صفه من صفات الله و الاستواء على العرش صفه من صفات الله و إن وجه الله صفه من صفاته أيضا ثم قال إن الراسخين في العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج و التقحم فيما لم يعرفوه و هؤلاء هم أصحابنا المعتزله لا شبهه في ذلك ألا ترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم و المصالح فإذا ضاق عليهم الأمر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمه و مصلحه و إن كنا لا نعرف تفصيل تلك المصلحه كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر و كما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها و ما بعدها.

وقد تأول القطب الراوندى كلام أمير المؤمنين فى هذا الفصل فقال إنما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين بإقامه خمس صلوات و هلا كانت ستا أو أربعا و لم جعل الظهر أربع ركعات و الصبح ركعتين و هلا عكس الحال و هذا التأويل غير صحيح لأنه ع إنما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له البارئ سبحانه و لم يكن السائل قد سأل عن العله فى أعداد الصلاه و كميّه أجزاء العبادات.

ثم إنه ع قد صرّح فى غضون الكلام بذلك فقال فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به و ما لم يدللك عليه فليس عليك أن تخوض فيه و هذا الكلام تصريح بأن البحث إنما هو فى النظر العقلى فى فن الكلام فلا يجوز أن يحمل على ما هو بمعزل عنه.

و اعلم أننا نتساهل فى ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم فى المحسوسات و الصواب المحسّات لأنه لفظ المفعول من أحس الرباعى لكننا لما رأينا العدول عن ألفاظهم إذا خضنا فى مباحثهم مستهجننا عبرنا بعبارتهم على علم منا أن العريبه لا تسوغها هو القادر الذى إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته و حاول الفكر المبرأ من [خطر]

خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَ تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِى فِي كَيْفِيَّتِهِ صَفَاتِهِ وَ غَمَضَتْ مِداخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَأَوَّلَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدْعَهَا وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سَيْدِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أَوْلَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ .

أى ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أى تراموا فشبه جولان الأوهام و الأفكار و تعارضها بالترامى .

و خطر الوسوس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أى عرض فى قلبه و روى من خطرات الوسوس .

و تولهت القلوب إليه

اشدد عشقها حتى أصابها الوله و هو الحيره .

و قوله لتجرى فى كيفية صفاته أى لتصادف مجرى و مسلكا فى ذلك و غمضت مداخل العقول أى غمض دخولها و دق فى الأنظار العميقه التى لا تبلغ الصفات كنهها لدقتها و غموضها طالبه أن تنال معرفته تعالى .

و لفظه ذات لفظه قد طال فيها كلام كثير من أهل العرييه فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى و إضافتها إليه أما إطلاقها فلائها لفظه تأنيث و البارئ سبحانه منزه عن الأسماء و الصفات المؤنثه و أمّا إضافتها فلائها عين الشىء و الشىء لا يضاف إلى نفسه و أجاز آخرون إطلاقها فى البارئ تعالى و إضافتها إليه أما استعمالها فلو جهين أحدهما أنها قد جاءت فى الشعر القديم قال خبيب الصحابى عند صلبه و ذلك فى ذات الإله و إن يشأ يبارك على أوصال شلو موزع (١) .

و يروى ممزوع (٢) و قال النابغه محلثهم ذات الإله و دينهم قديم فما يخشون غير العواقب (٣) .

و الوجه الثانى أنها لفظه اصطلاحيه فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث ذو بل تستعمل

ص: ٤٠٨

١- ١) هو خبيب بن عدى الأنصارى، من قصيده أوردها ابن عبد البر فى الإستيعاب ٤١١.

٢- ٢) هى روايه الاستيعاب.

٣- ٣) ديوانه ٨.

ارتجالاً- فى مسماها الذى عبر عنه بها أرباب النظر الإلهى كما استعملوا لفظ الجوهر و العرض و غيرهما فى غير ما كان أهل العربيه و اللغه يستعملونها فيه.

و أمّا منعهم إضافتها إليه تعالى و أنّه لا يقال ذاته لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه و أخذته عينه فإنّه بالاتفاق جائز و فيه إضافه الشىء إلى نفسه.

ثمّ نعود إلى التفسير قوله ع ردعها أى كفها و تجوب أى تقطع و المهاوى المهالك الواحده مهواه بالفتح و هى ما بين جبلين أو حائطين و نحو ذلك و السدف جمع سدفة و هى القطعه من الليل المظلم و جبهت أى ردت و أصله من جبهته أى صككت جبهته و الجور العدول عن الطريق و الاعتساف قطع المسافه على غير جاده معلومه.

و خلاصه هذا الفصل أن العقول إذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات نكصت عن ذلك لأنه قادر أبدا دائما على ما لا يتناهى و إذا حاول الفكر الذى قد صفا و خلا عن الوسوس و العوائق أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل و حسر و رجع ناقصا أيضا و إذا اشتد عشق النفوس له و تولهت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك و إذا تغلغت العقول و غمضت مداخلها فى دقائق العلوم النظرية الإلهية التى لا توصف لدقتها طالبه أن تعلم حقيقه ذاته تعالى انقطعت و أعيت و ردها سبحانه و تعالى و هى تجول و تقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه فارتدت حيث جبهها و ردعها مقره معترفه بأن إدراكه و معرفته لا- تنال باعتساف المسافات التى بينها و بينه و إن أرباب الأفكار و الرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما فى الخارج من تقدير جلال عزته و لا بدّ من أخذ هذا القيد فى الكلام لأن أرباب الأنظار

لا- بد أن تخطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته و لكن تلك الخواطر لا تكون مطابقه لها في الخارج لأنها خواطر مستندها الوهم لا العقل الصريح و ذلك لأن الوهم قد ألف الحسيات و المحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ما ألفه من ذلك و جلال واجب الوجود أعلى و أعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لأنه برىء من المحسوسات سبحانه و أميا العقل الصريح فلا- يدرك خصوصيه ذاته لما تقدم.

و اعلم أن قوله تعالى فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (١) فيه إشاره إلى هذا المعنى و كذلك قوله يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ (٢) الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ امْتَلَأَهُ وَ لَا- مِقْدَارٍ اخْتَدَىٰ عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتٍ قُدْرَتِهِ وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقْتَ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَ اعْتِرَافِ الْحِاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكٍ قُوَّتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ فَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَخِيدَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلَامُ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

ص : ٤١٠

١- ١) سورة الملك ٤، ٣.

٢- ٢) سورة البقره ٢٥٥.

المساک بکسر المیم ما یمسک و یعصم به .

و قوله ابتدع الخلق على غير مثال امثله يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامثله مثله كما تقول صنعت و اصطنعت بمعنى فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا- قبل شروعه في خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال و ركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع الذى يصوغ حلقه من رصاص مثالا- ثم يصوغ حلقه من ذهب عليها و كالبناء يقدر و يفرض رسوما و تقديرات فى الأرض و خطوطا ثم يبنى بحسبها.

و الوجه الثانى أنه يريد بامثله احتذاه و تقبله و اتبعه و الأصل فيه امثال الأمر فى القول فنقل إلى احتذاء الترتيب العقلى فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه و احتذاه و فعل نظيره كما يفعل التلميذ فى الصباغ و النجاره شيئا قد مثل له أستاذه صورته و هيئته.

و اعلم أن هذا أحد الأسئلة التى يذكرها أصحابنا فى باب كونه عالما لأنهم لما استدلوا على كونه تعالى عالما بطريق إحكام العلم و إتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لا- يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله و هيئه اقتضاها و المحتذى لا يجب كونه عالما بما يفعله ألا ترى أن من لا يحسن الكتابه قد يحتذى خطأ مخصوصا فيكتب قريبا منه و كذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع و لا يجب كونه عالما.

و أجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا إن أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفى فى ثبوت كونه عالما و أيضا فإن المحتذى ليست العالميه بمسلوبه عنه بل موصوف بها

ألا ترى أنه متصور صورته ما يحتديه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذى عالم في الجملة و لكن علمه يحدث شيئا فشيئا.

فأما معنى الفصل فظاهر يقول ع إنه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه لنفسه و لا قدم له غيره ليحتذى عليه و أرانا من عجائب صنعته و من اعتراف الموجودات كلها بأنها فقيره محتاجه إلى أن يمسكها بقوته ما دلنا على معرفته ضروره و في هذا إشاره إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر و لما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنه لم تكن غنيه عنه سبحانه بل كانت فقيره إليه لأنها لولاها ما بقيت فهو سبحانه غني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء مطلقا بغني عنه سبحانه و هذه من خصوصيه الإلهيه و أجل ما تدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها.

فإن قلت في هذا الكلام إشعار بمذهب شيخكم أبي عثمان في أن معرفته تعالى ضروريه.

قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك إلا أنه غير دال عليه لأنه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار و لكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجج له على معرفته فالاضطرار راجع إلى قيام الحجج لا إلى المعرفة .

ثم قال ع و ظهرت آثار صنعته و دلائل حكمته في مخلوقاته فكانت و هي صامته في الصوره ناطقه في المعنى بوجوده و ربوبيته سبحانه و إلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال فو عجا كيف يعصى الإله

و قال فى تفسير قوله تعالى وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١) إنه عبارته عن هذا المعنى فأشهد أن من شَبَّهَكَ بتباين أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُخْتَجِبِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نَدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ عَنِ الْمَشْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِحُكْمِكَ إِذْ شَبَّهوكَ بِأَصْدَانِهِمْ وَ نَحَلوكَ حَلِيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّووكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخَلْقِ الْمُخْتَلِفِ الْقُوَى بِقِرَاطِحِ عُقُولِهِمْ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِى لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا وَ لَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصَرِّفًا .

حقوق المفصل جمع حقه و جاء فى جمعها حقاق و حقق و حق و لما قال بتباين أعضاء خلقك و تلاحم حقاق مفاصلهم فأوقع التلاحم فى مقابله التباين صناعه و بديعا و روى

ص: ٤١٣

المحتججه فمن قال المحتججه أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعه كالمحتججه المستدله على التدبير الحكيمى من لدنه سبحانه و من قال المحتججه أراد المستتره لأن تركيبها الباطن خفى محجوب .

و الند المثل و العادلون بك الذين جعلوا لك عديلا و نظيرا و نحلوك أعطوك و هى النحل و روى لم يعقد على ما لم يسم فاعله.

و غيب ضميره بالرفع و القرائح جمع قريحه و هى القوه التى تستنبط بها المعقولات و أصله من قريحه البئر و هو أول مائها .

و معنى هذا الفصل أنه ع شهد بأن المجسم كافر و أنه لا- يعرف الله و أن من شبه الله بالمخلوقين ذوى الأعضاء المتباينه و المفاصل المتلاحمه لم يعرفه و لم يباشر قلبه اليقين فإنه لا ند له و لا مثل ثم أكد ذلك بآيات من كتاب الله تعالى و هى قوله تعالى فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ وَ الْجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١) حكى سبحانه حكاية قول الكفار فى النار و هم التابعون للذين أغوهم من الشياطين و هم المتبعون لقد كنا ضالين إذ سويناكم بالله تعالى و جعلناكم مثله و وجه الحججه أنه تعالى حكى ذلك حكاية منكر على من زعم أن شيئا من الأشياء يجوز تسويته بالبارى سبحانه فلو كان البارى سبحانه جسما مصورا لكان مشابها لسائر الأجسام المصوره فلم يكن لإنكاره على من سواه بالمخلوقات معنى.

ثم زاد ع فى تأكيد هذا المعنى فقال كذب العادلون بك المثبتون لك نظيرا و شبيها يعنى المشبهه و المجسمه إذ قالوا إنك على صوره آدم فشبهوك بالأصنام التى

ص: ٤١٤

كانت الجاهليه تعبدها و أعطوك حليه المخلوقين لما اقتضت أوهامهم ذلك من حيث لم يالفوا أن يكون القادر الفاعل العالم
إلا جسما و جعلوك مركبا و متجزئا كما تتجزأ الأجسام و قدروك على هذه الخلقه يعنى خلقه البشر المختلفه القوى لأنها مركبه
من عناصر مختلفه الطبائع ثم كرر الشهاده فقال أشهد أن من ساواك بغيرك و أثبت أنك جوهر أو جسم فهو عادل بك كافر و
قالت تلك الخارجيه للحجاج أشهد أنك قاسط عادل فلم يفهم أهل الشام حوله ما قالت حتى فسره لهم قال ع فمن يذهب إلى
هذا المذهب فهو كافر بالكتاب و بما دلت عليه حجج العقول ثم قال و إنك أنت الله أى و أشهد أنك أنت الله الذى لم تحط
العقول بك كإحاطتها بالأشياء المتناهيه فتكون ذا كيفيه .

و قوله فى مهب فكرها استعاره حسنه ثم قال و لا فى رويات خواطرها أى فى أفكارها محدودا ذا حد مصرفا أى قابلا للحركه و
التغير .

و قد استدلل بعض المتكلمين على نفى كون البارئ سبحانه جسما بما هو مأخوذ من هذا الكلام فقال لو جاز أن يكون البارئ
جسما لجاز أن يكون القمر هو إله للعالم لكن لا يجوز أن يكون القمر إله العالم فلا يجوز أن يكون البارئ جسما بيان الملازمه
أنه لو جاز أن يكون البارئ سبحانه جسما لما كان بين الإلهيه و بين الجسميه منافاه عقليه و إذا لم يكن بينهما منافاه عقليه أمكن
اجتماعهما و إذا أمكن اجتماعهما جاز أن يكون القمر هو إله العالم لأنه لا مانع من كونه إله العالم إلا كونه جسما يجوز عليه
الحركه و الأفعال و نقصان ضوئه تاره و امتلاؤه أخرى فإذا لم يكن ذلك منافيا للإلهيه جاز أن يكون القمر إله العالم و بيان
الثانى إجماع المسلمين على كفر من أجاز كون القمر إله العالم و إذا ثبتت الملازمه و ثبتت المقدمه الثانيه فقد تمت الدلاله

وَمِنْهَا قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَالْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَ وَجَّهَهُ لِرُجُوعِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَ لَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِئِ أَصْنَافِ الْأَشْيَاءِ بِلَا رُؤْيِهِ فِكْرَ آلِ إِلَيْهَا وَ لَا قَرِيحِهِ غَرِيزِهِ أَضْمَرَ عَلَيْهَا وَ لَا تَجْرِبِهِ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ وَ لَا شَرِيكَكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ وَ أَدْعَى لِبَطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ لَمْ يَعْترِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ وَ لَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا وَ وَصَلَ أَشْيَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا .

الوجهه بالكسر الوجهه التي يتوجه نحوها قال تعالى وَ لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا (١).

و الريث البطء و الممتلكى المتأخر و الأود الاعوجاج و لاءم بين كذا و كذا أى جمع و القرائن هنا الأنفس واحداثها قرونه و قرينه يقال سمحت قرينته و قرونه أى أطاعته نفسه و ذلت و تابعته على الأمر و بدايا هاهنا جمع بديه

ص: ٤١٦

(١ - ١) البقره ١٤٨.

و هي الحالة العجيبه أبدأ الرجل إذا جاء بالأمر البدئ أى المعجب و البديه أيضا الحالة المبتدأه المبتكره و منه قولهم فعله بادئ ذى بدئ على وزن فعيل أى أول كل شئ و يمكن أن يحمل كلامه أيضا على هذا الوجه.

و أما خلائق فيجوز أن يكون أضاف بدايا إليها و يجوز إلا يكون أضافه إليها بل جعلها (١) بدلا من أجناسا و يروى برايا جمع برية يقول ع إنه تعالى قدر الأشياء التى خلقها فخلقها محكمه على حسب ما قدر و ألطف تدبيرها أى جعله لطيفا و أمضى الأمور إلى غاياتها و حدودها المقدره لها فهيا الصقره للاصطياد و الخيل للركوب و الطراد و السيف للقطع و القلم للكتابه و الفلك للدوران و نحو ذلك و فى هذا إشاره إلى

١٤٨٠

قَوْلِ النَّبِيِّ ص كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

فلم تعد هذه المخلوقات حدود منزلتها التى جعلت غايتها و لا قصرت دون الانتهاء إليها يقول لم تقف على الغايه و لا تجاوزتها ثم قال و لا- استصعبت و امتنعت إذا أمرها بالمضى إلى تلك الغايه بمقتضى الإراده الإلهيه و هذا كله من باب المجاز كقوله تعالى فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٢).

و خلاصه ذلك الإبانه عن نفوذ إرادته و مشيئته .

ثم علل نفى الاستصعاب فقال و كيف يستصعب و إنما صدرت عن مشيئته يقول إذا كانت مشيئته هى المقتضيه لوجود هذه المخلوقات فكيف يستصعب عليه بلوغها إلى غاياتها التى جعلت لأجلها و أصل وجودها إنما هو مشيئته فإذا كان أصل وجودها بمشيئته فكيف يستصعب عليه توجيهها لوجهتها و هو فرع من فروع وجودها و تابع له.

ص: ٤١٧

١- ١) ا: «يجعلها».

٢- ٢) سوره فصلت ١١.

ثم أعاد معانى القول الأوّل فقال إنّهُ أنشأ الأشياء بغير رويه و لا فكره و لا غريزه أضمر عليها خلق ما خلق عليها و لا تجربه أفادها أى استفادها من حوادث مرت عليه من قبل كما تكسب التجارب علوما لم تكن و لا بمساعدته شريك أعانه عليها فتم خلقه بأمره إشاره إلى قوله و لم يستصعب إذ أمر بالمضى فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الأمر هاهنا و الكل مجاز و معناه نفوذ إرادته و أنّه إذا شاء أمرا استحال ألا يقع و هذا المجاز هو المجاز المستعمل فى قوله تعالى **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١)** تعبيرا بهذا اللفظ عن سرعه مواتاه الأمور له و انقيادها تحت قدرته.

ثمّ قال ليس كالواحد منا يعترض دون مراده ريث و بطاء و تأخير و التواء ثمّ قال و أقام العوج و أوضح الطريق و جمع بين الأمور المتضاده ألا ترى أنّه جمع فى بدن الحيوانات و النبات بين الكيفيات المتباينه المتنافره من الحراره و البروده و الرطوبه و اليوسه و وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها لأن اعتدال المزاج أو القرب من الاعتدال سبب بقاء الروح و فرقها أجناسا مختلفات الحدود و الأقدار و الخلق و الأخلاق و الأشكال أمور عجيبه بديعه مبتكره الصنعه غير محتذ بها حذو صانع سابق بل مخلوقه على غير مثال قد أحكم سبحانه صنعها و خلقها على موجب ما أراد و أخرجها من العدم المحض إلى الوجود و هو معنى الابتداع فإن الخلق فى الاصطلاح النظرى على قسمين أحدهما صورته تخلق فى ماده و الثانى ما لا ماده له بل يكون وجود الثانى من الأوّل فقط من غير توسط ماده فالأول يسمى التكوين و الثانى يسمى الإبداع و مرتبه الإبداع أعلى من مرتبه التكوين

ص: ٤١٨

وَ مِنْهَا فِي صَفِّهِ السَّمَاءِ وَ نَظْمِ بِلَا تَغْلِيْقِ رَهَوَاتِ فُرْجِهَا وَ لَاحِمِ صُدُوعِ انْفِرَاجِهَا وَ وَشَجِ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا وَ ذَلَّلِ لِلَهَا بَطِينَ بِأَمْرِهِ
وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَهُ مِعْرَاجِهَا وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا
وَ أَقَامَ رَصْدًا مِنْ الشُّهْبِ الثَّوَابِقِ عَلَى نِقَابِهَا وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَ جَعَلَ
شَمْسِيَّهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرِيَّهَا آيَةً مَمْحُورَةً مِنْ لَيْلِهَا وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا (١) فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا
لِيَمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا وَ لِيُعْلَمَ عَيْدُ السَّنِينَ وَ الْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهِمَا ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَرِهَا فَلَكَهَهَا وَ نَاطَ بِهَا زَيْتَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ
دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرْقَى السَّمْعِ بِثَوَابِقِ شُهْبِهَا وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ
هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا .

الرهوات جمع رهوه و هي المكان المرتفع و المنخفض أيضا يجتمع فيه ماء المطر و هو من الأضداد و الفرج جمع فرجه و هي
المكان الخالي و لاحم ألصق و الصدع الشق و وشج بالتشديد أي شبك و وشجت العروق و الأغصان بالتخفيف اشتبكت و بيننا
رحم واشجه أي مشتبكه.

و أزواجها أقرانها و أشباهها قال تعالى وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٢) أي أصنافا ثلاثة.

ص: ٤١٩

(١ - ١) مخطوطه النهج: «مسيرهما».

(٢ - ٢) سورة الواقعة ٧.

و الحزونه ضد السهوله و أشراجها جمع شرح و هو عرا العيبه و أشرجت العيبه أى أقفلت أشراجها و تسمى مجره السماء شرحا تشبيها بشرج العيبه و أشراج الوادى ما انفسح منه و اتسع .

و الارتفاق الارتجاج و النقب جمع نقب و هو الطريق فى الجبل و تمور تتحرك و تذهب و تجيء قال تعالى يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (١) و الأيد القوّه و ناط بها علق و الدرارى الكواكب المضيئه نسبت إلى الدر لبياضها واحدها درى و يجوز كسر الدال مثل بَحْرٍ لُجِّيٍّ و لَجِيٍّ .

و الثواقب المضيئات و تقول افعل ما أمرتك على أذلاله أى على وجهه و دعه فى أذلاله أى على حاله و أمور الله جاريه على أذلالها أى على مجاريها و طرقها.

يقول ع كانت السماء أول ما خلقت غير منتظمه الأجزاء بل بعضها أرفع و بعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسيطا واحدا نظما اقتضته القدره الإلهيه من غير تعليق أى لا كما ينظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بال تعليق و الخياطه و ألصق تلك الفروج و الشقوق فجعلها جسما متصلا و سطحا أملس لا نتوات فيه و لا فرج و لا صدوع بل جعل كل جزء منها ملتصقا بمثله و ذلل للملائكه الهابطين بأمره و الصاعدين بأعمال خلقه لأنهم الكتبه الحافظون لها حزونه العروج إليها و هو الصعود .

ثم قال و ناداها بعد إذ هي روى بإضافه بعد إلى إذ و روى بضم بعد أى و ناداها بعد ذلك إذ هي دخان و الأول أحسن و أصوب لأنها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فروجها و ملاحمه صدوعها و الحال تقتضى أن دخانها قبل ذلك لا بعده.

ص : ٤٢٠

فإن قلت ما هذا النداء قلت هو قوله إِنْبِيَّا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً (١) فهو أمر في اللفظ و نداء في المعنى و هو على الحقيقة كناية عن سرعه الإبداع ثم قال و فتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها هذا صريح في أن للسماء أبواباً و كذلك قوله على نقابها و هو مطابق لقوله سبحانه و تعالى لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ (٢) و القرآن العظيم و كلام هذا الإمام المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك و أمّا إقامه الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزيز وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئَةً حَرَساً شَدِيداً وَ شُهَباً وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَباً رَصِداً (٣) و القول بإحراق الشهب للشياطين اتباعاً لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقضاض على الكواكب .

ثم قال و أمسكها على الحركة بقوته و أمرها بالوقوف فاستمسكت و وقفت ثم ذكره الشمس و القمر تذكره مأخوذ من قول الله تعالى وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً (٤) .

ثم ذكر الحكم في جريان الشمس و القمر في مجراهما تذكره مأخوذ من قوله تعالى وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا (٥) و قوله وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ (٦) و قوله وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ (٧) .

ص: ٤٢١

١-١ (١) سورة فصلت ١١.

٢-٢ (٢) سورة الأعراف ٤٠.

٣-٣ (٣) سورة الجن ٨،٩.

٤-٤ (٤) سورة الإسراء ١٢.

٥-٥ (٥) سورة يس ٢٩،٢٨.

٥-٦ (٥) سورة يس ٢٩،٢٨.

-٧

ثم قال ثم علق في جوها فلكتها وهذا يقتضى أن الفلك غير السماء وهو خلاف قول الجمهور وقد قال به قائلون ويمكن أن نفسر ذلك إذا أردنا موافقه قول الجمهور بأنه أراد بالفلك دائره معدل النهار فإنها الدائره العظمى فى الفلك الأعظم وهى فى الاصطلاح النظرى تسمى فلكا.

ثم ذكر أنه زين السماء الدنيا بالكواكب و أنها رجوم لمسترقى السمع وهو مأخوذ من قوله تعالى إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ (١).

ثم شرح حال الدنيا فقال من ثبات ثابتها يعنى الكواكب التى فى كره البروج و مسير سائرها يعنى الخمسه و النيرين لأنها سائره دائما .

ثم قال و صعودها و هبوطها و ذلك أن للكواكب السياره صعودا فى الأوج و هبوطا فى الحضيض فالأول هو البعد الأبعد عن المركز و الثانى البعد الأقرب .

فإن قلت ما باله ع قال و نحوسها و صعودها و هو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب فى يوم مخصوص المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكاfer و الكاfer فى النار .

قلت إنه ع إنما أنكر فى ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثره فى الأمور الجزئيه كالذين يحكمون لأرباب المواليده و عليهم و كمن يحكم فى حرب أو سلم أو سفر أو مقام بأنه للسعد أو النحس و أنه لم ينكر على من قال إن النجوم تؤثر صعودا و نحوسا فى الأمور الكليه نحو أن تقتضى حرا أو بردا أو تدلّ على مرض عام

ص: ٤٢٢

أو قحط عام أو مطر دائم و نحو ذلك من الأمور التي لا تخص إنسانا بعينه و قد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي و إفساد ما عداه و منها في صفة الملائكة ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته و عماره الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً يدعياً من ملائكته و ملأ بهم فروج فجاجها و حشى بهم فتوق أجوائها و بين فجوات تلك الفروج زحل المسبحين منهم في حظائر القدس و سترات الحجب و سرادقات المعبد و وراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تزدع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئته على حدودها.

و أنشأهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتات أولى أجنحه تسبح جلال عزته لا يتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه و لا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون (١) جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانه على وحيه و حملهم إلى المرسلين و دافع أمره و نهيه و عصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته و أمدهم بفوائد المعونه و أشعر قلوبهم تواضع إجاب السكينه و فتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده و نصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيدهم مؤصرت الأثام و لم تزحلهم عقب الليالي و الأيام و لم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم و لم تعترك الظنون على معاهد يقينهم و لا قدحت قاذحه الإحن فيما بينهم و لا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمايرهم و ما سكن من عظمته

ص: ٤٢٣

وَهَيَّبَهُ جَلَالِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ وَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلْحِ وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ وَ فِي قَتْرِهِ الظَّلَامِ الْأَيْهِمْ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ الشُّفْلَى فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْسِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَ [وَصَلَتْ]

وَ صَلَّتْ حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَ قَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ [سُوَيْدَاوَاتِ]

سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَ شَيَّجَهُ خَيْفَتِهِ فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ طُهُورِهِمْ وَ لَمْ يُنْفِدْ طَوْلُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ وَ لَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِيْقَ حُشُوعِهِمْ وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْتِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَ لَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيْبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ وَ لَمْ تَجْرِ الْفِتْرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ دُءُوبِهِمْ وَ لَمْ تَعْضُ رَغْبَاتُهُمْ فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَ لَمْ تَجِفَّ لِطَوْلِ الْمُنَاجَاهِ أَسِيْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاجِبُهُمْ وَ لَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ.

وَ لَا تَعِيدُو عَلَى عَزِيمِهِ جِدَّهُمْ بِلَادَةَ الْغَفْلَاتِ وَ لَا تَتَنَصَّلُ فِي هَمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ وَ يَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْإِسْتِهْتَارُ

بُزُومَ طَاعَتِهِ إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنُوا فِي جِدِّهِمْ وَ لَمْ تَأْسِرْهُمْ
الْأَطْمِياعُ فَيُؤْتِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ (١) لَمْ يَسِيءُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَ لَوْ اِسِيءُوا تَعَزُّوا ذَلِكَ لَنَسِيخَ الرَّجَاءِ مِنْهُمْ
شَفَقَاتٍ وَ جَلِيلِهِمْ وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسِيءُوا الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاتِعِ وَ لَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَ لَا تَشَعَّبَتْهُمْ
مَصَارِفُ [الرَّيْبِ]

الرَّيْبِ وَ لَا- اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمِّ فَهُمْ أُسِرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رَبِّيَّةِ زَيْغٍ وَ لَا عُيُودٍ وَ لَا وَئِي وَ لَا فُتُورٍ وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ
السَّمِيَاءِ مَوْضِعُ إِهْيَابٍ إِلَّا- وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سِيَاحٌ حَافِتٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا وَ تَزْدَادُ عِزَّهُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ
عِظْمًا.

هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (٢) إذا جاء هذا الكلام الرباني و اللفظ القدسي بطلت فصاحه العرب و كانت
نسبه الفصيح من كلامها إليه نسبه التراب إلى النضار الخالص و لو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبه أو
المقاربه لهذه الألفاظ من أين لهم الماده التي عبرت هذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهليه بل الصحابه المعاصرون لرسول
الله ص هذه المعاني الغامضه السمائيه ليتها لها التعبير عنها أما الجاهليه فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس
أو حمار وحش أو ثور فلاه أو صفة جبال أو فلوات و نحو ذلك و أما الصحابه

ص: ٤٢٥

(١-١) ج: «في اجتهادهم».

(٢-٢) نهر معقل: مضاف إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني؛ ذكر ياقوت عن الواقدي أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر
نهرًا بالبصره و أن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه.

فالمذكورون منهم بفصاحه إنما كان منتهى فصاحه أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما فى موعظه تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو يتعلق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب فأما الكلام فى الملائكة و صفاتها و صورها و عباداتها و تسييحها و معرفتها بخالقها و حبها له و ولهها إليه و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفًا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم و لا مرتبه هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة فى القرآن العظيم و أمّا من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام و أميه بن أبى الصلت و غيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة و لا قدروا على هذه الفصاحه فثبت أن هذه الأمور الدقيقه فى مثل هذه العبارة الفصيحه لم تحصل إلا لعلى وحده و أقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمه الله العظيم فى روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقًا و أن يفارق هيكله صباحه و وجدا .

ثم نعود إلى التفسير فنقول الصفيح الأعلى سطح الفلك الأعظم و يقال لوجه كل شىء عريض صفيح و صفحه .

و الفروج الأماكن الخاليه و الفجاج جمع فجج و الفج الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين و أجوائها جمع جو و هو ما اتسع من الأودية و يقال لما بين السماء و الأرض جو و يروى أجوابها جمع جوبه و هى الفرجه فى السحاب و غيره و يروى أجوازها جمع جوز و هو وسط الشىء و الفجوات جمع فجوه و هى الفرجه بين الشئين تقول منه تفاجى الشىء إذا صار له فجوه و منه الفجاء و هو تباعد ما بين عرقوبى البعير .

و الزجل الصوت و حظائر القدس لفظه وردت فى كلام رسول الله ص و أصل الحظيره ما يعمل شبه البيت للإبل من الشجر ليقبها البرد فسمى

ع تلك المواطن الشريفه المقدسه العالیه التي فوق الفلك حظائر القدس و القدس بتسكين الدال و ضمها الطهر و التقديس التطهير و تقديس تطهر و الأرض المقدسه المطهره و بيت المقدس أيضا و النسبه إليه قدسى و مقدسى و السترات جمع ستره و الرجيج الزلزله و الاضطراب و منه ارتج البحر و تستك الأسماع تنسد قال النابغه و نبئت خير الناس أنك لمتنى و تلك التي تستك منها المسامع (١).

سبحات النور

بضم السين و الباء عباره عن جلاله الله تعالى و عظمته و تردع الأبصار تكفها و خاسته أى سادره و منه يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٢) و خسا بصره خسا و خسوءا أى سدر (٣).

و قوله على حدودها أى تقف حيث تنتهى قوتها لأن قوتها متناهيه فإذا بلغت حدها وقفت و قوله أُولَى أَجْنَحِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيهِ (٤).

و قوله لا- يتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه أى لا- يدعون الإلهيه لأنفسهم و إن كان قوم من البشر يدعونها لهم و قوله لا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به فيه إشاره إلى مذهب أصحابنا فى أن أفعال العباد مخلوقه لهم لأن فائده هذا القيد و هو قوله انفرد به إنما تظهر بذلك .

و أما الآيات المقدسه فالروايه المشهوره مُكْرَمُونَ و قرئ مكرمون بالتشديد و قرئ لا يسبقونه بالضم و المشهور القراءه بالكسر و المعنى أنهم يتبعون قوله و لا- يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله و أراد أن يقول لا يسبقونه بقولهم فحذف الضمير المضاف إليه و أناب اللام منابه.

ص: ٤٢٧

١-١ (١ ديوانه ٥٢، و روايته: «أتانى آبيت اللعن».

٢-٢ (٢ سورة الملك ٤.

٣-٣ (٣ سدر: أى كل و أعياء.

٤-٤ (٤ من قوله تعالى فى سورة فاطر: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحِهِ .

ثم قال وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ أى كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك فرع على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به

١٤٨١

١٤- وَجَاءَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ رَأَى جِبْرَائِيلَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ سَاقِطًا كَالْحِلْسِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

و الحلس الكساء الخفيف .

و الزائغ العادل عن الطريق و الإخبات التذلل و الاستكانة و أبوابا ذللا- أى سهله و طيئه و منه دابه ذلول و تماجيده الثناء عليه بالمجد و المؤصرات المثقلات و الإصر الثقل .

و تقول ارتحلت البعير أى ركبته و العقبه النوبه و الجمع عقب و معنى قوله و لم ترتحلهم عقب الليالى و الأيام أى لم تؤثر فيهم نوبات الليالى و الأيام و كرورها كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير فى ظهره و نوازعها شهواتها النازعه المحركه و روى نوازعها بالغين المعجمه من نزع بينهم أى أفسد .

و لم تعترك الظنون

أى لم تزدهم الظنون على يقينهم الذى عقدوه .

و الإحن جمع إحنه و هى الحقد يقول لم تقدح قوادح الحقد فى ضمائرهم .

و ما لاق أى ما التصق و أثناء صدورهم جمع ثنى و هى التضاعيف و الرين الدنس و الغلبه قال تعالى كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ (١) .

و تقترع من الاقتراع بالسهم بأن يتناوب كل من الوسوس عليها و يروى فيفترع بالفاء أى تعلقو برينها فرعه أى علاه .

و الغمام جمع غمامه و هى السحابه و الدلح الثقال جاء يدلح بجمله أى جاء مثقلا به و الجبال الشمخ العالیه الشاهقه .

و قوله فى قتره الظلام أى سواده و الأيهم لا يهتدى فيه و منه

ص: ٤٢٨

فلاه يهماء و التخوم بضم التاء جمع تخم و هو منتهى الأرض أو القرية مثل فلس و فلوس و يروى تخوم بفتح التاء على أنها واحد و الجمع تخم مثل صبور و صبر .

و ريح هفاه أى ساكنه طيبه يقول كان أقدامهم التى خرقت الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ريح ساكنه ليست مضطربه فتموج تلك الرايات بل هى ساكنه تحبسها حيث انتهت

١٤٨٢

وَ حَيَاءٍ فِي الْخَبْرِ أَنَّ لِإِسْرَافِيلَ جَنَاحَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي أَقْصَى الْمَشْرِقِ وَالْآخَرُ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَ أَنَّ الْعَرْشَ عَلَى كَاهِلِهِ وَ أَنَّهُ لِيَتَضَاءَلُ أحياناً لِعَظَمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الْوَضْعِ وَ هُوَ الْعُضْفُورُ .

ثم قال قد استفرغتهم أشغال عبادته تعالى أى جعلتهم فارغين إلا منها و يروى و وسلت حقائق الإيمان بالسين المشدده يقال و سل فلان إلى ربّه و سيله و الوسيله ما يتقرب به و الجمع وسيل و وسائل و يقال و سلّت إليه و توسلت إليه بمعنى .

و سويداوات القلوب جمع سويداء و هى حبه القلب و الوشيجه فى الأصل عرق الشجره و هى هنا استعاره و حنيت ضلعى أى عوجتها و الربق جمع ربقه و هى الحبل .

قوله و لم يتولهم الإعجاب أى لم يستول عليهم و الدءوب الجد و الاجتهاد و الأسلات جمع أسله و هى طرف اللسان و مستدقه و الجؤار الصوت المرتفع و الهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم أشغال خارجه عن العباده فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعه خافيه ساكنه لا تعدو من عدا عليه إذا قهره و ظلمه و هو هاهنا استعاره .

و لا تنتضل الخدائع فى هممهم

استعاره أيضا من النضال و هو المراماه بالسهام و ذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظه قرآنيه قال سبحانه إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ

ص: ٤٢٩

يعنى لا بتغوا إلى الله تعالى سبيلا و قال تعالى ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (٢) و الاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أى لازمه و أولع به .

و قوله فينوا أى فيضعفوا ونى ينى و الجد الاجتهاد و الانكماش .

ثم قال إنهم لا يستعظمون عبادتهم و لو أن أحدا منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاءه الذى يتولد من استعظام تلك العباده يصفهم بعظم التقوى .

و الاستحواذ الغلبه و الغل الحقد و تشعبتهم تقسمتهم و فرقتهم و منه قيل للمنيه شعوب أى مفرقه و أخياف الهمم أى الهمم المختلفه و أصله من الخيف و هو كحل إحدى العينين دون الأخرى و منه المثل الناس أخياف أى مختلفون و الإهاب الجلد و الحافد المسرع و منه الدعاء اللهم إليك نسعى و نحفد .

و اعلم أنه ع إنما كرر و أكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك و خلاصه ذلك أمور .

منها العباده القائمه .

و منها ألا يدعى أحد لنفسه الحول و القوه بل لا حول و لا قوه .

و منها أن يكون متواضعا ذا سكينه و وقار .

و منها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك و الشبهات .

و منها ألا يكون فى صدره إحنه على أحد من الناس .

و منها شدة التعظيم و الهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه .

و منها أن تستفرغه أشغال العباده له عن غيرها من الأشغال .

ص : ٤٣٠

و منها أنّه لا تتجاوز رغباته ممّا عند الله تعالى إلى ما عند غيره سبحانه.

و منها أن يعقد ضميره و قلبه على محبه الله تعالى و يشرب بالكأس الرويه من حبه.

و منها عظم التقوى بحيث يأمن كل شيء عدا الله و لا يهاب أحدا إلا الله.

و منها الخشوع و الخضوع و الإخبات و الذل لجلال عزته سبحانه.

و منها ألا يستكثر الطاعه و العمل و إن جل و عظم.

و منها عظم الرجاء الواقع في مقابله عظم الخوف فإن الله تعالى يحب أن يرجى كما يحب أن يخاف

أبحاث تتعلق بالملائكة

و اعلم أنّه يجب أن تعلم أبحاث متعدده تتعلق بالملائكة و يقصد فيها قصد حكاية المذهب خاصّه و نكل الاحتجاج و النظر إلى ما هو مذكور في كتبنا الكلاميه .

البحث الأول في وجود الملائكة قال قوم من الباطنيه السبيل إلى إثبات الملائكة هو الحس و المشاهده و ذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن.

و قالت الفلاسفه هي العقول المفارقة و هي جواهر مجردة عن الماده لا تعلق لها بالأجسام تدييرا و احترزوا بذلك عن النفوس لأنّها جواهر مفارقة إلا أنّها تدبر الأبدان و زعموا أنّهم أثبتوها نظرا.

و قال أصحابنا المتكلمون الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه و في المتكلمين من زعم أنّه أثبت الملائكة بطريق نظري و هو أنّه لما وجد خلقا من طين و جب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء و خلق من النار فالمخلوق من الهواء هو الملك و المخلوق من النار الشيطان .

البحث الثاني في بنيه الملائكة و هيئه تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون أن الملائكة أجسام لطاف و ليسوا من لحم و دم و عظام كما خلق البشر من هذه الأشياء و قال أبو حفص المعود القرينسي من أصحابنا إن الملائكة من أجسام من لحم و عظم إنه لا فرق بينهم و بين البشر و إنما لم يروا لبعده المسافه بيننا و بينهم.

و قد تبعه على هذا القول جماعه من معتزله ما وراء النهر و هي مقاله ضعيفه لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله وَ رُسُلَنَا لَمَدِينِهِمْ يَكْتُبُونَ (١) و قوله إِذِ تَلَقَى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ (٢) فلو كانوا أجساما كثيفه كأجسامنا لرأيناهم.

البحث الثالث في تكليف الملائكة حكي عن قوم من الحشويه أنهم يقولون إن الملائكة مضطرون لله جميع أفعالهم و ليسوا مكلفين.

و قال جمهور أهل النظر إنهم مكلفون.

و حكي عن أبي إسحاق النظام إنه قال إن قوما من المعتزله قالوا إنهم جبلوا على الطاعة لمخالفه خلقهم خلقه المكلفين و أنهم قالوا لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به و قد قال تعالى لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٣).

و قال قوم إن أكثر الملائكة مكلفون و إن فيهم من ليس بمكلف بل هو مسخر للملائكة المكلفين كما أن الحيوانات ما هو غير مكلف بل هو مسخر للبشر و مخلوق لمصالحهم.

قالوا و لا ننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غلظ الأجسام و عظم الخلق و التركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض قد جعلوا عمدا للسماوات و الأرض فهم

ص: ٤٣٢

١-١ (١) سورة التحريم ٦.

٢-٢ (٢) سورة الزخرف ٨٠.

٣-٣ (٣) سورة ق ١٧.

يحملونها بمنزله الأساطين التي تحمل السقوف العاليه و لم يرشحوا لأمر من الأمور سوى ذلك.

البحث الرابع فيما يجوز من الملائكه و ما لا يجوز قال شيخنا أبو القاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزله أنه لا يجوز أن يعصى أحد من الملائكه و لم يذكر عنهم عله فى ذلك.

و قال قوم إنهم لا يعصون و لا يجوز أن يعصوا لأنهم غير مطيقين الشهوه و الغضب فلا داعى لهم إلى المعصيه و الفاعل لا يفعل إلا بداع إلى الفعل.

و قال قوم إنهم لا يعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله و آثار هيئته ما يبهرهم عن فعل المعصيه و القصد إليها و كذلك قال تعالى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (١).

و قال قوم إنما لم يجز أن يعصوا لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يعصون و لا ينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغير حاله و يتبدل بها حاله أخرى و يعصى على ما ورد من خبر الملكين ببابل و خبر إبليس و إنما يسلب عنهم المعصيه ما داموا على حالهم التى هى عليها.

و قال شيوخنا أصحاب أبى هاشم رحمه الله تعالى إن المعصيه تجوز عليهم كما تجوز علينا إلا أن الله تعالى علم أن لهم أظافا يمتنعون معها من القبيح لفعالها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصيه و لا يفعلونها

ص: ٤٣٣

اختياراً من أنفسهم باعتبار الألفاظ المفعولة لهم و لو كان لإبليس أو فرعون أو نمرود أطفاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فعلوا الواجب و امتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم و لكانوا معصومين كالأنبياء و الملائكة لكنه تعالى علم أنهم لا يؤمنون و لو فعل مهما فعل فلا لطف فى المعلوم و هذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإنس و الجن و الملائكة.

البحث الخامس فى أن أى القبيلين أفضل الملائكة أو الأنبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر و الملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كل ملك عند الإطلاق أفضل من محمد ص بل بعض المقربين أفضل منه و هو أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين و المراد بالأفضل الأكثر ثواباً و كذلك القول فى موسى و عيسى و غيرهما من الأنبياء و الذى يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزله قالوا إن أدنى ملك فى السماء أفضل من محمد ص ليس بصحيح عنهم.

و قال أهل الحديث و الأشعرية أن الأنبياء أفضل من الملائكة.

و قال الشيعة الأنبياء أفضل من الملائكة و الأئمة أفضل من الملائكة.

و قال قوم منهم و من الحشوية إن المؤمنين أفضل من الملائكة.

البحث السادس فى قدم الملائكة و حدوثهم أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة.

و قال غيرهم من أهل الملل إنهم محدثون.

و قال قوم من متأخري الحكماء إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت قائمه بأنفسها غير مدبره لشيء من الأبدان فإن كانت خيره صالحه فهى الملائكة

و إن كانت شريره رديئه الجوهر فهي الشياطين فالملائكه عند هؤلاء محدثون و عندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقه بتدبير الأبدان أما على الخير أو على الشر فما ينسب في الكتب الإلهيه إلى إغواء الشياطين للناس و إضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريره و ما ينسب فيها إلى إعانه الملائكه لهم على الخير و الصلاح فالمراد به تلك النفوس الخيره.

البحث السابع في إبليس أ هو من الملائكه أو ليس منها قال شيخنا أبو عثمان و جماعه من أصحابنا إنه من الملائكه و لذلك استثناء الله تعالى فقال فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ (١).

و قال قوم إنه كان من الملائكه بدلاله هذه الآيه لكن الله مسخه حيث خالف الأمر فهو بعد المسخ خارج عن الملائكه و قد كان قبل ذلك ملكا قالوا و معنى قوله كَانَ مِنَ الْجِنِّ أَى من خزان الجنه و روى ذلك عن ابن عباس قالوا و يحمل على معناه أنه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢) أَى من صار لأنها لو كانت كان على حقيقتها لوجب إلا يكلم بعضهم بعضا لأنهم كانوا صبيانا في المهود.

قالوا و معنى صيرورته من الجن صيرورته ضالا- كما أن الجن ضالون لأن الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ (٣).

ص: ٤٣٥

١- ١) سورة ص ٧٤، ٧٣.

٢- ٢) سورة مريم ٢٩.

٣- ٣) سورة التوبه ٦٩.

وقال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة ولا كان منها وإنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة.

البحث الثامن فى هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة وإن القرآن العظيم قد صرح بذلك فى قوله وَمِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ (١) وإن الذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا وما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينهياه وينصحاه ويقولان له إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ أَى ابتلاء واختبار من الله فلا تكفروا ولا تتعلمه معتقدا أنه حق.

١٤٨٣

وَ حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبُصَيْرِيِّ أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ عَلِمَانِ أَقْلَفَانِ مِنْ أَهْلِ بَابِلَ كَانَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ وَ قَرَأَ الْحَسَنُ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ بِكُشْرِ اللَّامِ.

وقال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيث فى الحكومه وقد كان استتقضاهما فى الأرض وركب فيهما الشهوه والغضب على نحو ما ركب فى البشر امتحانا لهما لأنهما قد كانا عيرا البشر بالمعصيه فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل وألهمهما كلاما إذا تكلما به سكن بعض ما بهما من الألم وإن السحره يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه و يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرءِ وَ زَوْجِهِ فَإِنهَمَا يَتَقَدَّمَانِ إِلَى مَنْ يَحضُرُهَمَا عِنْدَ مَا يَتَكَلَّمَانِ بِالزَّجْرِ عَنِ الْعَمَلِ بِذَلِكَ الْكَلَامِ وَ يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ

ص: ٤٣٦

(١ - ١) سورة البقره.

فَتِنَّهُ فَلَا تَكْفُرُ وَ هُمَا لَمْ يَكْفُرَا وَلَا دَعُوا إِلَى السَّحْرِ وَإِنْ عَذَابُهُمَا سَيَقْطَعُ وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مَا يُوَافِقُ هَذَا.

و قال قوم من الحشويه إنهما شربا الخمر و قتلا النفس و زنيا بامرأه اسمها باهيد فمسخت و هى الزهره التى فى السماء و منها فى صفة الأرض و دحوها على الماء كبس الأرض على مؤر أمواج مسد تفحله و لخرج بحار زخره تلتطم أوادى أمواجها و تصيفق متقاذفات أثباجها و تزغو زبدا كالفحول عند هياجها فخصع جماع الماء المتلاطم لنقل حملها و سكرن هيج ازيمانه إذ وطئته بكللها و ذل مسد تخديا إذ تمعكت عليه بكواهلها فأضربح بعد اضيطخاب أمواجه ساجيا مقهورا و فى حكمه الذل منقادا أسيرا و سكنت الأرض مدحوه فى لجه تياره و ردت من نحوه بأوه و اعتلائه و شموخ أنفه و سمو غلوائه و كعمته على كظه جزيته فهمد بعيد نزقاته و ليد بعيد زيفان و ثباته فلما سكرن هيج الماء من تحت أكنافها و حمل شواحق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون من عرانب أنوفها و فرقها فى سهوب بيدها و أحاديدها و عدل حرقاتها بالراسيات من جلاميدها و ذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان لرسوب (1) الجبال فى قطع أديمها و تغلغلها متسربه فى جوبات خياشيمها و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها و فسح

ص: ٤٣٧

(١ - ١) مخطوطه النهج: «برسوب».

بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُنَسَّمًا لِسَاكِنِهَا وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاقِبِهَا ثُمَّ لَمْ يَدْعُ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ
عَنْ رَوَائِبِهَا وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٌ تُحْيِي مَوَاتِنَهَا وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا أَلْفَ غَمَامَةٍ بَعْدَ
اِفْتِرَاقِ لَمَعَتِهِ وَ تَبَايُنِ فَرَعِهِ حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ التَّمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفِّهِ وَ لَمْ يَنْمِ وَ مِيْضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رِيَابِهِ وَ مُتْرَاكِمِ
سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا قَدْ أَسْفَ هَيْدَبُهُ [يَمْرِي]

تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ وَ دُفَعَ شَأْبِيْبِهِ.

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَائِنِهَا وَ بَعِيَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَاءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ وَ مِنْ زُغْرِ
الْجِبَالِ الْأَغْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزْدَهِي بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِيْطِ أَزَاهِيرِهَا وَ حَلِيْبِهِ مَا سَجِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا وَ جَعَلَ
ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ وَ حَرَقَ الْفِجَاجِ فِي آفَاقِهَا وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .

كبس الأرض

أى أدخلها فى الماء بقوه و اعتماد شديد و يقال لضرب من التمر الكبيس لأنه يكبس حتى يتراص و المور مصدر مار أى ذهب
و جاء و مستفحله هائج هيجان الفحول و استفحل الأمر تفاقم و اشتد و زاخره زخر الماء أى امتد جدا و ارتفع .

و الأواذى جمع آذى و هو الموج و تصطفق يضرب بعضها بعضا و الأثباج هاهنا

ص: ٤٣٨

أعلى الأمواج و أصل الشبح ما بين الكاهل إلى الظهر فنقل إلى هذا الموضع استعاره .

و ترغو تصوت صوت البعير و الرغاء صوت ذات الخف و فى المثل كفى برغائها مناديا أى أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام ندائه للضيافه و القرى و زبدا على هذا منصوب بفعل مقدر تقديره و ترغو قاذفه زبدا و الزبد ما يظهر فوق السيل يقال قد أزد البحر و السيل و بحر مزبد أى مالح يقذف بالزبد و الفحول عند هياجها فحول الإبل إذا هاجت للضراب .

و جماح الماء صعوده و غليانه و أصله من جماح الفرس و هو أن يعز فارسه و يغلبه و الجموح من الرجال الذى يركب هواه فلا يمكن رده و خضع ذل و هيج الماء اضطرابه هاج هيجا و هياجا و هيجانا و اهتاج و تهيج كله بمعنى أى ثار و هاجه غيره يتعدى و لا يتعدى و هيج ارتمائه يعنى تقاذفه و تلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهام و بالحجاره ارتماء و كلكلها صدرها و جاء كلكل و كلكال و ربما جاء فى ضروره الشعر مشددا قال كأن مهواها على الكلكل موضع كفى راهب مصلى (١) .

و المستخذى الخاضع و قد يهمز و قيل لأعرابى فى مجلس أبى زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزه فقال العرب لا تستخذئ و همزه و أكثر ما يستعمل ملينا و أصله من خذا الشئ يخذو و خذوا أى استرخى و يجوز خذى بكسر الذال و أذن خذوا بينه الخذاء أى مسترخيه .

و تمعكت تمرغت مستعار من تمعك الدابّه فى الأرض و قالوا معكت الأديم أى دلكته (٢) و كواهلها جمع كاهل و هو ما بين الكتفين و يسمى الحارک.

ص: ٤٣٩

١-١) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى،اللسان،١١٧:١٤.

٢-٢) ب:«ذلتته».

و اصطخاب أمواجه افتعال من الصخب و هو الصياح و الجلبه يقال صخب الرجل فهو صخبان و اصطخب افتعل منه قال إن الضفادع فى الغدران تصطخب (١).

و الساجى الساكن و الحكمه ما أحاط من اللجام بحنك الدابّه و كانت العرب تتخذها من القد و الأبق لأن الزينه لم تكن قصدهم قال زهير القائد الخيل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكمت القد و الأبقا (٢).

و استعار الحكمه هاهنا فجعل للذل حكمه ينقاد الماء بها و يذل إليها .

و مدحوه مبسوطه قال تعالى وَ الْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣) و يجوز أن تكون مدحوه هاهنا بمعنى مقذوفه مرميه يقال دحوت الحصاه أى قذفتها و يقال للاعب الجوز ادح و أبعد المدى و التيار أعظم الموج و لجهته أعمله و البأو الكبر و الفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم فما زادنا بأوا على ذى قرابه غنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر (٤).

و هذا الكلام استعاره يقال كسرت الأرض سوره الماء الجامح كما تكسر سوره بأو الرجل المتكبر المفتخر و الاعتلاء التيه و التكبر و الشموخ العلو مصدر شمش بأنفه أى تكبر و الجبال الشوامخ الشاهقه و السمو العلو و سمو علوانه أى غلوه و تجاوزه الحدّ.

ص : ٤٤٠

١-١) اللسان ٢:١٠ من غير نسبه.

٢-٢) ديوانه ٤٩، و الأبق: شبه الكتان.

٣-٣) سوره النازعات ٣٠.

٤-٤) ديوانه ١١٩.

و كعمته أى شددت فمه لما هاج من الكعام و هو شىء يجعل فى فم البعير و بعير مكعوم.

و الكظه الجهد و الثقل الذى يعترى الإنسان عند الامتلاء من الطعام يقول كعمت الأرض الماء حال كونه مكظوظا لشده امتلائه و كثرته و ازدحام أمواجه فهمد أى سكن همدت النار تهمد بالضم همودا أى طفئت و ذهببت البته و الخمود دون الهمود و النزقات الخفه و الطيش نرق الرجل بالكسر ينزق نزقا و النزقات الدفعات من ذلك .

و لبد الشىء بالأرض يلبد بالضم لبودا أى لصق بها ساكنا و الزيفان التبخر فى المشى زاف البعير يزيف و الزيفه من النوق المختاله و يروى و لبد بعد زفيان وثباته و الزفيان شده هبوب الريح يقال زفته الريح زفيانا أى طردته و ناقه زفيان سريعه و قوس زفيان سريعه الإرسال للسهم و أكنافها جوانبها و كنف الطائر جناحاه و يقال صلاء مكنف (١) أى أحيط به من جوانبه و تكنفه القوم و اكتنفوه أحاطوا به .

و الجبال الشواهد العاليه و مثله البذخ و العرنين أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين و الينابيع جمع ينبوع و هو ما انفجر من الأرض عن الماء و السهوب جمع سهب و هو الفلاه و البيد جمع بيداء و هى الفلاه أيضا.

و الأخاديد جمع أخدود و هو الشق فى الأرض قال تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٢) و الراسيات الثقال و الشناخيب رءوس الجبال و الشم العاليه و الجلاميد الصخور واحدها جلمود و الصياخيد جمع صيخود و هى الصخره الصلبه.

ص: ٤٤١

١-١) الصلاء:الوقود،أو النار.

٢-٢) سورة البروج ٤.

و الميدان التحرك و الاضطراب و ماد الرجل يميد أى تبختر و رسوب الجبال نزولها رسب الشىء فى الماء أى سفلى فيه و سيف رسوب ينزل فى العظام.

و قوله فى قطع أديمها جمع قطعه يريد فى أجزاءها و أبعاضها و يروى فى قطع أديمها بضم القاف و فتح الطاء جمع قطعه و هى القطعه مفروزه (١) من الأرض و حكى أن أعرابيا قال ورثت من أبى قطعه و يروى فى قطع أديمها بسكون الطاء و القطع طنفسه الرحل فنقل ذلك إلى هذا الموضع استعاره كأنه جعل الأرض ناقه و جعل لها قطعا و جعل الجبال ثابتة فى ذلك القطع.

و أديم الأرض وجهها و ظاهرها و تغلغل الماء فى الشجر دخوله و تخلله فى أصوله .

و عروقه متسربه أى داخله تسرب الثعلب أى دخل السرب و جوبات جمع جوبه و هى الفرجه فى جبل أو غيره و خياشيمها جمع خيشوم و هو أقصى الأنف و تقول خشمت الرجل خشما أى كسرت خيشومه و جراثيمها جمع جرثومه و هى أصل الشجر .

و فسح أوسع و متنسما يعنى موضع النسيم و الأرض الجرذ التى لا نبات فيها لانقطاع المطر عنها و هذه من الألفاظ القرآنيه (٢) و الروابى التلاع و ما علا من الأرض و الجداول الأنهار الصغار جمع جدول و الذريعة الوصله .

و ناشئه سحب ما يتدئ ظهوره و الموات بفتح الميم القفر من الأرض و اللمع جمع لمعه و هى القطعه من السحاب أو غيره و تباين قزعه القزح قطع من السحاب رقيقه واحدها قزعه قال الشاعر

ص: ٤٤٢

١-١) فى الأصل: «مقروبه»، تصحيف، و انظر اللسان (قطع).

٢-٢) من قوله تعالى فى سورة السجده ٢٧: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا .

وَ فِي الْحَدِيثِ كَأَنَّهُمْ قَزَعُ الْخَرِيفِ (٢). و تباينها افتراقها و تمخضت تحركت بقوه يقال تمخض اللبن إذا تحرك في الممخضه و تمخض الولد تحرك في بطن الحامل و الهاء في فيه ترجع إلى المزن أي تحركت لجه المزن في المزن نفسه أي تحرك من السحاب وسطه و ثبجه .

و التمع البرق و لمع أي أضاء و كففه جمع كفه و الكفه كالداره تكون في السحاب.

و كان الأصمعي يقول كل ما استطال فهو كفه بالضم نحو كفه الثوب و هي حاشيته و كفه الرمل و الجمع كفاف و كل ما استدار فهو كفه بالكسر نحو كفه الميزان و كفه الصائد و هي حبالته و الجمع كفف و يقال أيضا كفه الميزان بالفتح و الوميض الضياء و اللمعان.

و قوله لم ينم أي لم يفترو و لم ينقطع فاستعار له لفظه النوم و الكنهور العظيم من السحاب و الرباب الغمام الأبيض و يقال إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب و قد يكون أبيض و قد يكون أسود و هو جمع و الواحده ربابه و به سميت المرأه الرباب .

و المتراكم الذي قد ركب بعضه بعضا و الميم بدل من الباء و سحا صبا و سحابه سحوح و تسحسح الماء سال و مطر سحساح أي يسح شديدا و متدار كما يلحق بعضه بعضا من غير انقطاع و أسف دنا من الأرض و هيدبه ما تهدب منه أي تدلى كما يتدلى هدب العين على أشفارها و يمرى الجنوب و هو بمعنى يحلب و يستدر و يروى تمرية الجنوب .

على أن يعدى الفعل إلى المفعولين كما تقول حلبت الناقه لبنا و يروى تمرتى الجنوب و هو بمعنى تمرى من مريت الفرس و امتريته إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجرى و إنما

١- (١) لذي الرمه، ديوانه ٥٩٧ يصف فلاه، و صدره: * ترى عصب القطا هملا عليه*.

٢- (٢) في النهايه لابن الأثير ٣:٢٥١؛ من حديث لعلی.

خص الجنوب بذلك لأنها الريح التي يكون عليها المطر و الدرر جمع دره و هي كثره اللبن و سيلانه و صبه و الأهاضيب جمع هضاب و الهضاب جمع هضب و هي حليات القطر بعد القطر و الدفع جمع دفعه بالضم و هي كالدفقة من المطر بالضم أيضا و الشآيب جمع شؤبوب و هي رشه قويه من المطر تنزل دفعه بشده و البرك الصدر و بوانيها تثنيه بوان على فعال بكسر الفاء و هو عمود الخيمه و الجمع بون بالضم قال الشاعر أصبر من ذى ضاغط عر كرك ألقى بوانى زوره للمبرك (١).

و من روى بوانيهها أراد لواصقها من قولك قوص بانيه إذا التصقت بالوتر.

و الروايه الأولى أصح و بعاع السحاب ثقله بالمطر قال امرؤ القيس و ألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني بالعياب المثقل (٢).

و العبء الثقل و استقلت ارتفعت و نهضت و هوامد الأرض هي الأرضون التي لا نبات بها و زعر الجبال جمع أزعر و المراد به قله العشب و الخلى (٣) و أصله من الزعر و هو قله الشعر فى الرأس قال من يك ذا لمه يرجلها فإننى غير ضائرى زعرى.

و قد زعر الرجل يزعر قل شعره و تبهج تسر و تفرح تقول بهجنى أمر كذا بالفتح و أبهجنى معا أى سرنى و من رواه بضم الهاء أراد يحسن و يملح من البهجه و هي الحسن يقال بهج الرجل بالضم بهاجه فهو بهيج أى حسن قال الله تعالى مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٤) و تقول قد أبهجت الأرض بالهمزه أى بهج نباتها و حسن.

ص: ٤٤٤

١-١) العر كرك: الجمل الغليظ القوى، و الرجز فى صحاح الجوهريّ؛ و هو فى اللسان أيضا بنسبته إلى حلحله بن قيس بن أشيم.

٢-٢) ديوانه ٢٥.

٣-٣) الخلى: الرطب من النبات، و هو الكلاء.

٤-٤) سورة الحجّ ٥.

و تزدهى أى تتكبر و هى اللغه التى حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أى تكبر (١) و على هذه اللغه تقول ازدهى الرجل يزدهى كما تقول من علا اعلى يعتلى و من رمى ارتمى يرتمى و أمّا من رواها و تزدهى بما ألبسته على ما لم يسم فاعله فهى اللغه المشهوره تقول زهى فلان علينا و للعرب أحرف تتكلم بها على سبيل المفعول به و إن كانت بمعنى الفاعل كقولهم عنى بالأمر و نتجت الناقه فتقول على هذه اللغه فلان يزدهى بكذا.

و الريط جمع ريطه و هى الملاءه غير ذات لفقين و الأزاهير النور ذو الألوان .

و سمطت به علق عليها السموط جمع سمط و هو العقد و من رواه شمطت بالشين المعجمه أراد ما خالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأقحوان و نحوه فصارت الرياض كالشعر الأشمط و الناضر ذو النضاره و هى الحسن و الطراوه .

و بلاغا للأنام أى كفايه و الآفاق النواحي و المنار الأعلام

فصول متنوعه تتعلق بالخطبه

و ينبغى أن نتكلم فى هذا الموضوع فى فصول.

الفصل الأول فى كيفيه ابتداء خلق الأرض.

ظاهر كلام أمير المؤمنين ع أن الماء خلق قبل الأرض و قد ذكرنا فيما تقدم أنه قول لبعض الحكماء و أنه موافق لما فى التوراه إلا أن فى كلامه ع فى هذا الموضوع إشكالا و ذلك أن لقائل أن يقول كلامه يشعر بأن هيجان الماء و غليانه و موجه

ص: ٤٤٥

١- ١) نقله صاحب اللسان فى زها.

سكن بوضع الأرض عليه و هذا خلاف ما يشاهد و خلاف ما يقتضيه العقل لأن الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموج و صعد علوا فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه. و الجواب أن الماء إذا كان تموجه من قبل ريح هائجه جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الرياح و لذلك إذا جعلنا في الإناء ماء و روحناه بمروحه تموجه فإنه يتحرك فإن جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الإناء و روحنا بالمروحه فإن الماء لا يتحرك لأن ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحه و بين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء الأول هائجا لأجل ريح محرکه له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الرياح و قد مر في كلام أمير المؤمنين في الخطبه الأولى ذكر هذه الرياح فقال ريح اعتقم مهيبها و أدام مربها و أعصف مجراها و أبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و إثارة موج البحار فمخضت مخض السقاء و عصفت به عصفتها بالفضاء .

الفصل الثاني في بيان قوله ع فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها و حمل شواحق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون فيها و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها .

و ذلك لأن العامل في لما يجب أن يكون أمرا مباينا لما أضيفت إليه مثاله لما قام زيد قام عمرو فقام الثانيه هي العامله في لما فيجوز أن تكون أمرا مباينا لما أضيف لما إليه و هو قيام زيد و هاهنا قد قال ع لما حمل الله تعالى شواحق الجبال على الأرض عدل حركات الأرض بالجبال و معلوم أن أحد الأمرين هو الآخر. و الجواب أنه ليس أحد الأمرين هو الآخر بعينه بل الثاني معلول الأول و موجب

عنه لأن الأول هو حمل الجبال عليها و الثاني تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكأنه قال حمل عليها الجبال فاقضى ذلك الحمل تعديل حركاتها و معلوم أن هذا الكلام منتظم.

الفصل الثالث فى قوله إن الجبال هى المسكنه للأرض .

فقول إن هذا القول يخالف قول الحكماء لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك بل لأنها تطلب المركز و هى حاصله فى حيزها الطبيعى لكنا و إن كان مخالفا لقول الحكماء فإننا نعتقده دينا و مذهبا و نعدل عن قول الحكماء لأن اتباع قوله ع أولى من اتباع أقوالهم.

الفصل الرابع فى ذكر نظائر لما وصف به المطر و السحاب.

فمن ذلك

١٤٨٥

مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَخِي الْأَصِيْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ سَيْلٌ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ فَقَالَ اسْتَقَلَّ سَدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطِّفْلِ فَشَدَّ وَ احْزَأَلَ ثُمَّ اكْفَهَرَتْ أَرْجَاؤُهُ وَ احْمِيؤُمَتْ أَرْجَاؤُهُ وَ انْزَعَرَتْ فَوَارِقُهُ وَ تَضَّاحَكَتْ بَوَارِقُهُ وَ اسْتَطَارَ وَادِقُهُ وَ أَرَسِيَعَتْ جُوبُهُ وَ ارْتَعَنَ هَيْدَبُهُ وَ حَسِيكَتْ أَخْلَافُهُ وَ اسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ وَ انْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ فَالْرَّعْدُ يَرْتَجِسُ وَ الْبَرْقُ يَخْتَلِسُ وَ الْمَاءُ يَنْبِجِسُ فَأَتْرَعَ الْغُدْرَ وَ انْتَبَتِ الْوُجْرَ وَ خَلَطَ الْأَوْعِيَالَ بِالْأَجَالِ وَ قَرَنَ الصَّيْرَانَ بِالرَّئَالَ فَلِلْأَوْدِيَةِ هَيْدِيرٌ وَ لِلشَّرَاجِ خَرِيرٌ وَ لِلتَّلَاحِ زَفِيرٌ وَ حَطَّ النَّبْعُ وَ الْعَنَمُ مِنَ الْقَلَلِ الشُّمِّ إِلَى الْقِيَعَانِ الصُّحْمِ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْقَلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ

ص: ٤٤٧

مُجْرَثٌ أَوْ دَاحِضٌ مُحْرَجٌ وَ ذَلِكُ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ. قلت السد السحاب الذى يسد الأفق و أصل الجبل و الطفل اختلاط الظلام و انتشاره حال غروب الشمس و شصا ارتفع و علا و احزأل انتصب و اكفهرت أرجاؤه غلظت نواحيه و جوانبه و تراكمت و احمومت اسودت مع مخالطه حمرة و أرجاؤه أوساطه و انزعت تفرقت و الفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الإبل و هى النوق إذا أرادت الولادة فارقت الإبل و بعدت عنها حيث لا ترى و تضاحكت بوارقه لمعت و استطار انتشر و الوادق ذو الودق و هو مطر كبار و أرسعت جوبه أى تلاءمت فرجه و التحمت و ارتعن استرخى و هيدبه ما تدلى منه و حسكت أخلافه امتلأت ضروعه و أرادفه مآخره و أكنافه نواحيه و يرتجس يصوت و الرجس الصوت و يختلس يستلب البصر و ينبجس ينصب فأترع الغدر ملأها جمع غدير و أنبت الوجر حفرها جمع و جار و هو بيت الضبع و الآجال جمع إجل و هو قطع البقر و الصيران مثله جمع صوار و الرئال جمع رأل و هو فرخ النعام و الهدير الصوت و الشراج جمع شرج و هو مسيل الماء إلى الحره و خرير الماء صوته و زفير التلاع أن تزفر بالماء لفرط امتلائها و النبع شجر و العنم شجر آخر و كلاهما لا يثبت إلا- فى رءوس الجبال و الشم العاليه و الصحم السود التى تضرب إلى الصفرة و المعصم المعتصم الملتجئ و المجرثم المتقبض و الداخص الزالق الواقع و المحرجم المصروع.

و من ذلك

١٤٨٦

مَا رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَضِيمَعِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنْ مَطَرٍ أَصَابَ بِلَادَهُمْ فَقَالَ نَشَأَ عَارِضًا فَطَلَعَ نَاهِضًا ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا فَأَعْتَنَ فِي الْأَقْطَارِ فَأَشْجَاهَا وَامْتَدَّ فِي

ص: ٤٤٨

الْأَفَاقِ فَعَطَّاهَا ثُمَّ ارْتَجَسَ فَهَمَّهُمْ ثُمَّ دَوَى فَأَظْلَمَ فَأَرْكَى وَ دَثَّ وَ بَغَشَّ وَ طَشَّ ثُمَّ قَطَّقَطَ فَأَفْرَطَ ثُمَّ دَيَّمَ فَأَعْمَطَ ثُمَّ رَكَدَ فَأَثَجَمَ ثُمَّ
وَبِيلَ فَسَدَّ جَمَّ وَ جَادَ فَأَنَعَمَ فَقَمَسَ الرُّبَا وَ أَفْرَطَ الزُّبَى سَيِّعاً (١) تَبَاعاً يُرِيدُ انْقِشَاعاً حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الحُزُونُ وَ تَضَحَّضَتْ المُتُونُ
سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ. قلت العارض سحاب يعترض فى الأفق و اعتن اعترض و أشجاها ملاءها فكان
كالشجى فى حلقها و ارتجس صوت و الهمهمه صوت الرعد و دوى أحدث دويأ فأظلم أعدم الضوء من الأرض بتكاثفه فأرك
أى مطر ركا و الرك المطر الضعيف و كذلك الدث و البغش و الطش و فوق ذلك الققط و ديم صار ديمه و هى المطر أياما
لا- يقلع و أعمرت أى دام و أثجم أقام و ويل جاء بالوابل و هو المطر العظيم و سجم صب و أنعم بالغ و قمس غوص فى الماء و
أفراط الزبى ملاءها جمع زيبه و هى حفيره تحفر للوحوش فى مكان مرتفع و الحزون جمع حزن و هو ما غلظ من الأرض و المتون
جمع متن و هو الصلب من الأرض و تضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء و هو الرقيق.

و من ذلك

١٤٨٧

مَا رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ أَيْضاً عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا عَنْ مَطَرٍ أَصَابَهُمْ بَعْدَ جَدْبٍ فَقَالَ ارْتَوَتْ لَنَا رَبُّكَ بَعْدَ مَا اسْتَوَلَى اليَأْسُ عَلَى
الظُّنُونِ وَ خَافَ أَمْرَ القُلُوبِ القُنُوطُ فَأَنشَأَ بِنُوءِ الجَبْهَةِ فَرَعَهُ كَالْقُرْصِ مِنْ قِبَلِ العَيْنِ فَأَحْرَأَلَتْ عِنْدَ تَرْجُلِ النَّهَارِ لِأَذْهِمِ السَّرَارِ حَتَّى إِذَا
نَهَضَتْ فِي المَافِقِ طَالَعَهُ أَمْرٌ مُسِيخٌ خَرَّهَا الجُنُوبَ فَتَبَسَّمَتْ لَهَا فَانْتَشَرَتْ أَحْضَانُهَا (٢) وَ أَحْمِيؤُمَّتْ أَرْكَانُهَا وَ بَسَقَ عَنَانُهَا وَ اكْفَهَرَتْ
رَحَاهَا وَ انْبَعَجَتْ كَلَاهَا (٣) وَ ذَمَرَتْ

ص: ٤٤٩

١-١) ساع الماء سيعا: جرى و اضطرب، و فى الأصول: «سبعاً» تصحيف.

٢-٢) ب: «فانتشرت».

٣-٣) كليه السحابه: أسفلها.

أَخْرَاهَا أَوْلَاهَا ثُمَّ اسْتَطَارَتْ عَقَائِقُهَا وَازْتَعْجَتْ بَوَارِقُهَا وَتَعَقَّقَتْ صَوَاعِقُهَا ثُمَّ اِزْتَعَبَتْ جَوَائِبُهَا وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا وَدَرَّتْ حَوَالِيهَا فَكَانَتْ لِلْأَرْضِ طَبَقًا شَجَّ فَهَضَبَ وَعَمَّ فَأَحْسَبَ فَعَلَّ الْقِيَعَانَ وَضَحَضَحَ الْغَيْطَانَ وَصَوَّحَ الْأَصْوَاجَ وَأَتْرَعَ الشُّرَاجَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا وَجَزَاءَ ظُلْمِنَا غُفْرَانًا. قلت نوء الجبهه محمود عندهم للمطر و القزعه القطعه الصغيره من السحاب و القرص الترس و العين ما عن يمين قبله العراق و ترجل النهار انبساط الشمس و الأدهم أحد ليالى السرار و الأحضان النواحي و احمومت اسودت و بسق علا- و العنان ما يعترض من السحاب فى الأفق و انبعجت انفتقت و ذمرت حضت و العقائق البروق و ارتعجت اهتزت و ارتعدت و طبقا أى غطت الأرض و هضب جاء بالمطر دفعه فدفعه و أحسب كفى و عل القيعان سقاها مره بعد أخرى و الغيطان جمع غائط و هو ما سفلى من الأرض و صوح الأضواج هدم الأجواف و أترع الشراج ملأ المصيلات.

و من ذلك

١٤٨٨

مَا رَوَاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ الْأَضِيمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَصِفُ مَطْرًا قَالَ نَشَأَ عِنْدَ الْقَصِيرِ بِنُوءِ الْغَفْرِ حَيًّا عَارِضًا ضَاحِكًا وَامِضًا فَكَلًّا وَ لَا مَا كَانَ حَتَّى شَجِيَتْ بِهِ أَفْطَارُ الْهَوَاءِ وَ اخْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ثُمَّ أَطْرَقَ فَكَفَهَرَ وَ تَرَكَمَ فَادْلَهَمَ وَ بَسَقَ فَازْلَامَ ثُمَّ حَادَتْ بِهِ الرِّيحُ فَخَزَّ وَ الْبُرْقُ مُزْتَعِجٌ وَ الرِّعْدُ مُبْتَوِّجٌ وَ الْحِدَجُ مُبْتَعِجٌ فَأَنْجَمَ ثَلَاثًا مُتَحَيِّرًا هَثْهَاتًا أَخْلَافُهُ حَاشِدَكَّةً وَ دُفَعُهُ مُتَوَاشِدَكَّةً وَ سَوَامُهُ مُتَعَارِكَةٌ ثُمَّ وَدَّعَ مُنْجِمًا وَ أَقْلَعَ مُتْهِمًا مَحْمُودَ الْبَلَاءِ مُتْرَعِ النَّهَاءِ (١) مَشْكُورَ النُّعْمَاءِ بِطُولِ ذِي الْكِبْرِيَاءِ. قلت القصر العشى و الغفر من نجوم الأسد و الحيا الدانى من الأرض. و قوله كالا و لا أى فى زمان قصير جدا و شجيت به الأقطار صار كالشجى لها

ص : ٤٥٠

(١-١) نهاء: جمع نهى؛ و هو الغدير.

و ازلام انتصب و المرتعج المتدارك و المبتوج العالی الصوت و الحدج السحاب أول ما ينشأ و يتبعج يشقق و أثجم دام متحيرا
أى كأنه قد تحير لا وجه له يقصده و الهتهاث المداخل و أخلافه حاشكه أى ضروعه ممثله و دفعه متواشكه أى مسرعه و سوامه
متعاركه شبه قطع السحاب بسوام الإبل و منجما مقلعا و متهما يسير نحو تهامه

الفصل الخامس فى بيان أنه ع إمام أرباب صناعه البديع

و ذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه فى كلام غيره ممن تقدمه إلا ألفاظ يسيره غير مقصوده و لكنها واقعه بالاتفاق كما وقع
التجنيس فى القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود و ذلك نحو قوله **يا أسفَى عَلَى يَوْسُفَ (١)** و كما وقعت المقابله أيضا غير مقصوده
فى قوله **وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ (٢)** على أنها ليست مقابله فى المعنى بل من اللفظ خاصه و لما تأمل العلماء شعر إمرئ
القيس و وجدوا فيه من الاستعاره بيتا أو بيتين نحو قوله يصف الليل فقلت له لما تمطى بصلبه و أردف أعجازا و ناء بكلكل **(٣)**.
و قوله و إن يك قد ساءتك منى خليقه فسلى ثيابى من ثيابك تنسل **(٤)** و لم ينشدوا مثل ذلك فى أشعار الجاهليه حكموا له
بأنه إمام الشعراء و رئيسهم. و هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين ع قد اشتمل من الاستعاره العجيبه و غيرها من أبواب البديع على
ما لو كان موجودا فى ديوان شاعر أكثر أو مترسل أكثر

ص: ٤٥١

١-١ (١) سورة يوسف ٨٤.

١-٢ (٢) سورة الرحمن ٨.

٣-٣ (٣) ديوانه ١٨.

٤-٤ (٤) ديوانه ١٣.

لكان مستحق التقديم بذلك ألا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحله و أنها ترغو رغاء فحول الإبل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع و جعل للأرض كلكلا و جعلها واطئه للماء به و وصف الماء بالذل و الاستخذاء لما جعل الأرض متمعكه عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس و جعل لها كواهل و جعل للذل حكمه و جعل الماء فى حكمه الذل منقادا أسيرا و ساجيا مقهورا و جعل الماء قد كان ذا نخوه و بأو و اعتلاء فردته الأرض خاضعا مسكينا و طأطأت من شموخ أنفه و سمو غلوائه و جعلها كاعمه له و جعل الماء ذا كظه بامتلائه كما تعترى الكظه المستكثر من الأكل ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات و لا يبدأ بعد أن كانت له و ثبات ثم جعل للأرض أكتافا و عرانيين و أنوفا و خياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق و جعل الجنوب ماريه درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا و بوانا ثم جعل الأرض مبتهجه مسروره مزدهاه و جعل لها ريطا من لباس الزهور و سموطا تحلى بها فيا لله و للعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعه فإذا وجدوا فى مائه ورقه كلمتين أو ثلاثا منها أقاموا القيامة و نفخوا فى الصور و ملئوا الصحف بالاستحسان لذلك و الاستظراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعه على ألطف وجه و أرصع وجه و أرشق عباره و أدق معنى و أحسن مقصد ثم يحملهم الهوى و العصبيّه على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا و أحسنوا و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على أنه لا عجب فإنه كلام على ع و حظ الكلام حظ المتكلم و أشبه امرأ بعض بزّه

و هذا آخر الجزء السادس من الأجزاء العشرين من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى على ما جزأه (1).

ص: ٤٥٢

١- ١) ج: «تم الجزء السادس من أجزاء شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد على ما جزأه، و يتلوه الجزء السابع و الحمد لله وحده».

- ٤٦-من كلام له عليه السلام فى معنى الأنصار ٤،٥
- ٤٧-من كلام له لما قلد محمّد بن أبى بكر مصر فملكه عليه و قتل ٥٣
- ٤٨-من كلام له فى ذمّ أصحابه ١٠٢
- ٤٩-من كلام له فى سحره اليوم الذى ضرب فيه ١١٢
- ٧٠-من كلام له فى ذمّ أهل العراق ١٢٧
- ٧١-من خطبه علم الناس فيها الصلاة على النبىّ صلّى الله عليه و آله ١٣٨
- ٧٢-من كلام له قاله لمروان بن الحكم بالبصره ١٤٦
- ٧٣-من كلام له لما عزموا على بيعه عثمان ١٦٦
- ٧٤-من كلام له لما بلغه اتهام بنى أمّيه له بالمشاركه فى دم عثمان ١٦٩
- ٧٥-من خطبه له فى الزهد ١٧٢
- ٧٦-من كلام له فى شأن بنى أمّيه ١٧٤
- ٧٧-من كلمات له يدعو بها ١٧٦
- ٧٨-من كلام له قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج و قوله فى النجوم ١٩٩
- ٧٩-من كلام له بعد فراغه من حرب الجمل فى ذمّ النساء ٢١٤
- ٨٠-من كلام له فى الزهد أيضا ٢٣٠
- ٨١-من كلام له فى صفة الدنيا ٢٣٨
- ٨٢-من خطبه له و هى المسماه بالغراء ٢٤١-٢٧٩

١-*) و هي الخطب التي وردت في كتاب نهج البلاغه.

٨٣-من كلام له فى ذكر عمرو بن العاص ٢٨٠

٨٤-من خطبه له فى تمجيد الله سبحانه و تعظيمه،و فيها وصف الجنة ٣٤٥-٣٤٨

٨٥-من خطبه له فى الوعظ ٣٥٠-٣٥٤

٨٦-من خطبه له،ذكر فيها صفات من يحبه الله و حال أمير المؤمنين مع الناس ٣٦٣-٣٨٢

٨٧-من خطبه له ذكر فيها وصف ما عليه الناس من الخطأ ٣٨٤

٨٨-من خطبه له ذكر فيها حال الناس قبل البعثة و أن الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم ٣٨٧

٨٩-من خطبه له فى تعديد بعض صفات الله عزّ و جلّ ٣٩٢-٣٩٥

٩٠-من خطبه له،و تعرف بخطبه الأشباح،فيها وصف السماء و الأرض و السحاب و الملائكة و غير ذلك ٣٩٨-٤٣٨

ص: ٤٥٤

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات (١)

أخبار يوم السقيفه (٢) ٤٥-٥

قصيده أبي القاسم المغربي و تعصبه للأنصار على قرش ١٧-١٤

أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعه أبي بكر ٤٥-١٨

ما روى من أمر فاطمه مع أبي بكر ٥٢-٤٦

محمد بن أبي بكر و ذكر ولده ٦٧-٥٥

هاشم بن عتبه بن أبي وقاص و نسبه ٥٦-٥٥

ولايه قيس بن سعد على مصر ثم عزله ٦٥-٥٧

ولايه محمد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله ٩٤-٦٥

خطبه عليّ بعد مقتل محمد بن أبي بكر ١٠٠-٩٤

مقتل محمد بن أبي حذيفه ١٠١-١٠٠

الأشعار الوارده في ذمّ الجبن ١٠٧-١٠٤

أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم ١١١-١٠٧

خبر مقتل عليّ كرم الله وجهه ١٢٦-١١٣

ذكر مطاعن النظام على الإمام و الرد عليه ١٣٤-١٢٩

خطبه عليّ بعد يوم النهروان ١٣٦-١٣٤

من خطب عليّ أيضا ١٣٧-١٣٦

معنى الصلاه على النبيّ و الخلاف في جواز الصلاه على غيره ١٤٥-١٤٣

مروان بن الحكم و نسبه و أخباره ١٦٥-١٤٨

من كلام له أيضا قبل المبايعه ١٦٧-١٦٨

من أدعيه الرسول المأثوره ١٧٨

ص: ٤٥٥

١-*) و هي الموضوعات التي وردت أثناء الشرح.

٢-١) انظر أخبار يوم السقيفه في الجزء الأول ٣١-٦١.

أدعيه الصحفيه ١٧٨-١٨٧

من الأدعيه المأثوره عن عيسى عليه السلام ١٨٧

الأدعيه المأثوره عن بعض الصالحين ١٨٧-١٩٦

آداب الدعاء ١٩٦-١٩٧

القول فى أحكام النجوم ٢٠٠-٢١٣

أخبار عائشه فى خروجها من مكّه إلى البصره بعد مقتل عثمان ٢١٥-٢٢٩

الآثار و الأخبار الوارده فى الزهد ٢٣١-٢٣٧

فصل فى ذكر القبر و سؤال الملكين ٢٧٣-٢٧٤

نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره ٢٨١-٣٣٠

مفاخره بين الحسن بن عليّ و رجالات من قريش ٢٨٥-٢٩٤

عمرو بن العاص و معاويه ٢٩٤-٢٩٥

عبد الله بن جعفر بن العاص فى مجلس معاويه ٢٩٥-٢٩٧

عبد الله بن العباس و رجالات قريش فى مجلس معاويه ٢٩٨-٣٠٣

عمار بن الوليد و عمرو بن العاص فى الحبشه ٣٠٤-٣٠٧

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبى طالب فى الحبشه ٣٠٧-٣١٢

أمر عمرو بن العاص فى صفين ٣٠٢-٣١٧

القول فى إسلام عمرو بن العاص ٣١٨-٣١٩

بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل ٣١٩-٣٢٠

ولايات عمرو بن العاص فى عهد الرسول و الخلفاء ٣٢٠-٣٢١

نبد من كلام عمرو بن العاص ٣٣١-٣٢٤

أقوال و حكايات فى المزاح ٣٣٠-٣٣٧

فصل فى حسن الخلق و مدحه ٣٣٧-٣٤٤

فصل فى ذم الكذب و حواره الكذابين ٣٥٧-٣٦٢

فصل فى العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم ٣٦٥-٣٧٢

ص: ٤٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩